

٢٠٩٩ عام الهيكل الثالث

(رواية خيالية تصحبكم إلى المستقبل)



الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

٢٠٩٩ عام الهيكل الثالث

حسن عبد ربه المصري

عمرو الحو

خالد رجب عواد

الأولى

٢٠١٦ / ٢٠٢٨٦

٩٧٨ - ٩٧٧ - ٧٨٦ - ٠٧٨ - ٩

اسم الكتاب

اسم المؤلف

الغلاف

التصحيح اللغوي

الطبعة

رقم الإيداع

الترقيم الدولي

٨ عمارات الواحة - قطعة ١٠ - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

ghorabpublishing@hotmail.com

٢٠٩٩ عام الهيكل الثالث

(رواية خيالية تصحبكم إلى المستقبل)

حسن عبد ربه المصري

دار النشر والتوزيع

لَمَّا سَأَلَ أَحَدُهُم أَيْنِشَتَايْنِ:
أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَهْمِيَّةٍ: الْخَيَالُ أَمْ الْمَعْرِفَةُ؟
قَالَ: «الْمَعْرِفَةُ مَحْدُودَةٌ، أَمَّا الْخَيَالُ فَابْتِسَاعُ الْعَالَمِ»..

الدنيا الخيالية لهذه الرواية

في منتصف العقد الرابع من القرن الحادي والعشرين، وبعد مُعاناةٍ طويلةٍ لنتائج الأزمة الاقتصادية التي بدأت مع نهاية العقد الأول، كان العالم على موعدٍ مع تحوُّلٍ جذريٍّ غير مسبوقٍ في حياته، ترتَّب - بالدرجة الأولى - على أزمة مالية طال أمدها، عصفت بالكثير من الكيانات، وقوّت شوكة كيانات أخرى..

هذا التحول الجذري فرض نفسه بقوة جبارة بعد أن جربت القوى العُظمى أشكالاً مُتعددةً من التعاون والهمينة والتصادم والتحالف والتصالُح والصداقة، لكن محاولاتها انهارت الواحدة تلو الأخرى.. كل نظرية فكر فيها منظروا ذلك الزمان، ووُضعت للتطبيق تركت وراءها كُفّاً هائلاً من الدمار والدماء، ولم تتمكَّن التجاربُ المُتعبة من إزالة مُخلفات سابقتها أو الإتيان بجديدٍ يحمل في طيّاته بذور الصمود فترةً أطول في وجه الأعاصير..

ولم تترك الطبيعة الإنسان يُعاني فقط حُكَّامه ونُظمهم وتجارهم الفاشلة، بل زادت من عَصْفِها به، فأحاطته بالعواصف والحرائق

والبراكين والزلازل، وأصابته بالتصحر، وشح المياه، وزيادة الاحتباس الحراري، ونُدرة الأمطار.. لسوء تخطيطه الحضري في بعض المناطق (أوروبا وأمريكا) من ناحية، وضعف استعداداته لمواجهة (في آسيا) من ناحية أخرى، وإهماله وهامشية اهتماماته بالآخرين في مناطق أخرى (الشرق الأوسط وأفريقيا) من ناحية ثالثة..

تضررت مجتمعات الدول الفقيرة اقتصادياً من مُضاعفات الكوارث الطبيعية أكثر من غيرها، لأنها افتقدت لسنوات عديدة القدرة على توفير الرعاية الصحيّة والعدالة الاجتماعية لسكّانها، لذلك زادت بينها معدلات الوفيات في بعض الأحيان بنسبة ٢٠٠٪..

حدثت أولى الكوارث في منتصف عام ٢٠١٧، وأفقدت زهاء ٣٧٥ مليون نسمة مصادر معيشتهم وموارد حياتهم اليومية..

فوجئَ العالمُ كله بوهج ناريّ نشرَ العتمة على أكثر من ثلثي كوكب الأرض نتيجة عاصفة شمسية، أعقبه انتشارُ أعمدة هوائية هائلة ذات ألوان تتنوّع بين الأخضر والبرتقالي.. الظاهرة التي لم تستمر سوى ٩٠ ثانية أثّرت في الطاقة الكهربائية في معظم البلدان! وشوشرت على الإرسال الفضائي في العالم كله! وحطّمت العديد من وسائل النقل الجوية والأقمار الصناعية..

حاول بعض العقلاء هنا وهناك أن يحذروا من مَغَبّة التردّي في هاوية الفوضى والتشرذم والتناحر.. وأن ينبهوا للكارثة التي تنتظر الجميع بلا استثناء، لكن لم يسمعْ لهم أحدٌ، فهاجروا بعيداً عن مجتمعاتهم على أمل أن يتوصلوا مع غيرهم لحلول فردية أو جماعية

لمواجهة ما يتعرض له العالم من كوارث حفاظاً على النوع
الإنساني!..

مع تتابع الفشل الإنساني وتفشي سيطرة الطبيعة وعنفوان قوتها،
تضاعفت أعداد العقول المهاجرة بعيداً عن أوطانها على أمل ان تجد مع
غيرها ولو بصيص أمل يضيء المستقبل الذي تزداد ظلمته يوماً بعد
يوم!

ساهم تلاقي الأفكار في توثيق الصلة بين هذه الموجات المهاجرة
من المفكرين والحكماء، ونشأ لديهم بالتدريج ميل جارف للانعزال في
مكان بعيد يجمع شتاتهم، خاصة بعد تزايد معدلات فقدان الثقة
بحاكميهم، وانقطاع الصلة بمجتمعاتهم..

ومع الأيام وتراكم الفشل والقهر، توالى اجتهداتهم بحثاً عن هذا
المكان..

علي الجانب الآخر..

تزايد فشل نظم الحكم الديمقراطية والفردية..

توالى اندحار حكومات وطنية وقومية..

تفككت تحالفات..

وثارَت قوميات ضد بعضها البعض، وضد النظام الذي يحكمها..

تفسخت كيانات..

واختفت مجتمعات إنسانية بعد سنوات طويلة من الصرع فيما بينها
من ناحية، وبينها وبين الهبات الطبيعية المدمرة من ناحية ثانية..

وقبل هؤلاء وهؤلاء..

تأكلت كيانات بأكلمها، إلا بضع مئات من أبنائها كُتبت لهم النجاة، لأنها رفضت بعنجهية الأخذ بسنن التطور والتحديث متخيلة أن الآخرين إلى فناء أما هي فباقية..

وانمحت أخرى لأنها لم تعرف كيف تُحول مجتمع الرفاهية الذي كانت تتباهى به بين أقرانها، إلى كيانٍ استثماريٍّ مُنتجٍ يعودُ بالنفعِ على ذاته أولاً، ويحميها من الضياع ثانياً..

في منتصف العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، بلغت محاولات القوى الكبرى الغربية ونظمها الدولية لإنقاذ العالم من الانفجار الذي يسير فيه بلا إرادة، آخر الطريق المسدود..

في نفس الوقت تراجعت بشكل متسارع درجات تحمل عدد من الشعوب لما وقعت تحته من ويلات سياسية واقتصادية وبيئية، وتحول غالبية أبنائها إلى عصابات وميليشيات وقُطاع طرق وقراصنة.. إلخ.. ودخل البعض في حروبٍ أهلية، وهاجمَ البعض الآخر جيرانه..

ومن لم يكن قادراً من هذه المجتمعات على هذه أو تلك، قَبِلَ مرغماً بأن يكون لُقمةً سائغةً بين فكي الطبيعة من ناحية، والعُتاة الجبارة من ناحية ثانية..

بالمصادفة أو بالتوافق صارت مدينة فيينا - القائمة على نهر الدانوب بوسط أوروبا - في بداية العقد الرابع ولأسباب كثيرة ومُتنوعة ملجأً للحكماء، ليس بمعنى المنفى الإجمالي أو المعزل الاختياري..

لكن بمفهوم المكان الذي تتوافر فيه مجموعة من الاشتراطات التي تُناسبُ العدد الأكبر منهم، فالنمسا نظامًا ومُجتمعًا لم تلحق بها تغيرات جدية كما حدث لغيرها من النظم والمجتمعات الأوربية الأخرى، فحافظت على بعض مظاهر التواصل..

لم يسجل أحد شكل بداية تجمع الحُكماء ولا تاريخه بالرغم من تزايد عدد المشاركين في نشاطته على مرّ السنين، كما لم ينسب أحد إلى نفسه أولوية الدعوة إلى تنظيم تبادلِ الرأي، وإن كان الأرجح أنهم أرسوا معًا - بعد بضعة حوارات - إطار للتفكير الجماعي توسّعت دائرته بعد أن توافرت له فرص النّجاح..

هذه الحرية الجماعية النوعية التي تراكمت بمرور الوقت في وسط أوروبا أسست لقيام وسيلة تواصل مع حُكماء آخرين ممن كانوا لا يزالون في بلدانهم أو دفعت بهم الريح إلى مكان ما بالقرب من تلك المنطقة..

ومع زيادة تلاقح الأفكار والخشية من اقتراب نهاية العالم المُفجعة، تُشكّل ما عُرِفَ فيما بعد بمجلس شورى الحُكماء الذي قام على الاختيار من أول يوم، واتخذت فيينا مقرًّا له..

وبعد مُشاورات مكثفة واتصالات على مُستويات عدة، أصدر أعضاؤه مجموعة التشريعات التي تشكلت في ضوءها الحكومة العالمية وبدأت تُؤدّي وظيفتها..

قالت الحكومة العالمية الأولى وهي تُورّخُ ميلاد مجلس الشورى العالمي «أهم ما ميّز التشريعات التي توصل إليها، أنها لم تكن مرتبطة

بنظام حُكمٍ مُحدّدٍ، ولا كانت واقعة تحت ضرورة إيجاد حلٍّ فوريٍّ
لقضيةٍ ما»..

مثلت الحكومة العالمية بعدما ارتضتها القوى التي بقيت في الساحة
في ضوء صراعتها الشديد والقاسي مع الأزمات العالمية والطبيعية، طوق
النجاة الذي أشار إليه الفيلسوف ديفيد هيلد في ستينيات القرن
العشرين وسَمَّاه الديموقراطية الكونية..

يومها - عندما نشر هيلد تلك النظرية - قالوا إنه الاستبداد في
صورته القُصوى، وحكموا على أفكاره بالفشل ووصفوه هو بالعتة!
لأنه كان يدعو لاستبدال الدولة القومية الحديثة كما كانت تعرف آنذاك
بالدولة أو الحكومة الكونية التي تدير شئون العالم بأسره..

في حينه لم يكن في مقدور أحد أن يصدق أو يتخيّل إمكانية قيام
دولة أو حكومة تعلو على الدول المستقلة ذات السيادة وعلى شعوبها
وعلى قوانينها القومية والوطنية، وأن ترسم لها سياساتها، لكنها قامت
وأصبحت حقيقةً واقعةً ومؤثِّرةً منذ عام ٢٠٥٠، لأنه لم يكن هناك حلٌّ
آخر لإنقاذ ما بقي من أقاليم جغرافية تسكنها مجتمعات بشرية مُتنافرة
إلا بقيامها..

الأزمة الاقتصادية التي امتدت ثلاثة عقود عصفت من ناحية
بالعديد من الكيانات الأوروبية ونسفت من الأساس القوة الأمريكية
الاقتصادية والعسكرية التي كانت تتربع على قمة العالم، ومنحت من
ناحية ثانية الفرصة كاملةً - وبلا مُنازعٍ في الحقيقة - للصين وروسيا
واليابان والهند وكوريا أن تحلَّ محلَّ الطرفين، وبعد أن التزمت

بالصياغات التي أقرها «نظام الحكماء ومجلس الشورى العالمي»، والتي أسست لقيام الحكومة العالمية وجعلت مقرها بكيين..

بعد قيام حكومة العالم تحولت حفنة من العواصم التي كانت رمزاً لسيادة الدولة القطرية إلى عواصم لتجمعات أو لصناعات وخدمات أو لمنتجات كانت تشتهر بها، وظلّت قادرة على القيام بها إلى حدٍّ ما.. بينما حوّلت عواصم أخرى إلى مقارٍّ للمُراقبات التي تمخّض عنها قيام أول حكومة في بكيين لتنفيذ سياساتها المركزية، مدينة القدس وحدها حظيت بتسمية «عاصمة السلام» لأسباب كثيرة ومتنوعة وواقعية!

واختفت في المقابل غالبية الخواضر التي كانت ملء عقل العالم وسمّعه..

لم تعد هناك سيادة وطنية لأن أنظمة الحكم أسلمت قيادها للتشريعات التي أصدرها المجلس التشريعي العالمي الذي ورث المسؤولية من مجلس الشورى بعد تشكيل أول حكومة عالمية..

عدد من الأوطان الصغيرة وجدت في انخراطها ضمن هذا النسيج فرصتها الأخيرة لمواصلة مسيرتها الواهنة، خاصة بعد أن اختفت مثيلاتها بسبب نضوب ثرواتها الأحادية المرتبطة باستخراج الطاقة والمعادن والقائمة على المنتجات الزراعية، وفئة ثانية بسبب محدودية قدراتها في مواجهة الأوبئة أو التصحُّر وشُحِّ المياه الذي تعرضت له، وثالثة بسبب التغيرات المناخية الحادة التي نجمت عن ارتفاع درجات الحرارة وانبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري..

نجحت الحكومة العالمية الأولى إلى حد كبير في إعادة ترتيب الكثير من العلاقات المكانية والجغرافية وفق مركزية النظام الجديد.. ولما جاءت الحكومة الثانية عام ٢٠٥٥ ركزت جهودها منذ بداية ولايتها على وضع فلسفة للإدارة وفق الاحتياجات التي تبلورت واستقرت معالها على يد الحكومة التي سبقتها..

اضطرت الحكومة العالمية الأولى عام ٢٠٥٠ كي تحكم قبضتها وفق العلاقات الجغرافية والإنتاجية والبشرية التي كانت ترتب لها، لتسخير كل ما هو جديد في عالم الاتصال والمعلومات والتقنيات لخدمة الاقتصاد والإنتاج والتنظيم الإداري.. وبدأت بالعمل على إزالة الآثار السيئة والسلبية التي تسببت فيها المجتمعات البشرية لأكثر من مائة عام، مُروراً بتقديم رعاية شاملة لأفراد هذه المجتمعات لتعويضهم عما لاقوه من إهمال وازدراء على يد حكوماتهم لعشرات السنين.. وانتهاء بمحاربة العنف والإرهاب ووقف التصادم المسلح فيما بينها مرة واحدة وبشكل نهائي..

اهتمت الحكومة العالمية الأولى بالتغيرات المناخية وجعلتها شاغلها الرئيسي، وسرعان ما وضعت إطاراً عملياً لمتابعتها وحرصت على توفير الإمكانيات البشرية والتكنولوجية القادرة على التنبؤ بوقوعها ومحاصرة أخطارها للتقليل من خسائرها الجمة، وفيما بعد عملت على تطويرها بهدف الاستفادة من إيجابياتها لأقصى درجة..

لذلك أمرت بإقامة عدد من مراكز المراقبة المناخية حول العالم، واختارت لها أفضل المتخصصين ووضعت تحت أيديهم أحدث

الأجهزة والمعدات وكلفتهم بمتابعة وتحليل واستخلاص النتائج بشكل دوري، ويسّرت لهم التواصل مع بعضهم البعض، ومع الهيئة العليا للبيئة التي اتخذت من مدينة روما عاصمة لها..

كانت حكومة بكين على قناعة تامة أن مصداقية نتائج التنبؤات التي ستتولّى أبراج المراقبة المناخية القيام بها، ستوفّر حماية كبيرة ضد الحرائق والزلازل والبراكين وثورة أمواج البحار التي تندلع بشكل فجائي.. وأنها ستُساهم بدرجة أو بأخرى في وقف زحف التصحرّ المتنامي ناحية الأراضي الزراعية والسكانية.. وستقلل إلى حدّ كبير من سُحّ المياه وقلة الأمطار، ومن تآكل الشواطئ التي تنحرف فيها مياه البحار والمحيطات وتغرقها..

أقيمت هذه الأبراج - بعد دراسة مُستفيضة - في أماكن بعينها كمقر نيو أوليانز بخليج المكسيك جنوب الولايات المتحدة، ومركز رأس هورن عند الطرف الجنوبي لقارة أمريكا الجنوبية، ومركز أروشيل في أقصى الغرب الأوروبي، ومركز هيروشيما فوق جزر اليابان، وشبه جزيرة يامال بالقرب من المحيط المتجمد الشمالي، ومركز داروين المطل على بحر تيمور في شمال أستراليا..

وكذا برج سيراكوزة بجزيرة صقلية في منتصف البحر الأبيض المتوسط.. الذي سيكون بؤرة تفاعل عالمنا الروائي المُتخيّل هذا..

برج سيراكوزه بجزيرة صقلية

تمتعت جزيرة صقلية بشهرةٍ واسعةٍ منذُ أيام الإمبراطورية اليونانية في العصر القديم؛ لأنها كانت تقع على طريق التجارة العالمية التي تعبر البحر المتوسط من شرقه إلى غربه.. وفي العصر الحديث ظلت خاضعة لسيادة النظام الملكي ثم الجمهوري الذي كان يحكم في إيطاليا منذ عام ١٨٦٠، حتى وقع الانفجار البركاني الذي أحدثه جبل إتنا (يرتفع ١٠٩٠٠ قدم عن سطح البحر) عام ٢٠٢١.. فنفضت حكومة روما يدها عنها ومنحتها حكمًا شبه ذاتي..

لم تتأثر صقلية كثيرًا بالكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الدول الأوربية، وحافظت رغم البراكين والزلازل على إنتاجها الزراعي من البرتقال والليمون واللوز والزيتون، وعلى صناعة نبيذها الذي اشتهرت به عُقودًا طويلة..

برج سيراكوزا الذي أقامته الهيئة العليا للبيئة على طرف جزيرة صقلية الجنوبي الشرقي لكي يتولّى متابعة مسئولية مراقبة البحار والأجواء المناخية والتقلبات الجوية في منطقة شرق البحر المتوسط

وغربه، ويتنبأ بمستقبل أحوال الطقس والأنواء البحرية لفترات تطول أحياناً لثلاثة أشهر، حظي باهتمام كبير قبل أيام قليلة من نهاية عام ٢٠٩٨ بعدما أسندت إليه الحكومة العالمية مسئولية إصدار نشرة مناخية أسبوعية شاملة طوال النصف الثاني من عام ٢٠٩٩، بدلاً من نشرته الشهرية المعتادة استعداداً للاحتفالات التي ستُقام في مدينة القدس عاصمة السلام ليلة ٣١ ديسمبر والتي ستستمر حتى صباح اليوم التالي..

لم تكن الهيئة العليا للبيئة تتوقع - وهي تقوم بعملها الروتيني قبل نهاية كل عام ميلادي - مثل هذا الزخم الذي أدركت فيما بعد أهميته.. فقد أصدرت - كما هي العادة - تقريرها السنوي حول تنبؤات الطقس والأحوال الجوية والمناخية لعام ٢٠٩٩ في بداية العام، ولم تضع في حسابها أن تتلقى الكثير من التعليقات..

عاداتهم كل عام أبدى أعضاء المجلس التشريعي العالمي ومنتسبو لجنة الحكماء اهتماماً عملياً بما ورد في تقرير الهيئة العليا للبيئة من توقعات، وفيما هم يقومون بصياغة مقترحاتهم المرتبطة بالمجالات الاقتصادية والإنتاجية والاستثمارية التي يقدمونها للحكومة العالمية.. لفت نظرهم جزئية جاءت في مُقدمته تتوقع أن يشهد الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر ٢٠٩٩ ميلاد السنة القمرية للمسلمين قبل ثلاثة أيام من الميلاد المُعتاد للسنة المسيحية، وأن ميلاد السنوات الهندية والبوذية والهندوسية والزرادشتية والماوية والبابية والبهائية، يسبق هذه وتلك بأسبوعين أو ثلاثة..

السنة اليهودية لم تدخل في هذا الترتيب بسبب ميلادها المُتعارَف عليه خلال شهر سبتمبر من كل عام، لأنها تجمع بين التقويمين القمري لتحديد بداية الشهر ونهايته (تسعة وعشرون يوماً ونصف) والشمسي لعدد أيام العام (ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع) ..

اتفق أهل فيينا منُ تشريعيين وحُكماء أن يوصوا الحكومة العالمية بالعمل على إقامة احتفال عالمي بمناسبة الميلاَد المتتالي لهذه السنوات والذي ربما لا يتكرر قبل مائتي عام، بحيث يشارك فيه مُعتنقو الديانات السماوية الثلاث إلى جانب أصحاب الديانات الأرضية.. واقترحوا تعزيزاً للتوصية أن تُقام الاحتفالية في مدينة القدس عاصمة السلام بمناسبة البدايات المتتالية لهذه السنوات..

أعلنت الحكومة العالمية مُوافقتها على تنفيذ التوصية، وقررت توجيه الدعوة لكل من أشارت إليه للمشاركة في احتفالية تبدأ يوم ٣١ ديسمبر وتنتهي صبيحة اليوم الأول من يناير ٢٠١٠ بعاصمة السلام، وقامت بتوزيع تعليماتها في هذا الخصوص على الهيئات العليا المعنية.. وكان أولها وأهمها أن تُبادر الهيئة العليا للبيئة بتكثيف جهودها بالكيفية التي تراها مناسبة لكي تتحصل على ما يكفي من تقارير خاصة بالتنبؤات الجوية والمناخية المتعلقة بشرق البحر المتوسط ابتداءً من شهر يولية من العام ٢٠٩٩ وحتى بداية العام التالي..

صدرت التعليمات الفورية إلى بُرج مراقبة المناخ في سيراكوزا أن يضع تخطيطاً نموذجياً لجمع المزيد من المعلومات والبيانات حول التقديرات المناخية المتوقع أن يشهدها الأقليم الممتد من تركيا إلى شمال

الجزيرة العربية على المستويات كافة.. وتحليلها ضمن تقرير أسبوعي اعتبارًا من شهر يولية ٢٠٩٩ حتى منتصف شهر ديسمبر، ثم يتحول التحليل الأسبوعي إلى يومي اعتبارًا من هذا التاريخ إلى صبيحة الأول من يناير ٢٠١٠..

فيما يلي من أيام كلّفت الحكومة العالمية ممثليها في الأقاليم الإعلان عن المناسبة لإتاحة الفرصة للأفراد الراغبين في السفر إلى عاصمة السلام لمشاهدة الاحتفالات، أن يبدووا في تسجيل أسمائهم.. في نفس الوقت وضعت برنامج للاتصال بالزعامات الدينية حول العالم لإبلاغهم بالقرار والتنسيق معهم حول كيفية مشاركة كل منهم فيها.. كانت المرة الأولى التي تتخذ فيها الحكومة العالمية العاشرة قرارًا بهذه الأهمية..

نقول ذلك لأن شقيقتها الأولى أبعدت نفسها عن الدين ومُشكلاته وتراكيماته بقرار جماعي صارم قبل ذلك بخمسة وأربعين عامًا، بعد ما عانتها الكثير من الشعوب والأوطان حتى عام ٢٠٣٥ من حروب ومناوشات ومُصادمات إرهابية وانتحارية، كان مُعظمها بين معتنقي الديانات السّماوية، وفيما بين طوائفهم ومذاهبهم المختلفة..

عند مناقشة أعضاء الحكومة العالمية لتوصية التشريعين والحكماء، اعترض البعض على إقامة الاحتفالية في مدينة القدس، واقترحوا بدلاً منها باريس أو نيويورك.. لكن إضافة ذكرى مرور ٤٨ عام علي تدشين المدينة عام ٢٠٥٢ كعاصمة للسلام إلى احتفالية ميلاد السنوات عزّز من الاقتراح، وجعله يفوز في نهاية النقاش بالموافقة..

كانت الذكرى كما جاء في حيثيات قرار بكن تستحق أن يُحتفى بها لأنها تُمثلُ واحدًا من القرارات المهمة التي اتخذتها الحكومة العالمية الأولى في ذاك العام بعد تآكل دولة إسرائيل وتفتت فكرها الصهيوني، وما فُرض في أعقاب ذلك على سكانها من قرارات عالمية كان لها قوة القانون..

ظلت مشكلة السلام بين إسرائيل وجيرانها قائمة حتى وقع الانهيار الأكبر لشاطئ البحر الأبيض الواقع بين حيفا في الشمال وغزة في الجنوب عام ٢٠٣١ بسبب سلسلة الصواعق والهزات الأرضية التي شهدتها أراضيها.. وأيضًا بسبب ثورة الأمواج وما أحدثته من نحر في رصيفها القاري، مما أفقدها ملايين الأمتار المربعة من مساحتها المحدودة وحوالي مليوني نسمة من سكانها!..

قالوا في حينه إن هذه الكوارث قسمت ظهر إسرائيل..

كانت تعاني مُضاعفات تفكك هويتها الصهيونية تحت ضغط فقدها التدريجي للدعم الأمريكي والأوروبي بسبب استمرار سياساتها العنصرية تجاه الدولة الفلسطينية المجاورة لها وما سببته من سباق تسلح غير تقليدي في المنطقة، وجاءت هذه الموجات العقابية كما قال بعض حاخاماتها لتزيد من موجة هجرة سكانها بعيدًا عنها..

لذلك وافقت حكومتها عام ٢٠٣٥ على توقيع اتفاق هدنة أبدية مع جيرانها العرب تنفيذًا لقرارات الشرعية الدولية.. ولما رفض سكانها اليهود الالتزام بنتائج الانتخابات التشريعية التي جرت في العام التالي، وفاز بها تحالف قوى الشعب، وقاموا بعمليات شغب في أماكن عدة،

عينت الشرعية الدولية طاقم حُكم دولي لإدارة شئونها.. استبدلته
الحُكومة العالمية الأولى بقوات الحرس الفضائي العالمي، بعد إعلان
القدس عاصمةً للسلام عام ٢٠٥٢..

* * *

كان ديفيد أوزولد مراقب برج سيراكوزا من أوائل من عرفوا
بقرار الاحتفال ببداية السنوات التعبدية بمدينة القدس.. بعد أن أبلغته
الهيئة العليا للبيئة بضرورة الاستعداد لإصدار نشرة أسبوعية للتنبؤات
الجوية والمناخية اعتباراً من شهر يولية ٢٠٩٩ لتكوين فكرة موسّعة عن
طبيعة هذه المسائل خاصة خلال الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر،
وأيضاً لوضع برامج احتياطية بديلة استعداداً لما قد يطرأ على الأحوال
الجوية من تغيرات.. خاصة وأن الاحتفالات ستُقام في الهواء الطلق في
فترة زمنية تتسم بالبرودة الشديدة وتساقط الثلوج..

* * *

ديفيد في نهاية الحلقة الرابعة من عمره، فاجمُ الشَّعر، ذو عينين
عسليتين تزيّنان وجهه المستدير.. متين البنية بسبب نشاطه الرياضي منذ
بدء دراسته الثانوية وحتى نهاية دراسته الجامعية، ولمواظبته على برنامج
الجري الحرّ الأسبوعي بين مُتنزهات سيراكوزا التي تتمتع بخضرة دائمة
طوال العام.. أول ما يلاحظ عليه أنه عاشقٌ للحياة، يعرف كيف يُقبلُ
عليها بنشاطٍ وحيويةٍ سواء في العمل أو في التريُّض أو في الحب..

إلى جانب ذلك يتمتع صاحبنا بعقلية فلكية يدعمها الاطلاع
المُتوالي على كل ما هو جديد في ذاك الميدان.. منظم إلى حدٍّ كبير.. لَمَّاحٌ،

حُلُو المَعَشَر.. يُعطي العمل حَقَّهُ، ويمنح متعته من الدنيا بقية ما يتوافر لديه من وقت..

يَتَميَّزُ ديفيدُ إلى جانب جاذبيته للنساء - منذ كان في مرحلة الدراسة الثانوية - بالتُّبُوغ العلمي والتفُوق المهني منذ أن تربَّع على قِمَّة برج المراقبة المناخية بسيراكوزا وهو في الخامسة والثلاثين من عُمره..

حامت فكرة المشاركة في احتفالية ميلاد السنوات الجديدة برأس ديفيد كطيف باهت سرعان ما تحوَّل إلى صورةٍ ضبابيةٍ أعادته إلى مدينة أورشليم موطن الأجداد الأوائِل التي لم تتكرر زيارته لها منذ كان عمره سبع سنوات، حين سافرَ إليها مع أخيه التوأم إيمانويل وأبويهما عام ٢٠٦٧.. كاد يستبعد الفكرة كُلَّيَّةً من ذهنه، لولا أن توأمه اتصل به مُشجِّعًا له على المشاركة في زيارة أورشليم بسبب حميمية المدينة إلى قلبه، وأيضًا استرجاعًا للذكريات الجميلة التي تجمعهما بالوالدين الذين رحلا عن دنياهما منذ بضع سنوات..

كانت لإيمانويل مكانة غالية عند ديفيد لأسباب أُسرِيَّة وشخصِيَّة معًا!..

لذلك حرص فيما يلي من أيام على اللُّجُوء من حين لآخر إلى خزانة المعلومات الأثرية الفضائية بحثًا عن المعلومات التي قد تُساعدُه على تذكُّر رحلة الطفولة إلى أورشليم..

بمرور الأيام عاش ديفيد لحظات سعادة وفرها له تجواله التخيلي بين أطلال أورشليم ثلاثية الأبعاد، جعلته ينتقل من الخيال إلى التجسيد

بسهولة وشغف.. لكن كل ذلك لم يكن كافياً لكي يحفز صاحبنا على السفر إليها، فكل ما اطلع عليه لا يزيد عن كونه وصفاً لما كانت عليه منذ آلاف السنين، وكيف أصبح حالها منذ أصبحت تحت إدارة الحرس الفضائي العالمي..

قضاء عدة أيام برفقة شقيقه لم يكن دافعاً كافياً لكي يتحمل مشقة السفر، لقد فقدت أورشليم كل ما يمتُّ إلى هويتها اليهودية بصلّة، وتحوّلت إلى عاصمة «للكل»، وربما لن يجد فيها حتى ما يعيد إليه ذكريات طوافه بين حوارها وأزقتها منذ أكثر من ثلاثين عاماً..

كان يُمنّي النفس في كل مرة يفتح فيها خزانة المعلومات الأثرية أن يعثر على ما لا يستطيع مقاومته ويدفعه دفعاً للإقدام على الخطوة التي يُزينها له إيمانويل..

أخيراً حسم ديفيد موقفه بعد ذلك بفترة وجيزة وقرر أن يفكر جدّياً في القيام بالرحلة بعد أن وقع بين يديه، وهو يتابع تنفيذ التكاليفات التي يتطلبها منصبه، ملف يحكي قصة الهيكل اليهودي الثالث الذي كانت رسوماته جاهزة بعد توقيع اتفاق أسلوبيين إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية عام ١٩٩٣، إلا أن عدم توافر التمويل اللازم له في حينه من ناحية ومحدودية التأيد الغربي من ناحية أخرى حالاً دون تنفيذه..

لم يتمكن الإسرائيليون من البدء في تشييد الهيكل عام ٢٠١٨ برغم أن ما تجمّع لديهم من تبرعات لهذا الهدف – جاء معظمها من يهود الولايات المتحدة – بلغ مليار ونصف مليار دولار، لأن الفلسطينيين

والعرب والمسلمين تمكنوا من تجييش كل ما توافر لديهم من إمكانات معنوية وسياسية وثقافية لوقف المشروع..

وفيما بين عامي ٢٠١٨ و ٢٠٣١ عطلت الخلافات العاصفة بين تيارات إسرائيل السياسية وقواها الدينية المشروع بأكمله، بعد أن صَبَّ الآلاف من أبنائها شديدي التدين لعناتهم فوق رؤوس قادتها متهمين إياهم أنهم هم الذين جلبوا إليهم الكوارث الطبيعية التي أحاطت بهم من كل مكان، وأدت إلى غرق جزء كبير من أراضيها بمن وما كان عليها..

لم يتغير موقف ديفيد كثيرًا حيال فكرة السفر حتى بعد عثوره على ملف هيكسل سليمان بطريق المصادفة، لكن صديق عمره جوهان دفعه بقوة نحوها بعد أن عرف منه بها يحويه الكنز الذي وقع بين يديه!

وقع ملف هيكسل سليمان داخل دائرة اهتمام ديفيد دون تخطيط مسبق منه، فلم يكن في مقدور أيٍّ مَنَّ هم في مستوى منصبه أو حتى أعلى منه - بعد أن نجحت الحكومة العالمية الثالثة في وضع أسوار خلف أسوار لحماية قاعدتها المعلوماتية - أن يتحصل على وسيلة آمنة للدخول على مثل هذه الملفات إلا بإذن وتصريح من الهيئة العليا التي يعمل لحسابها..

بعد ثلاثة اجتماعات عقدتها مسؤولة الهيئة العليا للبيئة مع مستشاريها، اتفق على أن يقوم برج سيراكوزا بإعداد تقرير مبدئي حول احتمالات الطقس المتوقعة في شرق البحر المتوسط أواخر شهر ديسمبر واليوم الأول من شهر يناير من واقع ما رصدته سجلاتها على امتداد السنوات العشر الأخيرة..

لذلك سارعت الهيئة بتكليف ديفيد في الأول من شهر يونية ٢٠٩٩ بوضع هذا التصور.. ومنحته لهذا السبب رقمًا كوديًا مُحددًا لكي يتتبع بواسطته بيانات درجات الحرارة وحالة الأمواج وسرعة الرياح وتقارير تقلبات الطقس في تلك المنطقة من واقع ملفات شبكة معلومات الأرصاد الجوية.. وحددت له زمنًا للانتهاء من هذه المهمة..

أدرك صاحبنا أهمية التقرير الذي هو بصده.. ولم يهتم كثيرًا بما سيُتيح له الكودُ المُبرمج من اطلاع على مئات الملفات، بقدر ما صمم على أن ينتهز الفرصة لتقديم تقرير على أعلى درجة من الامتياز يُضافُ إلى إنجازاته السابقة، ويفتح له باب الانتقال إلى مُستوى وظيفي أعلى ضمن كبار مستشاري الهيئة التي تتخذ من روما مقرًا لها..

لذلك أقبل بحماسةٍ على تنفيذ المهمة، مضمّرًا في نفسه العمل على إنجازها في أقل من الوقت المحدد له سلفًا كنوع من التحدي أولاً.. ولاختبارا قدرته الذهنية على تصفُّح عدد لا يُحصى من الفقرات والبيانات والإحصاءات والصور والرسومات، ثانيًا..

رُوعي عند تصميم برج سيراكوزة أن يكون على شكل أسطوانة هندسية تظل نوافذها الزجاجية على جميع الجهات، أما الدور الذي به مكتب ديفيد فمركب على تُروسٍ هائلة تدور عند الحاجة ١٨٠ درجة بحيث تسمح لعدسات المراقبة المتصلة بالأقمار الصناعية إلى جانب أجهزتها التي تعمل بالأشعة فوق الحمراء وتحت البنفسجية أن تلتقط الإشارات على بُعد عدة أميال ثم تُمرّرها إلى مجموعة من المعدات فائقة التقنية التي تُحوّلها بدورها إلى رُموز وبيانات، وتقوم أجهزة أخرى

بوضعها في شكل صيغ ومعادلات يمكن من خلالها للمتخصصين أن يتنبؤوا بكل ما يتعلق بحالة الطقس لفترة قادمة..

غرفة ديفيد على قدر ما فيها من معدات وأجهزة ذات طرز مستحدثة شديدة التعقيد وعلى أحدث طراز، وما بها من احتياجات أمنية وأخرى لمواجهة أي حالة طوارئ، فيها أيضًا كل ما يبعث على الراحة والتركيز وما يساعد على البقاء داخل جدرانها على الأقل ثلاثة أيام متتالية، إذا لزم الأمر ودعت حاجة العمل..

في منتصف نهار ذلك اليوم من شهر يونية، تغيرت درجات الإضاءة داخل الحجرة بين ثلاثة مستويات الأزرق ثم البرتقالي ثم الأحمر خلال خمس ثوانٍ، كانت هذه أولى درجات جذب الانتباه المتعارف عليها.. بعدها أضاءت لوحة “مهم / انتبه” المعلقة أمام عيني ديفيد فوق جدار غرفته الدائرية، أدرك أن في الطريق إليه بعد عشر ثواني أمرًا على درجة عالية من الأهمية..

أبطل على الفور بإشارة من إصبعه، صوت الموسيقى الذي ينساب هادئًا في الفراغ الذي يحيط به، وركز انتباهه بأذنيه وعينه فوق الشاشة التي تعود أن يتلقى عن طريقها كل ما هو على درجة عالية من الأهمية..

بعد ثوانٍ جاء الأمر البيئي العالمي مسطورًا على الشاشة الكبيرة، ومقروءًا أيضًا بصوت رخيم واضح النبرات سمعه عبر خلايا جهاز الميكرو i Pad المعلق فوق صدره..

«في الطريق إليكم بعد الانتهاء من تلاوة هذه الرسالة كود رقمي مدة صلاحيته ٧٢ ساعة مطلوب استخدامه فقط في وضع تصور عملي

لحالة الطقس المتوقعة في منطقة شرقي البحر المتوسط خلال يومي 30 و 31 ديسمبر والأول من يناير، بالاستعانة بكل ما يمكن العثور عليه ضمن ملفات شبكة الأرصاد الجوية، بالإضافة إلى خبرات أبراج الرصد الأخرى بحيث لا تتعدى نسبة الخطأ في التنبؤ نصف في المائة»..

«تنبيه.. سيتم بعد ثلاث دقائق من الآن تكليف مجموعة من الأبراج المناخية بوضع خبراتها وما يمكن أن تتحصل عليه من معلومات في خدمة التصور المطلوب منكم، عليكم التنسيق معهم لعقد ورشة عمل في هذا الخصوص في تمام السادسة من صباح الغد، توقيت برج الغرب / نيواورليانز»..

فور انتهاء الصوت من تلاوة الرسالة، صدرت التعليمات الآلية للأجهزة بحفظ ما كان على الشاشات العملاقة في المكتب من بيانات وإحصاءات ورسومات لإفساح المساحة كلية وبشكل فوري لما ستقوم به الأجهزة من أعمال رصد ومهام تحليلية..

بعد سماع التنبيه وفور تفريغ الشاشات في المركز مما تلقتته من أوامر لأستكمال المهام المكلفة بها بقية اليوم، ضغط ديفيد على الزر المخصص بما يفيد تلقيه الأمر..

مقر الهيئة العليا للبيئة في روما يعمل كخلية نحل على مدار الساعة طوال العام..

لكن عندما تصدر الحكومة العالمية أمراً على هذه الدرجة من الأهمية، يتطلب تكليفاً محدداً وواضحاً لأكثر من برج مراقبة.. يتم

تخصيص وحدة إشراف عالية التخصص تصبح هي همزة الوصل بين الهيئة والأبراج المكلفة بالمهمة، وتقوم في نفس الوقت بدورين متكاملين.. متابعة تنفيذ الأبراج لمهامها تقنياً وفق التقديرات الزمنية من ناحية، وتقييم أدائها عملياً أولاً بأول والتدخل لتصويب ما يشوبه من أخطاء إن احتاج الأمر من ناحية ثانية..

وهذا ما فعلته بعد أن تسلمَ برج سيراكوزا نص التكليف، حيث قامت بالتشديد على ثلاثة أبراج أخرى بتقديم المساعدة له دون أن يكون من حقها مشاركته في فتح الملفات والاطلاع عليها، حيث أمرت بتشكيل وحدة عالية التخصص لمباشرة المتابعة والتقييم..

احتلت هيئة البيئة العالمية منذ عام ٢٠٥٠ مبنى منظمة «الأغذية والزراعة» التي كانت إحدى وكالات هيئة الأمم المتحدة واستفادت إلى حد كبير من وثائقها التي ركزت اهتمامها طوال الثلاثة عقود الأولى من القرن الحادي والعشرين على قضايا جوهرية مثل شح المياه والتصحر من جانب، وعلى الاحتباس الحراري وتداخل الفصول من جانب ثاني..

كان المبنى يحتل مساحة كبيرة من الأرض بوسط مدينة روما يحيط به عدد من الحدائق التي أصبحت تُروى منذ بداية العقد الثالث بالمياه التي يُعاد تدويرها..

شددت مسئولة الهيئة العليا للبيئة في مقدمة تعليقاتها لمراقبي أبراج شمال العالم وشرقه وغربه على ضرورة عقد ورشة عمل في تمام السادسة من صباح الغد توقيت / نيواورليانز (الولايات المتحدة) مع مراقب

برج سيراكوزا للتنسيق معه حول توقيتات إمداده بالمعلومات التي من المحتمل أن يكون لها تأثير مباشر على منطقة شرقي البحر المتوسط من شمال أوروبا ومن المحيط الأطلنطي ومن شرق بحر قزوين..

حول ديفيد - بشكل آلي - أجهزة المتابعة والمراقبة بمكتبه إلى برنامج العمل الروتيني المبرمج والذي يطلق صفيراً كل ربع ساعة يذكره بضرورة تجديد الأمر حتى لا يغفل عنه لأي سبب من الأسباب، ثم قام بضبط مؤشرات عدد من الشاشات العملاقة المثبتة حوله على الأقمار الصناعية التي تربطه بزملائه الثلاثة الذين سيوفرون له المزيد من المعلومات..

قامت المراقبة العليا للآمن بموسكو بالتنسيق آلياً بين أقمار الشمال الصناعية وفق التوقيت الذي فرضته الهيئة العليا للبيئة، وأبلغت الأبراج الأربعة المعنية برسائل توفيقية بلحظة (محسوبة بجزء من الثانية) بدء التواصل فيما بينها وبين برج نيواورليانز (الشاطئ الجنوب للولايات المتحدة المطل على خليج المكسيك)..

بعد ساعة واحدة من استخدامه للكمبيوتر الرقمي الذي أصبح في حوزته، وجد ديفيد بين يديه سيل من البيانات والتقارير والإحصاءات والأرقام والصور التي قام بتحميلها آلياً على برامج التحليل المقارن متعدد المستويات.. وفتح له ذلك أن يخرج بتصوّر مبدئي قابل للنقاش فيما بعد مع مراقبي الأبراج الثلاثة الآخرين، حول إطار التقرير الأولي المطلوب منه..

صباح اليوم التالي..

قبل أن تشرق الشمس من فوق مياه الخليج استعدَّ مراقب برج الغرب لبدء التواصل مع الآخرين.. كانت بداية التنسيق القمري الإصطناعي معه بسبب توقيته المتأخر عن الثلاثة الآخرين الذين بدؤوا يومهم قبله بعدة ساعات، ثم دخل الآخرون تباعاً على الخط.. كان أولهم برج سيراكوزا الذي كان يمثل قطب الجذب في ذاك اليوم..

رحب مراقب نيو أورليانز بصديقه وزميل دراسته ديفيد أوزولد.. بعد ثوانٍ معدودة انضم إليهما مراقبو برجى الشمال والشرق..

أوضح لهم ديفيد أبعاد التصور المبدئي الذي توصل إليه لتنفيذ المهمة..

كان أول المتحدثين مراقب الشمال، الذي أحاله إلى ملف تنبؤات المنطقة التي تغطي الشمال الأوربي حتى القطب الشمالي الذي كان قد أعدّه في منتصف عام ٢٠٩٨ حول الحالة الجوية في الشمال خلال شهر مارس ٢٠٩٩ لاختيار أفضل الأجواء لبدء تشغيل محطة توليد الطاقة بواسطة الرياح في وسط فنلندا عند بلدة بيترساري المطلة على خليج بوثنيا..

أما مراقب الشرق فأشار عليه بأن يرجع إلى الوراء كلما أمكن لكي يتعمق أكثر في التعرف إلى الدراسات والتقارير التي تناولت بالتفصيل الكوارث الطبيعية العديدة التي تعرضت لها منطقة شرقي البحر المتوسط، لأن واقع تجاربه مع دائرة التنبؤات التي تمتدُّ غرباً إلى جزيرة قبرص وشرقاً إلى بحر قزوين وشمالاً إلى البحر الأسود وجنوباً إلى البحر الأحمر.. يؤكد له أنه سيضع يده على الكثير من المتغيرات المناخية

ذات العلاقة المباشرة بحالة الطقس في هذه البقعة خاصة في نهاية شهر
ديسمبر..

أما برج الغرب فاكتفى بأن يمدّه بكل ما تشير التحاليل إلى أنه ذو
صلة بحوض البحر المتوسط من مدخله عند جبل طارق إلى ناحيته
الشرقية..

شكرهم جميعاً وافترق معهم على معاودة التشاور في نفس التوقيت
غداً..

قطعت الأقمار الصناعية التواصل بين الأبراج الأربعة في نهاية المدة
المحددة، وانصرف المشاركون إلى ممارسة عملهم الروتيني اليومي.. أما
دفيد فبدأ في الاستعداد لما هو مُقبل عليه..
فتح له الكود الرقمي خزانات عدة..

انداحت أمامه عناوين مئات الملفات والتقارير.. مرَّ على البعض
منها مرور الكرام، فلم يكن فيها ما يُثير حماسه.. وأمعن النظر في
البعض الآخر، ودوّن من فوره بعض البيانات والملاحظات.. واكتشف
عدد من التقارير يزيد عمرها عن مائة عام تتناول بالتفصيل أحوال
إقليم الشام وما تعرض له من ثورات طبيعية أرجع العلماء سببها إلى
تغيرات مناخية لم يلتفت إليها المختصون في حينه..

يتذكر ديفيد أنه أُصيب بأرق مساء نفس اليوم الذي اطلع فيه على
محتويات ملف بناء الهيكل الثالث لما عرف تفاصيل ومخططات بنائه التي
فشلت علي مر السنين.. وتألَّم بشدة لما استغرق في تتبع تفاصيل أسباب

انهيار جزء كبير من شاطئ ما كان يُعرف بدولة إسرائيل عام ٢٠٣١! ويعني أيضا أن زملاءه الثلاثة عندما تقابلوا معه في اليوم الثاني أشاروا عليه أن يربط بين الوقائع التي وردت في ذات التقرير وبين تغيرات مناخية وقعت فيما بعد، فلربما اكتشف دورة تقلبات طبيعية في هذه المنطقة تنير له الطريق إلى التصور الذي هو بصدده..

كان ديفيد يتابع ملاحظاتهم ويصغي جيدا إلى مشوراتهم وهو في غاية من الثقة بالنفس.. لذلك لم يتردد في أن يؤكد لهم أنه سيبدل ما في وسعه لكي ينتهي من وضع التقرير المطلوب منه في نفس الليلة، ويتفق معهم على لقاء أخير صباح اليوم التالي لمناقشتهم في خطوطه العريضة قبل أن يمرره إلى رئاسته..

رَحَّب الرفاق بتقديم العون والرأي..

أبلغ ديفيد صاحبتة روزالين ومن بعدها الهيئة العليا بروما، أنه سيواصل العمل في مكتبه إلى صباح اليوم التالي..

أنهى الأداء الروتيني اليومي.. منح نفسه فترة استرخاء لم تزد عن ٣٠ دقيقة استمع خلالها إلى بعض النغمات الهادئة التي يحبُّها، وطلب خلالها موافاته بعشاء خفيف وبعض المشروبات المنعشة..

أثناء تناول وجبة العشاء شاهد فقرات مسلية كانت تبث عبر القناة الإسبانية التي أصبح يفضلها منذ ارتبط بروزالين قبل نحو عام.. ثم انكبَّ بهمةٍ ونشاطٍ ساعاتٍ متواصلةً على جرد الملفات والتقارير التي تأكد له بعد مناقشة محتوياتها مع أقرانه أنها ذات أهمية خاصة..

انتهى عند شروق الشمس من وضع تصوّرٍ مُتكامِلٍ لما سوف يعرضه على رئاسته بعد أن يشاور فيه زملاءه الثلاثة..

أشاد الزملاء بالخطوط العريضة التي توصّل إليها ديفيد.. وتوافقوا معه على القيمة العملية لتقديراته المؤسسة على سوابق علمية معترف بها، ونصحوه جميعاً أن يُبقي على الملفات المهمة مفتوحةً إلى أن تبلغه الهيئة العليا للبيئة برأيها النهائي في مقترحاته..

نشوة التقدير الذي حظي به على مستوى أقرانه، جعلت ديفيد يواصل العمل في مكتبه بنفس الهمة.. ولم يخلد إلى النوم إلا بعد أن وافي روما بالتقرير في صورته النهائية..



رغم الإرهاق بدأ ديفيد يومه مُتتَعِشاً.. لقد نجح في تحدي نفسه مرة أخرى، وها هو ينتظر رد فعل رئاسته على التقرير الذي بعث به قبل انقضاء مهلة الـ ٧٢ ساعة.. والأهم من ذلك أنه سينال مكافأة عظيمة من صاحبه روزالين بعد أن افتقدتها ليلتين متتاليتين..

فوجئ بصديقه جوهان يفتح معه قناة التواصل السمعي والبصري.. ويطلب منه أن يُضيف إلى ملفاته البحثية ملف بعنوان: “تقلبات المحيط الأطلسي وتأثيرها على حركة الأمواج عند مدخل جبل طارق”.. على الفور استخدم ديفيد رقمه الكودي في فتح الملف.. وطلب إلى صاحبه أن يبقَى معه على الخط فترة وجيزة، وافق جوهان بترحاب كبير..

أثناء مُراجعة محتويات الملف، سمع ديفيد في الخلفية الآتية من أقصى الغرب مقطوعة موسيقية هادئة طالما شارك صديقه في الاستماع إليها أيام دراستهما الجامعية..

انفعل ديفيد مع النغم بضع ثوانٍ، ولكنه ركز تفكيره فيما بين يديه.. وجد في الملف بعض التعليقات المفيدة التي يصعب على فكرٍ مُتقدٍ غير جوهان ان يلتفت إليها، ولما استدار ناحية الشاشة التي تنقل التواصل بينهما شاهده - كما كان يفعل إبان تشاركهما في حل المسائل الفلكية المعقدة - معطيًا ظهره له عاقدًا أصابع يديه خلف رأسه يهيم مغمض العينين مع انسيابية اللحن الذي يملأ عليه وجدانه..

أدار جوهان كرسيه ناحية صاحبه وهو يبتسم في وجهه ابتسامة كبيرة..

شكره ديفيد علي مبادرته وقال: إنه سينتظر حتى تناقش معه الهيئة العليا تفاصيل ما عرضه عليهم ليرى ما إذا كان في إمكانه إضافة بُعد جديد يختص بحركة الأمواج الزاحفة ناحية شرق البحر المتوسط..

قبل أن ينقطع الاتصال بينهما، قال جوهان لصاحبه إنه سيجد ضمن أوراق الملف معلومات ذات أهمية خاصة بالمدن المطلة على حوض البحر المتوسط ومدى تأثرها بحركة أمواجه، فإن وجد أنه في حاجة لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة فما عليه إلا أن يقوم بفتح الملف التالي له في الترتيب الرقمي والحرفي.. ثم أضاف مُتفكِّهًا: لا تنسَ أن اللحن المميز هو الذي أوحى إليَّ بأن أرشدك إلى هذا الملف، وهو نفسه الذي جعلك تتعرف إلى محتوياته..

عاد ديفيد إلى صورة صاحبه واللحن الموسيقيّ الشَّجيّ..

تذكر أيام دراسته الجامعية مع جوهان في مدينة بريمن بشمال ألمانيا..

كان جوهان عندما تستعصي عليه فكرة أو تمرينٌ في رياضيات الفلك، ويجد أن المسألة تحتاج منه ومن زميله إلى شيءٍ من التفكير العميق، يعتمد إلى بَثِّ هذه القطعة الموسيقية أو شيءٍ مُشابهٍ لها ثقةً منه أن مثل هذه الأجواء التي تتسم بالهدوء والانطلاق إلى الأفق غير المحدود تساعد كثيرًا على حلِّ المُعضلات مهما تكن صعوبتها..

وكثيرًا ما كان يلجأ إليها عندما يضطر هو وصاحبه لضرب النظم واللوائح الجامعية في الصميم عن طريق التحايل للسفر معًا خلسة إلى مدينة أسن الهولندية، حيث لا سقف للغرام والعشق والنزوات، وأيضًا لتدخين المارجوانا..

أكثر ما يتذكره الآن أن كلاً منهما كان مُلحقًا بورشة عمل تبعد عن الأخرى عشرات الكيلومترات لتنفيذ برنامج تطبيقي لحركة النجوم فوق الشمال الألماني، هو في همبرج وصاحبه في هانوفر.. اتصل به جوهان قبل غروب اليوم السابق على انتهاء التكليف الدراسي وتحت ستار تبادل المعلومات ورسومات النجوم المتفق عليها بثَّ اللحن المميز، عرف منه أن زميلتين من زملائهما أنهيتا نتائج ورشتيهما ويعرضان عليهما أن يمضيا الليل معًا قبل أن يسافرا بالسيارة إلى باريس..

رحب ديفيد بالفكرة..

وبينما كل واحد منهما يوحى لزملاء ورشته أنه سيقوم بعد دخول الليل مباشرة بنصب خيمته علي مسافة أبعد من مكان التجمع للتثبت من بعض النتائج التي حَصَلَ عليها في الأمس قبل أن يضع تقريره النهائي.. كانا في حقيقة الأمر يرتبان لكيفية اللحاق بالفتاتين لقضاء الليل معهما بالمدينة الجامعية، ثم يعودُ كل منهما إلى خيمته قبل شروق الشمس!

* * *

لم تفارق نغمات اللّحن أذني ديفيد رغم انقضاء عدة دقائق على انتهاء الاتصال مع صديقه.. لأنه لا يشك مطلقاً أن تعمد جوهان إسماع له يحمل في طياته مقصدًا خفيًا!..

وقرّ في نفسه أن جوهان يقصد عن عمد أن يُجيب في قلبه ووجدانه ذكريات عديدة تدورُ كُلها حول قدرتهما على التنسيق فيما بينهما لإجراء عملٍ ما!..

قلْب ديفيد الأمر على أوجه كثيرة، ماذا يريد جوهان منه على وجه التحديد؟ ما المسألة التي يحتاج إليه لكي يُنسّق معًا ما يتصل بها؟..

ولكن تفكيره المشغول بالانتهاء مما بقي لديه من أعمال يومية روتينية جعله يُرجئ حسم هذه الأسئلة إلى حين، كان عليه أن يُراجع ما سجلته الأجهزة من تقارير..

حرص وهو يؤدي هذه المهام ألا يلاحظ أحدٌ عليه عبر الشاشات المتصلة برئاسته أنه يعمل بنصف تفكير.. لأنه لم يُفلح في أن يمنع نفسه

كليةً من البحث عن المعنى الذي قَصَدَه رَفِيقُهُ ذو الأصول الأمريكية
من وراء إسماعه هذا اللحن على وجه التحديد..

قال لنفسه بعد برهة وهو يُحْمَلِقُ فيما يسطره على الشاشة التي
أمامه، جوهان يريد أن يوحى إليه أن فرص التنسيق بينهما ما زالت
مُتوافرة كسابق عهدها.. لكن السؤال هو.. حول ماذا؟ تلك هي
المسألة!..

مع استمرار التفكير، استخلص صاحبنا بشيء من الفطنة أن ما
يحاول صاحبه أن يوحى به إليه لا بد أنه ذو صِلَةٍ بتقريره حول تنبؤات
الطقس والتغيرات الجوية في منطقة شرق البحر المتوسط!..

استراح ديفيد عندما بلغ تفكيره هذه الخطوة..

لكن إلّامْ يُلَمِّحُ صاحبه تحديداً؟ ماذا يقصد على وجه
الخصوص؟..

توافرُ فرصة للتنسيق بينهما حول التقرير فات أوأئها وهو في انتظار
تعليق رئاسته عليه بالإجازة أو التعديل! إذّا كان يقصد التنسيق حيال ما
يحتفظ به من ملفات وتقارير، فهو لن يتمكن من الإبقاء عليها بين يديه
إلا مدة دقيقة واحدة بعد أن تعلن روما موافقتها على مُقترحاته، أو بعد
تنفيذ ما قد تطلبه من تعديلات بالإضافة أو الحذف..

ولماذا أشار عليه بفتح هذا الملف تحديداً بعد انتهاء زمن نقاشات
ورشة العمل التي جمعت بينهما وبين مراقبي برجي الشمال والشرق؟
وما العلاقة بين التقرير الذي أعدّه والمدن التي تتأثر على جانب البحر
المتوسط الشرقي بحركة الأمواج؟..

قَرَّرَ ديفيد أن يُفكَّ رمزية ما بينه وبين صاحبه من أحاجي عن طريق البدء من آخرها..

هل يقصد صاحبه تحديداً مدينة أورشليم التي تأثرت باختفاء جزء كبير من شواطئ دولة إسرائيل بفعل النحر الذي تسببت فيه أمواج البحر العاتية؟ إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن هناك رابطاً ما بين هذا القصد وبين التقارير التي ناقشتها ورشة العمل على امتداد يومين سابقين! وهذا الرابط يحرص جوهان على ألا يطلع عليه أحد غيرهما، لذلك خصّه بملف الأطلسي وأمواج المتوسط، وأشار عرضاً إلى المَدين التي تتأثر بحركتها..

عند هذه النقطة طفت أورشليم إلى ذاكرة ديفيد، وابتسم بينه وبين نفسه.. وهو يُمعِنُ التفكير فيما توصل إليه!..

بعدها وقر في عقله أن جوهان تعمّد اختيار اللحن القديم لكي يفهمه أنه يُريدُ منه التنسيق فيما بينهما لكي يحصل على نسخة منه قبل انتهاء زمن إحتفاظه به..

لكن كان عليه أولاً أن يتأكد من صحة استنتاجه.. قبل أن يعرف لماذا؟..

وبينما هو يفكر فيما إذا كان يجب عليه الاتصال بصاحبه دون أن يلفت الأنظار إليه أو يترك الأمر بُرْمَتِهِ للغد.. سطر له كومبيوتر التحليلات تقريراً مهماً حول حالة الطقس عند شواطئ البرتغال المطلّة على المحيط الأطلسي وما يتعلق بها من قياس لحركة المياه العابرة لمضيق

جبل طارق التي من المتوقع أن يكون لها تأثير في تيار المياه الدافئة عند مياه خليج بوسطن شرق شواطئ الولايات المتحدة..

هزّ ديفيد رأسه إعجاباً بنفسه وانسجماً مع النغمات الموسيقية التي تنساب داخل حجرته.. ثم قام بتعديل موجاتها لتبث اللحن المشترك الذي سرعان ما ثبتّه عند جملة موسيقية محددة.. نقر على شاشة الاتصال.. بعد ثانيتن فتحت له قناة التواصل مع صديقه القديم..

فور رؤيته لصورة جوهان.. أسمعته بقية اللحن الذي تشاركه سماعه منذ أقل من ساعتين، بينما كان يبعث إليه بأخر أخبار تيار المياه الدافئة عند الشاطئ الشرقي لأمريكا..

شكر جوهان صديقه ديفيد مُبدئاً اهتماماً روتينياً بما وصله من بيانات، بينما هو يعلق مؤكداً كل حرف ينطق به ”نفس حالة التيارات التي كنا نشاهدها في مياه إمدن!“..

ابتسم ديفيد لنفسه بعفوية، لا شك عنده الآن أن النتيجة التي توصّل إليها صحيحة مائة في المائة! وأن أورشليم هي المدينة المعنية بالاهتمام وأن ملف الهيكل هو المقصود بالتنسيق..

مطلوب منه لسبب لا يدري كنهه حتى اللحظة - لكنه سيعرفه مُستقبلاً - أن يحتفظ بنسخة من الملف الذي يشير بالتفصيل لخطة تشييد الهيكل الثالث، ويُحدّد التوقيتات الأنسب على مدار العام للبدء في إقامته وفق ظروف مناخية مواتية، ويحكي بالصور ثلاثية الأبعاد عن التراث الأثري والمعماري لأورشليم الموحدة التي كادت أن تصبح في يوم من الأيام عاصمة اليهود..

ملف يُعد - كما تقول مقدمته - بين ثلاثة أخرى من أهم الشواهد التاريخية والبيئية المسجلة للسنوات الأخيرة من عُمر ما كان يعرف بدولة إسرائيل.. رَصَدَت جميعها بالصوت والصورة قوة الدمار الذي نجم عن الأمطار والصواعق التي أسقطتها السماء والرياح المصحوبة بالحرائق التي اقتلعت كل ما كان يقف في طريقها، وهجمات أمواج البحر العاتية التي أفسحت الطريق لانهيارات أخذت معها ملايين الأمتار من الأرض بما عليها ومَنْ عليها..

أهمية الملف - الذي لم تندواله الكثير من الأيدي - أنه الوحيد الذي يحتوي على رسومات هندسية تفصيلية كاملة لمشروع تشييد الهيكل الثالث فوق أنقاض المساحة الخالية من المسجد الأقصى بعد أن يتهاوى بُنيانه تحت معاول عمليات الحفر الإسرائيلية المتعمدة بالقرب من قواعده الأساسية، بعد أن يضم إليها المساحة المُقام عليها عدد من الآثار الإسلامية والتي سيتم تفجيرها تباعاً..

الملف في حد ذاته صغير الحجم! يمكن استنساخه في بضع ثواني بسهولة، فمساحته لا تتعدى عدد ٨ جيجا!..

لكن كيف يتسنى له ذلك بينما قانون الشفافية سيف مسلط على رقبته.. فلو عثر أحدهم على دليل يُدينه بجريمة التعدي على قانون التوظيف، فسيقضي بقية عُمره مَنفياً مع السجناء الخطرين على أمن معلومات الحكومة العالمية!..

العقوبة مرتبطة باكتشافهم للجريمة! إذن عليه أن يفكر كيف يخفي الشريحة المُستنسخة بعيداً عن الأعين والأيدي التي يمكن أن تصل إليها..

القانون لا يعاقبه، إلا إذا ثبتت عليه التهمة..

والتهمة لن تُكتشف إلا إذا عُثر على الشريحة..

عليه أن يفكر في التوصل إلى أنسب وسيلة للقيام بعملية النسخ دون أن يلحظه أيُّ جهاز من أجهزة المراقبة، وأن يتقن إخفاءها بوسيلة غير تقليدية..

لاحت في خاطره وهو يستعدُّ لمغادرة مكتبه في نهاية اليوم.. أن الدقائق الثلاث الفاصلة بين تلقيه ردَّ مسألة الهيئة العليا للبيئة في روما بالموافقة على ما جاء في تقريره كما هو أو بعد تنفيذ التعديلات التي ستشير عليه بها وبين إلزامه بإلغاء وحذف جميع ما تحت يده من وثائق استُخدِمت في تحرير التقرير الذي انتهى منه، هي أثمن ما سيتوفر له من وقتٍ للقيام بعملية الاستنساخ..

عاد للتساؤل.. كيف يمكن أن يتحقق له ذلك بينما خطوات التخلص هذه تجري تحت مُراقبة ثلاثية تتحكم في التقارير الفضائية كافةً حول العالم..

خشي ديفيد أن يفضحه نقاشه الداخلي مع نفسه، قرَّر أن ينفذ عن رأسه الأفكار كافة.. عليه الآن أن يستعيد تركيزه وهو يغادرُ المكتب حتى لا يرتكب خطأً قد لا يُغفر له..

قام بضبط تقنيات النظام الآلي داخل مكتبه.. ثم نقل الإشراف عليها إلى القمر الصناعي وأعطى تعليماته وسيلة Tight VNC لتحويل موجة الاتصال به إلى جهاز الميكرو i Pad، وأطلع رئاسته أنه سيكون في داخل شقته السكنية بعد تسع دقائق، كما نقل تحميل رسائله الإلكترونية إلى نظام Long Mein..

بعد ثوانٍ ظهرت آلياً مؤشرات الضبط والموافقة على تنفيذ التعليمات وبدء العد التنازلي..

اجتاز ديفيد أشعة الأمن المركزية التي أغلقت خلفه باب المكتب بشكل آلي..

في الخارج وضع راحة يده اليمنى على الشاشة المثبتة عند المدخل وهو يملئ عليها رقمه الكودي؛ لكي يسجل بالصوت والصورة لحظة خروجه من المكتب.. لما ظهرت العلامة الخضراء التي تؤكد تعرف الأجهزة إلى شخصيته خطأ ناحية المصعد وفتح بابه بلمسة من إصبعه الإبهام.. في الداخل تعرفت إليه الكاميرا.. حيّاه صوتٌ نسائي ناعم، ولما رد عليه التحية سمع وهو يتهاوى داخل الكابينة ناحية الدور الأرضي أنغام موسيقية انسيابية هادئة..

بينما كان ديفيد يتجه إلى ناحية سيارته التي تقف على مبعدة عشرة أمتار فقط من موقع المصعد، استطلع لوحة GPS 2000 المدججة ضمن شرائح الكمبيوتر الشخصي حالة حركة السيارات فوق مسارات شوارع المدينة، اختار طريقاً يوصله للبنية التي يقطنها فيما لا يزيد عن

ثمان دقائق، حتى يكون مستعداً - كما جرت العدة - لتلقي أول رسالة اتصال من القمر الصناعي بعد تركه لمكتبه..

عندما اقترب من سيارته.. انزاح بابها إلى أعلى وخرجت قاعدة كرسي القيادة من مكانها مقدار نصف متر، ولما لامسها ديفيد بمقعده عاد إلى مكانها خلف ذراع القيادة، ورجع باب السيارة إلى موضعه المعتاد.. ضغط على مجموعة من المفاتيح تم على إثرها ضبط درجة الحرارة داخل السيارة، وفُتحت دائرتا الموسيقى والأخبار المصورة.. وضع الكمبيوتر الشخصي في مكانة بين الأزرار والمفاتيح.. ولقن شريحة السيارة الممغنطة الطريق الذي اختار له الكمبيوتر أن يسلكه في طريق العودة إلى مسكنه..

دار المحرك.. وقبعت السيارة في مكانها لخمس ثواني حتى تشكلت دائرة الهواء المضغوط التي حملتها إليي بداية الشارع الرئيسي، ومنه إلى بداية الطريق إلى المنزل..

في الطريق إلى شقة ديفيد السكنية

لم يشعر ديفيد وهو منطلق بسيارته المكيفة بدرجة الحرارة اللطيفة التي تنعم بها الجزيرة في هذا الوقت من العام، ولكنه لاحظ الأشجار التي بدأت تُورق من جديد بعد انتهاء فصل الشتاء.. شعر ببعض التفاؤل الذي إنعكس عليه بشيء من الحبور والسعادة خاصة بعد ما لاحظته من تسرّب بعض مياه أمواج البحر العالية إلى الطريق الذي يسير فوقه.. فهو إلى جانب عشقه للبحر يفرح كثيرًا كلما شَعُرَ بمياهه تغسل الشوارع التي يسير فوقها.. ولأن زجاج نوافذ السيارة كان مُغلقًا لم يلحظ نسائم البحر التي تحركها تلك الأمواج برغم أنه ضمّنّها البيانات الروتينية التي يبعث بها يوميًا لمقر الهيئة العليا للبيئة بروما..

أسلّم ديفيد مسئولية تسيير السيارة للقائد الآلي.. التفت إلى لوحة تشغيل أجهزته المنزلية الموصلة بشاشة الكمبيوتر، ضغط على مجموعة مختارة من الأزرار.. بدأ بتخفيض درجة حرارة الأطعمة المجمدة نصف المصنعة تمهيدًا لاستكمال نُضجِها.. ثم أمر بضبط درجة حرارة الشقة وفق المعدل اليومي وفتح الستارة الداخلية لتراس الشقة الذي يطلُّ

على البحر، أما درجة الإضاءة فجعلها متوسطة لحين دخول الليل، كما أمر ببدء تسخين مياه الاستحمام بعد ثلاث ساعات من الآن..

لَمَّا جاءت الاستجابات المتتالية لما بعث به من أوامر.. ضغط على رقم الهاتف الفضائي الخاص بصديقه روزالين فظهرت على شاشة الكمبيوتر الشخصي من داخل حمام شقتها.. ولَمَّا سمعت صوته يُرْحَب بها ويتغزل في قوامها، مسحت عن وجهها الماء وحملت فيه بسعادة وبادلته قُبلةً بقُبلة..

سألها ديفيد وهو يدندن باللحن الإسباني الذي يستمع إليه.. متى ستلحق به؟ قالت بعد عشر دقائق، أرسل إليها قبلة ثانية سريعة ثم أغلق الهاتف..

ظل ديفيد على حالة انسجامة مع نفسه حتى أوقف القائد الآلي السيارة بمكانها المعتاد في المساحة المخصصة له داخل جراج البناية التي يسكن إحدى شققها، وفَتَحَ له الباب، وأخرج كرسي القيادة لكي ينزل منها.. ثم عندما ضغط ديفيد على شريحة الإغلاق الآلي والتأمين.. تمنى له سهرة سعيدة..

شقة ديفيد السكنية

اعترف ديفيد بينه وبين نفسه وهو يتجه ناحية باب شقته أن شعوره بالنشوة المحلقة هذا المساء واستعداده الطاغي لمطارحة صاحبتة الغرام بلا هوادة، يرجع في المقام الأول إلى معنوياته المرتفعة التي شملت كيانه كله بعد أن تعرّف بالتحديد إلى سبب حرّص صديقه جوهان على استنساخ ملف أورشليم.. لا ينكر أنه في حاجة إلى حِصن صاحبتة ودفء مشاعرِها وإقبالها عليه بعد أن غاب عنها ليتلين متتاليتين، لكنه بالقياس إلى مرات سابقة مماثلة يجد نفسه في حالة انتشاء غير معتادة..

كل من شاهدَ روزالين أو تعرّف إليها يقدر فيها ارتفاع مؤشرات جمال الوجه ذي الملامح الصاخبة، وتعدد مواضع الفتنة التي يحتويها جسدها.. إلى جانب قدر متميز من الذكاء الذي لا يمكن الاستهانة به..

وجْهها شَبُه مستدير يُحيط به كمُّ هائل من الشعر الكستنائي الغزير.. تميّزه عينان متسعتان، لونها عسلي غامق، تغطيها رموش

طويلة بشكل ملحوظ يُقال إنها تنطق بالاشتواء وهي مطبقة.. ويوحى
أنفها الروماني مع الشفتين المكتنزتين بمدى تناسقهما مع رقبتها التي
تنحدر على صدرٍ نافرٍ بطبعه بلا تحفظ..

روزالين تعرف قَدَرَ نفسها وما تتمتع به من عوامل جذب طاغية،
وتتخير رَجُلَهَا بعنايةٍ مَنْ تعيشُ للذَّة فقط..
توقف ديفيد مفكراً..

الحشية كل الحشية أن تلاحظ روزالين هذه حالة النشوة المفرطة التي
هو عليها، إذا ما بدَرَ منه - بدون قصد - ما يخالف عاداته التقليدية
معها.. خوفه ليس مرتبطاً باستنزافها له جنسياً! ولكن من اعتصاره
بشتى الطرق لمعرفة ما يخفيه.. فهي بطبيعتها لحوّاً تعرف قَدَرَ تأثير
مفاتنها عليه إذا ما صمّمت على استجلاء ما يخفيه عنها..

مشكلة ديفيد اليوم أنه لا يريد أن يتعرض لأي حالة عاطفية تدفعه
دون إرادة منه لأن يحكي لروزالين أسباب ما هو فيه من حبور مهما كان
إسرافها لإرضائه جنسياً، لأن ما يعرفه حتى هذه اللحظة لا يمكن أن
يُشارِكهُ فيه آخر سوى جوهان..

عليه أن يكون حذراً طوال الوقت.. ولكن هل يستطيع؟..

هل يُجَازِفُ ويطلب منها إلغاء مجيئها إليه الليلة لأنه شعر بتعب
مفاجيء، لو فعل سيَجلب على نفسه مشكلاتٍ لا نهاية لها، أولها أنها لن
تصدق أكوذوبته، وستظن أنه، وهو الذي كان لُعبه يسيل فوق جسدها
العاري منذ لحظات، يضاجعُ امرأةً غيرها! ولا يستبعد أن تصمم على

الحضور بحجة الإطمئنان عليه بينما هي تريد أن تتأكد أنه يمضي الليل بمفرده..

لذلك فضل أن يجمع كبح نشوته المضاعفة بشتى الوسائل حتى لا تحاصره صاحبته بالأسئلة التي قد تكتشف من خلالها ما لا يود أن لا يطلعها عليه..

اجتاز عتبة الشقة فور تعرّف الأشعة السينية عليه.. سمع وهو يضع لوحة مفاتيح السيارة وشريحة تشغيلها على المنضدة، صوت روزالين تناديه عبر شاشة الهاتف وهي تضع لمسات المكياج الأخيرة على وجهها.. إن كان يريد أن تحضر معها مشروباً أم لا؟..

لفت انتباهه أنها كانت تجلس شبه عارية تظلل حول عينها وتمشط رموشها.. تعتمد ألا يرد من فوره.. ظنّت أنها أهاجت مشاعره وأوقعته وهي على البعد في حبال أنوثتها فعمدت إلى إغاضته بإخراج لسانها له.. جالت بخاطره فكرة جعلته يُنهى المكالمة راجياً إياها أن تهتم فقط بنفسها، لأن كل شيء جاهز في انتظار حضورها..

كان عليه أن يفند ما طرأ على ذهنه قبل أن تمرّ الدقائق الباقية على مجئها.. حتى أنه لم يبادلها التحية، وهي تلوح بيدها في سعادةٍ توحى لمن يراها أنها تعرف مدى تأثير أنوثتها على رجلها..

اتّجه من فوره ناحية التراس.. أزاح الباب الذي يفصل بينه وبين داخل الشقة.. أثاره صوت الأمواج مُتدافعاً بعضه داخل بعض.. أغمض عينيه ليستوعب ما يرسمه عقله الباطن ويعيد ترتيبه حتى لا يبدو فجأ..

أوحى إليه جسم صاحبتة البض وإطلالة التراس الخلافة على مياه المتوسط الصافية، أن يسجيب لمطلبها الذي سمعه منها مرارًا منذ أن دعاها إلى شقتِه بعد تعارفهما بفترة قصيرة قبل عام تقريبًا.. أن يُمارَسَ معها الغرام في الهواء الطلق عند حافة التراس المطل مباشرة على نقطة تلاقي مياه البحر الإيواني الآتية من شرقي جزيرة صقلية ومياه البحر التيراني القادمة من غربها..

من اللحظة التي زارت فيها روزالين أول مرة شقة صديقها الجديد ديفيد لتناول العشاء وتمضية السهرة، سحرتها إطلالة التراس المفتوحة على المياه متعددة الزرقة.. وفي زيارتها التالية كثيرًا ما ألحت عليه أن ينام معها ولو مرة واحدة في هذا المكان الذي - كما تؤكد - سيزيدها استمتاعًا ونشوة.. فقد ملّت مطارحات الغرام بين جدران الغرف..

تمسّك ديفيد بالرفض مُبدئًا أسبابًا مختلفة في كل مرة، لكنه كان في قرارة نفسه غير مقتنع بفكرة أن يضاجع صاحبتة في الهواء الطلق.. وواصلت هي تبطين إلحاحها بممارسة غرامية لم يعرفها من قبل ولم يتذوقها في حياته.. ولما سألتها مرة أن تفسر له ما ترمي إليه ولو على سبيل دفعه حسيًا لقبول الفكرة، رفضت بدلال وتمسكت بأنه لن يعرف ولن يجرب قبل أن يحملها عارية إلى التراس..

استحسن الفكرة التي طرأت على ذهنه ووجد بين يديه - وهو يضبط مفاتيح الفرن الإلكتروني على الوقت اللازم لتسخين أطباق وجبة العشاء بحيث تكون جاهزة فور حضور صاحبتة - ما يبرر إقباله بحماسةٍ على تنفيذها بلا اعتراض كما كان يحلو له من قبل..

سيترك باب التراس مفتوحًا..

صوت ارتطام الأمواج العالية الآتية من شمال البحر الأدرياتيكي
بالصخور سيزيد من استثارتهما.. ستلمع عيناها وتبتل شفثاها.. لن
ينتظر حتى تعرض عليه الفكرة مجددًا.. عليه أن يُحقِّقَ لها حلم
اعتصارها تحت وطأة اقتحامه العنيف المتتالي قبل أن تنطق به شفثاها..
سييدي موافقته بنظرة إلى عينيها..

لحظتها سيضمن أنها لن تكون قادرة على التفكير في أي شيء آخر،
وهذا ما يريده بالتحديد..

لم يفكر ديفيد وهو يطل على مياه البحر الهادرة أسفل البناية في كم
المتعة الذي يمكن أن يحصل عليه وهو في أحضان صاحبتة فوق أرضية
هذا المكان..

كان يحاول جاهدًا أن يُغلِّفَ حالة الرضا التي تُلمُّ به منذ ساعات،
بالترتيب لاستجلاب متعة حسية مشتركة تبدو أنها نتاج طبيعي
لانسجام حميمي بينه وبين روزالين.. على أمل أن ينسيها الفوز أخيرًا بما
كانت تُلحُّ في طلبه منذ نحو عام، التفتيش عن حقيقة سر ابتهاجه! أما
إذا غلبت عليها عاداتها السيئة فعليه أن يُرجِعَ سبب البهجة التي يعيشها
إلى اكتشافه المتأخر لصدق ما كانت تُعدُّ به، وأن يُبادِرَ باتهام نفسه
بالغباء، وربما تقمَّص شخصية النادم على ما ضاع منه من متع ويُبادِرُ
بالاعتذار عن مُعاندته لأصحاب الخبرة..

* * *

صباح اليوم التالي..

استعاد ديفيد ملابسات سهرة الأمس، واسترجع تأثير المفاجأة التي أطارت عقل صاحبتة عندما قال لها وهو ينظر في عمق عينيها العسليتين، إنه سيحقق لها قضاء الليلة الغرامية التي طالما حلمت بها.. وما أعقب ذلك من ارتواء شهد فصوله ترأس شقته..

من فرط سعادته المزدوجة - القدرة على إخفاء سره حتى غادرته صاحبتة بسلام والمتعة الحسية التي كانت متجددة طوال الوقت - أحسَّ كأنه يسمع بأذنيه مرة أخرى رجوع صدى أنفاسها شديدة الالتهاب، وهي تعتصره مراراً ومرات بفعل النشوة التي سببها لها التقاء جسديهما على خلفية ارتطام الأمواج مما جعلها في حالة بالغة من التألق الجنسي..

تذكر كيف كانت روزلين تنسب السعادة البالغة التي كانت تطوف بعينه في كل مرة تعتليه أو يعتليها إلى بهاء اللحظة، بينما كان عقله يبحث - وهو يعتصرها بكل ما يملك من عنفٍ - عن حلٍّ للمشكلة التي يفكر فيها منذ بضع ساعات..

وتذكر أيضاً أنها من فرط شبعها الجنسي ورضاها عنه كأنثى نسيت تميّتها الغالية.. صدفةً البحر التي لا تفارقها أينما حلت، حتى أنه لاحظ اضطرابها وهي تُهاثِفُه من شقتها تسأل عنها وكيف ذاب توترها لما عرفت أنها نسيته خلفها في شقته ولم تفقدها في المصعد أو فوق أرض الجراج..

سرح دون إرادة منه فيها سمعه منها بالأمس .. قالت إنه سيشعر
بسبب وجود الصّدفَة في شقته ببعض البهجة دون إرادة منه! ..
لما انتهت مكالمتها، رفع حاجبيه مندهشًا وهو يرد هامسًا .. كيف؟ ..
إلتبست الحيرة ذهنه الصافي ..

تساءل ديفيد بدّهشة: هل لهذه الدرجة تبلغ العلاقة الغيبية بين هذه
الأنثى الطاغية وصدفتها البحرية لدرجة أنها لما اطمأنت أنها في مأمن،
قبلته على شاشة التليفون باسترخاء وهي مغمضة العينين وتمنت له
أحلامًا سعيدة! ..

طاف في مُخيّلتَه أنها يومًا قالت له: إن هذا النوع من القواقع أو
الأصداف البحرية لا يوجد إلا بالقرب من جزيرة كورفيو على الشاطئ
الغربي لليونان .. وأنها تشكل طبيعيًا لتكون مَسكنًا لواحد من الأحياء
البحرية نتيجة امتزاج طمي الجزيرة بهاء نبع عذب تتدفق مياهه من
وسطها الصخري البديع ..

كان بعد أن تركته صاحبتُه يجلس على الأرض يحتسي مشروبًا
مُنْعشًا مُسندًا ظهرَه إلى الأريكة التي تواجه باب التراس .. تعجب في
نفسه لهذه الفتاة المولودة لأب آسيوي يدين بالبوذية وأم أوروبية تدين
بالمسيحية، كيف أن إيمانها بالظواهر الطبيعية لا يترزع لدرجة أنها
تتعبد بها وتناجئها بصلوات تؤكد يقينها الغيبي بقدرتها على التواصّل
معه ..

كان صاحبنا دائم الإنكار لما يجري على لسان فتاته من أحاديث
تدل على ثقتها المفرطة بقدرة صدفتها البحرية على تحقيق أحلامها ..

لكن العديد من الأحداث التي مرت بهما جعلته يعتذر لها عدة مرات
عما بدر منه في حق “الصدفة المقدسة” عندما كان يلمس عن قرب
صدق النبوءات التي كانت تتحقق لروزالين عن طريق مناجاتها
لمعشوقتها العجيبة هذه..

عاد لخيرته من جديد..

ماذا تقصد روزالين بقولها: إنه سيحظي بقية الليل بشيء من
البهجة!..

أمسك ديفيد بصدفة البحر وقلّبها بين يديه ممعناً النظر فيها لعله
يدرك سرّ ولع صاحبتّه بها، استاء من نفسه لأنه لا يؤمن إلا بالوقائع
المللموسة.. قذف بها من يده - وهو يتسم ساخرًا - إلى سطح المنضدة
القريبة منه ناحية لوحة المفاتيح وشريحة تشغيل محرك سيارته..

قبل أن يقوم من مكانه مُتوجّهاً للحمام خيّل إليه عندما نظر إلى
شاشة المراقبة الداخلية أن الصدفة البحرية تُشكّل مع لوحة المفاتيح
والشريحة وجهًا مُبتسمًا قريب السّبّه من وجه روزالين..

أغمض عينيه لحظةً مُتأملًا ما يراه!..

هل سببه تداعيات الإجهاد الذهني الذي يعيش تحت وطأته منذ
ساعات؟ أم الانتعاش الجسدي الذي سببته له روزالين؟ أم انجراره
اللا إرادي وراء نبوءة الابتهاج التي لم يمر عليها سوى دقائق
معدودة؟..

توقف حيث هو..

مدَّ يده وغيرَ بطريقة عشوائية ترتيب وضع الأشياء الثلاثة.. لاحظ
أن شريحة ميكرو تشغيل السيارة اختفت تمامًا عند دخولها تحت بطن
الصدفة البحرية دون قصد..

تعجَّب ديفيد برههً من أمر هذه الصدفة، مرةً تجذُّبه ناحية وجهه
مُبْتَسِمٌ يُحاكي وجه معشوقته! ومرةً تخفي تحت بطنها شريحة إلكترونية
متصلةً بكاميرات أقمار صناعية تتحرك في الفضاء على مَبْعَدَةِ آلاف
الأميال..

قاده تعجُّبه إلى حلٍّ ربما يكون جذريًّا لجانب من جوانب المشكلة
التي تشغل عليه تفكيره منذ منتصف اليوم..

امتصَّ بسرعة إنفعال الفرح العفوي الذي كان يوشك أن يبدو على
وجهه حتى لا تسجله عليه لوحة المراقبة، ويصبح مُطالبًا بتبريره، وعاد
لتغيير أوضاع القطع الثلاث، كأنها يُسلي نفسه بعد انصراف صاحبتها..
تعمد أن يدفع شريحة الميكرو تحت لوحة المفاتيح، ولَمَّا نظر إلى الشاشة
وجدها واضحة المعالم.. بطريقة صبيانية فيها مَلَلٌ بَعَثَرَ كل ما هو فوق
المنضدة، وقام متكاسلاً ناحية الحمام..

في الطريق إلى البُرج

كانت سيارة ديفيد خاضعة تماماً لقيادة سائقها الآلي..

أما هو فكان في حالة إندهاش بالغة..

دفعه الإستمتاع بهواء الصباح المحمل برذاذ مياه البحر الآتي إليه من نافذة السيارة العلوية التي تركها مفتوحة عن قصد، إلى التفكير في كيف قادته تيممة صاحبه “الصَّدفَة البحريّة” إلى حلٍّ مثاليٍّ لم يكن ليخطر له على بال - مهما اجتهد - لإخفاء شريحة الكومبيوتر التي سيسجل عليها ملف رسومات هيكل سليمان الثالث..

استراح لحقيقة أنه أضحى يُمسِك بين يديه بحلٍّ لنصف المشكلة، وعليه أن يجتهد لإيجاد وسيلة لاستنساخ الملف دون أن يلفت إليه أنظار مستويات المراقبة التي تحيط به من كل جانب؟..

سأل نفسه بسخرية.. هل صحيح أن الصَّدفَة البحريّة بما كشفتها لناظريه من خصائص طبيعية لم يكن يعرفها، هي سبب البهجة التي يحسُّ بها منذ مساء أمس وحتى الآن كما تنبأت صاحبه؟..

انتبه صاحبنا من اندهاشه اللذيذ على حقيقة مؤلمة!..

إنه لا يملك صدقة مماثلة.. ولا يعرف من أين يحصل لنفسه على واحدة دون طلب المساعدة من روزالين؟.. الطامة الكبرى أن يُكاشفها ولو بطريق غير مباشر برغبته هذه!! لحظتها سيجد نفسه واقعا تحت مطرقة إلحاحها ولن تتركه حتى تعرف لماذا؟ وهو الذي كان حتى الأمس يهزأ بأفكارها..

يجب عليه ان يعترف أنه ليس أمامه، إن لم يجد سبيلا للحصول على مُبتغاهُ إلا عن طريقها، أن يدَّعي أنه بدأ مؤخرا يصدق ما كانت تحكيه عن قدراتها الطبيعية.. لكن عليه أن يفكر في رد مناسب عندما تصمم على معرفة ما الذي دفعه تحديداً لتصديق ما كان يصفه بالخزعبلات.. أفاق ديفيد اضطراباً من اندهاشه الصباحي الذي نادراً ما يقع تحت تأثيره بهذه الكيفية عندما وجد نفسه خارج سيارته في طريقه إلى مصعد بناية مقر المراقبة المناخية..

كانت أولى الرسائل التي تلقاها بمجرد مروره من حيز الأشعة السينية التي تحيط بمدخل مكتبه، تعليمات فورية تكلفه أن يُوجَّه اتصاله الأساسي لمقر الأتقار الصناعية العالمي..
توجَّه فوراً إلى الشاشة البلورية..

عرف بعد التواصل مع مدينة أوتاوا الكندية أن التوقيت الذي تحدّد أمس لعقد اجتماع فضائي مفتوح حول التقرير الذي تقدّم به لرئاسته في روما سيتأخر عشر دقائق فقط، لعطل أصاب وحدة النقل

الخاصة بالقمر رقم ١١١ والذي يجري استبداله حالياً بالقمر ١١٤ لكي يقوم بنفس المهمة، على أن تبقى مُدتها الزمنية كما هي وفق الترتيبات التي سبق الإتفاق عليها..

معنى ذلك عملياً أنه سيجري إبلاغه والآخرين بتوقيت ربطهم معاً بالقمر الاحتياطي قبل بدء دخولهم إلى دائرته بخمسٍ وأربعين ثانية بالتمام والكمال..

أوحت إليه هذه الرسالة وما تضمنته من تعديلات بخاطرة لو تمكن من اقتناص ملاساتها فسيكون في مقدوره أن يقوم باستنساخ الملف الذي يشغل عليه تفكيره تحت أعين كاميرات المراقبة كافة، الخمس والأربعون ثانية التي جاءته على غير انتظار تُعدُّ فترة كافية لنقل محتويات الشريحة المستهدفة عن طريق نظام Teleport المخصص لتحديث الملفات، وعليه أن يُحسن استغلالها لأنها لو أفلتت منه، فلا يدري متى تتكرر!..

هل ما زال تأثير الصّدمة الجهنمية سارياً منذ مساء أمس؟ أم أن الأمر محض مُصادفة لا يجب أن يُعول عليها!..
إن كانت هذه أو تلك، فسيستفيد منها..

تراجع حجمُ التردّد الذي كان يلم بديفيد، ومن ثم تلاشى إحساسه بفداحة المخاطرة، حتى تفتيشه عما سيَجنيه صديقه من وراء استنساخ هذا الملف لم يعد يعنيه!..

عليه أن يستعدّ من الآن، لاستغلال الثواني الخمس والأربعين التي يحتاجها نظــــام WiMax 7000 لتحميل الأقمار الصناعية بكل

هدوء حتى لا يقع في خطأ قد يكلفه الكثير إذا ما إنشكف أمره.. فكل ما يحتاجه هو خمس ثوانٍ فقط..

بدأ ببرمجة وحدة Outel USB بحيث تقوم بشكل ذاتي باقتطاع خمس ثوانٍ من زمن متابعتها لحركة الأمواج جنوب البحر المتوسط لاستنساخ الملف، تعود بعدها إلى عملها الأساسي بشكل آلي.. ثم عرج علي بقية التقنيات.. وجلس مُتأهباً في انتظار لحظة التواصل معه..

على هذه الكيفية نقلت شاشة المراقبة صورته المجسمة..

مع بدء النقلة الأخيرة لمسارات مدينة الأقمار الصناعية، وبينما كان العد التنازلي يتلاحق وفق النظام المعمول به تمهيداً للجمع بين أقطاب الاجتماع الفضائي.. ضغط ديفيد على جميع الأزرار اللازمة، وقبع في انتظار ظهور صور المجموعة الاستشارية التي تشكلت في روما لكي تناقش معه تقريره..

تعهد ديفيد أن يبعد طرف عينه اليسرى عن مكان العلامة التي ستعلن إنهاء وحدة Outel USB من استنساخ الملف، وركّز تفكيره كله مع أعضاء لجنة التحاور الذين توافدوا الواحد بعد الآخر على الشاشات التي أمامه..

ناقشوا معه البنود الروتينية التي ضمنها التقرير، ثم عرجوا على المتغيرات التي توقعها.. مستعينين بالشاشة البلورية العملاقة بمقرهم في روما للتدقيق في مجموعة من الصور ثلاثية الأبعاد والتقارير التي

تتناول ظروف عاصمة السلام المناخية خلال النصف الثاني من شهر
ديسمبر لثلاثين عامًا خلت..

بعد تبادل الآراء، اتفقوا على ضرورة خفض درجة الحرارة في
منطقة الاحتفالات وما حولها بإسقاط كميات مناسبة من المطر
الإصطناعي أو الطبيعي المنقول بدءًا من يوم ٢٥ ديسمبر..

وفي ضوء الإحصاءات الطبية المرفقة حول أعداد الذين تلقوا
علاجًا بسبب موجات البرد التي تعرضت لها المنطقة، اقترحوا على
الحكومة العالمية أن تكلف المراقبة العليا للصحة بتوفير العدد الكافي من
الأطباء وسيارات الإسعاف العادية والطائرة وأن تعمل المراقبة العامة
للأدوية في استوكهولم على توفير كميات كافية من اللقاحات اللازمة..

في نهاية المطاف أُجيز التقرير ووجه الشكر إلى ديفيد، وطلب إليه
أن يوالي إبلاغ المراقبة بنتائج قياساته حتى مساء الثلاثين من ديسمبر..

فور انقطاع الاتصال الثنائي وعودة شاشات الاستقبال والإرسال
إلى حالتها اليومية، قام ديفيد بإصدار أوامره إلى الشاشة البلورية بإلغاء
ومحو كل ملف استعان به في كتابة التقرير.. ولما تأكد من تمام العملية،
عاد إلى متابعة أعمال المكتب الروتينية اليومية..

كان أول تعامل له، مع عشرات الصور التي التقطتها مجموعة
التصوير لحالة الأمواج.. ثم قام بتغذية شرائطها لجهاز تحليل البيانات..
وانتهز فرصة سقوط طرف رزمة الشرائط المصورة على الأرض وقام
بوضع بقيته فوق مكان الشريحة المستنسخة ثم سحبها بخفة مُطبقاً عليها
راحة يده اليمنى بينما كان ينحني لالتقاط ما سقط منه على الأرض..

الآن وقد أصبحت الشريحة في حوزته عليه أن يركز تفكيره في كيفية امتلاك صدفه بحرية كي يخبئها داخلها! ومن الأفضل له أن يكون ذلك بلا مساعدة من أحد..

انكبَّ على عمله بقية النهار صافي الذهن..

تلقَّى قبل مغادرته المكتب مكالمة من روزالين تستفسر عن “صدفتها الحبيبة” التي باتت لأول مرة بعيداً عنها!.. كاد أن يسخر منها كعادته وهي تسأله: هل أضفت على أمسيته بعضاً من البهجة كما توقعت؟..

لم يكن مُستعداً للسؤال، لذلك اختار من الردود ما يُثير شهيتها بعيداً عن صدفتها الأثيرة وقدراتها الخارقة، فقال لها: ربما تكون البهجة التي تحققت له هي دخوله في نوم عميق تخللته أحلام وردية جمعت بها طوال الليل حتى الصباح..

بدا في صوتها فرحةً.. ولما سألت عن حالتها أثناء الحلم، استمهلها أن يؤجّلا حديث التفاصيل لحين يلقاها في المرقص بعد أقل من ساعة..

قطعت روزالين الاتصال وهي في حالة سعادة بالغة، بينما هو ينعى حظّه العاثر الذي ربطه بامرأة تكاد تزهرق روحه بغريزتها الجنسية وبإلحاحها لمعرفة ما يدور في مخيلته حتى وهو بعيد عنها..

كيف له أن يكون على حذرٍ معها في الحاليتين؟..

فينا تحتضن مجلس الشورى العالمى..

شهدت العقود الأربعة الأولى من القرن الحادى والعشرين
تضاعف المآسى والأزمات الخائقة التى تعرضت لها غالبية شعوب العالم
بسبب تدنى قدراتها الإنتاجية، ونُدرة مواردها الطبيعية واعتمادها على
المعونات التى إنكمش حجمها حتى كاد يتلاشى تماماً بسبب العجز
المتنامى الذى لحق بالدول المانحة، وفيما بعد بالمنظمات الدولية التى
كانت فى يوم من الأيام قادرة على تقديم يد المساعدة لها..

أما معاناة المجتمعات التى كانت تتشكل منها الدول الصناعية
الغربية فكانت بسبب تزايد ورطاتها الاقتصادية والمالية المتعاقبة، وما
نجم عنها من سياسات تقشُّفية حادة انعكست على علاقاتها الخارجية
وما ترتب عليها من حروب ومناوشات ومُصادمات..

وفاقم من تداعيات هذه المعاناة هنا وهناك، الكوارث الطبيعية من
زلازل وحرائق وفضيانات وانهيارات وثورات مائية عاتية تعرضت لها
كل قارات الأرض بشكل مُتفاوت..

في مواجهة هذه الشدائد الطاحنة بدت غالبية نُظُم الحكم حتى الديموقراطية منها، وكأنها فقدت القدرة على التعامل مع ما تتعرض له من انهياراتٍ مادية متالية أو ثورات طبيعية متعاقبة.. ومع تضاعف الأزمات حاول حكماء كل مجتمع أن يدلّوا بدلّوهم، ولكنهم لم يجدوا أدنًا مصغية؛ مما دفع البعض منهم لاعتزال الحياة، والبعض الآخر للهجرة بأفكارهم بعيدًا عن بلدانهم بحثًا عن إطار يجمع بينهم وربما يوحد توجهاتهم، وكانت مدينة فيينا لأسباب متنوعة مقصد العديد منهم..

من بين كل أنظمة الحكم في أوروبا شرقها وغربها تعرضت دولة النمسا لأقل قدر من الأضرار التي عصفت بالآخرين علي امتداد الأربعين عامًا الأولى من القرن الحادي والعشرين، لم تعاني المشكلات العقارية ولم تُفلس كُبريات شركاتها الإنتاجية الواحدة تلو الأخرى، ولم يكن لديها استثمارات خارجية من شأنها أن تُربك توجهاتها إذا ما تبخّرت في الهواء..

ببساطة لم تلجأ لرهن سندات الحكومة لدى الأقربين والأبعدين، لأنها حافظت بكفاءة على مواردها الذاتية..

وفر لها نظامها الفيدرالي (٩ أقاليم) وانتهاجها مبدأ الاختيار الحر حتى على مستوى رئيس الجمهورية استقرارًا سياسيًا لم يتوافر لجيرانها خاصة في ألمانيا والمجر وإيطاليا والتشيك وسلوفاكيا.. كما ساهم تمسكها بحيادها الذي يحميه الدستور في بلورة علاقات متوازنة بالآخرين فلم يعتد عليها جار ولم تقتحم حدودها ميليشيات مرتزقة..

أما حرصها المتواصل على تحقيق أعلى مؤشرات رعاية لحقوق الإنسان، فمنحها الإستقرار المجتمعي الذي ساهم بشكل مباشر في دعم تماسكها على المستويين السياسي والاقتصادي..

في نفس الوقت وفّرت لها طبيعتها الجبلية المنتسبة لجبال الألب (٣٢٪ من أراضيها يصل ارتفاعها إلى أقل من ٥٠٠ متر) حماية نوعية ضد المزالق الكارثية الكونية التي دمرت شرائح مجتمعية في العديد من الدول التي من حولها..

في البداية شكلت مدينة فيينا عامل جذب دفع العديد من حكماء أوروبا الفارين بهموم أوطانهم ومشكلات عالمهم إلى شدّ الرّحال إليها.. ولمّا زاد عددهم وتوثّقت الصّلة بينهم، شجعت تجربتهم آخرين على الانضمام إليهم عبر وسائل الاتصال الفضائية التي لا حصر لها..

لم يؤذّ تزايد أعداد الحكماء الوافدين إلى النمسا استقرارها السياسي والمجتمعي، بل تلاقى حياد الدولة ورعايتها لحقوق الإنسان مع حاجتهم لأن يسمع كل منهم الآخر بعد أن فشلوا جميعاً في إسماع صوتهم لمن يهتمهم الأمر..

ساعدتهم هذا المناخ على تطبيق فكرة تشكيل مجلس شورى عالمي يجتمع أفراداً دورياً بطريقة تطوعية بهدف إيجاد حلول عملية لما تعانيه شعوب العالم من معضلات.. ويعملون في نفس الوقت على بناء جسور ثقة مع القوى الكبرى التي ما زال لها وزن في الساحة الدولية بتمرير ما يستقرّ عليه رأيهم من أفكار وخطط يمكن أن تُشكّل مُنقِذاً لما يعترضها هي وغيرها من أزمات ومشكلات وملفات متشابكة..

استقرَّ رأي مجلس الشورى العالمي - عام ٢٠٤٥ - بعد مُناقشاتٍ استمرت نحو عشر سنوات على دعوة القوى العالمية التي تتمتع ببينة اقتصادية متينة واستقرار سياسي أعلى نسبياً من غيرها، إلى تبني نظام عالمي جديد يقوم على تأسيس حكومة عالمية تكون مسؤولة عن إدارة شئون الوحدات السياسية التي ما زالت قادرة على الصمود، وتتولى تصريف العلاقات فيما بينها، وأن تُحكم قَبْضَتِها المركزية على علاقاتها الخارجية..

بعد خمس سنوات أخرى من الترتيب والتنسيق والاتصالات بين مجلس الشورى العالمي والقوى الدولية، تشكلت أول حكومة عالمية واتخذت من العاصمة الصينية مقراً لها..

بكين عاصمة الحكومة العالمية ..

لماذا أختيرت بكين لكي تحتلّ هذا الموقع؟ ..

كانت الصين على رأس مجموعة محدودة من الدول التي نجت من معظم الأزمات المالية والاقتصادية والكوارث الاجتماعية التي حطمت في دورات متتالية اقتصاديات الكثير من الدول الرأسمالية وفي مقدمتها الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي، بل يمكن القول إنها ربما تكون الدولة الوحيدة التي جنت - بسبب هذه الأزمات - مكاسب هائلة وتمكّنت من تعظيم قدرات بنيتها التحتية على أسس اقتصادية تجمع بين الاشتراكية والرأسمالية ..

لم يكن الميزان التجاري بين الصين وأمريكا يميل فقط لصالح الأولى لحوالي أربعة عقود متتالية، بل كانت أكبر دائن لها لدرجة أنها كانت تمتلك في نهاية عام ٢٠٢٥ سندات حكومية أمريكية بما يزيد قيمته عن ٣٥ تريليون دولار! وبعد أن كانت تشارك بنسبة مقررّة سلفاً في

آليات اتخاذ القرارات الاقتصادية على مستوى العالم، أصبحت تتمتع بحرية أوسع في تنسيق السياسات الاقتصادية لصالح اقتصادها وتحولت بمرور الوقت إلى الموثق الأوحـد للشركات التجارية في آسيا وأمريكا اللاتينية..

هذا بينما دفع تضاعف عجز الميزانيات الرأسمالية (٢٠٢٣ - ٢٠٢٨) الكثير من نظم حكمها إلى بيع جانب من أصولها الحكومية على أمل أن ينصلح الحال، وبالرغم من ذلك بلغ متوسط العجز عام ٢٠٣٠ حوال ٢٨ ٪ حتى بعد بيع البعض منهم حصصه في عدد من المشاريع الاستثمارية والمحافظ البنكية! وأسند البعض الآخر إلى جهات أجنبية مسئولية تسيير ممراته المائية وجسوره وطرقه السريعة مقابل مبلغ سنوي..

وبينما كان الغرب يتقاتل سياسياً وأمنياً على ما بقي من مصادر طاقة نفطية ذابلة حول شواطئ الخليج العربي وبحر قزوين وغيرهما، كانت الصين تتربع على قمة منتجي الطاقة المتجددة بعد أن استثمرت فيها إحصاء هائلة مما كان لديها من تراكمات مالية.. واستطاعت منذ عام ٢٠٤٠ الحصول على الجزء الأكبر من احتياجاتها من الطاقة التي تستخرجها باقتدار من طواحين الهواء والطاقة الشمسية..

اهتمت الصين بهذا النوع من الطاقة النابعة من داخل أراضيها أولاً للحد من حاجتها المتنامية لاستيراد النفط والغاز من الخارج، وثانياً لبدء برنامج البراء من التلوث البيئي الذي هدد حياة سكانها بالكثير من الأوبئة والأمراض المستعصية..

لذلك، وبينما كانت نظم الحكم في الغرب تعاني تأثير الأزمات الكارثية، نجحت الصين عام ٢٠٣٥ في تشكيل تحالف سياسي اقتصادي تقني متجانس ضمَّ روسيا والهند وكوريا المتحدة وماليزيا واليابان والبرازيل وفنزويلا..

جذب هذا التحالف عند قيامه، مرتكزاً على أذرع قوية من التجانس السياسي والتكامل الاقتصادي، أجيال ثورة تكنولوجيا المعلومات وتقنياتها التي فقدت السند والقوة التي كانت توفرها لها ضفتا المحيط الأطلنطي الأوربية والأمريكية.. فهاجرت إلى شواطئ المحيط الهندي ووضعت كل ما تملكه من تحديثات مستقبلية في خدمته..

ورثت الحكومة العالمية الأولى عام ٢٠٥٠ مشكلات سياسية واقتصادية ومالية مستعصية وملفات اجتماعية وثقافية وإنسانية متنافرة لا نهاية لها، وبالرغم من إنكبابها على محاولة وقف تفاقم هذه الملفات جميعاً، قررت أن تُولي برنامج تتبّع الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها أقاليم العالم المختلفة الجانب الأكبر من دراساتها المستقبلية للتعرف إلى المؤشرات الدالة على توقيت حدوثها والتنبؤ بقرب وقوعها والعمل على تقليل الخسائر الناجمة عنها..

كانت الملفات ممتلئة بتقارير عن تحول ملايين الهكتارات من غابات ومزارع شرقي جبال روكي الأمريكية وكذا غابات إقليم نيوانجلاند وفكتوريا في أستراليا إلى أخشاب محترقة.. زحف الصحراء المتزايد على الكثير من البلدان في وسط وجنوب أفريقيا.. سُحَّ المياه وجفاف الأنهار والبحيرات في أكثر من ٥٠ موقعاً على مستوى العالم (حوالي ٣٨٪ من

سطح الأرض).. وكذا الانهيارات الجليدية عند القطبين الشمالي والجنوبي.. تآكل مئات الأميال من الجرف القاري لعدد من الشواطئ المطلة على الأحواض المائية والخلجان والمحيطات واختفائها تحت سياط الأمواج الثائرة.. توافر الأمطار في بعض الأماكن ونُدرتها في أماكن أخرى..

لذلك كان من أوائل القرارات التي اتخذتها هذه الحكومة في نفس العام (٢٠٥٠) تنفيذاً لتوصية رئيسية من مجلس الشورى العالمي، إقامة هيئة عليا للبيئة يكون مقرها مدينة روما تُكَلَّف في المقام الأول بعمل دراسات عن الظواهر الطبيعية الكبرى التي تعرَّض لها العالم منذ بداية القرن الحادي والعشرين، ووضع سياسيات فورية لتقليل الخسائر الناتجة عنها..

بالتدريج، وعن طريق توحيد الجهود وتنظيمها، وتنامي القدرة على توظيف تكنولوجيا المعلومات لخدمة هدف الهيئة العليا للبيئة، توصَّل خبراءها إلى معادلة مناخية جديدة قابلة للتطبيق جمعت بين إمكانات الاستفادة من تنمية قدرات تقنيات جمع المعلومات ومركزية الإحتفاظ بها من ناحية، وسرعة التنبؤ لإختيار أنسب السُّبل الفورية للتعامل مع الظاهرة المناخية من ناحية أخرى..

وفرت هذه المعادلة لخبراء الهيئة وكبار مسئوليتها فرص نجاح كثيرة في مجال مكافحة العديد من الظواهر الطبيعية شديدة الخطورة مثل العواصف العاتية وتسونامي الأمواج الهادرة، كما منحتها - بالتجربة - القدرة على محاصرة الكثير من المخاطر البيئية قُبيل وقوعها كالانهيارات

الأرضية.. وتمكنت وفق نظريات حديثة وأساليب معالجة متطورة من الاستعداد لمواجهة ما تشير التقارير إلى قرب وقوعه وأن تحدّ من مخاطره، وتقلّل من الأضرار التي تنجم عنه بنسبٍ عالية جدًّا..

هذا النشاط الحيوي الفعال لم يتوقف على حماية الغابات من الجفاف واشتعال النيران والشواطئ من الأعاصير التي تجرف أمامها أطناناً من الصخور والرمال أو على التقليل من الكوارث التي تتسبب فيها الزلازل، لكنه امتدّ أيضًا إلى توفير حد أدنى من الحماية للمعازل القارية التي أُقيمت للمرضى الميئوس من شفائهم لأسباب وراثية مزمنة والمتخلفين عقلياً بسبب إدمان آبائهم وأجدادهم تعاطي المنشطات التي كانوا يستعينون بها للتخلّص من حالات التوتر التي يتعرضون لها أو لاستجلاب البهجة أو لتنشيط قدراتهم الذهنية والعضلية والجنسية، وكذا ذوي العاهات بكل أنواعها..

رغم الطفرة التي شهدتها طرائق وسبل العلاج عن طريق الخلايا الجذعية والنجاحات التي حققتها البحوث الدوائية منذ العقد الثالث للقرن الحادي والعشرين، فإن شرائح كبيرة من المجتمعات الفقيرة والغنية التي عانت الأزمات المالية والاقتصادية والكوارث الطبيعية وقعت فريسة لأمراض لم يكن في مقدور أفرادها الحصول على علاج لها، وأمراض أخرى لم تُعرف طبيعتها ولا كيفية الشفاء من آثارها..

زادت تعقيدات هذه المشكلة في الفترة ما بين عامي ٢٠٣٠ و ٢٠٤٠ لأنّ سلالات المجموعات البشرية التي عانت منها لفترات طويلة أُصيبَت بأمراض إضافية تزايدت آثارها طوال العقدين الخامس

والسادس، وأشارت الدلائل أنها قابلة للتنامي قبل أن يتمكن العالم بتقنياته المتطورة من التعرف على ظواهرها، ومن ثم إيجاد حلول طبية تشفي منها أو تحد من انتشارها..

وإلى أن يتحقق ذلك، اتخذت حكومة العالم الرابعة فور تشكيلها عام ٢٠٦٥ قراراً بإنشاء معازل قارية للمرضى الميئوس من شفائهم في ثلاثة أماكن متفرقة من العالم تم اختيارها في ضوء عدد من الدراسات البيئية والجغرافية.. أولها بوسط أفريقيا في المنطقة الصحراوية التي يحدها حوض نهر الكونغو من الجنوب وأطراف مصبات نهر النيل من الشرق وبقايا بحيرة تشاد ومرتفعات أداماوا من الغرب، وثانيها بوسط آسيا في المنطقة التي تحدها الهند جنوباً والصين شرقاً وباكستان وأفغانستان غرباً، وثالثها قرب الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية بين بحيرة بونس أيرس وبحيرة فيدما..

حرصت هيئة البيئة العليا ضمن اهتماماتها بالمعازل الطبية على اختيار الأوقات الملائمة مناخياً لإرسال شحنات الطعام والمشروبات والأغطية والملبوسات التي تُلقى إلى المقيمين فيها وفق جداول دورية من الطائرات المروحية في شكل طرود، حتى لا تتعرض للتلف إبان مواسم هطول الأمطار أو بسبب ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة وحتى لا تحملها الرياح العاتية إلى غير مقصدها.. وبنفس الحرص عملت على زيادة عدد كاميرات المراقبة المقامة حولها وعلى تحديثها، مما يسر على فرق الأطباء تتبع سلوكياتهم ودراسة نوعية العلاقات التي تنشأ بينهم والتوصل بشكل تدريجي للتعامل مع بعض حالاتهم المرضية عن بُعد..

ضمن هذه الاهتمامات التي كانت توليها حكومات بكين المتتابة للبيئة وظواهرها، جاء تكليف الحكومة العاشرة (أوائل ٢٠٩٩) لهيئتها العليا بدراسة الأحوال المناخية لمنطقة شرق البحر المتوسط، وأطلعته على أهمية التنبؤ بما ستشهده من تقلبات جوية بمناسبة الاحتفالات التي ستقام في عاصمة السلام في اليوم الأخير من العام واليوم التالي له..

كان تكليفاً فريداً من نوعه..

لم يكن في مخطط أي حكومة أن تتبناه، ولا وضعته روما ضمن برامجها المستقبلية..

لكنه توافق بكل المقاييس مع حرص الحكومة العالمية على تكريس مبدأ اعتنائها بالبشر خاصة وإن المناسبة تجمع بين نماذج متنوعة منهم على صعيد واحد لأول مرة منذ عقود طويلة! وتطابق في نفس الوقت مع خبرة الهيئة التي وضعت إمكاناتها وقدراتها في خدمة العالم وسكانه وفق نظامه الجديد..

الهيئة العليا للبيئة بروما..

اجتمعت مسؤولة الهيئة العليا للبيئة بكبار مساعديها..

أطلعتهم على تكليف الحكومة العالمية بدراسة الأحوال المناخية لشرقي البحر المتوسط وخاصة المنطقة المحيطة بعاصمة السلام.. واتفق في نهاية تبادل الآراء على أن توضح أبعاد المهمة لمراقب برج سيراكوزا، وأن يكلف بتقديم مقترحاته في هذا الخصوص خلال يومين، وأن يصرح له أن يستعين بإمكانات أبراج مناخية أخرى للحصول على ما يحتاج من معلومات وبيانات لدعم ما يتوصل إليه من نتائج..

توافق مستشارو الهيئة على أهمية أن يكون لهم دور في توفير أكبر قدرٍ من المعلومات «المناخية» لحكومة بكين على امتداد النصف الثاني من العام مما يساعدها من ناحية على وضع أجندة الاحتفال الجماهيري الذي يتناسب مع نوعية الشرائح التي ستشارك فيه، ويوفر للأجهزة المختصة التي ستضع الأمر في صورته النهائية تحديد.. هل ستقام فقراتُ الحفل في الهواء الطلق - كما سبق وقرروا - أم في قاعات مغلقة؟

وعدد الحضور من رسميين وشعبيين.. وأماكن إقامتهم! وتحديد مسار و ترتيبات سفر هذه الأعداد واختيار الوسائط الأمنية التي ستراقب الاحتفال ومستوياتها وحجم المراقبة داخل مدينة السلام وفي محيطها وعلى طول الطرق المؤدية إليها برًا وبحرًا وجوًّا..

كلفَت مسئلة البيئة ديفيد أوزويلد أن يواصل تقديم تقريره الشهري المعتاد حتى منتصف شهر مايو ٢٠٩٩، يتحول بعدها إلى أسبوعي اعتبارًا من شهر يونية وحتى منتصف شهر ديسمبر، ثم يصدره بشكل يومي اعتبارًا من النصف الثاني من شهر ديسمبر ٢٠٩٩ وحتى صبيحة أول يناير ٢٠١٠..

لما تقدّم ديفيد بمقرحاته، ناقشتها المسئلة مع مستشاريها الذين راجعوا بدقة بنودها ومستويات تحليلها وتغطيتها لأوجه الاحتياجات النمطية كافة، وقارنوها مع كتالوج معدلات الطقس بدءًا من مؤشرات عام ١٩٩٩ وحتى نهاية عام ٢٠٩٨ وكذا بالكوارث الطبيعية التي شهدتها منطقة الشام بأكملها برًا وبحرًا.. وتأكد لهم تراجع فرص تعرّض منطقة شرق البحر المتوسط في الأسبوعين الأخيرين من شهور ديسمبر منذ عام ٢٠٧٧ لأي ظواهر سلبية وأن سرعة الرياح بها لا تتجاوز الخمسة أميال و درجة الحرارة تقع غالبًا بين ٢٢ و ١٣ مئوية، وأن منسوب الأمطار لم يزد منذ ذلك الحين عن ٤ ملمتر / سنتيمتر مربع..

كان لزامًا على مسئلة البيئة بعد أن أبلغت ديفيد بموافقة الهيئة العليا على تقرير التنبؤات الذي ناقشته هي ومستشاريها معه، أن تحيط

كبير وزراء الحكومة العالمية في بكين بالخطوة التي تحققت.. راجعت بسرعة على الشاشة البلورية الخلاصات التي تضمّنها، ثم ضغطت على زر قناة التواصل السمعية والبصرية بينها وبين بكين.. بعد ثوانٍ تبادلت التحية مع مديرة مكتبه التي أوصلتها به بعد أن أبلغته أن غرض المحادثة يتعلق باحتفالات عاصمة السلام..

لما سمعت صوته بعد أن ظهرت صورته على الشاشة التي تقع على يسار مكتبها لخصت له ما تم تنفيذه في ضوء التكليف الذي صدر للهيئة، ثم أطلعت على التوقعات التي جاءت في تقرير مراقب برج سيراكوزا..

شاهد كبير الوزراء أسطر التوقعات تظهر تباعاً على شاشة الكمبيوتر العملاقة بمكتبه.. وأثناء المناقشة قامت مديرة مكتبه بتوزيعها على معاونيه الذين كانوا يشاركون في جلسة مناقشة فضائية في ذات التوقيت..

رحب معاونون بما جاء في التقرير، وأشاروا على كبير الوزراء بأن يُبدي موافقةً مبدئيةً وأن يأمر مديرة مكتبه بالدعوة لعقد جلسة فضائية استثنائية في اليوم التالي لمن يهتمهم الأمر من الوزراء لاستكمال مناقشة تفاصيل الاحتفال ومتطلباته مع مسئولة البيئة ..

اجتماع الحكومة العالمية ..

خُصِّصَ الاجتماع الفضائي الوزاري الموسع الذي عُقدَ في موعده عبر الدائرة التعااضدية الثالثة التي يحميها نظام Sync Secure VNC من محاولات التجسس، لمناقشة الخطوط العريضة لإقامة احتفال القدس عاصمة السلام في نهاية شهر ديسمبر ببدايات السنوات الجديدة لأصحاب الديانات المختلفة..

في البداية استمع المشاركون من مديرية مكتب كبير الوزراء إلى تقرير ملخص حول كيفية بدء فكرة الاحتفال؟ ولماذا وافقت الحكومة العالمية على توصية للمجلس التشريعي بإقامته؟ وما الهدف الأساسي من ورائه؟ أعقبه تقدير موقف حول التوقعات المناخية والطقسية التي ستصاحبُ توقيت إقامته..

تقرر أن يستمرَّ الاحتفال أربعًا وعشرين ساعة تبدأ من الساعة العاشرة صباح يوم الحادي والثلاثين من ديسمبر بتوقيت شرق البحر

المتوسط وتنتهي صبيحة اليوم الأول من يناير عام ٢٠١٠.. وأن تُدعى للمشاركة فيه ستُ فرق فنية لا يزيد عدد كل منها عن عشرين فرد تُمثل ثلاث منها أصحاب الديانات الأرضية وتُمثل الثلاث الأخرى معتنقي الديانات السماوية.. على أن يقتصر عدد الضيوف على ٦٠ ألفاً يمثلون الأقاليم كافة، يضاف إليها مائة ممن يرغبون من أعضاء مجلس الحكماء والوزراء وكبار المسؤولين..

كانت أهم النقاط التي دار حولها النقاش.. توفير التمويل اللازم للاحتفال، وما يسبقه من استعدادات، وتنظيم رحلات نقل الفرق المشاركة والراغبين من أبناء الأقاليم.. وتوفير القدر الأكبر من الأمان لعاصمة السلام وما حولها قبل اليوم الموعود وحتى مغادرة آخر ضيف..

كانت الهيئة العليا للأمن أول من كُلفَ بتحديد احتياجاتها من الأجهزة والمعدات والخبراء، على اعتبار أن مسؤوليها يحتاجون إلى وقت أطول من غيرهم لوضع الخطط واختيار أحدث المعدات التي تناسب المهمة، كما أنهم يحتاجون لإجراء أكثر من زيارة ميدانية على الطبيعة للمكان.. أما مسئول الهيئة العليا للنقل، فكان عليه أن يحدد بدقة المحطات الأرضية والموانئ البحرية والجوية التي سيتجمع فيها الزائرون والفرق الفنية، تمهيداً لنقلهم إلى أقرب مكان من عاصمة السلام.. وأسند إلى كبير التقنيين اختبار الأجيال الجديدة من أجهزة التنصت والحماية ومعدات الأشعة السينية والفوقية لاختيار أحدثها بهدف تأمين الفرق المشاركة والضيوف وكبار المسؤولين..

وأخيراً كُلفت وزارة النفقات المالية بدراسة الاحتياجات المالية لكل من هذه القطاعات والعمل على توفيرها بكل السبل في الوقت المناسب لاستخدامها عندما تنشأ الحاجة ..

* * *

بعد انتهاء الاجتماع الفضائي الوزاري الموسع، أصدر كل مسئول أمراً فضائياً بتشكيل لجنة نوعية لوضع الترتيبات اللازمة لإخراج الحدث في أبهى صورة..

من جانبه، بادر مكتب كبير الوزراء بمخاطبة زعماء الأديان السماوية الثلاثة ومسؤولي الأديان الأرضية شارحاً فكرة الاحتفال ومُحفِّزاً على المشاركة بفريق فنيٍّ محدودٍ مع السماح لنحو عشرة آلاف من الأتباع بالسفر إلى عاصمة السلام لحضور الاحتفال ومتابعة فاعلياته، وطالبت الرسالة بسرعة تقديم المقترحات والاستعداد للمساهمة «بجهد ملحوظ في هذا الحدث الفريد»..

أما رسالة المكتب الثانية فكانت لمسئول التراث الإنساني حيث كُلفَ بمهمة اختيار الأماكن المفتوحة داخل مدينة القدس عاصمة السلام التي يمكن أن تُقدّم من خلالها الفرق المشاركة فقراتها الفنية، وكذا الأماكن المغلقة البديلة كإجراء احتياطي إذا لزم الأمر..

* * *

قررت اللجنة النوعية التي شكلها مسئول الهيئة العليا للنقل تحديد نقاط مركزية لنقل الزائرين والفرق الفنية إلى مكان الاحتفال..

فاختارت أن يُنْقَلَ القادمون من آسيا بحرًا، وأن يسافر القادمون من شبه جزيرة العرب وما يجاورها برًا.. وأن يُستخدم النقل الجوي لتسفير زائري أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا..

اتفق في نفس الاجتماع على القيام بزيارات ميدانية عبر الأقمار الصناعية لأهم الموانئ البحرية والجوية والطُّرق البرية في إقليم الشام والمؤدية إلى عاصمة السلام.. يليها دراسة أحوال الموانئ البحرية بجنوب شرق آسيا لاختيار الأفضل منها لبدء الرحلة البحرية الصاعدة ناحية شرقي البحر المتوسط..

أما الطرق البرية حول جزيرة العرب فلا بد من اختبارها ميدانيًا بسبب حاجتها الدورية للصيانة على أثر زحف الكثبان الرملية بغزارة إلى حوافها، لإزالة المعوقات كافة..

اتفق في نفس الجلسة على دراسة إمكانات موانئ وسط أوروبا الجوية لتحديد أنسبها كنقطة تجمُّع يلتقي حولها القادمون من الأمريكتين تمهيدًا لنقلهم جواً لإقليم الشام..

أعلنت الهيئة العليا للنقل أنها ستفتح الباب لتلقي طلبات الزيارة بعد أسبوعين واتفقت مع الهيئة العليا للأمن على تبادل المعلومات فيما بينهما لتسهيل مراقبة من يتقدم بطلب للقيام بالزيارة ويتمكن من إنهاء الإجراءات المطلوبة منه، بحيث يتاح للأجهزة المختصة متابعة تحركاته من نقطة البداية وحتى عودته ثانية إليها..

أما لجنة الأمن النوعية فقامت بتكليف الخبراء بوضع خطط رئيسية وبديلة لتأمين المدينة وما حولها تمهيداً للقيام باختبارها على أرض الواقع قبل بداية الاحتفال بفترة كافية..

واتصل كبير التقنيين برؤساء مجالس إدارات مراكز إنتاج التقنيات لموافاته فوراً بما يستعدون لإنتاجه من أجهزة ومعدات أمنية على المستويات كافة لكي يختار منها ما يُناسب المهمة التي كُلِّفَ بالاستعداد لها، خاصة وأنها (أي المهمة) مُفتحة على شرائح متعددة من البشر..

تشكلت لجنة وزارة النفقات المالية برئاسة الوزير شخصياً، وبدأت عملها فوراً مُركّزة على إيجاد الموارد التي سيحتاجها بصفة خاصة القطاع الأمني أولاً للتعاقّد على شراء المُعدات والأجهزة ولسداد تكاليف شَحْنِها إلى عاصمة السّلام.. وبعدها النفقات التي سيحتاجها قطاع النقل.. يليها التكاليف التي ستوضع تحت يد الأجهزة المعاونة لسداد ما ستقوم به من مهام إضافية قد تطرأ إليها الحاجة بشكل مفاجئ أو اضطراري..

في هذه الأثناء، في أماكن متفرقة من العالم..

فجأة وعلى غير انتظار..

كلّفت إدارة قطاع شئون صحة الكتلة الأوربية روزالين فينج الموظفة التابعة له بالسفر فوراً إلى باريس لحضور دورة تدريبية سريعة وعاجلة..

قرأت صاحبتنا الرسالة محدودة الكلمات أكثر من مرة لكي تستشف منها هدفاً واضحاً لدعوتها بهذه الكيفية، ولكنها لم توفق..

كل ما بلغها عن طريق جهاز الميكرو I Pad مطلوب تواجدك «بالمقر الرئاسي الطبي بباريس قبل ظهر الغد للمشاركة في دورة تدريبية»..

لم يسبق لها أن استدعيت بهذه الكيفية!.. وبالرغم من ذلك عليها أن تنصاع للأمر الصادر إليها بلا تلكؤٍ وتستعد للسفر خلال أقل من ستّ ساعات..

كان عليها أن تُوقَفَ فورًا سبيلَ تساؤلها الداخلي عن الأسباب والمُبررات، فمن المؤكد أنها ستجد في باريس ردًا على كل ما يُنغصُ عليها ما بقي من ليلها..

* * *

استقطع جوهان هاري مراقب برج نيواورليانز المناخي بعضًا من وقته الذي خصّصه لترتيب إجازته ربع السنوية التي سيقضيها في ميامي مع زوجته، للاتصال بوالده في مدينة دلاس لكي يبلغه أنه نجح في الحصول على تذكرتين تتيح لهما أن يُشاهداً معًا نهائي مباراة البيس بول التي ستقام على ملعب مدينة نيواورليانز بعد يوم واحد من قيامه بإجراء الفحوصات الطبية الدورية بمركز دراسات القلب التابع لمستشفى هوستن..

انشرح قلب الوالد كثيرًا ليس فقط بسبب سعادته بمشاهدة نهائي اللعبة التي يعشقها، ولكن لأن ابنه يُريد أن يطمئن منه على أحواله الصحية.. وهو أمر نادر الحدوث! لذلك تمنى ألا يُتجزز فترة طويلة بسبب مشكلات قلبه الطبية..

لم تكن العلاقة بين جوهان ووالده عاطفية إلى هذه الدرجة لا من ناحية حرصه على أن يحضر والده نهائي لعبة البيس بول التي كان في يوم من الأيام أحد أبطال فرقها، ولا من ناحية استضافته بعد انتهاء زيارته الروتينية للمركز الطبي..

جوهان لم يكن يفكر في والده بهذه الكيفية منذ ثلاثة أسابيع فقط!..

هذا الاهتمام تولّد بعد تفكير عميق في كنز ملف هيكّل سليمان
الذي هبط عليه بدون سابق إنذار، كعادته - بعد أن اطمئنّ إلى اقتناع
ديفيد باستنساخ الملف - أمعن الفكر في كيفية الإستفادة مما يحتويه من
معلومات، وبعد أن استقر رأيه على خطوة إيجابية في هذا الخصوص..
رأى من المصلحة أن يُناقشها مع والده! وإذا رأى منه استجابة سيطلب
منه أن يعرض الموضوع برؤيته على مساعد الخاخام الأكبر..

* * *

وفي شتوتجارت، أجرى إيمانويل أوزولد عملية تغيير دمه للمرة
الثانية بنجاح..

* * *

أمّا ديفيد فكان يتمشى على شاطئ سيراكوزا كل يوم على أمل أن
يعثر على صدفةً طبيعية شبيهة بصدفة صاحبه روزالين تكون الأمواج
قد ألقت بها إلى حوض الرمال من داخل مياه البحر المتوسط!..

مطار روما ..

استيقظ ديفيد من نومه وهو في حالة من البِشْرِ، قبل مواعده المعتاد
بعدة دقائق ..

تفاءل كثيرًا عندما أدرك أنه بدأ يوم ذكرى ميلاده مُبكرًا بهذه
الكيفية ..

وَجَدَ نفسه ينظر باسم الشجر لصورة النجمة الخماسية النادرة التي
ترمز لكوكب فينوس والتي يُزَيَّنُ بها الجدار المُواجه لسريره ..

منذ بضع سنوات اختار صاحبنا هذه الصورة لأنها تُمثِّلُ الطَّبيعة
الدَّورية للحبِّ والجنس، لأنه يؤمن أنهما المحور الحقيقي لحياة البشر ..

فَصَّلَ أن يظلَّ في مكانه يُرَتِّبَ في ذهنه تفاصيل أمسية احتفال
الليلة، حتى يسمع الصفير المتواصل لماكينة القهوة بعد انتهائها من صُنع
فنجان الصباح المنعش الذي يتناوله مع الإفطار الخفيف المعتاد ..

بقي مُستلقيًا في سريره ينظر من خلف الستائر إلى كتل السُحب التي تتفرق في السماء فتشكل لناظريه جزرًا تلمع بين اللونين الأبيض والأزرق تتقاربُ حينًا وتتباعَدُ حينًا آخر، حتى انتزعه من استغراقه رنين الهاتف.. انتبه بكل حواسّه لاستقبال ما قد يُعكّر عليه صفو باله ويفسد استرخاءه، فهو لم يتعود أن يستقبل مكالمات تليفونية في مثل هذا الوقت إلا إذا كان هناك أمر عاجل يستلزم مشاركته في وقف تداعيات مصيبة وقعت أو على وشك الوقوع..

اندهش عندما رأى صورة روزالين على شاشة الهاتف وهي تُحدِثُه من خارج منزلها، المفترض في هذا الوقت أن تكون هي أيضًا مُستلقية في سريرها..

سألها أين هي؟..

لم يصدق أذنيه لأول وهلة وهو يسمعها تقول إنها تُحدِثُه من مطار روما..

ردّد وراءها.. مطار روما لماذا؟ فهم منها بصعوبة أنها مضطرة للسفر فورًا إلى باريس.. سأل مُغاضبًا هكذا بلا مقدمات، ردت عليه باستسلام أنها تنفذ ما جاءها من تعليقات..

انفصل عنها عدة ثوانٍ..

اليوم عيد ميلاده! كيف تفاجئه هذه المفاجأة غير السعيدة بالمرّة؟ تطاير تفاؤل اللحظة الذي كان يغمره منذ ثوانٍ محدودة، وحلت محله كآبة ووحشة..

زاد حنقه لأنها لم تتصل به ليلة أمس وتبلغه بأمر ما تلقته من تعليمات..

وتضاعفت ثورته عليها، لأنه قبل برهة كان يتخيلها في أهى صورها تشعُّ بهاءً عليه وعلى ليلته وضيوفه..

على الناحية الأخرى كانت روزالين تختصر في الكلام، كرّرت أكثر من مرة أنها تلقت تعليمات السفر في وقت متأخر من الليل، وأكدت بإصرار فيه صدق أنها لا تعرف طبيعة المهمة.. كل ما عرفته أنها ستشارك في دورة تدريبية عاجلة وسريعة..

لم يسترح ديفيد لتبريرات صاحبتة فقد ظلَّ عصبياً حتى وهي تلوح له مُودّعة.. حتى أنه لم يلاحظ مظاهر التعب الذي كان بادياً على مُحياها، بل عاب عليها بينه وبين نفسه أنها لم تكن مكثبة مثله أو على الأقل متأثرة بسبب اضطرارها للسفر بعيداً عنه في هذا اليوم بالذات..

الحقيقة التي لم يلمسها أن صاحبتة كانت مهمومة ومُرهقة إلى درجة كبيرة..

مهمومة لأنها تلقت بعد الرسالة الإلكترونية المكتوبة مكاملة هاتفية من رئاسة القطاع حذرتها من إبلاغ صديقها ديفيد بأمر استدعائها قبل وصولها إلى مطار روما! وكان عليها أن تلتزم بالتحذير حتى لا تتعرض لعقابٍ مُشدّدٍ حتى لو بدت أمامه كمن تخلَّى عنه بلا مُقدماتٍ في مناسبة من أهم مناسبات حياته..

وكانت مرهقة لأنها لم تنم من الليل كله سوى ساعتين؛ ظلت تفكر طويلاً في سبب هذا الاستدعاء الذي اتخذ ثوب التّكليف.. ثم غلبها النوم دون أن تصل لنتيجة منطقية..

الآن وبعد أن أنهت مكالمتها الهاتفية التي أرقتها طويلاً عادت - وهي تخطو مشغولة البال فوق الممشى الممغنط الذي يحملها إلى سلم الطائرة - لمحاسبة نفسها..

هل ارتكبت خطأ ضمن أدائها الوظيفي يستوجب استدعاءها بهذه الكيفية؟..

استبعدت أن تكون قد ارتكبت ما يتطلب محاسبتها مهنيًا لأن نظام برمجة الـ Mocha VNC يقوم بمراجعة عملها بطريقة آلية كما أن المراقبين لا يفوتون أي إهمالٍ أو تراخٍ مهما يكن صغره.. استرجعت في ذهنها خطوات أيامها الأخيرة المحصورة بين دائرة العمل ومقابلاتها مع صديقها ديفيد واتصالاتها بزملائها، ولم تجد فيما استعاده عقلها المشوش خروجًا عن الروتين أو يُفسّر لها ما هي فيه الآن..

مشهود لها أنها منتظمة بنجاح في إصدار نشرات التعليمات الصحية الوقائية الأسبوعية التي يصدرها برج سيراكوزة.. ومشهود لها أنها تستوعب كل ما هو جديد بسرعة وبدقة.. وأنها تتميز بالابتكار عندما يتطلب الأمر.. علاقتها بديفيد معروفة من سنة كاملة، ولم يصلها تنبيه أو تلميح للبدء في قطعها بالتدريج! وهي لم تفكر بعد في تركه حتى يسألوها لماذا؟ ولم تسع لتغيير سكنها رغم ضيقه بسبب قربها المناسب من البرج!..

وجدت روزالين نفسها وهي تختار مقعدها داخل الطائرة، في حيرة كبيرة، فقرّرت أن تنسى الموضوع مؤقتًا..

المكتبة اليهودية الوطنية بمدينة دلاس..

كان يوسي بلوتسكريعيش في مدينة دلاس من قبل أن تستأجرها الجماعة اليهودية من الإدارة الأمريكية مقابل مبلغ من المال كان البيت الأبيض في حاجة ماسة إليه.. وكان على صلة وثيقة بالرئاسات الدينية بلاس فيجاس منذ هاجر يهود إسرائيل إليها واستقروا فيها..

بعد بعض سنوات أصبح هو القطب الأشهر في دلاس، ويقال إنه تزعم الدعوة إلى استئجارها بعدما بانّت حاجة الحكومة الفيدرالية الأمريكية إلى المال للخروج من بين أنياب أزمة مالية طاحنة تعرضت لها وكادت تأخذها إلى قاع الانهيار والتفكك..

سبب يوسي منذ استوعب نظرياً وعملياً أهمية ثورة المعلومات، على ضرورة اقتناء كل ما هو حديث في مجال التقنيات والتفوق في كل مهارة تمت بصلة لهذا الميدان..

على مستوى التخصص المهني الظاهر برع الرجل في مجال النشر الإلكتروني حتى أصبح واحداً من أعلامه على مستوى الولايات

المتحدة قاطبة، وفي ميدان المعلومات كان يغطي قدراته الفذة علي
اختراق أقوى التحصينات بالترويج لقدراته في مجال توفير سُبل الحماية
لبرامجها المتنوعة..

الحرص على اقتناء كل ما هو جديد تقنيًا والتميز في مجال النشر
مهنيًا، وفرا ليوسي الفرص العديدة لكي ينمي اهتماماته بالتراث
اليهودي بعد تفكُّك دولة إسرائيل واضطرار من بقي من سكانها اليهود
للهجرة إلى مدينة لاس فيجاس التي أصبحت عاصمتهم الدينية ولو
بشكلٍ مؤقت كما يجزم هو دائمًا ضمن جلساته شديدة الخصوصية..

لذلك كان يوسي دائمًا ما يحسن اختيار المتحدثين من ضيوفه الذين
يحرص من خلالها على تأكيد حتمية عودة ”الشعب اليهودي“ إلى
أرضه التلمودية مهما يَطُل بهم الزمن في منفاهم الأمريكي، كما يحلو له
أن يصف حالتهم في مدينة لاس فيجاس..

بعد أن توثقت صلة يوسي بالمعبد الكبير في لاس فيجاس وأصبح
تقريبًا مندوبه الدائم في مدينة دلاس، وسَّع من نشاط مكتبته حجمًا
وتأثيرًا وزاد من مساحتها وأضفى على عمارتها ما يناسب احتياجات
الترددين عليها والمتواصلين معها من تقنيات ووسائل اتصال لحظية،
ووفر لها إمكانات التآخي مع غيرها من مراكز المعلومات حتى
أصبحت أكبر مخزن للمعلومات التي يحتاج إليها أبناء الدين اليهودي في
كل ما يتعلق بماضيهم وحياتهم اليومية..

ساهَمَ التوسُّع الذي تحقَّق على يدي يوسي وعائلته في تعريف
غالبية الشعب اليهودي - في المنفى الأمريكي - بنشاطات مؤسسته، مما

جعله يقترح تحويلها إلى منارة تجمع بين اليهود جميعا بلا استثناء خاصة في المناسبات الدينية..

رَحَّب الحاخام الأكبر بالفكرة، وبدأ صاحبُنا في تنويع نشاطات المكتبة بحيث تنفتح على كل الشرائح التي تمثل المجتمع اليهودي في مدينة دلاس.. لم يعد مقياس المشاركة مدى صهيونية الشخص اليهودي فقط، بل اتَّسع المجال أمام الجميع بمن فيهم مَنْ كانوا يُهاجمون بسبب إنكارهم لفكرة الدولة اليهودية ورفضهم لدعاوى نقاء الشعب اليهودي، وكذلك الذين زادت قناعتهم بمزايا الاندماج في المجتمع الذي يعيشون فيه..

هذا التحول الذي رَحَّب به الغالبية، لم يسقط عن النخبة المنتقاة من اليهود ذوي الفكر الصهيوني حقَّها في الاحتفاظ بالنمط التقليدي الذي يُميِّز لقاءاتهم ونشاطاتهم التي تعكس اهتمامات تدور حول الأرض التوراتية وأورشليم وكيف يُعاد بناء دولة اليهود؟..

لم يكن أهم ما يميز يومي بلوتسكر ويقربه من قلب وفكر الحاخام الأكبر مكتبة اليهود الوطنية التي تحوَّلت إلى إشعاع لا تخطئه عين ولا نشاطاته الثقافية والاجتماعية التي يلتفُّ اليهود بكل شرائحهم حولها، لكن حماسه التي لا يفتر بحثا عن الوثائق والتقارير والبيانات والدراسات اليهودية التي ضاعت قبل سنوات من بداية تفكك دولة إسرائيل، بالإضافة إلى قدرته على جمع المال اللازم للحصول على نسخها الأصلية..

وبعد أن أضيف إلى هذه الميزة قدرة فطرية على تخزين المعلومات بطريقة غاية في البدائية لم تصل إليها يد الحكومة العالمية حتى اليوم،

تحول - يوسي بلوتسك - عند الرئاسة الدينية اليهودية في لاس فيجاس إلى نموذج لليهودي المتدين الممسك بمفردات العصر القادر على أن يوظفها لخدمة احتياجات مجتمعه الحالية والمستقبلية..

كان صاحبنا في ذاك الصباح منهمكاً في توجيه اثنين من مساعديه الشباب إلى كيفية حفظ عدد من الوثائق اليهودية شديدة الأهمية بأسلوبه الذي اشتهر به، عندما سمع قناة التواصل مع المعبد الكبير في لاس فيجاس تفتح ويطلُّ منها وجه أفي مساعد الخاخام الأكبر الذي بادَرَه بِإلقاء التحية..

ردَّ التحية وهو يضع سماعات الإنصات الفردي على أذنيه..

أشار يوسي بيده إلى الشابين أن يتوقفا عن الحفظ، بينما هو يستمع بعمق إلى صديقه وهو يقول له إن مكتب الخبر الأعظم تلقى رسالة من الحكومة العالمية تُخْطِرُه بأنها قررت إقامة احتفال طوال يوم ٣١ ديسمبر وصباح الأول من يناير في مدينة أورشليم بمناسبة بدايات الستين المسيحية والإسلامية وعدد من سنوات معتنقي الديانات الأرضية خلال نفس الشهر.. ولما سأل: وما دخل الشعب اليهودي الذي تبدأ سنته الجديدة في شهر سبتمبر بهذه الاحتفالات، قال أفي ليس مهماً أن تكون بداية السنة في سبتمبر أو في ديسمبر، المهم استغلال الفرصة التي ستتيح لعدة آلاف من اليهود زيارة مدينتهم المقدسة..

استوعب يوسي الفكرة لما عرف من أفي أن الدعوة وجهت لمعتنقي الديانة اليهودية أيضاً للمشاركة في الاحتفالات، وأن الخاخام الأكبر بارك الفكرة.. ولهذا السبب يكلفه باستطلاع رأي أفراد الطائفة في دلاس حيالها..

سيراكوزه..

في مكتبه على بعد أقل من ٧٠٠ ميل من مطار روما كان ديفيد يبدو لمن يراه أنه مستغرق تمامًا في عمله اليومي المعتاد بذهن صافٍ، ولكنه لم يكن كذلك..

كان يدير عمله الروتيني بنصف تفرغ، أما النصف الآخر فكان مشغولاً بما سمعه من روزالين هذا الصباح..
الآن وبعد أن ذهب عنه توتره إلى حد ما، بدأ يفكر بهدوء..

عصبيته معها كشفت الستار عن أنانيته، في حين هي لم تتركه مساء أمس إلا بعد أن رتبت معه كل ما يتعلق بأمرية عيد ميلاده، اعترف أنه لو كان في مكانها لما استطاع التماسك مثلما بدت وهي تُهاتفه من مطار روما..

اعترف أن سبب قلقه الحقيقي أنها لم تتصل به فور تلقيها تعليمات السفر من رئاستها!.. رجح أن رئاستها تعمّدت وضعها في هذا المأزق كجزء من التدريب..

سَمِعَ كثيرًا عن رئاسات لا يهتمُّها راحة العاملين لديها، روزالين بالنسبة لمن فكر في استدعائها ليست إلا أداة يمكن تحريكها آليًا وما عليها إلا الطاعة.. أما هو فيعرف صلابتها وقدرتها على التحمُّل، كما يعرف كم تحبُّه وتحرص على إرضائه!..

يتذكر الآن أنها وافقت بعد عناد كبير على دعوة صديقتين من قدامى معارفه اللتين كانتا على علاقة حميمة معه لحفل عيد ميلاده، عاندت بشدة في البداية لأنها تعرف كم تلاحقانه، ووافقت فقط عندما وعداها ألا يخضع لإغراء أيٍّ منهما، وزيادة في تأكيد صدق نيته قَبْلَ على مضضٍ أن تقطع علاقتها به إذا حنَّ بوعدِه..

يمرُّ على ذهنه أنها أيضًا اعترضت بشدة على إقامة الحفل في شقته حتى لا يكمل بقية ساعات الليل مضاجعًا واحدة منهما أو كليهما، فهما ليستا مضطرتين لمغادرة الشقة إلى حيث تقيمان ويمكنهما البقاء حتى نهار اليوم التالي، لأنهما في إجازة لمدة أسبوع استعدادًا للسفر لتولي مسئولية جديدة ضمن كتيبة مراقبة الحدود الدولية.. ووافقت فقط عندما وعداها بأن يذهب للمبيت معها في شقتها، إذا تحجَّجت كلتاها أو واحدة منهما لسبب أو لآخر لتمضية الليل في شقته بعد انصراف المدعوين..

في خضم هذا التفكير الذي تعاطف مرة مع روزالين وقسا عليها مرة.. تلقى ديفيد مكالمة عاجلة من صديقه جوهان ينبئُه أنه ربما يضطر لتغيير مكان قضاء إجازته رُبْع السَّنة إلى دلاس بدلًا من ميامي كما كان يخطط من قبل، بعد أن يطمئن على الفحوصات الأخيرة التي سيُجريها أبوه بمستشفى هوستن..

على عكس تجبُّطه حيال سفر صاحبتَه الاضطرابي، خنَّ ديفيد
بيسر (بسبب صداقتها الممتدة طويلاً) سبب تغيير صديقه لمكان قضاء
إجازته وبين ملف مجسم الهيكل الذي أشار عليه باستنساخه، لأنه
يعرف عن يقين أن رأي والده في هذا الخصوص له وزن كبير عنده..
كان يودُّ أن يستفهم من صاحبه بطريق غير مباشر عن أهمية الملف،
لكن مزاجه لم يكن مُواتياً في ذاك اليوم..

ابتعد ديفيد بتفكيره بقية النهار عن روزالين..

فبعد مكالمه صديقه التي دفعته للتفكير في الملف المُستنسخ وكيف
سيحصل على وسيلة لإخفائه، هاتفه شقيقه التوأم ليهنَّه بعيد ميلادهما
ويبلغه أنه أجرى عملية نقل الدم الثانية بنجاح منذ بضعة أيام، وأنه
يتريَّض كل يوم حسب الجدول الموضوع له..

أسعدهُ حديثه مع شقيقه، وأعادته للتفكير مرةً أخرى في أمسية عيد
ميلاده التي ستحلُّ بعد أربع ساعاتٍ من الآن..

اتصل بصاحبتيه في شقتهم، وشرح لهما باقتضابٍ اضطراب روزالين
للسفر إلى باريس، وسألها: هل في إمكانهما أن تعاونا في استكمال
ترتيبات الحفل؟..

وعدتا بتنفيذ كل ما طلبه منهما.. وتعهدتا بمهاافته إذا تعرضتا لأي
مصاعب..

لامس الحديد على خلوه من معاني الغرام والهيام بؤرة هوى
المرأتين.. لم تهتم أيُّ منهما كثيراً بالتدقيق في معرفة أسباب اضطراب
غريمتها للسفر، لدرجة أنها نسيتا التهوين عليه.. حرصتا فقط على
معرفة المطلوب منها على وجه الدقة..

شقة مشيجان وسيندي..

لم تصدق مشيجان ولا سيندي في أول الأمر ما سمعته كل منهما..

تعانقتا بعد انتهاء المكالمة في صخبٍ وفرحٍ بالغين..

يجمع بين مشيجان مولار وسيندي ماير المتعاقدين للعمل مع
كتيبة مراقبة الحدود أن كليهما تعدُّ مثلاً صائباً للجمال الشرس.. سواء
بمقياس جمال الوجه وملاحه التي تُميزها عينان لونتها زُرقة السماء يحيط
بهما شعرٌ في صفرة حقول قمح سهول الدانوب أو مقياس الجسم
الرشيق ناعم الملمس الناطق بكل معاني الإثارة المقتحمة، أو بمقياس
العلاقات الحميمة التي لا يتعبان من ممارستها ويتفننان في أدائها..

أقصى ما كانت كل منهما تخطط له قبل حديث معشوقهما القديم هو
أن تستثمر كل منهما وجودها في حفل عيد ميلاده للفوز بواحد من
ضيوفه لتقضي بقية الليل معه، للحصول على حدٍّ أدنى من المتعة التي
تفتقدتها بسبب سفر صاحبها بعيداً عنها في رحلة بحرية ما زال باقياً على
نهايتها ثلاثة أيام..

بعد أن كانتا تجلسان في استرخاء تشذبان أظفار أيديهما وأقدامهما
وتَصْبُغُ أصابعها بعدد متناسق من الألوان، وهما تتابعان بلا مبالة
برامج الموسيقى والرقص والغناء المصورة حتى يحين موعد ذهابهما إلى
شقة ديفيد كضيفتين مثل غيرهما من الضيوف.. هاهما تتحولان بلا
جهد ولا ترتيب إلى أهم شخصيتين بينما منافستهما التي كانت تستعد
للتمتع بكل مباحج الليلة وحدها! تببت بعيدة عنهما بمئات الأميال..
بانت ملامح النشوة في عيونهما، فمن المؤكد الآن أنهما ستفوزان
بديفيد في نهاية السهرة..

تساءلت كل منهما..

هل هي مصادفة أن تسافر في نفس يوم ميلاد حبيب القلب؟ ألم
يكن في مقدروها أن تؤجل السفر يوماً واحداً؟..
أم أنها تشاجرت معه وتمنى لها رحلة ممتعة كما سبق له أن تمنى
لها؟..

قررتا التوقف عن تقصي حقيقة الأمر، ما دام ديفيد سيكون لهما بلا
حدود بعد انصراف الجميع.. وربما قبل أن يبدؤوا في الحضور..
جلستا متجاورتين لمراجعة ما أملاه عليهما ديفيد..

كانت مشيجان مولار وسيندي ماير من قدامى المتعاقديات مع
كثيرة مراقبة الحدود العاملة حول البحر المتوسط، وفي العامين الأخيرين
تركز نشاطهما حول نقطة المراقبة القائمة عند رأس بيسارو في أقصى
الجنوب الشرقي لجزيرة صقلية، والتي تبعد عن برج سيراكوزا عشرات
الأميال فقط..

تعرفت مشيجان في بداية عملها بهذه النقطة إلى ديفيد عندما كان يتمشى على شاطئ البحر صباح يوم حار ورطب، وتوطدت العلاقة بينهما عدة أشهر.. ثم عرّفته إلى صديقتها سيندي واتفقتا على اقتسامه بينهما دون طمع أو غيره..

لكن الأمر لم يستمر طويلاً على هذا المنوال، فبين الحين والآخر تدبّ بينهما المشاحنات الخفية مرةً والعلنية مرات على إثر اتهام إحداها للآخرى بأنها جارت على نصيبها من الحبيب المشترك.. أو لأنها لم تتركه لها الوقت الكافي الذي تستحقه.. أو لأن تلك تسللت إليه بعد أن تركته هذه!..

ديفيد كان هو المتضرر الأكبر من تداعي الضديات التي لا تهدأ بين الغريمتين، فكلّ منهما تتربص بالآخرى حتى لا تقيم علاقة منفردة معه.. وعندما تتصالحان لا يدوم صفوهما طويلاً، ولما تكرر فشله في إقامة سلام دائم بينهما أضمر في نفسه أن يتخلّص منهما معاً.. لم يطل انتظاره..

دبّ خصام جديد بين المرأتين قرر على أثره أن يهمل شأنهما.. صمد بضع ليالٍ في وجه إغراءات كل منهما التي كانت تبذلها بعيداً عن مسامع الأخرى، متمسكاً بعناده رغم حاجته لواحدة منهما على الأقل..

ولما عادت المياه لمجاريها وحاولتا الإتفاق معه على لقاءٍ مُتجدد، اقترح عليهما أن تقبلا أولاً دعوته للقيام برحلة بحرية للترويح عن النفس لمدة خمسة أيام على ظهر سفينة ستقوم بعد يوم واحد من مرفأ رأس بيسارو متجهة إلى جزيرتي سردينيا وكورسيكا، لعلهما تتفقا على وضع حدٍّ للشجار الدائم بينهما والذي يفسد علاقته الحميمية بهما..

في اليوم التالي تقابل ثلاثتهم على ظهر السفينة.. بدوا مستبشرين وفرحين.. تبادلوا أحاديث دافئة وهم يرتبون لثقلاتهم عند كل محطة من المحطات المائية التي سترسو فيها السفينة عند موانئ الجزيرتين..

قبل أن يدق جرس الإبحار دقته الأخيرة، سمع ديفيد نداءً يقول إن الكابتن يطلبه في كابينة القيادة.. تعجّب هو وصاحبته للأمر.. ولما استفسر عن الطريق، تطوع واحد من ضباط الخدمة بأن يرافقه..

لم يرجع ديفيد إلى صاحبتيه حتى بعد مرور نصف ساعة على ترك السفينة للشاطئ وانحرافها شمالاً في اتجاه الطرف الجنوبي لجزيرة سردينيا.. تمشيتا قلقتين على السطح، وقبل أن تقررا خطوتها التالية جاءهما الضابط الذي اصطحب ديفيد إلى كابينة القبطان وأعطاهما ورقة مطوية..

كانت رسالة من سطر واحد.. «أتمنى لكما نزهة بحرية جميلة وممتعة»..

فعلها وتركها لمدة خمسة أيام معاً، وبدونه..

لما رجعتا بعد انتهاء الرحلة كانت كل منهما قد ارتبطت بضابط من العاملين بالسفينة.. وكان هو قد تعرّف إلى روزالين وبدأ ينسج معها علاقة جديدة!..

وبقيت وشائج التواصل بين الجميع في إطارها العادي.. روزالين تتوجّس من ظهورهما وتتحوط له، وتتعمد الآخرين التحرش بالحبيب القديم كلما سنحت لهما الظروف..

برج نيوأورليانز – جنوب الولايات المتحدة

أصاب ديفيد حين ربط في ذهنه بين ما سمعه من صاحبه حول احتمال تعديل مكان إجازته من ميامي إلى دلاس وبين ملف الهيكل الذي لا بد أن جوهان يدرك أهميته.. ولو كان قد عرف منه أنه سيستضيف والده في بيته بعد أن ينتهي من متابعته العلاجية في مركز القلب، ل زاد يقينه بتلك الأهمية..

هاري نداف – والد جوهان – يهودي أمريكي وُلِدَ وعاش في دلاس منذ السنوات الأولى للقرن الحادي والعشرين، وفيها كوّن أسرته وأسّس مشاريع النشر وتقنيات المعلومات، ومن داخلها يعمل بكل طاقته على ترسيخ الإيمان بعودة اليهود مرة أخرى وأخيرة إلى أرض إسرائيل التوراتية التي هاجروا مضطرين بعيداً عنها..

كانت زيارة هاري والد جوهان لمركز دراسات أمراض القلب المتقدمة في مستشفى هوستن محددة سلفاً منذ أوائل العام، لذلك قرر ابنه أن يتتبع الفرصة ويدعوه لزيارته ومشاهدة مباراة البيس بول

النهائية، لكي يحكي له عن ملف هيكمل سليمان الثالث الذي عرف بمحتوياته، ويعرض عليه ما يفكر فيه..

معرفة جوهان بعمق إيمان والده وتسامي عاطفته الجياشة تجاه الشعب اليهودي، تجعله على ثقة تامة أنه سيُسارع بسرده ما سيسمعه منه على مسمع صديقة بوسي بلتسكر الذي بدوره سينقله حرفياً إلى الزعامة الدينية في لاس فيجاس..

نيو أورليانز مدينة ساحلية تحيط بها مياه خليج المكسيك من الجنوب، وتمتدُّ رُقعته على جانبي نهر الميسيسيبي شمالاً إلى مسافة ١٧٠ كيلومتراً تقريباً، لذلك كانت تعدُّ طوال تاريخها من أهم موانئ الجنوب الأمريكي التي لها اتصال قوي بداخل الولايات وخارجها..

إلى جانب أهميتها مينائها، أكسبها موقعها المنفتح على الخليج، ومن بعده البحر الكاريبي والجزء الشمالي من المحيط الأطلنطي أهمية مناخية خاصة عند الحكومة العالمية.. بسبب تاريخها الطويل مع الأعاصير التي أشهرها كاترينا وريتا، وعدم تعرضها لسقوط الثلوج إلا فيما ندر.. تمتعها بدرجة حرارة على مدار العام تتراوح بين ٨ - ٣٣ درجة مئوية..

إلى جانب ذلك، اشتهرت المدينة في الماضي بتعدد ثقافتها ولغاتها وُثرائها المعماري وموسيقاها التي كانت تجمع بين الفن الصاخب كموسيقى الجاز والرتم الحزين كموسيقى الريف..

أما اليوم فتعيش في حدود ما بقي لها مقومات بعد أن دُمّرت الأعاصير المتتالية الكثير من مقوماتها ودفعت بالآلاف من سكانها لهجرتها إلى غير رجعة في دورات متعاقبة..

انكماش نيو أورليانز، عودها أن تنتهز المناسبات التي تُقام على أرضها لكي تجعل منها احتفالية تبهج أيامها إلى أن يحين موعد المناسبة التالية..

وهكذا كان حالها اليوم بعد انتهاء المباراة النهائية لدوري فرق البيس بول..

احتفالات في كل مكان وصخب ممتد هنا وهناك..

حكى جوهان لوالده بعد خروجهما من الملعب الصاحب بشيء من التركيز قصة ملف هيكسل سليمان الذي وقع بين يدي صديقه ديفيد بطريق المصادفة، وكيف أنه أقنعه باستنساخه خلصة، ولما استفسر هاري من ابنه عما يبتغيه من وراء ذلك.. وعده أن يواصل الحديث بينما هما يتمشيان فوق الممشى البحري المواجه لبناية البرج حيث يعمل ويقيم.. سار هاري وولده فوق رمال شاطئ بنسكولا كأبي اثنين يتنزهان للترويح عن النفس قبل العودة إلى مسكنيهما.. انضما إلى غيرهما، البعض يترىض بانسجام ومودة والبعض يتعاتب بعنف أو برقة.. والصغار يتقافزون هنا وهناك..

اختار جوهان لكي يقنع والده بما يدور في رأسه من أفكار.. أن ينضم - بعد عودته إلى دلاس - إلى مجموعة الزائرين اليهود الذين يستعدون للسفر لمدينة أورشليم لحضور الاحتفالات التي ستقام بها عند نهاية العام.. انتابت الوالد عوامل دهشة! وسأل: ما العلاقة بين ملف هيكسل سليمان وزيارة المدينة المقدسة؟ أشار جوهان أن يواصل السير..

تابع هاري المشي عندما قرأ في عيني ابنه التصميم ..

بعد عدة أمتار توقفا ثانية أمام صخرة هائلة الحجم مُحاطة بالرمال
الناعمة من كل جهة، تقع في مرمى دفقات مياه الخليج التي تلاطمها
بشكل متواصل ..

قال الابن بصوت خفيض وهو يشير ناحية الصخرة بيد وباليَد
الأخرى إلى الأفق حيث تتلاقى المياه مع سقف السماء المائل .. هذه
الصخرة لم تؤثر فيها أعتى الأعاصير التي مرت بهذا الساحل منذ
عشرات السنين، ليس هناك من سبيل أمام هيئة صيانة الشواطئ
للخلاص منها إلا أن تنسفها، إزالتها ستوفر الراحة لكل مرتادي
الشاطئ .. بعد اختفائها تمامًا سيارس كل الناس حياتهم بلا عقبات، ثم
أضاف وهو ينظر في عينيه مبتسمًا ”أيضًا الصخرة الأخرى البعيدة لو
نسفناها من مكانها، سنحقق سعادة بالغة لعدد كبير من محبيننا“ ..

انتقلت المعاني التي حملها وميض عيني الابن إلى روح أبيه
ووجدانه، فاستوعب بعقله كل كلمة همس بها ابنه، ولكنه لم يعلق ..

سار جوهان إلى جانب والده صامتًا، هو على يقين أنه يفكر فيما
سمعه منه ..

كان يعرف أن أباه يميل بحكم السن والتجربة إلى إمعان الفكر في
كل ما يقال له أو يسمعه، لذلك أبطأ من خطاه ليمنحه فرصة أوسع
لاسترجاع ما أفضى به إليه، كان هو أيضًا يرتب في عقله الأفكار التي
سيستكمل بها الحوار الذي بدأه منذ لحظات ..

جلس الرجلان بعد عدة أمتار فوق مقاعد الشاطئ الحجرية
يفكران في جدوى إحياء مشروع إقامة الهيكل اليهودي الثالث، كُلٌّ من
زاوية مختلفة ولكنها ليست بعيدة عن الأخرى..

الأب البالغ من العمر خمسة وثمانين عامًا والذي تربَّى على
الأيدولوجية اليهودية اليمينية.. يرى أن تجسيد البناء سيُمثل عودة
مُكلّلة بالنصر للفكر التوراتي المتأصل الذي فقد مع نهاية العقد الثاني
من القرن تأثيره وقوته داخل إسرائيل بسبب نزاعات أقطابه المتواصلة
من ناحية وخضوعهم بل استسلامهم للأراء السياسية السلمية من
ناحية أخرى..

أما الابن الذي اعتنق في بداية نضجه العقائدي الأفكار التي تمزج
بعمق بين الكتابين المقدسين القديم والجديد كوحدة متجانسة، والذي
تحوّل بسبب صلاته القوية بمدير مكتبة اللاهوت الكبرى في دلاس
وابنته (تزوج منها فيما بعد) إلى واحد من أنشط المنتمين إلى النخبة
اليهودية التي تعمل لاستعادة مجد الدولة اليهودية الصهيونية، فيرى في
إقامة الهيكل تجسيدًا لا ريب فيه لحلم الزعامة اليهودية العالمية الذي
تأخر تحقيقه مئات السنين..

توقّف كلاهما في تفكيره عند نقطة محددة..

كان كل منهما يقول لنفسه: يجب قبل التفكير في استخدام الملف
المستنسخ في بناء الهيكل، البحث أولاً في كيفية إزالة عدد من الآثار
الإسلامية والمسيحية القائمة في قلب مدينة أورشليم، والتي كانت
السبب في تعطيل البناء طوال الفترة الممتدة من عام ١٩٦٧ إلى عام
٢٠٣٥..

تلك هي المشكلة الكبرى التي لا بد لها من حلّ!..

الأب يرى أن «الكيفية التدريجية» قادرة على إزالة «المعوقات»
بتدبير محكم يستغل الهدوء، وتبني «الهيكل» أيضًا بتخطيط مُتَرَوِّق قائم
على التآني والحذر! أما الابن فيراها «فورية» تهدم وتبني بضربة واحدة..
الأب يميل إلى الترتيب والإعداد بحنكة وتستر، والابن يؤمن
بفرض الأمر الواقع حتى على الحكومة العالمية..

الأب يفضل التفاهم والتفاوض مع بكين حتى لا ينقلها أسلوب
تخلص اليهود من ما تسميه تراثًا إنسانيًا من مربع التراضي معها إلى
واقعية التصادم معهم.. أما الابن فيتوقع أن يكون اهتمام مقر حكومة
العالم بحادث تدمير الآثار الإسلامية والمسيحية في أورشليم لحظيًا،
ويتوقع أن يكون اعتراضها على بناء الهيكل لحظيًا أيضًا!..

هذا التعارض في الأفكار لم يمنع اتفاقهما على أن يطرح هاري -
فور عودته - الخطوط العريضة للمسألة على بلوتسكر والد زوجة ابنه..

صرح جوهان لوالده وهما يسيران في النفق القائم تحت الشارع
الذي يفصل بين الممشى البحري وبنية البرج، أنه سيواصل الاستعداد
للقيام هو وزوجته بإجازتهما رُبع السنوية في ميامي كما كان يخطط.. لكن
إذا بلغته أنباء تفيد بتوَعك صحته.. ففي هذه الحالة سيفضل تمضية
إجازته في دلاس للاطمئنان عليه..

استوعب هاري الفكرة، شيء غير ملحوظ من التقصير في رعايته
الصحية لنفسه يكفي لأن يكون سببًا يتكئ عليه ابنه لتغيير مكان
إجازته..

شرح جوهان لوالده أن هذا التنسيق هو الذي سيُتيح لهما معاً أن يناقشا الأمر مع بلوتسكير الذي له باع طويل في هذه المسألة خاصة وأنه ملّم بخباياها التوراتية على وجه الخصوص..

تربى جوهان في منزل والديه بمدينة دلاس تربية أمريكية محافظة، متمسك إلى أقصى حدٍّ بالتعاليم الدينية والحرص على أداء طقوسها من ناحية، وتلتزم بأفكار السياسة اليمينية التي تُعلي من شأن الفرد وحياته من ناحيةٍ أخرى..

ولما تعرّف إلى زارا بلوتسكير في مكتبة والدها قبل أن ينهي دراسته الثانوية، أعجبه إلى جانب جمالها طريقتها البسيطة في التحدث عن مبادئ الدينين اليهودي والمسيحي، ولما رأت هي استعداداه لاعتناق أفكار والدها التي تجمع بين السياسة والدين زودته بمعارف أكثر، وبعد أن وَقَعَ في هواها تفتّحت أمامه سُبلُ شرح وتحليل الجوانب المشتركة التي تجمع بين الكتابين المقدسين.. التوراة والإنجيل..

أصبح جوهان بعد فترة وجيزة من رواد صالون والد زارا الذي يعقده في بيته مساء كل سبت ويحاضر فيه واحد من مساعدي الخاخام الأكبر..

ابتكر يوسي بلوتسكير فكرة هذا الصالون ليحقق هدفين.. أحدهما مُعلنٌ يعبر عن تجمُّع عدد من اليهود والمسيحيين في إطار من السلام والمحبة لتبادل وجهات النظر الاجتماعية والأسرية فيما يتعرضون له من مشاكل ذات صلة وثيقة بأحيائهم السكنية واحتياجات مشاريعها التنموية والخدمية، أما الآخر فيخطط في الخفاء لإحياء التحالف

اليهودي المسيحي “النخبوي” الذي تبلورت معالمه قبل نهايات القرن العشرين، ولكنه عجز عن قيادة العالم لأسباب كثيرة..

نصف اللقاء الأول الأسبوعي يشارك فيه عدد كبير من الجيران والأصدقاء ويتخلله تبادل للأخبار ورواية النكات وربما التعليقات السياسية..

أما نصفه الثاني الذي يقتصر على عدد محدود من المريدين الذين يتخيرهم مُدبِّر اللقاءات بعناية فينصرف كلية إلى المسائل التي تقوي الأهداف الداعمة للوحدة الفكرية بين أهل التوراة وأهل الإنجيل من أجل غد مشترك، هكذا نشأ تجمُّع النخبة اليهودية الداعمة لبرنامج الاستعداد لقيادة العالم كما يقول بلوتسسكر..

أعجب جوهان بجمال زارا ابنة بلوتسسكر وشده إلیها ثقُّتها بنفسها وثقافتها التي تسبق سنّها وإقبالها على الدنيا.. نشأ بينهما إعجاب تطوّر إلى صداقة عميقة ثم إلى حبٍّ حميم.. وبرغم أن الدراسة الجامعية فرّقت بينهما حيث مالت هي لدراسة تكنولوجيا زراعة الجينات في جامعة أوكلاهوما واتجه هو إلى التخصص في تقنيات الأفلاك بشمال ألمانيا، فقد تزوجا فور انتهاء دراستهما التخصصية عام ٢٠٨٢..

تلقى جوهان من والده بعد يوم من مغادرته نيو أوليانز رسالة تقول: إنه تواصل مع عيادة أمراض القلب بدلاس، وأنهم سيضعونه لمدة ٢٤ ساعة تحت الملاحظة لمتابعة التغيرات التي أحدثتها الشريحة الجديدة التي ثبَّتْها له فريقُ أطباء مركز القلب بمستشفى مدينة هوستن..

كان جوهان على ثقةٍ أن أباه سيتعاون معه، ومع ذلك ترك لزوجته أن تُنهي معظم الترتيبات التي يتطلبها سفرهما إلى شواطئ مدينة ميامي..

كانت زارا تُضيّ ساعاتٍ طوال أمام شاشة الكمبيوتر البلورية التي تنقلها إلى مجسمات القرى والمنتجعات للمفاضلة بين مزايا وعيوب الإقامة طوال أيام الإجازة في واحدة منها، وبين متعة التنقل بين أكثر من واحدة بهدف السياحة بين أكثر من شاطئ..

الطائرة المتجهة إلى روما..

جلست روزالين في مقعدها بالطائرة إلى جانب النافذة التي تطلُّ
على مباني المطار..

عندما شاهدت الأرض تتحرك تحت عجلات الطائرة، وجدت
نفسها تسترجع ما مرَّ بها منذ نحو عشر ساعات فقط..

فكرت كثيرًا بعد أن تلقت الرسالة - على أثر عودتها من شقة ديفيد
- في مبررات استدعائها المفاجئ.. دفعتها الحيرة إلى البحث عن كيفية
إشراك ديفيد معها في التفكير، ليخفف عنها.. هل تهاقنه خلصة؟ أم
تجازف بالذهاب إليه؟..

جزت على أسنانها غيظًا، ليس في مقدورها القيام بهذه ولا بتلك..
لقد حذروها!..

لا بد أن يكون هناك حلٌّ آخر؟..

لا تتخيل إمكانية ان تسافر دون أن تراه وتودِّعه، وتستدفع

بحنانِه..

ماذا لو خرجت مبكرة بعض الشيء لمقابلته قبل موعد التحليق
بسيارتها في اتجاه مطار روما، سيكون الأمر طبيعياً.. حبيبان يودعُ
أحدهما الآخر.. دقيقة واحدة ستكون كافية لإطلاعه على ما جرى،
والاعتذار عما سترتب على غيابها عن حفل عيد ميلاده من مُنغصات..
بالتأكيد سيخفف عنها الوداع الكثير من توترها الذي لا تعرف
متى ينتهي.. قبل أن تسترسل في تصوراتها انتبهت على صوت تليفونها
يخطرها رنينه بوصول رسالة مهمة على شاشة الكومبيوتر الشخصي..
حملت في الشاشة بتوجُّسٍ..

شدّدت عليها الرسالة أن تتأكد من شحن بطاريات السيارة بما
يكفي لقطع المسافة من سيراكوزا إلى روما.. وأن تُراجع تعليمات
الطيران بدقة.. وأن تكون مُستعدة للإقلاع بسيارتها خلال خمسٍ
وأربعين دقيقة عن طريق الأنبوب الهوائي الذي أُختير لها بالقرب من
البنية التي تقيم فيها!..

أُسقطَ في يدها.. لا وداع ولا إعتذار..

بدلاً من التفكير في ديفيد، بدأت تنتبه إلى تضاعفِ حِدَّةِ
انفعالاتها..

المطلوب منها الآن وفوراً أن تسيطر على الموقف حتى لا تؤثر
حالتها النفسية في قدرتها على الاستماع لتعليمات تطير السيارة! ولن
يتحقق ذلك إلا بترك عواطفها جانِباً..

انتهت روزالين من حَمَّامها بسرعة.. ارتدت بدلة تناسب المهمة التي هي مُقْبِلَة عليها.. نقرت علي شاشة أحوال الطقس المثبتة داخل شقتها.. ضغطت على مؤشِّر درجات الحرارة، عرفت أنها تزيد في روما عن مثيلتها في سيراكوزا بمقدار ثلاث درجات.. ضبطت مؤشرات نسيج البدلة بحيث تزداد درجة حرارتها المختزنة تلقائيًا خلال سيرها في ممشى مطار روما الذي سيقودها إلى الطائرة المتجهة إلى باريس، بحيث تتواءم مع الطقس المُشمس هناك..
هَذَا الحَمَّام الساخن من توتُّرها..

شعرت براحة عندما مالت إلى التخفيف من محاسبة نفسها..

لا يجرؤ ديفيد على اتهامها بالتخلي عنه في مناسبة الاحتفال بعيد ميلاده، فقد أمضت شطراً من الليل تضع معه اللمسات الأخيرة! هو بالذات يعرف كم ستتأذى بسبب رحلة عمل لا يد لها فيها، فحتى ساعات قليلة مضت كانت تُمني نفسها بليلة هائجة وصاخبة تشبعها نفسياً وجنسياً.. كما أنها لا تتحمل وزر عدم إبلاغه بأمر التكليف الذي حطَّ عليها بلا مقدمات، لأن التزامها الوظيفي بالتعليقات له أولوية على أي شيء آخر في حياتها..

ارتاحت نفسياً أكثر عندما تذكرت أنها كانت تفكر في كيفية الإنفراد به ولو دقيقة واحدة، لكنهم أبوا عليها أن تلقاه..

أزاحت روزلين بقوة إرادة كل الأفكار عن رأسها.. وسارعت بفتح حقيبة ملابسها.. وضعت فيها بنطلوناً وبلوزة وغياراً داخلياً إلى جانب عُلبَة مكياجها وبطاقتها الصحية وكارت البنك، ولم تنسَ

أيقونتها!.. ضبطت وهي تعلق الكمبيوتر الشخصي في رقبتها نظام الإضاءة والتدفئة والتهوية بالشقة آلياً عند مستوى درجاته الدنيا.. عادت للتفكير في ديفيد وهي تأخذ مكانها خلف مقود السيارة، لكنها نَحَتْه بسرعة..

بدأت بقياس مؤشر شحن البطارية، ثم قامت بنقل تعليمات الطيران على شريحة محرك السيارة وأجهزتها المرتبطة بالإقلاع.. وحددت التوقيت الذي تُشير إليه ساعة السيارة مع توقيت الكمبيوتر والساعة التي حول معصمها.. وضعت السماعتين على أذنيها ثم فتحت قناة الاتصال المباشرة مع برج النقل الجوي بمدينة نابولي..

استمعت إلى التعليمات.. ضغطت على الأزرار كما لقنوها.. مرت خمس ثوانٍ.. حركت اتجاه السيارة إلى خارج باحة الجراج..

تتذكر الآن - وهي في الطائرة - أنها عندما ربطت حزام السيارة المزدوج حول صدرها ووسطها، كان تركيزها منصرفاً تماماً عن ديفيد.. تحركت السيارة تلقائياً إلى بداية الأنبوب الهوائي.. سمعت الصوت الإرشادي يأتيها من برج مطار نابولي.. أعطت الأجهزة الإشارة أن تبدأ التشغيل.. خرج الجناحان من أعلى سقف السيارة.. انحدر مُفَرِّغ الهواء إلى مقدمة السيارة ونقلها إلى أقصى يمين الطريق، وتم تأمين بابي السيارة ومؤخرتها إلكترونياً..

مرت عشر ثوانٍ زادت خلالها سرعة دوران محرك السيارة.. بعدها انطلقت إلى الأمام مسافة ٥٠ مترًا بسرعة ٢٠٠ كيلو متر / ساعة ثم حلقت آلياً في الهواء حتى ارتفاع ألف قدم في اتجاه برج نابولي..

ظلت روزالين في حالة تركيز كامل حتى اعتدل جسم سيارتها في الجو، وبدأت تأخذ سرعة الطيران القصوى ٣٥٠ كيلومترًا / ساعة.. ثم خففت من استغراقها بعض الشيء بعدما جاءتها تعليمات سلطات مطار روما بنقل أجهزة القيادة إلى النظام الآلي، على أن تستعدّ هي لتحمل المسؤولية في غضون ١٢ دقيقة من الآن..

باريس عاصمة الرعاية الصحيّة..

لا حظت هيئة الرقابة على السكان، التي تتلقى على مدار الساعة مئات الآلاف من الرسائل المصورة التي تحصى على الغالبية العظمى من البشر أنفاسهم وتُسجَّل عليهم سلوكياتهم ضمن منظومة العمل والعلاقات التي تجمعهم، انفصامًا غير مُبرر بين ميكانيكية أداء ديفيد أوزويلد الجنسي عندما اختلي بصاحبته فوق أرض التراس وبين الأفكار التي كانت تدور في مُخيلته في نفس لحظة نشوته البالغة بمواقعة امرأته!..

بتوالي السنين بعد عام ٢٠٤٥، وزعت الحكومة العالمية مسئولية متابعة أحوال البشر بين الأجهزة الأمنية من ناحية والرعاية الصحية من ناحية أخرى.. بعد أن أكدت التقارير المتخصصة ودراسات الجدوى أن سياسات الفصل بين القطاعين، كانت هي السبب في تضاعف الكثير من المشكلات التي تعرضت لها المجتمعات البشرية، وأدت إلى تآكل سلطات الدولة القومية وتقليص نفوذها..

وفرت فلسفة متابعة البشر عن طريق هذين القطاعين للحكومات العالمية المتتالية مساحة كافية من الوقت لمحاصرة الأفكار الهدامة والقضاء عليها، ومنحتها القدرة على إفشال كل المحاولات التي فكر أصحابها في الخروج على قوالب تسيير شئونهم التي تزداد رُسوخًا يومًا بعد يوم..

هيئة الرقابة على السكان تتابع البشر أينما كانوا بكل الوسائل.. وتعرف عنهم كل ما يمر بهم في نهارهم وليلهم من أحداث، وما يُقدِّمون عليه من سلوكيات وردود أفعال لمحاصرة ما يدور في خلدِهم من أفكار، وتُخضع ما يصل إليها من معلومات ناطقة ومصورة للتحليل الذي يقيس تصرفاتهم وفق مؤشرات مستقرة ومُتَّفَقٍ عليها ومتجددة، حتى لا تفاجئ بتمردهم او ثورتهم عليها..

موظفو الهيئة يسترشدون في أدائهم الوظيفي بأنماط ونماذج لا مجال للشك فيها.. ووفقًا لفلسفتهم وقياساتهم، تعدُّ حالة ديفيد نادرة الحدوث!..

في مثل هذه الحالات «النادرة» تلزم الهيئة العاملين فيها بضرورة مُراجعة استنتاجاتهم الأولية أكثر من مرة، وتَفَرِّصُ عليهم عرضها على أكثر من وسيلة، وتُحْتَمُّ عليهم إذا ما وثقوا بصحة استنتاجاتهم بعد أخذ الاحتياطات كافة.. أن يُصعدوا ملاحظاتهم إلى المستوى الأعلى في التَّوَّ واللحظة، إذ ربما يكون وراء حالة الانفصام تلك “فكر هدام أو محاولة للخروج عن النمط السائد أو تدبير معادٍ يغطيه صاحبه بممارسات غرامية” هكذا تنصُّ لوائح العمل التي يسترشدون بها..

قام مسئول هيئة الرقابة - الذي يتابع ملفات ديفيد المصورة - بعد مراجعة النماذج التكرارية لنتائج ما توصل إليه أكثر من مرة، بتسجيل ملاحظاته على استمارة مُتَخَيِّلَةٌ مُعَدَّةٌ لذلك أرفقَ بها نسخة إلكترونية من ملف سلوكياته منذ أنهى دراسته الثانوية بمدينة بون بألمانيا، إلى لحظة تحرير النموذج واستيفاء ما به من ملاحظات..

الحالات النادرة التي يتم تصعيدها لنظام الرائد العام الإلكتروني لمراقبة سلوكيات البشر، تأخذ أولوية على ما عداها من حالات تتنوعُ فيها درجات الشكِّ ومستوياته..

اجتمع الفريق البحثي الذي تشكَّلَ على الفور لإبداء رأيه في حالة ديفيد، وقام بالتدقيق أولاً في الرسائل التي أثارَت الشكوك، ثم استعرض ملف سلوكياته.. وبعد مُراجعاتٍ عِدَّةٍ وتحليلاتٍ مقارنة، تأكد لديهم أن “ديفيد أوزولد يعاني حالة انفصام مجهولة الدوافع تتطلب البحث الفوري للتعرُّف إلى حقيقة أسبابها”..

عُرِضَت هذه الخلاصة على اللجنة العليا للسلوكيات..

اتفق أعضاء اللجنة على أن ديفيد ليس متهمًا - حتى اللحظة الراهنة - بشيءٍ محدد.. ربما يكون مضطربًا ذهنيًّا لسببٍ خفيٍّ، إذا عولج منه عاد إليه توازنه النفسي والحسي، وربما تمثل تصرفاته بداية متقدمة لحالة مرضية يمكن محاصرتها قبل أن تؤذيه بشكل ما.. أو يكون - وهذا هو الأخطر - في بداية الترتيب أو المشاركة في عملية تمرد فردية أو جماعية، لا ينفع معها إلا التعجيل بالإقصاء الجبري..

لذلك كان من الطبيعي أن يشتمل قرارهم على تعامل شخصي مباشر مع روزالين، رغم عدم وجود ما يُثيرُ المخاوف تجاهها..

أرادوا من ناحية قياس ما إذا كان لها تأثير ملموس على حالة الانفصال التي يتعرض لها ديفيد أم لا، ومدى توافر مؤشرات “حالة الانفصال” هذه عنده عندما يمارس الجنس مع أخرى من ناحية ثانية إن توفرت الفرصة..

بالنسبة لديفيد، أمروا أن ينقل مسار الرسائل التي تسجل عليه تحركاته ومعاملاته فوراً إلى فرق اللجنة العليا المتخصصة دون أن تُمرَّر على المستوى الأدنى، وأن يُكلف الفرع الذي يعمل لحساب الأمن المركزي في سيراكوزا برفع مستوى متابعته إلى اللونين: البرتقالي والأحمر..

غُلفت دعوة روزالين للحضور إلى باريس على وجه السرعة بضرورة المشاركة في دورة تدريبية أُعدَّت خصيصاً لمُعدي النشرات الصحية الجوية للتعرف إلى قدراتهم الفردية في مواجهة حالات الطوارئ باستخدام جيل جديد من أجهزة التنبؤ mmWave التي تستخدم موجات الإذاعة الطويلة..

ولكي يخضعوها لمخططهم أُخروا الاتصال بها إلى منتصف الليل.. قصدوا أن يسببوا لها حجماً مُقنَّناً من الاضطراب والتوتر عن طريق إزعاجها باتصالات متتابة.. رسموا لها خطواتها خلال ما بقي من ساعات الليل.. حذروها من عواقب إطلاع أحد على سفرها إلى روما ومنها إلى مدينة باريس، حتى زميلها الذي سيحل محلها أعفوها من

مسئولية إبلاغه بسفرها المفاجئ.. كثفوا لها المهام التحضيرية التي أُلقيت على عاتقها استعدادًا للطيران إلى روما خلال أربع ساعات ونصف..

تركوها بين اليقظة والنمام، وأخيرًا أبلغوها بتوقيت الموجة الهوائية التي ستدفعها في الفضاء قبل ٤٥ دقيقة من حاجتها إليها.. نجحوا في محاصرتها.. شعرت أنها مُطالبة بتنفيذ الكثير من المهام في زمن محدود..

للمت روزالين نفسها التي كانت تلهث وهي تتذكر ساعات الأمس عندما شاهدت مؤشرات بدء الهبوط تُضيء وسمعت بوضوح صوتًا يطلب إليها أن توقف فورًا النظام الآلي لتسيير السيارة الطائرة، لكي يبدأ العدُّ التنازلي لهبوطها في مطار روما..

أوقفت التسيير الآلي للسيارة الطائرة، وتولت هي القيادة وفق ما كان يصدر لها من تعليمات حتى هبطت في المكان المحدد لها عند مدخل جراج مطار روما..

سمعت صاحبتنا عبر قناة التواصل مع برج المراقبة الجوية من يهئها بسلامة الوصول ويطلب منها، بعد أن تؤمّن سيارتها بساحة الجراج، أن تستكمل طريقها في اتجاه البوابة المؤدية إلى داخل المطار لكي تتعرف إليها كاميرات المراقبة وموجات الأشعة الخفية ويُسمح لها بالعبور بعد فحص بصمة عينيها..

حددت علامات الممشى الضوئية التي وطّته قدما روزالين أن
سرعته ١٦ كيلومترًا في الساعة، ومن ثم سيكون الزمن الفاصل بين
نهاية الجراج وبوابة فحص المسافرين إلى باريس هو دقيقة ونصف..
قالت لنفسها وهي تضبط ساعة يدها على توقيت روما: إنها كافية لكي
تستعدّ للمجهول الذي ينتظرها..

شتوتجارت عاصمة صناعة المركبات..

بنت مدينة شتوتجارت الألمانية سمعتها على امتداد أكثر من قرن ونصف في مجال هندسة المحركات وفي ميدان صناعة السيارات بأنواعها كافة..

شعار «هنا يتلاقى العمل مع المستقبل» الذي رفعته وتفدته المدينة سنوات طوال بمنتهى الدقة، هو الذي مهّد لها الطريق لدى الحكومة العالمية الأولى لكي تُتوجّها عاصمة لصناعة وسائل النقل البرية.. وفيما بعد جعلتها خبراتها المتطورة في مجال تقنيات توليد الطاقة، إحدى المرجعيات المهمة التي يُعتمد عليها في إنتاج أحد أهم مصادرها غير المكلفة باستخدام قوة الرياح وحرارة الشمس لتوفير احتياجات التجمعات البشرية التي فقدت كل أو جزءاً مما كان لديها من مصادر قوة ومن بنية أساسية..

كان إيمانويل أوزولد شقيق ديفيد التوأم يعيش في تلك المدينة منذ انفصل عن والديه بعد زواجه وهو بعد في العشرين من عمره ..

قبل إصابته بمرض تضخم عضلة القلب المزمن كان مشاركاً له وزنه في مجال اختبار مركبات سباق السيارات العالمية التي تُصمَّمُها وتنتجها شركتا مارسيدس بنز وبي إم دبليو بالاشتراك مع شركة أديداس، والتي يقوم بها سائقون محترفون..

كان إيمانويل يبني آمالاً واسعة على ابنه الوحيد الذي برَّعَ في ميدان سباق السيارات منذ كانت سنُّ خمسة عشر عاماً.. لكن أحلامه تبخرت أمام عينيه عندما شاهده - قبل عامين - وهو يسقط ضحية واحد من اختباراتهما على أثر اشتعال النار في السيارة التي كان يقودُها بعد أن انقلبت به عدة مرات، بينما هو يُتابعُ قياسات الاختبار على شاشات الكومبيوتر مشلولاً بلا قدرة على التصرف..

بُدلت محاولات شتى لإنقاذ حياة الابن مرةً بعد إخماد حريق السيارة التي كان بداخلها.. ومرة بعد إخراجه منها.. ولكنه مات وهو في طريقة بالطائرة إلى مستشفى هيلبرن التخصصي..

في أعقاب الحادث، دخل إيمانويل في سلسلة متتالية من الاضطرابات النفسية والجسدية التي كانت تُسلمه لفترات إغماء طويلة انتهت به إلى التقاعد الإجباري.. وبعد بضعة أشهر سُمح له أن يقوم ببعض الأنشطة الخدمية الاجتماعية..

ظروف إيمانويل الصحية الصعبة هذه التي تضطره إلى متابعة عيادة العلاج الفضائي بشكل دوريٍّ لضبط شريحة مؤثر ضربات القلب، هي التي جعلته يستمع بلا حماسةٍ في أول الأمر إلى شقيقه ديفيد عندما اقترح عليه القيام بزيارة أورشليم..

لكن بعد بضعة أسابيع، وجد الفكرة تُلحَّ عليه دون إرادة منه..

لا حظ أن عقله الباطن يستسلم بعض الوقت لخفوت حماسته، ثم فجأة يزين له أنه ربما وجد في زيارة مدينة ديانات الرب المقدسة - بعد أن وَّحدتها الحكومة العالمية تحت راية السلام - تعميقًا للنزعة الدينية التي اقتحمت عليه حياته نتيجة وفاة ابنه أمام ناظريه دون أن يكون قادرًا على مدِّ يد النجاة له، وفي أحيان كثيرة كانت تُفْرِعه فكرة أن الفرصة التي يكاد يرفضها ربما لا تُتاح ثانية..

ما بين تهويلات العقل الباطن وخشية ضياع الفرصة، انتصرت دعاوى تحفيز السفر إلى أورشليم التي لم يزرها منذ عام ٢٠٦٧ عندما ذهب إليها مع توأمه ووالديه..

وبدلاً من إخطار عمدة المدينة فوراً برغبته في السفر إلى أورشليم والبدء في تحيُّر وسيلة السفر المناسبة، سارع إلى إبلاغ أخيه بما استقرَّ عليه رأيه..

دفيد الذي استمع جيداً لشقيقه وهو يحكي له عن مُلابسات اتخاذ قراره وشاركه فرحة التلاقي مرة ثانية في رحاب أورشليم، كان على يقين أن قرار توأمه لم يتأسس على أسباب توراتية مוגلة في تمييز اليهود على غيرهم ولا على دعاوى سياسية مرتبطة بدولة اليهود التي تفككت.. كان على ثقة لا تتزعزع أن الأمر مُتعلق فقط بالظروف التي صاحبت وفاة ابنه وما أصبح يتعرض له بسببها من شطحات إيمانية..

عزم وهو يستمع إلى شقيقه، أن يحكي له عن زيارته التي قام بها قبل بضعة أيام إلى أورشليم عن طريق واحد من البرامج التي تُعيدُ

تشكيل المشاهد الطبيعية أو الأحداث التاريخية وفق ما كانت عليه وقت وقوعها.. لكي يشجعه على القيام بزيارة افتراضية مماثلة..

انبهر إيمانويل وهو يسمع أن أخاه رأى نفسه فوق صفحات الأطلس العالمي سائحًا افتراضيًا يجوبُ شوارع مدينة أورشليم القديمة، ويُشاهدُ بعين الخيال عظمة ثراء تراثها المعماري الذي يجمع بين الديانة اليهودية والديانات الأخرى.. بينما كان هو يمعن النظر في المشاهد بعين المستقبل الذي يرى بُنيان هيكل سليمان قائمًا فوق حُطام المعابد الإسلامية والمسيحية..

نجح ديفيد في إشعال حماسة شقيقة منذ نقل إليه تجربته المفعمّة بالذكريات..

ومنذ المرة الأولى التي اندمج فيها إيمانويل مع جولات الأطلس العالمي، أحسَّ أن أورشليم أصبحت بحقَّ عنوانًا صادقًا لشعار المحبة والسلام الذي يميزها عن غيرها من المُدن بعد أن لقيت من الحكومات العالمية المتعاقبة العناية التي تستحقها.. لم تكن عيناه تُفرِّقان بين أثر وآخر، وإن كان يحوم دائمًا حول المزارات اليهودية في المقام الأول..

تغيرت حالة إيمانويل بعض الشيء..

انتعش نفسيًا وجسديًا لما تكرر تعرضه لحالة الهيام بمدينة المقدسة في المنام واليقظة..

وعقب عودته من إحدى رحلاته الافتراضية، قرر أن يستفيد من خبراته القديمة ويقترح على شيوخ مدينة شتوتجارت أن يتبنوا فكرة

إقامة سباق عالمي للسيارات يتسلم الفائز به «جائزته الكبرى» ضمن فعاليات احتفالات مدينة أورشليم التي ستقام آخر أيام العام..

رحّب تجمّع كبار السنّ في شرق مدينة شتوتجارت برسالة إيمانويل التي اقترح فيها إضافة بند إلى جدول أعمال اجتماعهم الشهري يناقش إمكانية تشكيل فريق سباق سيارات يقوم بالتسابق حول مضمار عالمي يشمل أقاليم حوض البحر المتوسط كافة..

تحمّس غالبية أعضاء التجمع للفكرة، ووجدوا فيها تجديدًا لحيويتهم.. شاركوا بحماسة في مناقشة أدق التفاصيل الأساسية.. واتفقوا على أن ينوب رئيس تجمعهم عن سكان المدينة كلهم في عرضها على ممثل الحكومة العالمية في الغرب الأوروبي..

في اليوم التالي اتصل الرجل بدائرة نائب الحكومة العالمية وقدم له المقترح، واختصر في شرح التفاصيل، وركّز بشكل مباشر على عبقرية منح جائزة الفوز من فوق منصة مقامة على أرض عاصمة السلام.. وفي نهاية المطاف أوجز مطلبه في أمرٍ جوهريٍّ واحد هو توفير وسيلة تواصل بين مقر التجمع الذي يرأسه في مدينة شتوتجارت ودوائر المراقبة الإلكترونية التي تحيط بالأقاليم المطلّة على سواحل حوض البحر المتوسط؛ لكي يتعرف المنظمون إلى مُكوّنات إقليمها البيئية التي ستدخل ضمن مضمار للسباق..

لما أوصى إيمانويل رئيس التجمع بأن يتقدم بهذا المطلب في نهاية طرحه للفكرة على مندوب الحكومة العالمية، كان يسعى لتحقيق هدفين متتاليين.. أن يُحدّد المشرفون على السباق فوق خرائط الأقاليم الفضائية

نقاط تركز الحُكام ومراكز الاستراحة بين مراحل السباق المتعاقبة وورش التموين والصيانة المتنقلة وفرق الإسعاف والنجدة، وأن يتعرّف أفراد فريق السباق بعد اختيارهم على طبيعة هذه المسالك الجغرافية..

رحّب المسؤول العالمي الكبير مبدئياً بالفكرة ووعد بأن يقترح على الحكومة العالمية إذا وافقت عليها - وهو ما يتوقعه بنسبة عالية - أن يقوم مندوب لها بتقديم جائزة باسمها..

على أثر إبداء بكين موافقتها الفورية على مُقترح إقامة سباق سيارات حول شواطئ حوض البحر المتوسط، قام مكتب كبير الوزراء بتكليف المراقبة العليا للأمن في موسكو بمنح مدينة شتوتجارت رخصة استقبال ما تنقله كاميرات المراقبة المنتشرة في تلك الأقاليم من الآن وحتى صبيحة الأول من يناير ٢٠١٠..

في كل مرة كان إيمانويل يشارك في اختيار مقاطع طريق السباق تحت إشراف نائب الحكومة العالمية، كانت الفرحة تنعش قلبه كلما اقترب من مدينة أورشليم.. وبالرغم من أن المضمار في شكله النهائي لا يمر بها حفاظاً على تراثها البشري وطبيعتها العالمية ومكانتها كونها عاصمة للسلام، فإن متابعته لمراحل السباق من داخل الطائرة المروحية الافتراضية - التي كانت لقطاتها البعيدة تتسع في بعض المرات لتشمل آثار المدينة الإنسانية الخالدة ومعمارها الفريد - كان يغمره بسعادة لا يستطيع وصفها..

ركز إيمانويل نشاطه في إطار السباق وبناء مضمار السباق وفق المظاهر الطبيعية التي يراها أمامه على الشاشات، يُبعده مرة عن قِمَم

الجبال الوعرة والهضاب شديدة الانحدار ويُفسحُ له في المكان عندما يرى الأرض مُنبسطة أمامه.. وكم كانت سعادته بالغّة حين تابع على الشاشة مسار الطريق صعودًا وهبوطًا فيما يلي المدخل الشمالي لقناة السويس حتى مشارف مدينة بيروت أشهر مدن الشام الساحلية.. ثم انطلاسته بعدها إلى مدينة أنطاكية ومنها إلى مدينة أنقرة لكي يعبر مضيق بحر مرمرة متوغلاً في أقاليم الشرق الأوربي..

اندفع إيمانويل بحماسة شابٍّ مُراهقٍ مُولعٍ بلعبة سباق السيارات.. وقام بتشكيل فريقين سباق أروبيين عالميين على أعلى مستوى.. الغربي منهما سينطلق من مدينة روما إلى فلورنسا ومنها يسارًا إلى جنوة ثم ساحل البروفانس حتى نهايته ثم يعبر مضيق جبل طارق إلى مدينة طنجة المغربية في اتجاه الشمال الأفريقي حتى يعبره إلى الساحلين الشامي ثم التركي عائداً للمدينة روما من ناحية الشرق.. أما الشرقي منهما فسينطلق من نفس المكان إلى مدينة البندقية ثم يتجه يميناً إلى مدينة بلجراد عابراً أقاليم الشرق الأوربي حتى يصل إلى مضيق بحر مرمرة ومنه إلى مدينة أنقرة ثم أنطاكية ويهبط منها إلى ساحل الشام ومنه إلى الشمال الأفريقي ثم يعبر مضيق جبل طارق عائداً من جهة الغرب إلى مدينة روما ثانية..

فرحة إيمانويل بالانتهاء من تشكيل فريقين السباق.. وسعادته بموافقة الحكومة العالمية على مسارات المضمار في صورتها النهائية.. ووعداها بتوفير التكاليف المالية قبل نهاية شهر سبتمبر، ألحّت عليه أن يتصل بشقيقه ليشاركه فرحته مُتعددة الأوجه هذه..

أشفق ديفيد على توأمه حين شاهده على شاشة الهاتف لا يستقر في مكان.. ينتقل من التراس إلى حديقة المبنى الذي يقيم فيه.. ثم يعود إلى داخل شقته مرة ثانية.. يجلس ثم ما يلبث أن يقوم واقفًا.. حتى صوته بدا مُتهدِّجًا في بعض مقاطعه.. طلب إليه أكثر من مرة أن يُهدِّئ من انفعاله.. لكن إيمانويل لم ينصت له وبقي في قمة نشوته حتى أنهى الكلمة..

تمنَّى ديفيد لو أن هذه الحماسة كانت مُغلَفةً بإطارٍ سياسي أو ديني مُتشدّد..

مكتبة اليهود الوطنية بدلاس

كان الجو صحواً.. وبالرغم من ذلك فَضَّل هاري ندادف الجلوس في الطابق الثاني من المكتبة.. فهم يوسي صديقه المخلص أنه يرغب في تبادل الحديث معه حول شأن لا يؤدُّ أن يسمعه غيره وألاً تلتقطه آذان متنصتة!..

جلس الرجال حول مائدة مستديرة في الحجرة الخلفية التي تطلُّ على حديقة كثيفة الأشجار تحيط بهما أرفف أسطوانات الكتب الممتدة إلى السقف من كل ناحية.. رحَّب صاحب المكان بصديقه ودعا الرب أن يفتح له طريق الخير لزيارة ابنه..

كان يوسي يستمع بشغفٍ وهو يجلس مشاعره الفياضة، بينما يقصُّ عليه هاري حكاية الملف الذي وقع بالمصادفة بين يدي ديفيد صديق ابنه..

استمر يستمع، لكنه سرح وراء أفكاره.. أحقَّ سيكون بين يدي زوج ابنته الحلقة الضائعة في مخطط بناء الهيكل؟ وأنه قريباً سيقارنُها بما

في حوزته من وثائق!.. هل حقاً ستُنهي السماء غضبها عليهم وتيسر لهم تحقيق الحلم بعد أن خذلتهم ظروفٌ أقوى منهم..

هذه في رأيه بشرى تبرهن على أن الرب عازم على الإستجابة لدعائهم..

أفاض هاري في وصف حماسة ابنه جوهان لتشييد الهيكل الثالث.. وقال: إنه يخشى من سيطرة الفكرة عليه دون تخطيط علمي مدروس.. ولما استوضحه يوسي ماذا يقصد، قال: إن ابنه مندفع وراء فكرة الهدم والبناء بلا تروٍّ مما قد يعرضه لمشكلاتٍ لا حَدَّ لها..

عمل يوسي على طمأنة صديقه مؤكداً له أن مثل هذا القرار الحيوي يختصُّ به الحاخام الأكبر بلا منازع..

استنتج يوسي أن زوج ابنته زارا على ثقة أن الملف ينفرد ببعض الوثائق أو البيانات التي ربما لا تكون في مكتبته، لذلك عليه أن ينتهز أقرب فرصةٍ لكي يُطلع أفي مساعد الحاخام على ما سمعه من هاري اليوم..

مدينة نيودلهي عاصمة الديانات الأرضية..

عندما فتح السكرتير الخاص باب الحجرة كان يعرف أن سيده
أنهى جلسة التأملات الصباحية التي تبدأ مع إشراقة كل صباح وتستمر
نحو ساعة..

اعتدل كبير كهنة مدينة نيودلهي عاصمة الديانات الأرضية عندما
سمع خطوات سكرتيه الحذرة تقترب من حيث يجلس فوق وسادة
على الأرض..

حيًا الشاب معلمه وهو يجثو إلى جانبه، ثم قدّم له الورقة التي
كانت في يده، ولما رفع الشيخ عينيه مستفهمًا عرف أنها رسالة أتت من
الحكومة العالمية..

أشار له أن يتلوها..

لم يصدق الكاهن الأكبر أذنيه.. مكتب كبير الوزراء يطلب إليه أن
يشارك في احتفالات مدينة القدس عاصمة السلام بمناسبة بدايات

السنوات الجديدة لأصحاب الديانات الأرضية ومعتنقي الديانات السماوية التي ستقع خلال الشهر الأخير من العام الميلادي الحالي..

عادت عيناه تتبعان بصفاء حركة المياه المتدفقة بين ضفتي نهر يامبونا الذي تطلُّ عليه نافذة حجرته.. لم يخطر على باله أن يتلقَّى مثل هذه الكلمات التي تقترح عليه أن يستعدَّ بفريق يمثل الديانات الأرضية لكي يساهم في إنجاح الاحتفال العالمي الذي سيبدأ مساء يوم ٣١ ديسمبر من العام الجاري وينتهي صبيحة اليوم التالي، وأن يروج بين مريديه لكي يقوم عدة الآف منهم بزيارة المدينة ومشاهدة البرامج التي ستقدمها الفرق التي ستمثل الديانات السماوية..

يتذكر كيف أن والده كان يُمنِّي نفسه طوال فترة توليه ذات المنصب وحتى وفاته قبل سبع سنوات، أن يُساهم في احتفالية تعبر بشكل بسيط عن الود والوئام الذي أصبح يسود العالم.. هذه القاعة التي يجلس فيها الآن ما زالت تحمل صدَى نبرات صوته العميق وهو يقول لعدد من الكهنة وطلاب العلم: إن احترام الآخرين والاستماع إلى آرائهم وأفكارهم ومبادلتهم الرأي بالحكمة والكياسة، هو أفضل ما زُرِع داخل البشر..

تولَّى باتيل كاديجي - والد الكاهن الأكبر - مسئولية كبير كهنة الديانات الأرضية عن جدارة.. فقد تمكن قبل أن تختاره الحكومة العالمية لتولي هذا المنصب، من تشكيل لجنة عليا تفرغت لتصفية الخلافات بين أصحاب الديانات الأرضية الذين يعيشون في الرقعة الممتدة من شرق أفغانستان حتى شمال الجزر اليابانية بالإضافة إلى

روسيا.. ولما نجح أعضاؤها في تقليص هوامش الخلافات التي كانت تُعمّق الفجوة بينهم، قاموا بوضع إطار تنظيمي ساهم بشكل ملموس في الحفاظ على الحد الأدنى من التعاون بينهم وبين غيرهم من الزعماء الدينيين لتزكية أوجه النشاط التعبّدي الذي يجتمعون تحت سقفه..

لذلك لما قررت الحكومة العالمية أن تُؤسّس لقيام عاصمة دينية تكون مقرّاً لزعماء الديانات الأرضية تضم بين جنباتها مقارات إضافية لزعماء الأقليات من معتقي الديانات السماوية، كان الأمر أكثر سهولة بالنسبة للجماعة الأولى.. حيث لم تختلف الآراء كثيراً حول باتيل كما لم يختلفوا حول اقتراحه أن تكون مدينة نيودلهي عاصمة لهذه الديانات.. أما المجموعة الثانية فلم تتفق وبقي مقرر كل منها خاوياً سنواتٍ طوال..

كانت بكين تتخوف كثيراً أن يؤدي بحثها عن عاصمة للديانات الأرضية إلى نزاعات لا نهاية لها مع زعاماتها كما حدث لها مع معتقي الديانات السماوية.. لكنها لم تعانِ شيئاً، ليس لأن غالبية أعضاء حكومتها من أصحاب الديانات الأرضية أو لأنها تتربع على قمة العواصم ذات الثقل المالي والتقني والاقتصادي، ولكن لأن نوعية الخلافات بين زعاماتهم كانت من الضالّة بحيث لم تنعكس سلباً على اختيار كبير للكهنة والعاصمة..

مدينة نيودلهي التي تقع في أقصى شمال الهند إلى الغرب من نهر يامبونا، خطط تقسيماتها مهندس معماري بريطاني لتكون عاصمة للبلاد منذ عام ١٩١١.. تتميز المدينة بشوارعها الطويلة التي تكسوها الأشجار، وتشتهر برياح المونسون المربعة وبكمية الأمطار - حوالي ٢٨ بوصة / سنتيمتر مربع - التي تسقط فوقها سنوياً..

لم يتجه بصر باتيل الأب إلى أفخم المعابد الهندوسية بالمدينة ليكون مقراً له بعد اختياره كبيراً لكهنة الديانات الأرضية، بل وقع اختياره على معبد أكشهار دهام الذي يقع على ضفاف النهر لأنه يناسب بساطته في الحياة وفلسفته في التعامل ..

الغالبية العظمى من سكان المدينة تدين بالهندوسية، إلا أنها تضم مراكز تعبدية لعدد من الأديان السماوية والأرضية غاية في الروعة الهندسية والبناء المعماري ..

حتى عشرينيات القرن الحادي والعشرين كانت إحصاءات منظمة الأمم المتحدة تعاني تضارباً ملحوظاً فيما يتعلق بتصنيف سكان العالم من زاوية المعتقد الديني، لأن الكثير من الحكومات أوقف متطلبات تدوينها لكل متعلقات هذه المسألة شديدة الخصوصية .. وبسبب المشكلات التي كانت تنجم عن التحول من دين إلى دين .. وأيضاً بسبب أن شريحة واسعة من الأجيال الجديدة نسيت تحت وطأة صراعات الحياة حتى المفردات البسيطة التي تربطها بدينها سواء كان سماوياً أو أرضياً، وبتوالي النسيان لم يعد الأمر يعينهم كثيراً ..

وبالرغم من تسليم زعماء معتنقي الديانات السماوية أن عددهم أقل من أصحاب الديانات الأخرى، فقد ظلوا حتى نهاية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين يرددون أن تفوق عدد الممتن للديانات الأرضية على مستوى العالم مشكوك فيه لأن نظم حكمهم تعتمد التخلص بشكل أو بآخر من المؤمنين بالديانات المخالفة لهم ولا يعترفوا بتحول الكثير من أبناء مجتمعاتهم إلى ديانات أخرى! ..

ساعد على تضارب الإحصاءات كما فاقم من مؤشر إحساس معتنقي الديانات السماوية بالغبن الواقع عليهم، تضاؤل اهتمام الدولة القومية والمنظمات الدولية بتسجيل الديانة التي يعتنقها الأفراد.. بعد أن تزايدت المطالبات الجماهيرية السلمية بوقف تدخل الحكومات والمنظمات في هذه المسألة بالذات لأنها شأن يخص الفرد نفسه..

لكن الحقيقة الثابتة التي بدأت تفرض نفسها على الجميع منذ منتصف العقد الثالث، أن أصحاب الديانات الأرضية يزدادون عددًا وقوة، ويتعاظم نصيبهم في امتلاك الثروات وتقنيات المستقبل.. ولم يكن ذلك فقط بسبب عدم أخذهم بالنظريات الرأسمالية التي سحقت تحت أقدامها الكثير من مراكز الإنتاج والاستثمار الأوروبية والأمريكية.. أو بسبب محدودية استنزافهم لثروات الطبيعة، ولكن لأنهم لم يتعرضوا لعوامل التفتت الدينية والأيدولوجية التي عانتها غالبية المجتمعات التي كان أبناؤها يدينون بديانات سماوية..

لم تشهد المنطقة الممتدة من جنوب شرق آسيا حتى أطراف شبه جزيرة كمشتكة التي تقع شمال اليابان، وكذا التي تمتد غربها حتى آخر حدود روسيا، حروبًا أهلية ولم تتعرض لحرائق أو زلازل شديدة التدمير.. ولم تراجع مؤشرات هيمنتها على الاقتصاد العالمي منذ عام ٢٠٢٠.. ولم تتوقف مساهماتها في الاستثمارات والتقدم العلمي، بل يمكن القول إن مشاركتها زادت زيادة ملحوظة على مستوى العالم بعد الانهيار الاقتصادي الذي ألحق أكبر الأضرار بالغرب الأوروبي والولايات المتحدة..

تقول حوادث العقدين الثاني والثالث أنه بينما كان الغرب الأوربي وأمريكا يعانون مُشكلاتٍ داخلية طاحنة وعوامل طبيعية مدمرة زادت من فرقتهم بدلاً أن تُوحِّدَهم في مواجهة المخاطر، كانت الهند والصين واليابان والكوريتان ومعهما روسيا الاتحادية تتقدم بشكل غير مسبوق في مجالي اكتشاف التقنيات فائقة الحداثة، وفي تطويرها لدعم وسائل استخراج الطاقة الجديدة وتحديث الإنتاج والتنمية البشرية وتطوير أبحاث البيئة وبرامج مواجهة ثورات الطبيعة..

في البداية تحقق هذا النجاح عن طريق وضع خططٍ جماعية لكيفية التعامل مع الأزمات والمخاطر فور حدوثها بهدف التقليل قدر الإمكان من أضرارها.. ثم نمت القدرات والمهارات وتعاضمت بعدما تمكن الخبراء من تسخير التقنيات للتنبؤ بالكوارث المهلكة قبل وقوعها بفترة كافية؛ مما ساعدهم على تقليل حجم الدمار بشرياً ومادياً ومعنوياً..

وفي حين امتلكت نظم الحكم التي تدير شئون المجتمعات التي تدين بالديانات الأرضية مصادر القوة بكل صورها البشرية والمادية والتقنية، عانت مجتمعات أخرى في وسط أفريقيا وفي قلب آسيا وأطراف أمريكا اللاتينية من تقلص الموارد، وهجرة جماعات بأكملها من مواطنيها وانفراط عقدتهم وهلاكهم مرة بسبب محاصرة الأوبئة، وأخرى لوقوعهم تحت وطأة التغيرات المناخية الحادة حول الخليجان، وثالثة بسبب سُحْ مياها الشرب، ورابعة بسبب النتائج المترتبة على الاحتباس الحراري..

زاد وزن هذه المجموعة من الدول التي احتلت قمة العالم مرتكزة على قواعد تقنية فائقة وخطط تنمية اقتصادية متمكنة، بعد أن جاءت

نتائج الإحصاء العددي لسكان العالم بين عامي ٢٠٢٠ و ٢٠٣٠ لصالحها حيث احتلت المرتبة الأولى بين المجتمعات البشرية التي يقطنها مسيحيون ومسلمون ويهودا!..

قادت هذه المجموعة من الدول، بعد أن اعترفت لها القوى الأخرى بالتفوق العددي والتميز التقني والهيمنة الاقتصادية، الاجتهادات العالمية التي قام بها مجموعة من المفكرين واستمرت نحو عشرين عامًا، وانتهت بالاتفاق على تشكيل نظام دولي تقوده حكومة عالمية تنفذ السياسات التي يضعها مجلس الحكماء الذين تختارهم أجهزة التكنولوجيا ونظم المعلومات بصفة دورية.. على أن يُترك لعدد من الأقاليم التي ما زالت تتمتع بقسطٍ وافر من الحيوية والإدارة أن تُصرف أمور سكانها وأدواتهم الإنتاجية بشكل ذاتي تحت إشرافها ورعايتها..

شهدت السنوات الخمس الأولى من عمر النظام العالمي الجديد الكثير من المشكلات، بعضها بسبب عدم تمتع حكومته الأولى بالقدر الكافي من السلطات التنفيذية، وبعضها الآخر بسبب الاضطرابات التي تسببت فيها جماعات بشرية كانت لا تزال تحلم بقدرتها على إعادة العمل بالقواعد الديمقراطية وحقوق الإنسان البالية، وبعضها الثالث بسبب عنصري قام على رفض الخضوع لهيمنة حكومة عالمية لا تمتُّ للفكر الغربي بصلة.. مما دفع النظام الوليد إلى انتهاج سياسات البطش العنيف في معظم الأحيان لفرض سلطته..

أعادت أجهز الأمن التابعة للحكومة العالمية الأولى الإستقرار إلى معظم المناطق التي شهدت اضطرابات دام بعضها بضعة أشهر، بعد أن

لجأت لتطبيق سياسات البطش التي ابتدعتها نظم الحكم الفاشية التي كانت سائدة إبان الفترة السابقة على ما سُمِّيَ في حينه الحرب العالمية الثانية.. وفرضت على المواطنين اجتناب شرورها بأن وضعت المعارضين على سياساتها في مُعتقلات مفتوحة شيدتها في أماكن نائية شديدة الوعورة بعضها في وسط الأحرار وبعضها الآخر فوق قمم الجبال، وبعضها الثالث خلف خط الجليد الدائم..

بعد أن عاد الهدوء إلى مواقع الاضطرابات، أعلنت بكين على الملأ أن الإفراج عن المعارضين على سياساتها مرتبط بمستوى سلوكياتهم وردود أفعالهم داخل الأماكن التي رُحِلوا إليها.. وفيما بعد قامت بنقل الأشد خطورة منهم إلى معازل طبية أكثر صرامة أقامتها في أماكن متفرقة من العالم، بعد أن فشلت المعتقلات في إعادتهم إلى صوابهم..

لذلك اقترح كبير وزراء الحكومة الأولى على مجلس الحكماء إلغاء حق الأقاليم في الإدارة الذاتية، وطالب بمنح الحكومة التالية لها حق ضبط وتصريف السياسات الداخلية بين الأقاليم جميعاً بلا استثناء.. وشدد على ضرورة توحيد القوات المسلحة الدولية تحت قيادتها، وأن تكون لها صلاحيات الهيمنة على مصادر ثروات العالم وطاقته الإنتاجية، في مقابل تحمُّل مسؤولية رعاية جميع الأقاليم على اختلاف نوعية البشر الذين يسكنون فيها..

جاء في وثيقة نقل السلطة من الحكومة العالمية الأولى إلى الثانية عام ٢٠٥٥ أن التجمعات البشرية التي كانت تقطن ما كان يعرف بالشرق الأوسط وجنوب الصحراء وجنوب غرب آسيا، كانت أكثر استسلاماً من غيرها لواقعها الجديد الذي رأت أنه أقل ظُلماً لها..

استغلت الحكومة العالمية الثانية الظروف الأمنية المواتية التي ورثتها من سابقتها وفرضت على أرض الواقع بعد أسابيع قليلة من تسلمها مقاليد السلطة سياسات برامج الإنتاج الموحدة في الصناعة والزراعة والتقنيات والخدمات، ووضعت خطط تنظيم استهلاك مصادر الثروات الطبيعية تحت رقابة واحدة.. وأحكمت أوجه الإنفاق ضمن دائرة واحدة يقابلها أخرى تتحكم في الموارد والإيرادات.. ضمن هذا الإطار من التحكم والتسيير انتقلت المسؤوليات من حكومة عالمية إلى أخرى..

وفي إطاره جاء قرار الحكومة العاشرة بتنظيم احتفالات عاصمة السلام..

لم تفارق فحوى الرسالة التي تلقاها سبال باتيل مخيلته عدة ساعات، وفور انتهائه من تصريف الأعمال الروتينية المرتبطة بأحوال رعاياه تبادل الرأي حول مضمونها مع عددٍ من كهنة الأقاليم الأخرى الذين كانوا في ضيافة المدينة..

اقترح الكهنة على كبيرهم أن يعرض الأمر على الاجتماع السنوي للزعماء الدينيين الذي سيعقد بالمدينة بعد أيام قليلة، وناقشوا معه أهمية إفساح المجال لمناقشة الدعوة، التي فهموا من نصّها أنها وُجّهت أيضًا إلى زعماء العواصم الدينية الأخرى المشاركة في الاحتفالات، وفق ما يترأى لهم «دون تعدّد على حقوق الآخرين وبالتعاون معهم»..

وهذا معناه أن مدينة الفاتيكان عاصمة المسيحيين ومكة عاصمة المسلمين ولاس فيجاس عاصمة اليهود، ترتب لمناقشات مماثلة مع نُخبها، وتستعد لعدد من المساهمات الاحتفالية التي تليق بكلّ منها..

سيراكوزاه..

سمعها ديفيد وهما تطلبان منه أن يطمئن وأن يخفف من توتره لأن كل شيء سيكون جاهزاً في الموعد المحدد كما كان يرجو.. شرحاً له أن مدير المطعم الشهير أكد لهما أن كل ما اتفقت عليه روزالين سيكون جاهزاً في موعده..

اطمأن ديفيد وزال عنه التوتر بعض الشيء، وطلب إلى مشيخان أن تتصل به قبل أن تتحرك هي وسيندي من أمام المطعم حتى يسبقهما إلى البناية التي يقطنها لكي يفسح لسيارتها مكاناً في الجراج.. اشترطت عليه أن تختلي هي به قبل صاحبته.. لم يعلق..

لفت نظره أن المراجعة التي قامت بها المرأتان تؤكد أن روزالين اهتمت بكل صغيرة وكبيرة، لم تنس طلباً واحداً مما اتفق عليه معها، حتى المناديل الورقية المعطرة بالرائحة التي يفضلها طلبت كمية كافية منها..

وبالرغم من ذلك لم يجد في نفسه رغبة أن يُسأَلَ عنها،
وألحَّ عليه السؤال من جديد: لماذا تركته في هذا اليوم؟..

تلقى فرع جهاز الأمن المركزي بسيراكوزه تعليمات اللجنة العليا
للسلوكيات برفع مستوى مراقبة ديفيد أوزوالد إلى المستوى الأعلى،
وهذا يعني الترتيب فوراً لموافاتها برسالتين مصورتين وتقرير إضافي كل
٢٤ ساعة ..

استرجع رئيس الجهاز ملف ديفيد من قاعدة البيانات واطَّلَعَ عليه
بدقة .. قام بنقل شفرة رقمه الكودي الموصول بدائرة الأقمار الصناعية
إلى الدائرة الفنية التي ستبدأ في تنفيذ أوامر اللجنة العليا، وطلب من
معاونيه البدء فوراً في تنفيذ الأمر ..

دخلوا في التَّوَّ إلى الدائرة التلفزيونية للمبنى الذي يقطنه ديفيد
وكذا الذي يقع به مكتبه، وأعطوا تعليماتهم لشرائح الاستقبال
الإلكترونية بها لرفع معدلات الأداء الروتيني إلى المستوى المطلوب، ثم
قاموا بإعادة برمجة خلايا التغذية إلى ما كانت عليه، وبعد ذلك تواصلوا
مع مجموعة الأقمار التي تتولى التصوير من الفضاء الخارجي، وأضافوا
أمراً بتوسيع دائرة التصوير ومضاعفة عدد الزوايا ..

ولمَّا تَوَّلت عليهم الرسائل الداخلية والفضائية التي تفيد بقبول
التعليمات مرفقاً بها توقيات البث الجديدة، قاموا ببرمجة متوسط بثَّ
الرسائل إلى اللجنة العليا للسلوكيات بباريس ليكون كل ١٢ ساعة
بدلاً من كل ٢٤ ساعة كما هو المعتاد بالنسبة للكافة ..

بعد استكمال أركان العملية الفنية والاطمئنان على دقة كل ما يتصل بها من تقنيات، أبلغ مسئول فرع الأمن المركزي في سيراكوزاه رئيس اللجنة العليا أنه اتخذ الخطوات اللازمة للحصول على تسجيل مُصوّر لسلوكيات ديفيد حسب تعليماتها، وأن أولى الرسائل بدأ تسجيلها فعلاً منذ دقائق..

كان أول ما سُجل لديفيد - وفق جدول البرمجة الجديدة - محادثاته المتبادلة مع صاحبتيه لاستكمال ترتيبات حفل عيد الميلاد..

ولما بدأ كبير الفرق المتخصصة في تحليل ما يصله من صور مرئية وتسجيلات صوتية، خاصة تلك التي قالت ميشجيان في نهايتها لديفيد إنها تريد أن تختلي به قَبْلَ صاحبتِها، تأكّد أن افتقاده (ديفيد) لعشيقته الأصلية روزالين سيجعله مطمئناً لصاحبتيه أو صاحبتيه القديمتين، وهذا - إذا تحقق - سيمكنه من الحصول على تسجيل للممارسات الجنسية يمكن استخلاص بعض الحقائق منه إذا ما قورن بتسجيلاتٍ مماثلةٍ أخرى..

باريس..

هبطت الطائرة الدولية في مطار مدينة باريس عاصمة الرعاية الصحية، ونزلت منها روزالين وهي تجرُ حقيبتها إلى جانبها.. خطت ناحية الممشى الكهربائي الذي سرعان ما أوصلها إلى قاعة فسيحة.. بحثت فوق لوحة الأدلة الرقمية - المثبتة على قوائم متحركة - عن الرقم الذي إذا جمعته إلى رقمها الكودي، يُحدِّد لها الكومبيوتر مَسَارَها إلى صالة الاستقبال المخصصة للمسافرين القاصدين التوجُّه لمقر الهيئة الدولية..

ضغطت أرقام لوحة الميكرو i Pad الشخصي.. جاءت الإجابة أن عليها تتبَّع المسار ذي اللون البنفسجي.. لما نظرت إلى الأرض حولها وجدته على بُعْدٍ نحو مترين منها..

أنعشها دِفء المكان.. استعادت بعضًا من حيويتها، قررت وهي تواصل خطواتها بحماسة فوق الشريط البنفسجي أن تُنحي جانبًا ديفيد

وحفل عيد ميلاده، وأن تُركِّزَ فيها هي مُقبلَةٌ عليه، على الأقل حتى تنتهي من المقابلة الأولى..

في نهاية الخط عرضت نفسها وحقيبتها على جهاز الأشعة الخفية الذي فتشتها لمدة خمس ثوانٍ، ثم سمح لها بالمرور بعد أن أخذ بصمة عينيها..

خارج المبنى وجدت روزالين مَنْ يتعرَّف إليها من صورتها، وعن طريق الكود الرقمي الخاص بها.. نظرت إليه بنصف ابتسامة وهي تهزُّ رأسها مُعلنة أنها هي مَنْ ينتظرُها.. حيثُ وهي تتقدَّم نحوه.. مدَّ يده مُحيياً وهو يُعرِّفها بنفسه.. سارت إلى جانبه..

صامويل يعدُّ من بين الأشخاص طوال القامة دون إفراط.. مُهنِّد، يرتدي بدلة فاتحة تعكس ملامح سحته شديدة اللّمعان.. شعره أصفر يُجيد تصفيفه مَفرّوقاً على الجنين.. عندما مدَّ يده مُحيياً ظهر حول نهاية معصمه رسمٌ مُلوّنٌ لحيوان خُرافي..

في الطريق إلى حيث موقف سيارته في باحة المطار أبلغ صامويل رئاسته بقدوم روزالين وأنها يتوجَّهان إلى حيث سيستقلان سيارته عائداً معها إلى المبنى الرئيسي..

فُتحت أبواب السيارة من الجانبين.. ركبت روزالين بجانب مرافقها بعد أن وضعت حقيبتها خلف المقعد.. لقن صامويل لشريحة القيادة وجهتها وطلب من الكمبيوتر أن يتخير الطريق الأنسب إلى حيث مبنى اللجنة العليا للسلوكيات.. بعد عشر ثوانٍ سمع تفاصيل الطريق الذي تحدّد له وبانت خريطة على شاشة الاستقبال بالسيارة..

بعد ثوانٍ أخرى نَبَّه الصوتُ عليه أن يستعدَّ للدخول في دائرة
الممر الهوائي الذي سينقله من داخل المطار إلى الشارع الرئيسي..
قاست روزالين - كونها أنثى مدربة - بنظرة جانبية خبيرة مدى
وسامة مرافقها..

لم ترغب في المقارنة بين نعمته البادية لعينيها مقابل خشونة ديفيد
المحبة..

استغربت على نفسها هذا الموقف.. هل عطبت حواسها
الاستكشافية؟ أم أنها تبني حول نفسها سياجًا لا إراديًا يجعلها غير
مهيئة لجولة غزل أو ليلة غرامية؟..

سألتها حواسُها: لما لا تترك سجيتها الأنثوية على طبيعتها؟..

ببساطة لا تستطيع، ما زال جزء لا يُستهان به من تفكيرها يحوم
حول حبسها الذي تركته وراءها - مُرغمَةً - فريسة جاهزة لغيرها..
عليها أن ترفض بحنكة أيَّ دعوةٍ من مرافقها لتناول مشروبٍ أو
للتنزه على نهر السين، ولو هذا المساء فقط.. من جانبها لن تقحم نفسها
عليه..

هو ربما يعرف من الآن أين ستقيم طوال فترة إقامتها في باريس! أو
سيعرف بعد لحظات، إذن فلتترك الأمر بينهما معلقًا حتى يُبادِرَ هو
بالخطوة الأولى.. فكرت أن تعدّه بالاتصال به إذا أعطاها رقم تليفونه،
خاصة إذا هاجمتها خلال الساعات القادمة خيالات ما يجري في شقة
ديفيد..

جلس صامويل في مقعده صامتاً أول الأمر.. بينما روزالين تمنى نفسها بحديث يُنسيها افتقادها لحبيبها.. تمنى أن يبدي ملاحظة ولو على سبيل السؤال عن الطقس في سيراكوزاه أو ما إذا كانت الرحلة مرهقة لكي يفتح مساراً للحديث المتبادل بينهما.. كان مهتماً بنفسه.. ينظر في المرأة بين لحظةٍ وأخرى، تساءلت: هل هذه طبيعة فيه تعودها بسبب وسامته، أو لأنه شاذٌ جنسياً ولا يميل للإناث!..

لما استوت السيارة على بداية الطريق فائق السرعة.. سمعت روزالين صوت الكومبيوتر يقول: إن موعد وصولهما إلى المقر سيكون بعد نحو ١٥ دقيقة.. شكره صامويل، ولأول مرة يلتفت إليها ويرجوها بصوتٍ رخيم أن تتخير مجموعة الألحان الموسيقية التي تؤدُّ أن تستمع إليها، مؤكداً أنه سيسعده مشاركتها أثناء الطريق الاستماع لما تُفضِّل..

شكرته بصوتٍ أنثويٍّ محايدٍ.. لم تجد عنده ردَّ فعل.. تعمدت أن تتعد عن الموسيقى الإسبانية حتى لا تسرح بفكرها مع ديفيد.. مكتفية بينها وبين نفسها أن يُخيم عليها طيفه إبان ساعات الليل الذي ربما تقضي أغلبه وحيدة..

بعد بضعة كيلومترات، بدأت السيارة تشقُّ طريقها وسط مجموعات متتالية من الأشجار الباسقة التي تصنع مساحات عريضة من اللون الأخضر متعدد الدرجات.. الجوُّ الصافي جعلها تلاحظ التغير البيئي الذي لحق بمحيط باريس منذ آخر مرة كانت فيها هنا.. تغير – تعرف بحكم دراستها البيئية المرتبطة بالصحة البشرية – أنه يُوفَّر

لسكان المدينة وما حولها قسطاً أوفر من الهواء النقي، حيث تزداد أعداد الشجيرات دائمة الخضرة التي تمتصُ الملوثات وتلك التي تصنع سياجاً من الحماية ضد العواصف الثلجية..

شاهدت بعينها المدن الصغيرة والقرى وهي تمرُّ إلى جوارها بسرعة..

قررت روزالين أن تكسر حاجز الصمت.. سألته: هل يقيم في باريس؟.. هزَّ رأسه نفيًا، وقال: إنه يسكن على بُعد ٤٠ كيلومترًا إلى الشمال منها.. سألتها: هل تسكن بعيدًا عن مكان عملها في سيراكوزاه؟ قالت: إن المسافة لا تزيد عن خمسة كيلومترات..

قبل أن تسأله: هل تُسبِّبُ له قيادة السيارة يوميًا متاعب؟ سارعَ هو بالقول: إنه وصديقه يعملان معًا ويقيمان أيضًا معًا منذ ثلاث سنوات، كل منهما يقودها يوميًا بين السكن ومقر العمل.. لم تعلق..

عرفت بشكل مباشر لماذا هو غير مهتمَّ بها..

اختفت تمامًا احتمالات الترويح عن النفس مع هذا الوسيم..

بدأ صامويل يشرح لها الطريق الذي يمران به، وأشهر الأماكن التي تقع بالقرب منه، وبينما كانت صاحبتنا تركز فيما تسمع كانت تتلفت من خلال زجاج السيارة إلى حيث يشير، سألته مراتٍ قليلةٍ وعَلَّقت مراتٍ أقل..

لفت نظرهما توقيت مدينة باريس عندما أعلن كومبيوتر السيارة أن المسافة المتبقية على بلوغ محطة وصولهما النهائية حوالى نصف كيلومتر، فوجدت نفسها بشكلٍ تلقائيٍّ تُقَارِنُ بينه وبين توقيت سيراكوزاه..

غمغمت.. باقي نحو ساعة قبل أن يستعدَّ ديفيد لمغادرة مكتبه في طريقه إلى المنزل، ثم سرحت فيمن يا ترى ستكون في صحبته؟..

اتجهت السيارة ناحية بناية تحيط بها الأشجار وتنبسط أمامها خضرة تندفق من بين جنباتها مياه نافورة ذات مدرجات متعددة..

سمعت روزالين رفيقها يقول: ها قد وصلنا..

بعدما أوقفَ السائق الآلي السيارة مُهتئًا بسلامة الوصول.. سحبت حقيبتها وراءها واتجهت حيث أشار لها صامويل..

تعرفت أجهزة الأشعة الخفية للمصعد إلى صامويل، وفتحت له الباب فور أن وضع كفه اليُسرى على اللوحة المغطاة.. تقدمته روزالين.. ضغط على الزر رقم ١٣.. اندفعت الكابينة بسرعة إلى أعلى بينما صدحت موسيقى فرنسية ناعمة لا تناسبُ التوتر الذي أمسك بتلابيب روزالين.. في حين كان صامويل ينظر بإعجاب بادٍ إلى صورته في المرأة وهو يسوي شعرَ رأسه بحرفية..

انفتح باب المصعد خرجت روزالين وصامويل في أعقابها.. أرشدها إلى اتجاه سيرهما حتى بلغا غرفة طرق بابها، وأفسح لها الطريق إلى الداخل.. قام أندرو الذي كان في انتظارهما مُحييًّا.. أشار لهما بالجلوس أمام مكتبه..

الحجرة متوسطة الحجم.. تتميز باحتوائها على كمٍّ هائل من الأجهزة والشاشات.. في الخلفية تنساب أنغام موسيقى هادئة تبعث على الراحة.. تتسرب من خلال النافذة الرئيسية في الغرفة التي تطل على

الحديقة الخلفية للبنية زقزقات عدد من الطيور المغردة التي تنساب إلى الأذن ممزوجة بصوت خرير المياه التي تتدفق من النافورة أسفل البنية..

أندرو المسئول عن تنظيم الدورة التي دُعيت إليها روزالين متوسط القامة، ممتلئ الجسم، حادُّ النظر، ذو لحية وشارب خفيفين يحيطان ببشرة شاحبة.. سنه فوق الأربعين بقليل.. يبدو واثقًا بنفسه إلى حدٍّ كبير..

عرَّفها بنفسه، أدركت أن مضيفها هو المسئول عن الدورة..

اعتذر لها - بطريقة روتينية - عمَّا يكون قد وقع لها من متاعب بسبب ضمها للدورة بالكيفية التي جرت.. عرفت منه أن أمامها ساعتين للراحة قبل أن تبدأ جلسة التعارف الأولية إلى برنامج الدورة وإلى الزملاء المشاركين معها في حضورها..

قدَّم لها بطاقة مغنطة تحمل شعار اللجنة العليا للسلوكيات.. تفتح به باب حجرتها رقم ١٣١٣ التي تقع في نفس الطابق.. وتساعدُها على المرور عبر بوابة قاعدة التدريب.. وتُسهِّل لها استخدام المصعد.. وتُسدِّد عنها فواتير ما ستستهلكه أو تحتاج إليه من مأكولات ومشروبات من المطعم الذي يحتلُّ الطابق الأرضي..

قال لها، مُعلنًا نهاية المقابلة الأولى معه.. أنها إذا رغبت في التنزُّه حول المبنى، بعد فراغها من البرنامج المسائي، ستجد عدة أماكن قريبة يمكنها أن تختار ما يناسبها منها..

أحاطت روزالين جسدها المُبتَلَّ بالرُّوب.. وجلست على حافة
السريِر تُصَفِّفُ شعرها بعد الحَمَّام المُنعش الذي أعاد اليها بعض
هدوئها..

استرجعت بتؤدَّةٍ ما دار بينها وبين أندرو.. المِقابِلَة في مجملها
حيادية..

قررت البقاء في حجرتها حتى انقضاء الساعتين، طلبت رقم هاتف
ديفيد..

سألها عن ترتيبات البرنامج ومتى تنتهي منه وتعود، وعده أن
تُبلِّغَه في مكالمته التالية بما ستعرفه في هذا الخصوص.. أبدى شُكْرَه
العميق على ما قامت به من تجهيزاتٍ خاصة بأُمسِية عيد الميلاد.. بان
التأثر في صوتها، وهي تقول: إن بُعْدَها عنه في هذه الساعة ليس بيدها..
هوَّنَ عليها الأمر مؤكِّداً أنه سيحتفي بعودتها احتفاءً خاصًّا.. فرحت
لهذه المجاملة، ولكنها سرعان ما أحست بغُصَّةٍ عندما عرفت منه أن
صاحبتيه سيندي وميشجان هما اللتان تابعتا مع المطعم اللمسات
الأخيرة لما اتفقا هي وهو عليه، اغتاظت في نفسها.. واكتفت بالقول:
إنها ستكلمه فيما بعد..

في الموعد المحدد كانت روزالين تتجه ناحية قاعة التدريب..

مررت البطاقة الممغنطة في الثَّقْبِ المُعدِّ لذلك.. اجتازت دائرة
التعارُف الإشعاعية لما تحوَّل لونها إلى الأخضر.. عندما دخلت وجدت
أندرو يتحدث مع زميلتين سبقتاها إلى الحضور، تقدَّمت منهم.. توالى
حُضور المتدربين حتى اكتمل عددهم..

وجد الحضور في انتظارهم مؤشرًا مُمغَطًا عليه اسم كل منهم لاستخدامه في التواصل عبر الأجهزة التقنية التي سيجدونها في معاملهم مع النماذج التي ستظهر تباعًا على شاشة الكمبيوتر العملاقة التي تُغطي الحائط الخلفي للقاعة..

تناول أندرو باختصار أهمية الدورة التدريبية.. وحرص على القول: إن ما بها من جديد ليس كثيرًا، مؤكدًا أن نتائج التطبيقات العملية التي سيقومون بها هي التي ستُحدّد مدى التحديث التقني الذي يخططون للأخذ به في العامين القادمين..

قبل أن يُنهي كلمته المختصرة قال لهم: إن التطوير الذي يهدفون له في مجال دراسة سلوكيات العامة اليومية، يعتمد بشكل أساسي على مدى استفادة أفراد المجتمع من النشرات الجوية التي يقومون بتحليلها دوريًا كل يوم..

دامت جلسة التعارف نحو خمس دقائق، توزع المتدربون بعدها على معاملهم المقامة في الجانب الآخر من القاعة الفسيحة..

أضاءت روزالين شاشة كمبيوتر المعمل الذي اختير لها بلمسة من إصبعها.. ظهر نموذج إحصائي.. لما أشارت بالمؤشر الممغط إلى رقمها الكودي ظهر اسم برنامج التدريب «تطوير القدرات المهنية لمحللي النشرات الجوية»..

عندما تتابعت الصفحات.. لاحظت روزالين بعين الخبرة أن توقيتات أيام الدورة الثلاثة غير مزدحمة، وليس فيه جديد يعتدُّ به، ومن

ثم توقَّعت أن المهارات المهنية الجديدة التي يمكن أن تكتسبها في مجال عملها ستكون محدودة..

أكثر ما لفت نظرها أن واضعي البرنامج حرصوا على توفير مُتَّسع من الوقت لعقد لقاءات شخصية ثنائية وجماعية، بهدف إفساح المجال لمزيد من التعارف ولتوسيع مجال تبادل الخبرات بين مجموعة المتدربين..

بعد ما وقعت روزالين بما يفيد استعدادها لدخول دائرة الشبكة.. جاءها صوت أندرو مُحييًّا.. حددا معا نماذج التواصل المعرفية الأساسية لمحللي النشرات الجوية.. ثم انتقل معها إلى نموذج Ultra Wideband الجديد.. شرح لها عناصره الأساسية.. أَلَّت بمكوناته وتعرفت بسرعة إلى خصائصه وقدراته التحليلية ومدى اختصاره للوقت..

لما اطمأنَّ أندرو إلى استيعابها لمفردات البرنامج، مرَّر لها ملف معلومات وهمية.. طلب منها أن تتعرف إلى محتوياته، وأن تستخدم ما به من بياناتٍ لعمل تطبيقاتٍ تحليليةٍ كتجربةٍ عملية لاستخدامات النموذج الجديد..

قبل أن يقطع قناة تواصله معها، أَملى عليها معادلة رقمية، طلب إليها أن تستخدمها بعد الانتهاء من تجاربها التطبيقية لمعرفة مستوى النتائج التي توصلت إليها بالمقارنة مع النتائج النمطية التي سجلتها الأجهزة الرئيسية..

سيراكوزاه..

عندما انحرفت سيارة ديفيد به ناحية جراج البناية التي يقطنها..
وجد صديقتيه منتظرتين في سيارتهما على بعد عدة أمتار من المدخل.. مدَّ
يده لهما بكارث الزائرين الذي يسمح لهما بالدخول وراءه.. لما استقرت
السيارتان حمل معهما بعض الأغراض بعد أن تبادل ثلاثتهم التهاني
والقُبلات..

سيندي تعدت الثلاثين بقليل، ممتلئة الجسم في تجانس.. ملابسها
الفضفاضة تشي بعشقها اللا متناهي للحياة واستعدادها لخوض تجاربها
العاطفية إلى نهاية المطاف.. وجهها تشوبه حُمْرة واضحة.. أحلى ما فيها
عينها الزرقاوان وشفاتها المكترتان.. شعرها الكستنائي تركته هائماً
حول رأسها متعمدة.. لثقتها أن رؤية ديفيد لها على هذه الهيئة يثير
غزائره..

ميشجان صديقتها اللدود.. على عكسها تماماً.. تبدو أصغر منها..
تميز بجسم رياضي اكتسبته وتحافظ عليه بمداومة رياضة التجديف..

متأنقة في ملبسها.. تصفف شعرها الأسود الفاحم بطريقة صيانة
تزيدها أنوثة.. شفتاها الرقيقتان كثيرًا ما ترسلان دعوة صريحة للحب
لكل من تعجبه عيناها العسليتان رجلاً كان أم امرأة..

في داخل الشقة وضع ديفيد اللفائف والعلب على الطاولة التي
تفصل المطبخ عن بقية الشقة.. تولت المرأتان ترتيب المكان.. اتجه هو
إلى ناحية الكومبيوتر، وكلّفه بضبط درجة الحرارة وشدة الإضاءة، ثم
أملى عليه عدد الضيوف.. كما لقن نظام الأمن الداخلي أرقام سيارات
زائريه لكي يسمح لهم بتركها في الجراج.. أملاه كود الزيارة المتفق عليه
لكي يتولى نظام الأمن المركزي فتح أبواب المصعد والشقة لهم بشكل
آلي عند وصول كل منهم..

ترك ديفيد صديقته.. واتجه ناحية حجرته..

باريس..

مرت روزالين ببصرها على معلومات الملف الوهمي، ليست جديدة عليها.. ركزت ذهنها في مجموعة التجارب التطبيقية التي كُلفت بإجرائها، تمكّنت من إنجازها في الوقت الذي حدده برنامج التدريب.. جمعت النتائج التي توصلت إليها في نموذج واحد قامت بعرضه على البرنامج الجديد الذي أمدّها أندرو برقمه الكودي..

بعد ثوانٍ معدودة ظهرت علامات التوافق والتطابق بين ما توصلت إليه صاحبتنا وما هو مُسجَّل كنتائج قياسية سبق أن رصدتها الأجهزة الرئيسية..

ابتسمت روزالين لنفسها في ثقة..

أحسّت أن هذه البداية تدفعها لأن تُخلّص نفسها من بقايا التعب، خاصة بعد إن امتدح الكمبيوتر طريقتها في التعامل مع الجهاز الجديد..

نَبَّهها صوت المعمل الداخلي عبر سماعه الكمبيوتر أن تدريب
الغد سيبدأ في تمام الثامنة صباحاً في نفس القاعة، أمرها الصوت أن
تشير بالمؤشر الممغنط إلى علامة الخروج.. لما فعلت تَمَنَّى لها ليلة سعيدة
وأطفأ الشاشة، وفتح لها باب المعمل..

في حجرها جسدت روزالين تُفَكِّرُ.. النموذج الذي تعاملت معه
منذ لحظات ليس متميزاً إلى الدرجة التي تتطلب أفراد دورة تدريبية
خاصة به.. مطَّتْ شفيتها.. ربما هذه مجرد بداية سيعقبها مستويات من
التقنيات أكثر تطوراً..

أفاقت من أفكارها على تنبيه ظهر على شاشة التواصل الداخلي
يحذرهما من انخفاض درجة الحرارة في المساء نحو خمس درجات، تحذير
قد يشجعها على النوم مبكراً بعد تناول وجبة العشاء.. لكنها خشيت أن
يخفوها النعاس حتى الصباح إن هاجمها الشوقُ إلى ديفيد بعد إغفاء
مدة ساعة أو ساعتين..

قلة النوم ستجعلها في حالة إعياء قد تُؤثِّرُ في قُدْرَتها على مواصلة
تدريبات يوم الغد دون تقاعُسٍ غير محمود العواقب، لذلك قررت
الجلوس في الهواء الطلق بعد تناول العشاء حتى إذا غلبها النوم،
صعدت من فورها إلى غرفتها..

لكن قبل ذلك عليها أن تتصل بحبيبها لتطمئنَّ عليه..

سيراكوزاه..

اندجحت الصديقتان في إعداد لوازم الحفل..

بعد برهة تركت ميشجان صاحبتهما تقوم وحدها بترتيب الأظعمة والمشروبات التي ستقدم للضيوف وأخذت طريقها ناحية حجرة نوم ديفيد..

استدارت في منتصف المسافة وهي تفك أزرار قميصها، كإشارة تحذيرية لصاحبتهما أن تشغل نفسها بشيء نافع بدل التنصُّت عليها..

دفعت باب الحجرة بهدوء، كان ديفيد يقف نصف عارٍ بالقرب من خزانة ملابسه.. التفت ناحيتها شاهداها وهي تلقي بقميصها خلف ظهرها.. ثم وهي تتخلص من جونلتها.. لم تمهله أن يتحدث.. خشيت أن يطلب منها التريُّث.. وجد نفسه يتجاوب معها بنصف إحساس وهي عارية بين يديه..

من الخارج أرهفت سيندي السمع وهي ترتَّبْ عُلْبَ الأَطعمة وفق دورها في التسخين داخل الميكروويف.. سرعان ما سمعت تأوهات صاحبتها.. هياً لها خُبثها الدفين أن تلحق بها وتفسد عليها انفرادها بصديقها المشترك.. لكنها فضلت أن تترك لها الفرصة كاملة كما وعدتها، لكي تأخذ هي الأخرى نصيبها منه دون اعتراض منها كما اتفقتا في الصباح..

قررت أن تترك المكان القريب من الحجرة إلى حيث صخب مياه البحر.. صَبَّتْ لنفسها كأساً من التونيك شراها المفضل وحملته مع علبة سجائرها وسارت ناحية التراس..

بعد برهة سمعت وراء ظهرها صوت ميشجان الغاضب وهو يسب ويلعن.. كانت تقترب منها وعلى وجهها علامات الثورة المتأججة وفي عينيها تبدو نيران شهوة لم تنطفئ..
ماذا حدث؟..

قبل أن تصل ذروة تواصلها الحميم مع ديفيد إلى منتهاها.. تَلَقَّى مكالمَةً هاتفية.. حاولت أن تلهيه عنها بغنجها.. لكنه صمم على الرد لما عرف أنها آتية من روزالين.. فما كان منها إلا أن تركته فوق السرير وغادرت الحجرة ساخطة وهي تلملم ثيابها..

نصحتها صديقتها بالهدوء، ورجتها أن تنسى ما حدث، فالسهرة ما زالت في أوَّلها..

قدّمت لها المشروب الذي كان في يديها.. أشعلت لها سيجارة..
رجتها ألا تأتي بفعل يُفسد عليها تخطيطهما للاستمتاع بديفيد.. هددتها
إن هي افتعلت مشادة معه ستتركها تتحمل وحدها النتيجة.. ولو
ركبت رأسها وصممت على مغادرة المكان لن تغادره معها..
فعل التهديد فعّله في ميشجان.. اضطرت للرّضوخ للأمر الواقع..

باريس..

لا تصدق روزالين أن ديفيد كان يرد علي مكالمتها وهو بمفرده..
لقد نجح لبضع ثوانٍ في أن يوهمها أنه كان ينتظر مكالمتها هذه.. ميّزت
أذنها صخبًا ما.. أرجعه لما تقوم به ميشجان وسيندي في المطبخ..

نجح في وقف تصميمها على الإسترسال في محاصرته بالأسئلة التي
كان يعرف أنها ستردّ على ذهنها.. وكرر حاجته لمعرفة تفاصيل ما مرت
به منذ هاتفته آخر مرة، وكان لا يزال بالمكتب.. حكّت له كل شيء
ونوّهت بتواضع مستوى البرنامج عما كانت تتوقعه..

خفّت وتيرة ظُنُونها بعض الشيء لما وجدته يتفرغ لها وقتًا أكثر ممّا
كانت تتوقع دون مقاطعةٍ أو اعتراضٍ من أحدٍ..

حاولت روزالين بعد انتهاء حديثها مع ديفيد أن تقنع نفسها أنه
كان خالصًا لها طوال مكالمتها، خاصة بعد أن أبدى اهتمامه بها مرّ بها
وبها هي مُقبلةٌ عليه..

صاحبها السكينة وهي في طريقها إلى المطعم.. لكن تذكرها
المفاجئ لصوت الباب الذي أغلق بعنف، أعادها إلى منطقة الشكوك
السوداء مرة أخرى..

سبقها المتدربون وأندرو ومساعدوه إلى المطعم المزدهم.. وقفت
في الطابور.. جهزت أطباقها فوق الصينية بما تحب.. لم تجد منضدة
تجلس إليها في الداخل.. خرجت إلى ساحة المطعم الخلفية.. متعت
ناظرها بنضارة المكان.. الخضرة حولها بكل درجاتها.. فنَّ التدرُّج في
غرس الأشجار الذي تميَّز به الفرنسيون منذ عشرات السنين صنع مع
القنوات المائية الصغيرة التي تنساب بين المساحات المزروعة، لوحةً
طبيعيةً تشيع بهجةً في النفوس..
اشتيت أن يكون ديفيد معها..

اختارت كرسياً ومنضدة منحوتان من الأشجار الطبيعية.. بدأت
في تناول وجبتها..
لَحَقَتْ بها إحدى المشاركات في الدورة..

بعد دردشة بسيطة عرفت روزالين من إيملي أنهم اتفقوا على قضاء
بعض الوقت في صالة الرقص التي تقع في أقصى الطرف الشمالي
للحديقة.. سألتها: هل ستنضمُّ إليهم أم أنها رتبت لنفسها وقتاً
خاصاً؟..

استحسنَت روزالين فكرة قضاء بعض الوقت مع زملائها في
المرقص بدلاً من الإنفراد بنفسها في حجرتها.. قالت: إنها ستنضمُّ
إليهم، ولكنها ربما لا تبقى إلى نهاية السهرة..

كانت السهرة جزءاً من البرنامج الذي صمّمه أندرو، ظاهرها زيادة فرص التعارف بين المتدربين خارج القاعات والمعامل.. وباطنها توفير المناخ الترويجي الذي يساعد روزالين على أبعاد ديفيد لبعض الوقت عن بؤرة تفكيرها والعمل على تهميش أسباب افتقادها له، بعد أن بيّن التحليل المبذئي لمحادثاتها الهاتفية معه منذ تركت سيراكوزاه مقدار تعلّقها به، ومدى إحساسها بالذنب تجاهه..

بعد أن انتهت من تناول عشائها تمشّت قليلاً حول المكان حتى عثرت على الصالة التي تصدح بين جنباتها الأنغام الراقصة.. اختارت أن تقف إلى جانب إيملي..

نجح جو المرقص في جذب انتباه روزالين بما فيه من عروض فرنسية تختلف كثيراً عن العروض الإيطالية التي تزخر بها مدن وقرى صقلية.. نسيت ديفيد ربما لأول مرة في عمر علاقتهما الغرامية.. لم تجد غضاضة في أن تستجيب لتلميحات ومداعبات ولمسات بعض الزملاء، فهذا في حدّ ذاته اعتراف بجاذبية الأنوثة الطاغية التي تتمتع بها..

شاركت في بعض التعليقات الساخنة وتبادلت مع إيملي عددًا من النكات الجنسية.. ساعدها الجو العام على عدم التفكير فيما يجري (الآن) في شقة ديفيد..

قررت بعد برهة أن تترك تحديد مسار ساعتها التالية لخبرة بوصلتها التي نادرًا ما أفسدت عليها أمنيّاتها..

وجدت روزالين نفسها - بمضي الوقت - أكثر إقبالا على المشاركة فيما يدور حولها من متع.. فهذه مجموعة من الرجال يلتفون حول راقصة عارية توزع جوعها الجنسي المصطنع عليهم.. وتلك مجموعة من النسوة يُجَيَّن بصر خاتٍ هستيرية رجلاً مفتول العضلات يوحي لكل واحدة على حدة أنه يُضاجِعُها.. وفي الأركان بعيداً عن المسرحين أحاديث جادة وأخرى هامسة.. وبين هؤلاء وهؤلاء مُداعباتٌ جنسيةٌ رقيقةٌ حاملةٌ وأخرى شهوانيةٌ أشدَّ قسوةً..

اختصها واحد من الزملاء بعناية خاصة.. كان روبرتو نموذجاً لصنف الرجال الذين تعشقهم روزالين.. ممشوق القوام.. مقتحماً.. في عينيه قسوة وتصميم.. حاصرهما برغبة متدفقة.. كما لو كان يعرف أنها ستسقط بين يديه فور أن يُشيرَ إليها..

تبادلا عدداً لا بأس به من الأنخاب.. رقص معها أكثر من مرة.. صبَّ في أذنيها تعليقات فاضحة عن كل ما هو ظاهر وخفي من جسدها.. أوصلها إلى مرحلة الذوبان الحسي فيه.. وعندما استأذنته للانصراف سألها بشكل مباشر: أين تريد أن يقضيا معاً بقية الليل؟ في حجرته أم في حجرتها؟ اقترحت أن يتقابلا في ملعبها.. أبدى موافقته الفورية بقبلةٍ طويلةٍ ضاغطةٍ على جانب رقبتها القريب منه..

أحاط خصرها بيده، واتَّجه بها ناحية باب الخروج.. شجعتهم نسمة الليل الباردة على الالتصاق وتبادل القبلات المنشطة.. في المصعد، هيات لهما الأنغام الموسيقية الحاملة أجواء تبادل المزيد من القبلات التي صاحبتها حتى اجتازا باب حجرتهما..

سيراكوزاه..

قرب الساعة الثامنة مساءً تتابع حضور أصدقاء ديفيد لحفل عيد ميلاده..

تولّت ميشجان وسيندي الترحيب بكل قادم جديد.. تشكلت ثنائياتٌ وجماعات احتلت مكان الاستقبال والتراس.. كان السؤال الرئيسي عن سبب غياب روزالين.. وكانت الإجابة أنها سافرت فجأة إلى باريس في مهمة عمل عاجلة..

لم يكن العدد كبيراً.. قام كل ضيف بخدمة نفسه وفق ما يريد ويشتهي.. بعد إطفاء الشموع تبادل الجميع التهاني.. كانت رقصة ديفيد الأولى والثانية من نصيب صديقتيه.. بعدها رقص مع أخريات.. كما رقصت الصديقتان مع آخرين..

في التوقيت المناسب الذي لا يُسمح بعده بأي صخب أو أصوات عالية في البنايات السكنية.. بدأ الضيوف في الإنصراف كما جاؤوا..

بقيت ميشيجان وسيندي بعد انصراف الجميع لإعادة ترتيب الشقة وإزالة بقايا الطعام والشراب، ولاستكمال جزء السهرة الخاص بهما..

تشارك الثلاثة في إعادة نظام الشقة إلى ما كان عليه.. أفرغا التراس مما لحق به من فوضى.. قامت ميشيجان بوضع بقايا الطعام والشراب في مفرمة المطبخ التي تصبُّ في مياه المخلفات.. أما سيندي فساعدت ديفيد في وضع المواد الصلبة والمناديل الورقية المتسخة والمواد البلاستيكية والزجاجات في صناديق مخصصة لكل نوع تمهيداً لإرسالها إلى حيث يُعادُ تشكيلها كونها منتجاتٍ مستهلكة..

وقف ديفيد يرتب بطاقات التهئة التي جاءته على أرفف مكتبة الأقراص الممغنطة..

خلعت ميشيجان قمصيتها وجونلتها واتجهت إلى الحمام..

انتهت سيندي من تنظيف أسطح المطبخ التي استخدمت كموائد.. جففت يديها، عبرت المكان إلى حيث يقف ديفيد.. طوّفته من الخلف، وضغطت على ظهره بثدييها النافرين.. ترك ما في يده واستدار لها.. احتواها بين ذراعيه، خرجت الأخرى من الحمام.. اقتربت منهما وهي تنزع الغطاء البلاستيكي الذي كان يحمي شعرها من البُكل..

باريس..

بدأ برنامج الدورة الصباحية في موعده.. اتجه كل مُتدربٍ بعد تسجيل حضوره الإلكتروني إلى معمله.. فتح كل منهم شاشة الكمبيوتر..

في داخل قاعة معمل تحليل السلوكيات الرئيسي.. جلس أندرو يشاهد الأشرطة التي سُجّلت من داخل شقة ديفيد منذ دخلها هو وميشجان وسيندي.. رأى وسمع كيف غضبت ميشجان من مكالمته الهاتفية مع روزالين.. تابع قُدوم ضيوفه وتعليقاتهم.. ثم دقّق في تفاصيل استحواذ صديقتيه عليه بعد انصراف الحضور..

في مكان آخر من المعمل كان الفريق المُكلّف بملف ديفيد يُدقّق النظر في الأشرطة التي سُجّلت لروزالين منذ هبطت في مطار روما ومكالماتها الهاتفية مع ديفيد ومشاركاتها في بداية الدورة التدريبية.. مضاعفاً إليها ما سجل لها أثناء تناولها للعشاء، ثم انضمامها لزملائها في المرقص وصعودها إلى حجرتها مع واحد منهم..

انضمَّ فريق المحللين إلى أندرو..

أكد المتخصُّص بتحليل الملفين أنَّ سلوكيات ديفيد وممارساته الجنسية منذ مطارحته الغرام لصاحبتة في تراس شقته المطل على البحر، ما زال يشوبها اضطراب أدائي ملحوظ قد يوحي بأن فكره مشغولٌ بقضية يحاول التكتُّم عليها..

للتدليل على ما يقوله عرض الرجل على أقرب الشاشات إليه وإلى أندرو نموذجين لنشاط خلايا عقل ديفيد المرتبطة بالوظيفة الجنسية.. الأول يرجع تاريخه إلى ما قبل واقعة التراس بنحو شهر والثاني لمجمل مواعقاته قبل اثنتي عشرة ساعة.. أشار ناحية منطقة تتلون باللون القاتم في الأول وبيّته لونها في الثاني.. وبرر ذلك، بأنه ما يزال يعاني انفصلاً بين الفكر والأداء أثناء تمتّعه بلحظة النشوة..

في وصفه لسلوكيات روزالين الحميمة، مال الرجل إلى وصفها بالاعتدال وانسباط الشخصية.. ولتأكيد وجهة نظره عرض على نفس الشاشة نموذجين لنشاط عقلها وهي تمارس الجنس.. أحدهما مع ديفيد والآخر مع زميل الدورة الذي رتّب معه أندرو أن يتعارف إليها، حيث اتضح تطابق ألوان منطقتي التفكير عندها..

اقترح المختصُّ ألاّ تتعرّض روزالين لإغواءات ممارسة الجنس حتى تعود إلى سير اكوزاه وهي في قمة احتياجها لرجلها الذي تحبّه.. لأن تحليل أول لقاء حميمي بينهما سيلقي مزيداً من الضوء على سلوكيات ديفيد، وربما لو تمكّنت اللجنة من تجنيدها ودربتها على توجيه الحديث بينهما إلى وجهةٍ بعينها.. لجاءت النتائج أكثر إيضاحاً..

سأل أندرو المختص عن مدى قُدرة ديفيد على البقاء رهن حالة التكتُّم التي تبدو عليه إذا ما تعرض لتجربة إقامة علاقةٍ حميميةٍ طارئةٍ وجديدةٍ مع امرأةٍ ذات مواصفاتٍ خاصّةٍ! شرح أنه يريد عزل أيّ علاقةٍ شرطية بين معرفته (ديفيد) المسبقة بالأنثى التي يُصاَجِعُها، وبين حرصه الشديد على تكتُّم أمرٍ ما!..

مال المختصُّ إلى القول: إن الاحتمال بعيد، ولكنه لم ينفِ عدم الحاجة عملياً لإجراء التجربة بهدف رفع نسبة الثقة في الاستنتاجات المرتبطة بقضية ديفيد التي ما زالت قيد البحث..

عاد أندرو إلى مكتبه داخل قاعة التدريب.. فتح قنوات التواصل مع المتدربين..

انتبهت روزالين، وهي مشغولة تماماً بأداء التجارب، على صوت أندرو يثني على سرعة استيعابها للتقنيات الجديدة.. وبلغها أنه بسبب كفاءة النتائج التي توالي التوصل إليها ستكون أول من يُناقشُ معها ملاحظاتها المبدئية حول ترتيبات برنامج الدورة بعد انتهاء تدريبات النصف الأول من الفترة الصباحية..

توقّفت روزالين عند مرحلة معينة، وتوجهت إلى قاعة العمل الرئيسي..

سألها أندرو عن رأيها في البرامج؟ قالت: إنها كانت تتوقع مستوى أعلى من التدريب على نماذج أكثر حداثة.. لأن الفروق بين ما تتعامل معه في سيراكوزاه وما تتدرب عليه هنا ليس بالأكثر تطوراً أو الأفضل أداءً..

شرح لها أندرو أن نماذج التقنية التي يتعاملون معها ويطبقون من خلالها تجاربهم، هي تصميمات تحت التجريب.. لذلك فإن جزءاً مهماً من قياس كفاءتها، يتم مراجعته ضمن ترتيبات البرنامج الذي تشارك فيه..

ناقش معها بشكل عارضٍ بضع ملاحظات أخرى أبدت هي رغبة في الإشارة إليها.. واستمع إليها وهي تقوم بتقييم مبدئي لمستويات استفادتها الشخصية من تطبيقات اليوم الأول..

كانت روزالين على وشك أن تقترح عقد ورشة عمل جماعية في آخر أيام الدورة لتقييم برنامجها، عندما عبر أندرو عن أمله أن يكون ما صادفته منذ أمس قد شغلها ولو بعض الوقت، عن احتفال صديقها ديفيد بحفل عيد ميلاد!..

لزمت الصمت.. لم تعرف بماذا تردُّ..

سألها أندرو بصوت محايد: هل كانت استضافتها لزميلها في حجرتها أمس نكايّة في صديقها ديفيد الذي عرف كيف يتمتع بوقته منذ ولج باب شقته رفقة صديقيته وحتى ساعة متأخرة من الليل.. أم أن سفرها المفاجئ دون توديعه هو الذي جعلها في حالة احتياج جنسي لم تستطع مقاومته.. أم أن ذلك يرجع إلى جاذبية الزميل التي شديتها إليه!..

تنبّه عقلُ روزالين من أول سؤال..

هي تعرف أن ما يستفسر عنه مسئول الدورة لا يُمثّل شكلاً من أشكال التحقيق السلوكي الوظيفي بمعنى الكلمة.. فليست العلاقات

العاطفية مما يدخل تحت رقابة الأجهزة الرئاسية، وليس لها أي صلة بكفاءة العمل أو ردائه.. وليست مما يؤثر في مقومات تجديد عقود العمل الدورية..

زاد انتباهها عندما استوعبت تمامًا ربطه بين إمكان ان تكون قد أمضت ليلة أمس في أحضان زميل الدورة نكايه في ديفيد الذي كان يعبُّ من الجنس بلا توقف.. هي تعرف أن كل خطواتها محسوبة عليها حتى من قبل أن تهبط مطار روما! لكن لماذا يربطون بين تصرفاتها هنا في باريس وسلوكيات حبيبها هناك في سيراكوزاه؟..

وجدت لزامًا عليها قبل أن تتهم نفسها بالغفلة حين صدقت أن ديفيد كان يردُّ على محادثتها الهاتفية وهو بمفرده في حجرة النوم، أن تجيبَ عمَّا طرحه أندرو من استفسارات..

قالت بصراحة: إن سفرها المفاجئ الاضطرابي دون وداع صديقها.. أثارَ فيها وجدانيًا وجعلها غير قادرةٍ على مقاومة نهر العاطفة الذي أغرقها فيه زميلها، خاصة وأن وسامته وجاذبيته كانتا مما يرفع مؤشر الشَّبَق لديها..

نطقت روزالين بهذه الكلمات بينما شعلة الغيظ والحنق تزداد اشتعالًا في داخلها..

كان عليها أن تدرك أن ديفيد يحاول أن يداري فجوره بإبداء الاهتمام بها..

نجح هذا الوغد في أن يوهمها بأن الصخب الذي سمعته بأذنيها كان آتيًا من ناحية المطبخ بينما هو صادر من مواء إحدى صاحبتيه..

كادت أن تصرخ بما يدور في ذهنها، ولكنها تراجعت..

خَمَّنَ أندرو ما يدور بخاطرِها، عليه أن يكشف ضرباته حتى تستسلم روزالين لمُخطَّطه بأن ينتقل للعب بمهارة داخل منطقة تخويفها من مستقبل علاقتها الحميمية مع ديفيد، حتى يدفعها للموافقة على الانضمام للفريق الذي يسعى جاهداً للحفاظ لها على حبيب القلب في مكان آمن بعيداً عن عبث الأخرىات!..

سمعتة يقول لها: إن الخبراء الأمنيين غير مطمئنين على مستقبل ديفيد الوظيفي والأمني بعد قضائه ليلة أمس مع هاتين المرأتين، لأن سلوكيات كل منهما توحى بسعيهما لاستنزافه أخلاقياً..

بان عليها التركيز وأطرقت مُستمعةً لمزيد من المعلومات..

لقد نجح في جذبها كليةً إلى دائرة الاقتناع..

عرفت منه أنها منقولتان لشغل مواقع حدودية لها أهميتها وحساسيتها، واللجنة العليا للسلوكيات تحشى أن يكون قد دار بينهما وبين ديفيد حديث خافت حول شيء لم تتحدده أجهزة التصنت.. بينما ابلغ ديفيد أحد أصدقائه عرضاً صباح اليوم أنه ينوي أن يترك منصبه في برج سيراكوزاه لكي ينضم إلى مراقبة حرس الحدود!..

انتقلت روزالين تحت وطأة الهدفين المتتالين اللذين أصاباها في مقتل من مركز الشك والخشية إلى خط الدفاع الأمامي عن مستقبل عشقها..

وضح الغضب على ملامحها بازدياد اشتعالها الداخلي..

ملعون هذا الديفيد..

هل يريد أن ينتقم منها لسفرها المفاجئ، بالهجرة من سيراكوزاه
كلها جرياً وراء غرامياته المزدوجة وعشقه القديم؟ إذن كل ما أبداه من
اهتمام كان مزيفاً..

ما المطلوب مني؟ هكذا كان سؤالها لأندرو مباشرة وقاطعاً..

كانت تدرك أن هناك مصلحة مشتركة تجمعها ومثل اللجنة العليا
للسلوكيات الذي تجلس في مكتبه.. هي تدافع عن حبها لديفيد الذي
يكاد أن يصبح سراً، وهو يريد أن يمنع عنه كارثة يكاد يذهب إليها
مغطي العينين بعصابة الجنس..

جاء السؤال متوافقاً مع خطة أندرو التي رسمها.. أفهمها أن
استعدادها لتحمل مسؤولية كشف ما دار بين الشخصين الثلاثة، يمثل
خدمة كبيرة ستحسب لها لأن المهم لديه الآن أن يمنع ما قد يمثل كارثة
على أي مستوى..

قال لها: إنها ستمضي النصف الثاني من برنامج الصباح مع
متخصصة ستلقنها فن الحوار في مثل هذه المسائل الحساسة.. وأثناء
ذلك سيضيف الفنيون إلى الميكرو i Pad الخاص بها شريحة ذات أداء
مزدوج بهدف زيادة كفاءة الكاميرا الموصلة به عند تسجيل الصوت
والصورة، ولربطها بجهاز Ultra Wideband 303 الذي تدربت عليه
أمس واليوم..

أبدت موافقة على كل ما سمعته بإيماءة من رأسها..

رجاها وهي تهْمُ بالانصراف أن تخلد للراحة عشر دقائق في
حجرتها لكي تستعدَّ لتدريبات الحوار.. سألها: هل تنوي مُهاذفة
ديفيد؟.. أومأت برأسها.. اقترح عليها أن تبدي أثناء حديثها معه غيرةً
أنثوية معتدلة.. لأنه من المفترض فيها أنها لم تعرف بممارساته مع
مشيجان وسيندي..

قالت له عيناها بإصرار وهي تستدير لمغادرة مكتبه: إنها ستفعل..

مكتبة اليهود الوطنية بدلاس

وجد يوسي بلوتسكرف نفسه في مأزق..

قناعته بحتمية إبلاغ ما سمعه من صديقه هاري إلى أفي مساعد
الحاخام الأكبر تُزيّن له أن يشير إليه من بعيد عبر محادثة هاتفية، ولكنه
يخشى أن يُتهمَ بإهمال التحذيرات التي تفرض عليه الامتناع عن طرحها
بشكل مباشر عبر وسائل الاتصال العادية مهما تكن الأسباب..

كان عليه أن يتخير الوعاء الأفضل لتبليغ رسالته..

لذلك أعطى نفسه الوقت الكافي للتفكير..

ولما اكتملت في رأسه عوامل التغطية زيّن - من طرف خفي -
لقيادات المجتمع اليهودي في المدينة أن يلحّوا في أن يكون أفي على رأس
احتفالاتهم ببداية السنة اليهودية الجديدة لكي يضمنوا استجابة السماء
لتوسّلاته الإيانية بعد أن أصمّت أذنيها عن الدعاء الذي تلاه العام
السابق، فردّ "عليم من الرعية" لم يدرس في اليشيفاه المدرسة الدينية
اليهودية..

أما هو فتعمّد ألا يُهاتفَ الرجل..

كان بلوتسكر على ثقةٍ أن أفي بعد إبداء موافقته على ترأس
الاحتفال سيسعى للحصول على بركة الحاخام الأكبر، بعدها سيتصل
به لترتيب البرنامج..

لذلك استعدّ لأن يقترح إضافة فقرة للاحتفاء بانتهاء مرحلة
الطفولة لعدد من الصبيان (١٣ عامًا) والبنات (١٢ عامًا) حتى ينفرد
به فترة أطول..

سيراكوزاه..

توجّه ديفيد إلى مكتبه صبيحة اليوم التالي لأمنية احتفاله بمناسبة عيد ميلاده وهو نصف نائم نصف واعٍ .. ورغم مرور نصف النهار لم يشعر أنه استرد كامل نشاطه..

لا يدري كيف انتقل من شقته إلى مكتبه دون أن يقع له حادث سير..

طوال الطريق وبعد أن أسلم قيادة السيارة إلى السائق الآلي كان يُقاوم بشده انطباق جفونه.. لأول مرة منذ عدة شهور يتناول أكواب القهوة السوداء الواحد تلو الآخر دون توقّف تقريباً.. يشعر إنه يحتاج لساعات طويلة من الراحة لكي يستردّ عافيته.. عضلات جسمه إمّا مشدودة أو مُجهدة أو مُعطلة تماماً..

ماذا حدث له ليلة أمس؟..

وجَدَ نفسه ينتقل من صالة الشقة إلى حجرة النوم مُحاطاً بسيندي من ناحية وميشجان من الناحية الأخرى.. إحداهما كان جسمها

يرتعش بثورته تحت ملابسها.. والثانية كانت سخونة جسمها تجفف تلقائياً بقايا نقاط الماء التي ما زالت عالقة به..

لم يكن في استطاعته أن يقاوم إغراء المراتين.. كانت خطة انفرادهما به محكمة.. ثلاثتهم فوق سرير نومه لم يتركأ له فرصة للهرب أو الراحة.. ضاجعته كل منهما على التوالي بكل ما أوتيت من عُنْفٍ ووحشية حتى حُيِّلَ إليه أنه يدورُ بين جداري دوامة مياه مضطربة تجذبه إلى الأعماق كلما همَّ بالصُّعودِ إلى السطح..

في أول الأمر كان يتلذذ بانفراده بصاحبتيه.. لكنه سرعان ما فقد قُدْرته على التركيز، ولم يعد يميز مَنْ التي انتهى منها توًّا، ومن التي تستنهض قُدراته من جديد.. أنهكه أنه كلما تراخت عضلاته تعاونا معاً بحرفية عالية على تنشيطها..

لا يدري حقيقة ما انتهى إليه حاله! هل سقط مغشياً عليه فقررتا على مضض إعفائه من باقي فقرات برنامجهما المُعد سلفاً؟.. أم راح في سُبَاتٍ عميق لم تقدر كلتاها على منعه من السقوط في قاعه رغماً عنهما؟..

لم يدرِ بنفسه إلا وميشجان توقَّظَ بصعوبة وإلحاح لكي يأخذ حمام الصباح المُنعش.. في طريقه خارجاً من حجرة النوم لاحظ سيندي وهي تقوم بإعداد وجبة الإفطار.. طلب منها أن تُعدَّ له كوباً كبيراً من القهوة السوداء..

من داخل مكتبه بدأ يقوم بمسؤولياته الروتينية بآلية يحسد عليها، معتمداً على طول ممارسته وخبرته..

ابتسم ديفيد لما سَمِعَ صوت روزالين عبر الهاتف تطمئنُ عليه..
قالت: إنها افتقدته.. سألته كيف سار الحفل؟ تعمَّد أن يحكي لها
باختصار حتى لا يأتي على سيرة صاحبيته.. استفسر منها عن برنامجها
التدريبي.. قالت له: إن الدورة تمنحهم الفرصة لتجريب عدد من
النماذج العملية والأجهزة التي ما زالت في مرحلة الاختبار بهدف
التعرُّف من خلالها على قدراتها العملية قبل أن يقرروا صلاحيتها..

حاصرته بإلحاحها فاضطر للاعتراف بأن صاحبيته قضيتا الليل
معه، لكنه نجح في إخفاء الجانب الأكبر مما جرى بينه وبينها..

تمكَّنت بصعوبة من وقف انجرافها التلقائي في مواصلة استجوابه
عندما تذكَّرت قول أندرو لها أن تبدي غيرَ مُعتدلة، فما كان منها إلا أن
توعَّده بمحاسبة عسيرة لن تراجع عنها مهما يستعطفها، فور عودتها
بعد ظهر الغد..

أحست أن رنة صوتها عبَّرت عن مصداقية عكست استعدادها
للدفاع عن حُبِّها بكل ما أوتيت من قوة، خاصة بعد أن تنتهي من لقاءها
المرتقب مع الخبرة التي ستلقنها قواعد التحكم في نشاطات العقل
وتفاعلاته..

بعد انتهاء المحادثة هُيَّئُ لديفيد أنه لاحظ رنة فرحة في صوت
معشوقته..

عزاً ذلك لقرب عودتها، ولكنه سرعان ما اكتأب حين فكَّر فيما
يمكن أن ينتهي إليه لقاءهما الحميمي المرتقب لو زارته قبل أن تذهب

إلى شقتها.. لم يكن تحوُّله إلى الضد بسبب تهديدها له بجلسة محاسبة
عسيرة، لكن لخشيته من أن تدرك بحس الأنثى مدى الاستنزاف الذي
تعرض له قبل ليلتين!..

باريس..

قضت روزالين بقية برنامج الفترة الصباحية في لقاءٍ خاصٍّ مع خبيرة في تكتيك التحكم في نشاطات العقل وتفاعلاته.. كررت عليها بشكل علمي أن مهمتها مع ديفيد تنحصر في استدراجه أثناء ممارسته الجنس معها إلى فكِّ مغاليق عقله ليبوح بما يخبئه..

بدأت المتخصصة بتدريب نظريٍّ أوضحت من خلاله كيف يمكن لروزالين أن تُنشئَ علاقة فاصلة بين عقلها وبين جسدها عندما تكون في حالة نشوة وممتعة أثناء مضاجعتها لرجلها.. بحيث تتمكن بسهولة من توجيه عقلها لطرح نقاشات ذات صلة ظاهرية باللحظة التي هي فيها، بينما هي في حقيقة الأمر تبحث وراء أمور أخرى..

أفاضت الخبيرة في شرح مرتكزات تكتيك توجيه العقل للتحكم في المشاعر المستثارة لكي يقوم بجذب الطرف الآخر إلى حيث يريدُ، بدلاً من تركه مُستسلماً فقط لمتعة إشباع الحاجة الجنسية في لحظة الممارسة حتى ولو كان مُندمجاً لدرجة الانصهار كليةً في الاستمتاع بها..

أعقب ذلك تدريبٌ تطبيقيٌّ عرضت عليها المتخصصة ضمن فقراته بعض نماذج مُصوَّرة لمشاهد لقاءات حميمة بين سيدات ورجال كانوا مُكلَّفين بمهام مشابهة لتلك التي أوكلت إليها، وأطلعتهما بعد عرض كل نموذج على التقرير الذي أعدَّه مُحْتصون تقييماً لمدى قدرة المكلفين (كما ستكون هي بعد بضع ساعات) على تحقيق نتائج من خلال تطبيقهم للتكنيك الذي تدربت عليه منذ لحظات.. وشرحت لها لماذا فشل البعض منهم؟..

نزلت روزالين إلى المطعم لتناول وجبة الغذاء بعد أن انتهت من اختزان آخر تعليمات الخبرة التي كانت هي تلميذتها الوحيدة.. وقفت في الطابور.. اختارت بعض المأكولات الفرنسية الشهيرة.. وجدت منضده خالية في طرف صالة المطعم المطلة على الجدول المائي.. شاهدت عبر النافذة روبرتو منهمكاً في نقاشاتٍ حادة مع واحد من مساعدي أندرو.. بقيت بمفردها حتى أنهت غذاءها..

لحق بها روبرتو عندما بدأت تتمشَّى حول المكان قبل أن تتوجَّه إلى قاعة التدريب.. حيَّاهما بينما أثار النقاش الحادَّ ما زالت بادية على ملامحه.. قال لها: إنه كان يودُّ أن يقضي الليل معها، لكن المشرفين على الدورة أبلغوه منذ لحظات أنه سيتلقى مع مجموعة من المتدربين فقرات برنامج ما بعد الظهر في مبنى آخر شرقي باريس.. لم تُبدِ ردَّ فعلٍ محدد..

سار بجوارها حتى البوابة المؤدية إلى داخل المبنى، قبلها مُكرِّراً اعتذاره، ثم أسرع لينضم لملائه الآخرين ..

دخلت المصعد مع مجموعة من المتدربين..

في رحلة الصعود إلى أعلى مالت صاحبتنا للاعتقاد أن روبرتو كان مُكَلَّفًا بأداء دور محدد معها، دور تعتقد أنه انتهى قبل ظهر اليوم بالتوازي مع تكليفها بمهمة كشف أغوار ديفيد..

فهل سيأتي عليها اليوم الذي يُطلب إليها الابتعاد عن حبیبها بعد أن تنتهي من دورها؟..

دخلت روزالين إلى معملها التجريبي.. قامت بإجراء بعض التجارب سابقة التجهيز.. نجحت في الإشارة إلى بعض المعوقات الإلكترونية.. انتقلت بين مختلف المستويات.. شاركت زملاء آخرين في تصميم عدد من النماذج التحليلية المتطورة..

قال لها أندرو في نهاية الفترة: إن صباح الغد سيقسم بين آخر مران مطلوب منها وبين التسوق قبل أن تتجه إلى المطار لتلحق بطائرتها..

بعد العشاء تمشّت لبعض الوقت حول المبنى، دفعتها الطبيعة الحاملة والأنفاس الهامسة التي تحيط بها إلى استعراض ما مرَّ بها منذ تلقت التكليف بالسفر إلى باريس..

هل تحذيرها من إبلاغ ديفيد بتفاصيل المهمة كان مبنياً على شكٍّ من جانب المسؤولين في سلوكياته بدأ يتنامى؟ إذاً، فأمر علاقته المشبوهة بصاحبتيه أقدم من أمسية عيد الميلاد.. معنى ذلك أنه إستعداد غرامه بهما بعد أن توثقت علاقته بها!..

كيف لم تلاحظ ذلك؟.. كيف تسنى له أن يُوهِّمها أنه لها هي دون غيرها؟..

إذا كان بارعاً إلى هذه الدرجة، فكيف ستمكن من تنفيذ التكنيك الذي تدربت عليه؟..

قالت لنفسها انها ستبذل أقصى ما في وسعها للجمع بين القدرات الحسية والمهارات المكتسبة لكي يُفرج في لحظة نشوة عارمة عمّا يخفيه، وعليها أن تترك حسابات فشل تجربتها أو نجاحها للمختصين الذين سيقومونها..

لما أحست روزالين بالتعب صعدت إلى حجرتها.. خلعت ثيابها.. أبقت جسدها المتعب تحت المياه الدافئة أطول فترة ممكنة.. استلقت في السرير تُشاهد فقرات متنوعة من الاستعراضات الفرنسية الراقصة.. هاتفت ديفيد وحكت له عمّا وَقَعَ لها بقية النهار.. ووصفت له بإعجاب أصناف الطعام الفرنسي الذي تناولته.. قبل أن تنهي المكالمة وعدته بمكالمةٍ بأخرى في اليوم التالي قبل إقلاع الطائرة المتجهة من باريس إلى روما..

اللجنة العليا للسلوكيات..

اطمأنَّ خبراء اللجنة العليا للسلوكيات الذين كانوا يستمعون إلى مكالمة روزالين مع صديقها ديفيد إلى مدى التزامها بما تعهَّدت به في المقابلة التي جمعتها مع أندرو..

وعندما ضمُّوا محصلة هذا الاستنتاج مع مؤشرات أخرى توصلوا إليها ضمن تتبعهم لخطواتها في فترة الغذاء وتقبُّلها التلقائي لاعتذار زميلها المتدرب.. ثم تجوالها الهادئ حول المكان وانفرادها بنفسها حتى صباح اليوم التالي، توقعوا بنسبة عالية أن تنجح في تنفيذ المهمة التي أوكلت إليها..

ورأوا في اختيارها ألا تزج بنفسها في خضم تجربة حميمة عشوائية في الليلة السابقة على عودتها إلى سيراكوزاه، قدرة على التحكم - عند الحاجة - في مشاعرها واستعداد مبدئي للتوحد مع حالة مستقبلية تريد أن تتقمصها بشكلٍ مُبكرٍ..

العودة إلى سيراكوزاه..

استيقظت روزالين في اليوم التالي نشيطة..

أخذت حمامًا سريعًا رتبت حقيبتها، اختارت أن تتناول كوبًا كبيرًا من القهوة بدلًا من وجبة الإفطار.. تشعر أنها أقل توترًا مما كان عليه حالها عندما أتت منذ ثلاثة أيام.. عند غروب الشمس ستكون قد عادت إلى سيراكوزاه، وهناك ستأكد لماذا يتظاهر ديفيد بحبه له، بينما هو يُخطِّطُ لهجرها..

في نهاية فترة التدريب الصباحية سمعت صوت أندرو يشكرها على مشاركتها في الدورة ويشدد على حاجة الهيئة للتعرفُ بشكل فوري إلى مدى استفادتها من كل ما تدرّبت عليه، أبلغها أن سيارة ستكون في انتظارها بعد خمس عشرة دقيقة لتقلها إلى المطار.. وإذا كانت ترغب في إلقاء نظرة على سوق باريس التجاري، فعليها أن ترتب ذلك مع السائق لكي يتخير الطريق الذي يوفر لها بعض الوقت قبل موعد إقلاع طائرتها إلى روما..

نزلت روزالين من السيارة عند سوق باريس التجاري.. كان أمامها نحو عشر دقائق، قبل أن تتوجَّه إلى بوابة المطار القريبة التي ستقودها إلى حيث الطائرة التي ستسافر عليها.. تنقلت بين صفوف فاترينات الهدايا بحثًا عن واحدة مناسبة لرجلها..

طاف في ذهنها حرص أندرو على تذكيرها بما تدرّبت عليه، هو يقصد في المقام الأول تعاملها مع ديفيد لكشف الغطاء عمّا يعتمل في باطنه.. أما هي فتتوي أن تنتصر على غريمتيها في معركة استعادته لنفسها ثانية..

وجدت نفسها تقف بشكل تلقائي أمام مجموعة من القواقع البحرية الطبيعية التي دائماً ما تجذب انتباهها، هذا هو العالم السحري الذي تعتقد في قدراته..

قررت أن تشتري واحدة لديفيد، فلربما ساهم سرها الأعظم في إعادته إليها..

فتَّشت فوق كل الأرفف حتى عثرت على نسخة طُبِّق الأصل من قوقعتها الأثيرة..

لما أخذتها ملفوفة في الورق الملون وأطبقت عليها أصابعها، أحست كما لو أنها تضغط على أنفاس معشوقها ليعترف لها بما جرى منه ليلة عيد ميلاده..

انتبهت على صوتٍ دافئ يطلب من المسافرين على الطائرة المتجهة إلى روما أن يأخذوا طريقهم ناحية الخط البنفسجي.. التزمت السير فوق الخط بعدما عثرت عليه..

لما جاء دورها عرضت حقيبتها للتفتيش وحدّقت في الكاميرا، بعد
خمس ثوانٍ سُمح لها بعبور بوابة الأشعة الخفية.. ومن هناك وجدت
نفسها تقف فوق ممشّي يسير بسرعة خمسة كيلومترات / ساعة إلى حيث
باب الطائرة..

فتحت قناة التواصل السمعي البصري مع ديفيد.. هلّ عندما
عرف أنها بعد دقيقة واحدة ستكون داخل الطائرة..
لم يجد مناصاً من الاستسلام لرغبتها لما طلبت منه بدلال ممزوج
بالتوعد، أن ينتظرها في جراج البناية التي يسكن بها..

شتوتجارت مدينة السيارات ..

كانت بحق ليلة مجسم مضمار السباق ..

أحس إيمانويل بمعنوياته عالية عندما تحقق له بعد جهود مضنية، حلم بناء مجسم للشواطئ المطلة على البحر المتوسط التي تشكل مضمار سباق السيارات العالمي ..

تضمن المجسم جميع المظاهر الجغرافية التي تتميز بها كل منطقة وفقاً لما وفّرتة قاعدة المعلومات الأساسية .. الانبساط والانحدار والارتفاع .. الوعورة والانسيابية .. الصحارى وقمم الجبال وسفوح الوديان .. المساحات المجذبة وتلك التي تحيط بها الأشجار .. الاتساع والضيق ..

كان الاعتماد في أول الأمر على الخرائط المصورة ..

لكن بعد طول مراجعة، تأكد له أنها لن تفي بغرض تعريف المتسابقين بطبيعة الأرض التي سيتنافسون فوقها، كان يرى أن من حق

قائدي كل سيارة أن يتعرفا إلى حقيقة الطريق الذي سيسيران فيه..
مكوناته ومظاهره وكل ما يكتنفه من عقبات طبيعية.. وأن يمعنا النظر
في جزئياته..

ولما نجح إيمانويل في إقناع الحكومة العالمية بالموافقة على بناء مجسم
ضخم للمضمار، عرف أنه نجح في تذليل المشكلة التي ظلت تؤرقه أكثر
من ثلاثة أسابيع..

أمضى فترات طويلة متعاقبة في شرح تصورات النظرية للمختصين
الذين عاونوه في وضعها موضع التنفيذ..

في البداية استعان بالصور ثلاثية الأبعاد، ثم بما وفرته الأقمار
الصناعية من خرائط مستحدثة فائقة الدقة لكي يتجنب عواقب أي
إهمال أو تقصير في تجسيم الطبيعة بكل ما فيها من حقائق حتى ولو
كانت مخيفة..

لم تبخل الحكومة العالمية على فكرة إيمانويل الابتكارية بشيء..
استقدمت إلى شتوتجارت مختصي تصميم المجسمات.. وفرت التكلفة
المالية التي اقترحوها.. يسرت لهم استيراد المواد الأولية.. خصصت لهم
قناة معلوماتية تنفرد بإمدادهم بكل ما يحتاجون من صور مجسمة
وبيانات وتقارير تجمع بين النواحي الجغرافية والطوبوغرافية..

وبعد أن انتهوا من مهمتهم.. باركت الحكومة العالمية النموذج
الذي توافرت فيه جميع الاحتياجات التي كان إيمانويل يحرص على
توافرها حتى يمنح المتسابقين فرصة التعايش مع الطبيعة بكل تفاصيلها
قبل أن يقودوا سياراتهم فوق معالمها..

في اليوم المحدد الذي اتفق عليه إيمانويل مع شيوخ المدينة.. تجمّع
أفراد فريقي سباق السيارات والمحكمون والمشرفون والمنظمون حول
المجسم الضخم.. وقف بينهم إيمانويل علي رأس الطاولة من الناحية
التي تمثل حافة الطرف الأوربي عند جزيرة إيبيريا..
الكل منبهر بما تحقق..

الغبطة تبدو على وجوه الجميع.. حتى كبار السن الذين احتلوا
مقاعدهم في المدرج الذي يحيط بالقاعة قانعين بدور المتفرج، بدت
عليهم ملامح البهجة لمجرد مشاهدتهم لأولى خطوات تحقيق ما بدا
حلمًا منذ ثلاثة أشهر..

بعد أن شرح إيمانويل الدور الذي يقوم به المشرفون والمنظمون..
انتقل إلى القواعد التي تحكم عمل المحكمين.. ثم أفاض في شرح
مؤشرات كفاءة الاستعداد وضرورة التأكد من توافر نقاط تعادل في
القدرات البشرية والمادية لكل فريق..

استعان إيمانويل بأدوات التكنولوجيا لتحديد أماكن تجمع أفراد
الفريقين ونقطتي البداية والنهاية الأساسيتين لكل منهما.. وحدد
بالمؤشر الضوئي ذي اللون الأخضر خطوط بداية ونهاية كل مرحلة من
مراحل السباق العشرين.. ومواقع الاستراحات.. ومراكز وجود فرق
المراقبة واحتساب النقاط وتدوين الملاحظات.. وحدد مواقع المراقبين
ووسائل النجدة والعلاج من الإصابات وإصلاح الأعطاب، المتصلة
كلها بالأتمار الصناعية..

وأخيراً شَرَحَ لهم الدور الذي ستقوم به السيارات الطائرة في كل مرحلة من مراحل السباق.. وأكد أنه بالرغم من أن التقنيات الحديثة، تُوفِّرُ إمكانات هائلة لتنظيم السباق بأعلى كفاءة على المستويات كافةً لتلافي أية خسائر أو تلفيات، فإن العنصر البشري سيكون موجوداً في كل المراحل..

انتقل إيمانويل والسعادة تغمره إلى ناحية المجسم الأخرى التي تمثل إقليم الشام الذي تزينه عاصمة السلام.. شرح لهم وهو يكاد يحتضن المجسم أهمية أن تُقدَّم الجائزة للفريق الفائز ضمن احتفالات هذه المدينة والتي ستقام يوم ٣١ ديسمبر وتستمر حتى صباح اليوم التالي..

ناقش المتسابقون عدداً من المشكلات الفنية مع الخبراء والمحكمين.. واقترحوا أن تتكرر لقاءاتهم أملاً في مزيد من التعرف إلى مراحل المضمار والمصاعب التي تكتنف كل منها.. وتبادل الرأي حول كيفية التغلب عليها..

مدينة دلاس عاصمة المال اليهودي..

لاحظ هاري نداف على نفسه أنه غير مستقرّ نفسياً، فقرر أن يمنح نفسه بعض الهدوء على أمل أن يتمكن من إعادة ترتيب أوراقه..

في الأيام الأولى التي أعقبت عودته من رحلة الفحوصات الطبية وزيارة ابنه، لم ينجح بدرجة كافية في إخفاء بؤادر حالة الصراع الداخلي التي سيطرت عليه.. فأثر البقاء في بيته معظم الوقت، لأنه يعرف دون غيره سببها..

إنه يعيش حالة من الاضطراب النفسي والأخلاقي بين ضرورات الحفاظ على صحته عند مستوى مقنن من الحرص، وبين ضغوطات الوفاء بالوعد الذي قطعه لابنه بأن يجعل من تدهورها ولو بشكل نسبي سبباً لقدمه إلى دلاس لزيارته..

الحكومة العالمية التي تهيمن على تحركات سكان الأقاليم، تفرض سطوة أكبر وأوسع على المتعاقدين معها للعمل ضمن أجهزتها المنتشرة

حول العالم.. تتحكم في تحركاتهم من مكان إلى آخر، حتى لو كان الأمر يتعلق بقضاء إجازة ربع سنوية، عبر سلسلة من القواعد والنظم التي لا يمكن التفريط فيها إلا وفق اشتراطات يتمتع ممثلوها وحدهم بسلطة رفضها أو الموافقة عليها..

حاول هاري لخمسة أسابيع أن يشد ولو قليلاً عن برنامج علاجه اليومي، ولكنه لم يفلح لأنه كان يتناول الأدوية في مواعيدها ويتواصل بانتظام مع أجهزة المتابعة عن بُعد، ويعمل على تنفيذ تعليماتها بحرص شديد ويقوم بعمل التحليلات والقياسات الدورية بمنتهى الدقة..

هذه الأحاسيس الأسرية أو الأبوية - سمّها ما شئت - ذات البعد العاطفي التي اختفت تقريباً منذ منتصف القرن الحادي والعشرين ولم يعد لها قيمة أو اعتبار، كانت شديدة الوطأة على من هم في عمر الكهل هاري نداف ممن تلقوا قسطاً وافراً من الثقافة الدينية التي تجمع بين الثقافتين اليهودية والمسيحية..

أكثر ما دفعه لمحاسبة نفسه، تصميم صديقه على عدم ضمه لعضوية اللجنة التي كُلفت بالترتيب لاحتفالات مدينة دلاس بمقدم السنة اليهودية الجديدة والاكتفاء بأن يشير عليهم بالرأي إذا ما احتاجوا إليه.. ولما راجعه في الأمر صرّح له بأنه يشفق عليه من أي مجهود زائد بعد أن لاحظ في الأيام الأخيرة توتره وضيقه بأشياء كثيرة كانت قبل عدة أسابيع تُسعدُه..

زادت هذه الخطوة من بؤسه، وبعد يومين فوجئ بأن التقارير الطبية الناطقة تحذره من نتائج انخفاض في مؤشر إفراز عدد من الإنزيمات..

ولما قالت أجهزة المتابعة العلاجية: إنهم يشكون في حالة إحباط
ألمت به، ليس لها سبب واحد.. سارع بالقول صادقاً لنماذج استيفاء
حالته الصحية فضائياً: إنه مشتاق لابنه..

لم يعيروا قوله أذناً مصغية، منعه من الاسترسال في الكلام،
وطلبوا منه أن يلزم سريره، وأخبروه أنهم مضطرون لوضعه تحت
المراقبة المنزلية حتى الصباح.. وأحاطوه علماً أنه ربما يبقى مدة أطول من
ذلك..

تضايق هاري، لأن ذلك يعني حرمانه من المشاركة في صلوات
عيد رأس السنة الجديدة التي كان يُمني نفسه بها بديلاً عن عدم
مشاركته في الترتيب لها..

أثناء الليل أشار الكمبيوتر المعالج المتصل بدائرة مرضى القلب إلى
تغيرٍ سلبي طفيف في استجابة مراكز مخ هاري لحركة القلب من ناحية،
ولجهاز ضبط النبض الاصطناعي من ناحية ثانية..

قبل الفجر بقليل نقلته سيارة الإسعاف الطائرة Highway in
The Sky المخصصة لنجدة مثل هذه الحالات إلى عيادة علاج أمراض
القلب..

بعد الكشف المجهرى في ضوء تقارير الساعات الست الأخيرة، لم
يكتفِ الطبيب الآلي بزراعة نسيج من الفير / بلاتين لتقوية عضلة
القلب، بل قام بتثبيت خلية كهرومغناطيسية تقوم بإرسال تقرير نوعي
دقيق عن حالة سيولة الدم في الجسم وعلاقتها بوظائف المخ على مدار
الساعة إلى العيادة المركزية..

تقرَّرَ بقاءه تحت الملاحظة في المركز لمدة ٢٤ ساعة ..

أدرك هاري وهو يرقد هادئاً في سريره بالمركز أن امتناعه عن إيذاء نفسه بيده بسبب تمسكه بمبادئ دينه وقيمة الأخلاق، كان تعبيراً عن وقوف السماء إلى جانبه .. فقد حقق له الرَّبُّ ما كان يدور في خَلْدِهِ دون أن يعاني لحظات تأنيب الضمير ..

قبل غروب الشمس بقليل حضر أفي سيفر مساعد الخاخام الأكبر إلى المركز العلاجي وفق التوقيت الذي حدَّدَ له على عَجَلٍ بصفته رجل دين وصديقاً للمريض هاري نداف .. توجه إلى قاعة الاستقبال، ألْبَسُوهُ البالطو والكمامة المضادتين لانتقال العدوى، ثم قاده أحدهم إلى الحجرة ونَبَّهَ عليه أن المسموح له به هو ٣ دقائق ..

لم يُضَيِّعْ رجل الدين المبجل وقته سُدًى، قام فور دخوله إلى الحجرة بوضع الطاقية السوداء على رأس هاري، وأخذ في تلاوة صلواته الخاشعة، وهو يتسم في وجهه مؤكداً أن الرَّبَّ سيشفيه لأنه يهودي مُتدين ومخلص ..

بعد انتهاء الصلوات والدعاوات .. طلب هاري إلى صديقه أن يتصل بابنه في نيو أورليانز لكي يحضر إلى دلاس بدلاً من الذهاب إلى ميامي .. وقال في أسَى صادق: إنه يودُّ أن يراه في أقرب فرصة، فربما لا يبقى على قيد الحياة فترةً طويلةً .. وعده خيراً .. وطمأنه أن الرَّبَّ سيمدُّ في عُمُرِهِ لأنه رجلٌ صالح ..

قبل أن يغادر أفي الحجرة، قال لهاري: إنه عرف بنبأ نقله إلى المركز عندما كان يجلس مع صديقهما المشترك يوسي في نفس المكان الذي كان يضمهما منذ بضعة أسابيع ..

أثلج صدر هاري أن يُشيرَ مساعد الحاخام إلى جلسته مع يوسي،
إذن فقد سمع أفي منه ما نقله هو عن لسان ابنه ..

قبل أن يجتاز رجل الدين باب الحجرة خارجاً رفع هاري رأسه
وشكره مجدداً، وتمنّى لو أن الحاخام الأكبر في لاس فيجاس يزكي
دعوات الشفاء التي جرت على لسانه ويطلب إلى السماء أن تستجيب
له، لأنه لا يستطيع الانتقال إليه لنيل البركات ..

عكست ملامح وجه أفي تقديرًا صادقًا لرغبة صاحبه الإيمانية في أن
يحج إلى المعبد الكبير في مثل ظروفه هذه .. وكيف استعاض عنها بطلب
الدعاء من الحاخام الأكبر ..

لم يكن المعبد الكبير في لاس فيجاس قبلة اليهود في الأراضي
الأمريكية فقط، لكنه كان يمثل الرمز الديني الأعلى لكل مَنْ كان يعيش
منهم خارجها بعد أن اندحرت دعائم دولتهم عام ٢٠٣٥ على أثر
توقيع اتفاق الهدنة الأبدية بينهم وبين الفلسطينيين ..

أرغمت الهيئة الدولية للسلام - حلت محل مجلس الأمن الدولي -
ممثلي آخر حكومة إسرائيلية على توقيع الاتفاق لثلاثة أسباب محورية ..
تواصل مقاومة أهل فلسطين للاحتلال الإسرائيلي المغتصب لأراضيهم
من ناحية، ولعدم قدرة يهود إسرائيل على الاندماج مع البيئة التاريخية
والجغرافية والإنسانية التي تحيط بهم من ناحية أخرى، وبسبب الأضرار
البالغة التي ألحقتها الظواهر الطبيعية بالأراضي التي كانوا يقيمون
فوقها من ناحية ثالثة ..

لقد تحولوا إلى أقلية فوق ما بقي من الأرض التي كانت تشكل دولتهم!..

تحت ضغط الهيئة الدولية وبسبب تخلي معظم القوى الغربية عن تأييد دولتهم التي تأكلت مادياً ومعنوياً خلال الأعوام الخمسة عشر السابقة على هذا الاتفاق، وفقدت جميع مقومات القبول التي كانت تتمتع بها على مستوى العديد من دول العالم، رضخت حكومة إسرائيل مكرهة لما نصّت عليه بنود الاتفاقية.. خاصة بعد أن ثبت كذبُ وافتراء قاداتها السياسيين والدينيين الذين دأبوا على الادعاء لدى المنظمات الدولية أنهم يتعرضون لموجات من الاضطهاد والعنصرية يقف وراءها الأقليات التي تعيش بينهم وتُعلي من صور مُعاداة السامية..

ألزمت الاتفاقية الناجين من يهود إسرائيل على التعايش سلمياً مع الأكثرية العربية داخل حدود ما بقي من أراضيها، ووضعت مدينة القدس بالكامل تحت الإدارة الدولية ومنحت كل سكانها حقوقاً مُتساوية..

لم يقتنع يهود الداخل والخارج بأن مبررات ما فرض عليهم يعود أساساً إلى فشلهم الذريع سنواتٍ طويلة في التعايش بسلام مع بقية الأقليات التي كانت تعيش معهم، فعمدوا للمطالبة بترحيل العرب من مواطنيهم إلى الأردن وسوريا ولبنان، لأن ما بقي من أراضٍ لم يعد كافياً لهم جميعاً.. ولما لم يجدوا أذناً مُصغية، أعلنوا أنهم لن يقبلوا أن تُفرض عليهم صناديق الاقتراع - مهما تكن شفافيتها - الخضوع لحكومة يشكلها «الاغيار»..

أصرَّ المجتمع الدولي بقوة وتصميم على ضرورة الالتزام بما نص عليه الاتفاق..

لذلك وجد يهود إسرائيل أنفسهم مضطرين إلى استعادة تجاربهم في ميادين الوقيعة وشراء الذمم كما فعلوا منذ أكثر من مئة وخمسين عامًا بهدف وضع اليد على مساحات من البيئة الإسلامية المسيحية التي أصبحت تمثل المنفذ الوحيد لهم لكي يواصلوا بقاءهم في نفس المكان.. ولما فشلت جميع محاولاتهم الظاهرة والباطنة، قرروا أن يبحثوا لهم عن أرضٍ جديدة تسعهم بعيدًا عن صنف الأغيار العرب الذين لم يعودوا يطبقونهم..

لم يكن أحد من قيادات إسرائيل السياسية والدينية يتوقع قبل عام ٢٠٣٥ أن تلقى محاولات الحفاظ على دولتهم هذا الكم الهائل من الفشل المتتالي، كأن رعاية الرَّبِّ التي جعلت منهم «شعب الله المختار» نُزِعَتْ منهم مرةً واحدة..

فقدوا كل ما شيّدوه في وقتٍ قياسي!..

ابتلع البحر جزءًا من أرضهم وأتت نيران الحرائق على جزء آخر، الكارثة التي أضاعت صوابهم أن مساحة ما بقي مما كان بالأمس وطناً، لم تكن كلها خالصة لهم!..

في العام التالي فاز تحالف قوى الشعب العربي بالانتخابات التشريعية التي نظمها وأشرفت عليها الأمم المتحدة، وقام بتشكيل أول حكومة عربية في فلسطين منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية أوائل القرن العشرين..

ضاقت السُّبل على يهود فلسطين الجديدة، ولم يعد أمامهم سوى خيارين لا ثالث لهما.. إمّا العودة إلى العيش وراء الأسوار في قِلاعٍ مُحصّنة! أو الهجرة إلى أرضٍ ميعادٍ أخرى..

رفضت الغالبية خيار العيش في جيتو بين أغلبية عربية وتنادوا بإيجاد مخرج.. كلف السياسيون مجلس الحاخامات الأعلى بالبحث عن تكييف شرعي جديد لمبررات هجرة الأرض التي كانت توراثية في يوم من الأيام إلى غيرها..

بعد مناقشات مستفيضة استمرت حوالي عامين حول ضرورات الهجرة، حتى لا يندمج اليهود في المجتمعات العربية الإسلامية والمسيحية التي تحيط بهم وبذلك يفقدون هويتهم وتميزهم العرقي، فازت مدينة لاس فيجاس عام ٢٠٣٩ بتزكية كبار الحاخامات كأفضل مكانٍ تتوافر فيه مُتطلبات بناء كيان مؤقت لليهود إسرائيل حتى يتدبروا أمرهم..

اشتطت الإدارة الأمريكية لكي تسمح لليهود فلسطين الجديدة بالهجرة إلى لاس فيجاس أن تحصل على إيجار سنوي للمدينة، وأن يُسدّد مُقدّمًا لفترة عشرة أعوام، وأن تحصل على نسبة من الضرائب التي كانت تحصلها من أماكن الترفيه وألعاب القمار بالمدينة..

بعد مفاوضات مُضنية وافق مجلس الحاخامات على السداد، في مقابل أن تحصل واشنطن فقط على ١٪ فقط من الضرائب التي كانت تُحصلها من قبل..

بدأت الاستعدادات للرحيل بعد تأكُّد خبر الاتفاق مع الإدارة الأمريكية..

قرر عدة مئات من يهود إسرائيل البقاء ضمن الجماعة العربية التي تعيش في محيط مدينة القدس وما حولها.. كان معظمهم من الكهول الذين لم يكن لهم دور سياسي متعصب، ولا كان لهم توجهٌ أيديولوجيٌّ عنصريٌّ.. كانت قناعتهم بإمكانية الاندماج والعيش في سلام مع غيرهم من المسلمين والمسيحيين أقوى من دعاوى الهجرة التي يسعى إليها الآخرون..

استنكرت الغالبية قرارهم، وراحوا يزرعون في قلوبهم الرُّعب بتخويفهم من انتقام “الأغيار الأشرار” منهم، بعد أن يتركوهم وراءهم.. وتنبؤوا بفشل محاولتهم التواءم مع بيئتهم الجديدة.. وتوقعوا لهم إما أن يذوبوا في محيطهم أو يلحقوا بهم بفترة وجيزة..

استكمل المليون يهوديُّ الباقون من سكان إسرائيل هجرتهم من دولة فلسطين الوليدة إلى عاصمتهم الجديدة حوالى عام ٢٠٤٠.. وقيل أيامها إن لاس فيجاس استوعبتهم كلهم..

بعد خمسة أعوام من استقرارهم فكَّر يهودُ أمريكا أن يتركوا الولايات التي يقيمون بها ويهاجروا إلى لاس فيجاس لمشاركة النازحين أرضهم الجديدة بهدف تعزيز قوتهم المادية والروحية.. لكن المجلس الأعلى للخاصات نصَّحهم بجدوى بقائهم حيث هم ما داموا مستقرين في مدنهم وقراهم.. وعليهم فقط أن يجعلوا العاصمة الجديدة قبلتهم الروحية، وأن يدعموها بتبرعاتهم وعشورهم باستمرار..

أنعشت الحياة في لاس فيجاس حركة رجال المال اليهود.. وبينما هم يستعدون عام ٢٠٤٨ للاحتفال بذكرى مرور مائة عام على قيام ما كانت تُسمَّى دولة إسرائيل، أُتيحت لهم فرصة نادرة لكي يضعوا أيديهم على مدينة أمريكية أخرى..

كانت المبادرة هذه المرة من جانب الإدارة الأمريكية.. اقترحت عدم رفع الإيجار السنوي لمدينة لاس فيجاس مُقابل الحصول فوراً على عدة مليارات من الدولارات تحت حساب قيمتها التجارية للأعوام العشرة التالية.. انتهز زعماء اليهود الفرصة وأشاعوا أنهم كانوا يخططون لترك المدينة بعد أن أثقلَ إيجارُها كاهل رعاياهم..

كان من الطبيعي أن يضطر ممثلوا البيت الأبيض تحت وطأة الحاجة الماسة للمال، إلى الموافقة على خفض القيمة التجارية للمدينة بنسبة ١٠ ٪، ولما أبدى زعماء اليهود رغبتهم في شراء حق استئجار مدينة دلاس بولاية تكساس لمدة خمسين عاماً لتكون مَقَرّاً دائماً لاستثمارتهم ونشاطاتهم القومية.. وافق الجانب الأمريكي فوراً!!..

نجح الحاخامات فيما كانوا يخططون له..

أصبح لشعبهم مدينتان يهوديتان في قلب الولايات المتحدة، كل منهما تحمل بصمة براعتهم في جمع المال وتوظيفه.. لاس فيجاس تمتصُّ المال بكل الوسائل لتعيد دلاس توظيفه في خدمة العقيدة.. الأولى تجمعه تحت شعار التطهر من آثار خطايا الماضي التي وقعت فوق الأرض التوراتية وتلك التي يرتبكها اليهودي في الحاضر عن غير قصد، والثانية تستثمره وتنميه وتعيد توظيفه لخدمة مستقبل العودة إلى الأرض الميعاد مرةً أخرى..

فور انتشار خبر استئجار اليهود لمدينة أمريكية ثانية، أبدت العواصم الدينية الكبرى اعتراضاتها.. فما كان من الإدارة الأمريكية إلا أن مارست لعبة التسويف والمماطلة.. ولما زاد الضغط عليها قامت بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق.. وقبل أن تكشف عمّا توصلت إليه من نتائج أبقت الحكومة العالمية الحال على ما هو عليه..

حرص حاخامات اليهود طوال أكثر من خمسين عامًا منذ استقر بهم المقام في لاس فيجاس ومن بعدها دلاس على تغليف جميع نشاطاتهم بثوب الدين، وفرضوا على رعاياهم عدم البوح بتوافقاتهم أو بخلافاتهم خارج حجرات المعابد المغلقة، وأحيوا في ضمائرهم الحرص على إدخال تعاليم دينهم في كل ما يتعلق بحياتهم اليومية حتى يرضى عنهم الربّ ويعيدهم إلى أرض الميعاد مرةً أخيرة..

حرصت الزعامات السياسية اليهودية وهي تستعدُّ للخروج القسري من إسرائيل على أن تصطحب معها كل المستندات والمعلومات ذات الصلة بتاريخ الدولة وبأسرارها الاستراتيجية.. وبعد استقرارهم في مهجرهم الجديد خططوا مع الحاخامات لتشكيل كتيبة معلومات على أعلى مستوى من العناصر ذات الكفاءة العالية في المواقع كافة..

لم تكن لاس فيجاس كونها مدينة ترفيهية يتردّد عليها كل يوم الآلاف من المقامرين والباحثين عن المتعة، بالمكان المناسب - من وجهة نظر يهود إسرائيل - لتخزين المعلومات.. لذلك ظلوا في حالة قلقٍ وتوترٍ، حتى وقّعوا عقد استئجار مدينة لادس.. وفي نفس العام نقلوا إلى مكتبها الإلكترونية كل ما في حوزتهم من معلومات.. وبعد إحكام

الحكومة العالمية قبضتها على النظام العالمي الجديد وتُفَرِّدُها وحدها بامتلاك المعلومات وتنظيمها وحفظها وتسيير سُبل الاستفادة منها، تخيروا أماكن بديلة لتخزين ذكرياتهم القديمة والحديثة لم يعرف بها إلا قلة منهم تعدُّ على أصابع اليدين!..

ابتكر قادة الكتيبة اليهودية لجمع المعلومات وسائل جمع وتخزين تجمع بين البساطة من ناحية وبدائية التكنيك من ناحية ثانية! سهلت لهم استحداث برامج عالية التميُّز لم يكن في مقدور برامج الكمبيوتر أن تخترقها أو تفكَّ شفرتها؛ لأنها تأسَّست على القواعد التي كانت تأخذ بها نماذج ما قبل ثورة ميكرو / نانو تكنولوجيا..

كانوا كمن يقوم بإجراء عمليات حسابية مُعَقَّدة مُستخدماً أصابع اليدين ليحصل على نتيجة بعد تعبٍ وزمنٍ طويلٍ بينما في حوزته كومبيوتر يوفر له الحلَّ بأقلَّ جهد وفي زمن قياسي..

تحوَّلَتْ نُحْبُ المجتمع اليهودي في دلاس بعد عشر سنوات من استئجارها، إلى خلايا عنقودية تعيش وفق مفردات المجتمع الاثني عشري.. النقباء اثنا عشر ونوابهم اثنا عشر ومساعدوهم اثنا عشر وتلاميذ كل حَبْرٍ من أحبارهم اثنا عشر.. إلخ.. مما ساعدهم على التخفي تحت عباءة الدين لتحقيق مخططات سياسية واقتصادية مركزة على المعلومات، لدرجة أن كاميرات الحكومة الدولية المنبثة في كل مكان لم تنقل عنهم لسنوات طويلة أي نشاط معادٍ أو هدام..

وفي المرات القليلة التي تشككت لجنة السلوكيات العليا في بعض تصرفاتهم، لم تتوصل التقارير الأولية ومن بعدها التحليلات النوعية إلى

إدانة أيّ فردٍ أو مجموعةٍ بارتكاب مخالفة تستوجب حتي العقاب البسيط..

نبذ اليهود كأفراد وكمجموعات بعد نجاحهم في إدارة لاس فيجاس ومن بعدها دلاس، قاعدة الانغلاق على الذات ومجافة الأغيار، لأن هذه الأرض ليست توراتية، بل هي ممر يمهد لقيام الدولة اليهودية.. فأصبح تعاملهم مع الغير مُتاحًا بلا حدود؛ مما جعلهم منفتحين على جيرانهم.. لا يرفضون فكرة ولا ينكرون رأيًا ولا يهاجمون عقيدة.. وفي كل المناسبات التي باحوا فيها بألستهم أنهم شعب مثل بقية الشعوب، كانوا يلعنون في سِرِّهم الظروف التي ألجأتهم إلى هذه التقية المموجة ويسألون الرَّبَّ متى يفكُّ أسرهم البابلي الجديد..

تحت هذا الستار الديني المتداخل في جوانب الحياة اليهودية كافة، أسس يوسي بلوتسكر قاعدة معلوماته اليدوية التي شملت كل ما في حوزة يهود العالم من وثائق وبيانات وإحصاءات وتقارير ودراسات سِرِّيَّة وعَلْنِيَّة، وسعى إلى توسيع مصادرها بكل الطرق انتظارًا ليوم يقيمون فيه دولة إسرائيل الثالثة مرة أخرى وأخيرة، فيضعها تحت تصرفها..

لم تتوقف ألسنة الحاخامات يومًا منذ عام ٢٠٤٠ عن الاستغفار من ناحية عما بدَرَ من شعب الله المختار من معاصي استوجبت تعرضه لغضبة الرب الهائلة، والابتهاال له من ناحية ثانية كي يمكنهم من العودة المنتصرة إلى أورشليم لإقامة الدولة اليهودية..

وبعد عقد ونصف من الزمان تقريبًا تحوَّل هذا الاستغفار الذي كان يُتلى في المعابد عقب كل صلاة، إلى فرض عين! ألزم كل يهودي أن

يتوجه إلى الرب في صلواته الثلاث برجا أن يفتح له مغاليق الطريق
لكي تعود أورشليم لأصحابها..

بسبب مكانته في سلم خدمة المعبد الكبير، كان من الطبيعي أن
يسارع إفي - دون استئذان من الحاخام الأكبر - إلى زيارة هاري نداف
بعد ما عرف خبر وعكته الصحية.. أما مطلب الاتصال بابنه لتحفيزه
على القدوم إلى دلاس، فلم يكن في مقدوره القيام به قبل أن يعرض
الأمر على رئاسته الدينية..

لاس فيجاس عاصمة الديانة اليهودية..

في نفس الليلة تمكّن أفي من السفر بطائرة المساء إلى لاس فيجاس..
كان على وشك أن يطلب من صاحبه يوسي أن يساعده على إلغاء
ما بقي من برنامج زيارته للمدينة حتى يلحق بطائرة الصباح المتهجرة
من دلاس إلى لاس فيجاس، لكي يُسارعَ بطرح موضوع ملف الهيكل
الثالث على الحاخام الأكبر بلا تأخير.. لولا مكالمة يوسي الهاتفية التي
عرف من كلماتها نبأ نقل هاري إلى مركز العلاج الطبي..

لم يكن في استطاعة أفي أن يُسافرَ دون أن يُلقي نظرة على هاري في
حجراته بالمركز لكي يصلي من أجله ويدعو له.. ولما تأخّرت إدارة المركز
في الاستجابة لطلبه، فاتته طائرة الظهرية أيضًا واضطر إلى السفر بطائرة
المساء التي يكرهها ويخشها في نفس الوقت..

جلس الحاخام الأكبر ينتظر أوبة مساعده من مدينة دلاس قبل
موعد عودته بيوم كامل..

كان يفكر في السبب الذي جعله من ناحية يطلب الإذن له بإلغاء بقية برنامجهم هناك برغم أهمية ما حواه، ويخاطر من ناحية أخرى بالسفر على طائرة المساء التي يتحاشاها على طول الخط، لاعتقاده أنه سيموت مُحترقاً داخلها بعد اشتعالها..

لا بُدَّ أن الخطب عظيم، هكذا هَيَّئَ له.. بأن البشرَ على وجه يوئيل عاموس بينما مساعده يحكي بصوت واثق وهادئ كيف أوقعت المصادفة البحتة ملف الهيكل الثالث (الذي لم يكن هناك أمل في العثور عليه) بين يدي مجموعة من الشباب اليهودي المؤمن..

وصف الحاخام الأكبر المصادفة التي ساقَت إليهم هذه الوثيقة بأنها اقوى بشارَة اطمئنانٍ يبعث بها الربُّ إلى اليهود منذ خرجوا مقهورين من أرضهم التوراتية..

بشارة تقول: إنه استجاب لدعائهم.. وأن الشباب هم الوسيلة المثلى لجمع المعلومات وهم القوة القادرة على استخدام أعلى مستويات التقنيات لأجل إعادة البناء..

لم ينسَ أفي قبل أن ينسحب.. أن يوجز حالة هاري جودمان الصحية ورجاؤه تركية روحه بدعاء طلب الاستجابة..

تأثر الحاخام الأكبر بشفافية مساعده وثمنَ كثيراً زيارته للمريض الصالح، وشجَّعه على إتمام الاتصال الأسري وفاء للوعد الذي قطعه علي نفسه، لأنه سيحمل في طياته تحذيراً مُبطناً للإبن من عواقب إهمال الرسالة..

لم يعد عند أفي ما يقوله..

عليه أن يصمت في انتظار ما ستسمعه إذنيه..
ساد الهدوء المكان بضع ثوانٍ..
امتدح يوئيل فطنة مساعده التي فرضت عليه أن يجازف بالسفر
ليلاً..

وكلفه بالرحيل صبيحة اليوم التالي إلى دلاس لكي يناقش علناً مع
يوسي أنسب السبل لزيادة حجم تبرعات اليهود للمساهمة في مشروع
توسيع المعبد الكبير في لاس فيجاس، وأن يجتهد في الاتصال بجوهان
ليوصيه بالحضور إلى دلاس.. وكلفه أن يستعين بيوسي لكي يُمَدِّهم
بنسخة من محتويات الحلقة المفقودة..

وشدّد عليه وهو يرت على كتفه مودعاً أن يبلغه من هناك بمدى
ما وصلت إليه ترتيبات المشاركة في احتفالات أورشليم، لكي ينسق
معها وسائل تمويل الجزء الأخير منها..

كان الحاخام الأكبر يعرف مقدماً أن ارتباطاته في لاس فيجاس
التي ربما تمنعه من السفر إلى دلاس في وقت مناسب لتبادل الرأي حول
ملف المعبد، لذلك كلف مساعده بأن يسافر لعقد لقاء عاجل ومطوّل
مع يوسي لأن الموضوع برُمته يمثل أولوية يجب أن تتوافر لها عوامل
السرعة والكتان حتى لا يقع خطأ تافه يلفت إليهم أنظار اللجنة العليا
للسلوكيات..

فهمَ أفي أن رئيسه يودُّ منه أن يقوم بالترتيب للقيام بعدة خطوات
مع يوسي إذا ما تأكد بنفسه وبشكل مباشر أن محتويات الملف تستحق
الإقدام على ما يمكن أن يسطره التاريخ باسمهم جميعاً كأول خطوة في
سلسلة إحياء دولة إسرائيل الجديدة..

نيو أورليانز..

بدا الحزن والغم ظاهرين على وجه جوهان وهو يستمع عبر شاشة التواصل السمعي البصري إلى صديقي والده أفي سيفر ويوسي بلوتسكو وهما يصفان له حالته الصحية..

اضطر أمام إلحاحهما بضرورة الحضور لرؤيته، إلى شرح المصاعب الإدارية التي تكتنف تحقيق هذا المطلب خاصة بعد أن أبلغ الأجهزة المختصة منذ فترة بنيته هو وزوجته قضاء إجازتهما ربع السنوية في مكان آخر.. ولما غلّف مساعد الحاخام الأكبر توصيته لجوهان بحسن رعاية والده بالثوب الديني المناسب، وعدهما صادقاً أن يبذل كل ما في وسعه لتغيير وجهة سفره من ميامي إلى دلاس..

كان يوسي يخشى على صحة هاري لو تأخر ولده في القدوم لزيارته، لذلك أكد لزواج ابنته ثقته أن هاري سيستعيد الكثير من حيويته عندما يحس بدفء حديثه وهو إلي جواره.. ولما شاهد التأثير على

وجهه، أقسم له أنه يقصد كل كلمةٍ قالها لأنه لمس مدى ارتباط والده به بعدما سمعه من حديثهما المطول على شاطئ نيو أورليانز..

جلس جوهان وحده يفكر بعض الوقت، حالة والده الصحية غير المطمئنة.. لقد بلغ مرحلة من الإعياء اضطرتهم إلى وضعه تحت الملاحظة قبل أن تفرض حالته الصحية علي مسئولية الرعاية نقله ليلاً بالإسعاف الطائر إلى المركز العلاجي! وهناك خشيةٌ فعليّةٌ على حياته دفعت رجلين مخلصين من أقرب أصدقائه للاتصال به لطمأنته وتحذيره في نفس الوقت من أن إهمال زيارته قد يفوت عليه فرصة نيل بركة السماء، إن هو لم يره قبل موته..

اعتقد في أول المكالمات أن والده نُقِلَ إلى مركز القلب في دلاس بترتيب متعمد من جانبه.. لكنه فهمَ مما قصّه والد زوجته أن المعالجون أجبروا - لأنقاذ حياته - علي زرع نسيج جديد لتقوية عضلة القلب، وخلية نشطة تنقل المعلومات الكافية عن حالته على مدار الساعة..

انتبه جوهان إلى زوجته وهي تسأله.. هل أصبح لديفيد رأسين في دلاس؟ فهم أنها تربط بين حديث والدها وبين ملف الهيكمل.. ردّ عليها ربما يكونون ثلاثة أو أربعة؟..

في اليوم التالي أنهى جوهان وزوجته زارا كل ما يتعلق بتعديل ترتيبات قضاء إجازتهما ربع السنوية بالقرب من شواطئ ميامي إلى مدينة دلاس.. على المستوى الإداري أبلغ هو رئاسته بالحديث الهاتفي الذي تلقاه من صديقي والده، أما زارا فتفرغت للبحث والتوفيق بين الخيارات المحدودة التي قدمها لها الباحث الآلي عن وسائل السفر بالطائرات..

بعث جوهان برسالة إلى أبيه وإلى مساعد الحاخام أفي، مؤكداً أنه خلال ثلاثة أيام سيكون هو وزوجته زارا بمدينة دلاس.. خصَّ أباه بمحبته وثقته أن الربَّ سيكتب له الشفاء، وشكر لأفي حرصه على توضيح ثواب القدوم لزيارة أبيه، مؤكداً أنه لم ينسَ حرفاً مما سمعه منه ومن والد زوجته..

تذكر جوهان بعد أن انتهى من آخر تربيّات سفره أن ديفيد لم يتصل به منذ بضعة أيام..

بادر هو بفتح قناة التواصل معه، لحق به قبل أن يغادر مكتبه..
سأله رأيه عن كارت عيد الميلاد الذي صمّمته زارا خصيصاً له..
أشاد ديفيد بأريحيّتها وامتدح قُدرتها على توصيل محبتها للناس..
ولما أخبره بتدهور حالة والده الصحية.. أبدى ديفيد أسفاً حقيقياً ودعي للعجز - كما يسميه - بطول العمر.. ولما أبلغه أنه لهذا السبب سيكون في دلاس بعد ثلاثة أيام، وعده بالاتصال به هناك خاصة وأنه ينوي تصميم كارت يحمل شُكره وتقديره لزارا التي تذكّرت في مناسبة عيد ميلاده..

سمع ديفيد تعليقات صاحبه وزوجته الساخرة على رسوماته..
فسارع للاعتراف أن رسوماته لا ترقى لمستوى لوحات زارا الفنية أو إبداعاتها المعمارية..

قبل أن ينهي جوهان المكالمة سمع زارا تستحثه على موافاتها برسوماته التي سيفرح بها صغار الأسرة..

تمنّى جوهان في نفسه أن يصلهما ما وعد به قبل ان يتركانيو
أورليانز حتى لا يضيعا أيام الإجازة في انتظاره..

سألته زارا: هل كان صاحبه يقصد بـكارت الشكر الذي ينوي
إرساله، ملف الهيكل؟.. أكد لها أن هذا بالضبط ما رمى إليه.. قال: إن
ديفيد فهم جيداً المقاصد التي رمى إليها من وراء تصميم الكارت الذي
أرسلته إليه، ولهذا سيبدأها رسماً برسم..

طلب جوهان من زوجته أن تبلغ والدها بموافقة الجهات المختصة
على سفرهما إلى دلاس بدل ميامي، وأن تُشيرَ في سياق حديثها إلى قُرب
حصولهما على نسخةٍ من ملف الهيكل..

فتحت زارا خط التواصل السمعي البصري مع دلاس.. وطلبت
إلى والدها أن يبلغ أصدقاءها هي وجوهان وبالذات رواد المكتبة أنها
قادمة لتمضية إجازتها في دلاس للاطمئنان على صحة والد زوجها،
ورجته أن يهتمَّ به وأن يحرص على مشاركة أفي سيفر في الدعاء له..

سيراكوزاه..

عندما اقترب ديفيد بسيارته من البناية التي بها شقته السكنية..
تمنى أن يجد روزالين في انتظاره كما وعدت بالأمس.. لا يعرف لماذا
طافت خيالها على ذهنه فترات طويلة بالرغم من أنه كان في الأمس
يتمنى أن تذهب مباشرة إلى شقتها..

يتحير في أسباب شوقٍ جارٍ إليها؟..

حين شاهدها مُغمضة العينين داخل سيارتها.. خَرَجَ جَدِلاً من
سيارته وسار ناحيتها وعلى وجهه ابتسامةٌ عريضةٌ وفي عينيه فرحةٌ
غامرةٌ.. سمعت خطواته.. غمرها بقبلاته وهي تهتمُّ بالخروج من
سيارتها.. أحاط خاصرتها بيدٍ وجَرَّ عنها حقيبتها باليد الأخرى، وسارا
معاً ناحية المصعد..

جلست قبالته وحكت له عن برامج التدريب المبتكرة التي تعتمد
في الأساس على فكرة تجريب الأجهزة التقنية الحديثة بمعرفة

مستخدميها قبل طرحها للتداول، حتى يُتاح لمبتكريها التعرف إلى قدراتها التطبيقية.. سألتها عن حفل عيد ميلاده.. اكتفى بسرد الخطوط العريضة، أكَّد لها وهو يشكر لها ما قامت بترتيبه، أن الضيوف جميعًا أعربوا عن افتقادهم وجودها وهم يبدون إعجابهم بلمساتها الإبداعية..

قامت إلى حقيبتها، وأخرجت لفافة قدمتها إليه وهي تقبله.. كل سنة وأنت طيب..

شكرها وهو يفتحها.. ارتسمت على وجهه سعادة كبيرة.. نظر إلى صديقتها المحبوبة ثم إلى الهدية..

لا يصدق ديفيد أنه يمسك بين يديه نسخة من القوقعة الطبيعية التي تمنى منذ بضعة أيام فقط أن يحوز مثلها..

سألتها ما به.. لم يجد على لسانه ردًا مناسبًا.. فاستعاض عن الكلام بأن جذبها إليه واحتضنها بعنفٍ فداعبته بشوق..

سرح وهو يمعن النظر من جديد في القوقعة التي تلامسها أصابعه برفقٍ.. هل يعقل أنه بدأ يتأثر بسحر هذا الشيء قبل أن يمتلكه؟ ألهذا السبب كان يفكر في روزالين وهي على مبعدة عشرات الأمتار منه؟ هل لحينه الطاعني إليها علاقة بالقوقعة؟..

مال عليها ليُقبِّلها، أمهلته بدلالٍ حتى تنعش جسدها بأخذ حمام سريع..

رجته أن يعدَّ لها ما تأكله..

نهض بهمة ناحية المطبخ وهو يعدُّ بأن يكون عشاءهما جاهزاً بعد دقائق..

قامت واقفة.. أخذت طريقها ناحية الحمام وهي تخلع ثيابها قطعةً بعد أخرى، لأول مرة لا يفكر ديفيد في اللحاق بها..

أقبلَ على تجهيز الطعام دون أن تُفارقَه حالة الاندهاش التي حطت عليه، انتبه أن أصابع يده اليسرى لا زالت تتحسس القوقعة كأنه غير مصدق..

حتى ساعة مضت لم يكن يعرف كيف السبيل إلى إقتناء مثل هذه القوقعة؟..

منذ أن اكتشف سرَّها وعرفَ مدى حاجته إليها، وهو دائم البحث عنها دون جدوى.. وعلى غير انتظار، ها هو يُحكِّمُ عليها أصابعه منذ قدَّمتها له روزالين الجميلة..

رصَّ أوعية الأطعمة في عمق الفرن الإلكتروني، ضبط التوقيتات ثم ضغط الأزرار..

رفع صوته وهو يسألها: ما الذي أوحى إليها باختيار القوقعة هدية عيد ميلاده؟..

ردت عليه من بين رذاذ الماء المتساقط على جسمها أنها لاحظت هيامه بقوقعتها منذ أن نسيتهما عنده قبل فترة.. لذلك فكرت أن تأتي له بأختها لأنها على يقين أنه لو تعايش معها فترة طويلة وجربها، سيزداد يقيناً بقدراتها الطبيعية الخفية..

حمل صوته الكثير من معاني الصّدق وهو يقول لها: إن فكرتها صائبة وتستحقّ عليها أكثر من جائزة..

أنهت روزالين استحمامها..

كان ديفيد لا يزال واقفاً بالقرب من المطبخ عندما رآها تخرج عليه وهي مرتديةً واحدًا من قمصانه الذي لا يكاد يغطي نصفها العلوي فأطلق صَفير إعجابٍ حادًّا، نهرته بغنجٍ وأمرته أن يلتفت إلى ما بيده..
استشعرت عن ثقةٍ وتجربة أن مفاتها حولته إلى حيوانٍ غَطَّى الشَّبَقُ على كل حواسّه، كانت تلك فرصتها التي عليها أن تستغلها كما دربوها..

تركته في مكانه بجوار الفرن الآلي..

اتجهت ناحية منضدة حجرة الاستقبال، فتحت حقيبتها الصغيرة وأخرجت منها مُجفَّفَ الشعر، تعمّدت أن ينشغل بحبّوبها بالنظر إلى مؤخرتها، بينما هي تلقي بنظرة فاحصة على كومبيوترها الشخصي الذي وضعته إلى جوار الحقيبة.. لما اطمأنت أن دائرة اتصاله بباريس تعمل بكفاءة، اعتدلت ولما دققت في لمعة بريق عينيها المنعكستين فوق صفحة المرأة، رضيت عن نفسها رضا بالغًا..

تناولا طعام العشاء وشربا بعض النبيذ..

من فرط اشتهائه لها وحرصها على الاستمتاع به، استسلمت روزالين لصاحبها فوق أرضية حجرة الاستقبال مرتين متتاليتين..

ولما حملها إلى السرير لبدء جولة ثالثة، استعادت في مخيلتها التدريبات التي قامت بها وتذكرت قواعد الحوار التي نصحتها بها مختصة السلوكيات في باريس..

سألته وهي تحيط رقبتة بذراعيها بينما يُداعِبُ هو ثدييها، لماذا هو على هذه الدرجة من الاشتياق برغم أنها تركته يومين كاملين مع من كان يحبُّ ويعشق؟.. أقنعها بين قبلة محمومة وأخرى أنه لا يعوضه عنها ولا عشر نسوة، أوحى إليه أنها اكتفت بهذا الاعتراف؛ لأنها تريد في هذه اللحظة إشباع نفسها الملتاعة منه.. وأكدت بتصميم أنها في يومٍ من الأيام ستعرف منه إن كان يكذب أم يقول الصدق..

اللجنة العليا للسلوكيات..

في وقت مبكر من اليوم التالي..

شاهد خبراء اللجنة العليا للسلوكيات بباريس لقطات لروزالين وهي تجفّف شعرها.. وتابعوا تناولها العشاء مع صاحبها.. ودققوا للغاية في اللقطات التي سجلت لقاءين حميمين لهما فوق الأرض وثالثًا فوق سرير حجرة النوم..

أجمعوا على أنها طبّقت عناصر التدريب الذي تلقته بحذافيرها.. فبينما هي خاضعة لمؤثرات اجتياحه الجنسي لها، نجحت في السيطرة على عقلها وجعلت لسانها يسأل ديفيد وهو في قمة انشغاله بمفاتنها الجنسية عن سبب اشتياقه لها بهذه الدرجة! وهذا يمثل - في تقديرهم - بداية ناجحة لما يمكن أن تحققه (عميلتهم) من نتائج إيجابية في مراتٍ تالية..

أما هو فما زال - بإجماع الآراء - قادرًا على الفصل بين أفكاره وبين إقباله على الجنس.. لم يتأثر نمطه الأدائي حتى وهو يكذب عليها أن عشر سيدات لا يعوضنها..

سيراكوزاه..

لا يصدق ديفيد أحاسيسه التي صحا من نومه وهي تهيمن عليه..
لأول مرة لا يفكر في ليلة الأمس ولا في كيف أمضاها مع
روزالين! وهو الذي كان يسعده أن يتذكر ما يجري بينهما مرات
ومرات، ليتأكد أنه ارتوى..

ذهنه منذ رحلت عنه منصرف فقط إلى القوقعة.. كان يخطط
لاستكشاف خباياها المدفونة قبل أن يخلد إلى النوم.. لكن حالة النشوة
البالغة التي شملته عندما غادرته روزالين قبل منتصف الليل بقليل،
أنسته كل شيء..

حمل القوقعة معه إلى مكتبه..

ألقاها على الطاولة الجانبية بطريقة عشوائية.. بدأ في ممارسة نشاطه
اليومي كالمعتاد..

تعمّد أن ينظر إلى موقعها وهو يُباشِر فوق شاشة الكمبيوتر
الرئيسية متابعة التقارير التي خُزنت على أجهزة مكتبه منذ تركه

بالأمس، تأكد له بما لا يدع مجالاً للشك أنها كشيقيقتها لا تكشف ما بداخلها..

نجح إلى حد كبير في السيطرة على مشاعر الغبطة التي غمرته عندما تأكد من كفاءتها، ولكنه لم يفلح في منع نفسه من تكرار النظر ناحيتها كلما اضطر إلى متابعة ما يجري على الشاشة لسببٍ أو لآخر..

بعد مرور نحو ثلاث ساعات أصبحت القوقعة جزءاً من محتويات المكتب..

هدأت الأحوال بعض الشيء في منتصف النهار..

ألح على ديفيد خاطر إرسال نسخة من ملف الهيكل إلي جوهان، كما وعد..

رسمت له زارا باقتدار في خلفية كارت عيد ميلاده صورة معبد يعكس بُعده الثلاثي سبعة أعمدة مفرغة النهايات، تليها خمس قواعد هلالية تحيط بفراغ مقعر كتبت فيه اسمه بأحرف من اللغة العبرية.. وأشارت بين كلمات التهئة إلى تقليدية فكرة الاحتفال بالمناسبة وحادثة وسائل التعبير عنها، وطلبت منه إن أعجبه تصميمها أن يرسل إليها بعض الأفكار التي ربما تساعد في المستقبل على إبداع رسومات مشابهة..

الرسالة واضحة..

الربط بين الرسم والكلمات يشير بوضوح للهيكل الثالث، واقتراح تقديم بعض الأفكار يعني طلب موافقتها بنسخة من ملف الهيكل..

من الأفضل أن يرسل بالرسالة المطلوبة منه قبل سفر صديقة إلى دلاس، لأنه قطعاً سينشغل بوالده فور وصوله إلى هناك.. أمامه ثلاثة أيام لإنجاز هذه المهمة..

لكن الأهم من ذلك أن يهتدي إلى الوسيلة التي تُخفي ما يريد أن يسربه إليه..

هذه تفكيره أن يُغطي ملف الهيكل بشريط مصوّر لحفل عيد ميلاده يقوم بإرساله مرة إلى جوهان عن طريق نظام DMB الخاص بجهاز الميكرو i Pad.. ومرة ثانية لزوجته عن طريق نظام DVB الخاص بالهواتف..

استحسن الفكرة، وبدأ من فورهِ في البحث عن وسيلة لتنفيذها دون أن تُسجّل عليه الكاميرات أي إهمال أو قصور إداري أو سلوكي قد يقود إلى إعادة فحص رسائله..

في هذه الأثناء توالى على أجهزة سيراكوزاه النقلات السريعة للتقارير البيئية بين عشرة من أكبر الأبراج المناخية في العالم، مما اضطر ديفيد إلى التركيز في متطلبات عمله اللحظي الذي ينهمر عليه كالسيل..

لو تصادف ونظر أحدهم إلى وجهه في هذه الأثناء ورأى ابتسامة الثقة التي تعكسها شاشات الأجهزة التي تحيط به، لظنّ أنه يعيش لحظة خُيلاء نابعة من التحدي المهني الذي يسابق به التدفق التقني للمعلومات الآتية إليه..

أما هو فكان يعرف أنه يتسم زهوًا لأنه - وسط هذا الزخم المتلاحق - أمسك بما كان يبحث عنه بلا هوادة منذ نحو ساعة..

قبل انتهاء فترة الراحة فتح قناة الاتصال مع مشيجان وسيندي..
ما إن رأت المرأتان هيئته حتى بادرتا بالسؤال عن روزالين وكيف
أمضى ليلته معها؟ وهل أمتعته كما نال متعته على أيديهما؟..
حاول التملُّص من الإجابة، لكنه خشي أن تُفسدا عليه تخطيطه
الذي يفكر فيه.. اضطر أن يرد عليهما باختصار قدر الاستطاعة..
قبل أن تستنزف المرأتان المكالمة لمصلحتهما.. رجاها أن يرسلإليه
بسرعة نسخة من صور حفل عيد ميلاده عن طريق الميكرو i Pad..
ضحكت أولاهما وسألت بغنج ظاهر: أهو في شوقٍ لهما؟ فهما
جاهزتان لتلبية احتياجاته بدلاً من الشريط المصور.. وقالت الثانية: إن
كان يريد أن يشاهد شريط الصور مع حبيبة القلب، فلم لا تتحول
المشاهدة الثنائية إلى رباعية فوق سرير حجرة نومه!..
تقبل تعليقاتهما على مضضٍ ووعدهما بتنفيذ الاقتراح الثاني إن راق
لروزالين..

مدينة دلاس عاصمة المال اليهودي..

كانت ليلة من أبهج الليالي التي مرت على يوثيل عاموس منذ أن اختيرَ حاخامًا أكبر لليهود في لاس فيجاس، فقد هاتفه مساعده الأول وبشّره بأن امتلاكهم لنسخة ملف الهيكل أصبح مُؤكَّدًا.. واقترح عليه أن يُبادِرَ بالقُدوم إلى دلاس تحت ستار مباركة برنامج السفر إلى أورشليم، لكي يُحدّد لصاحب المكتبة الوطنية ما عليه أن يتبعه حيال الملف فور تسلمه لنسخته..

صحيح أن فرحته باقتراح مشاركة شعبه في احتفالات مدينة أورشليم أو عاصمة السلام كما تسميها الحكومة العالمية كانت بلا حدود، لكن اقتراب لحظة طمأنته على محتويات نسخة من حلقة ملف الهيكل المفقودة، يفتح أبوابًا أوسع للبهجة..

أيقنَ يوثيل في قرارة نفسه أن الربَّ استجاب لرجاء الصالحين من أبناء شعبه المختار «ألا ينسأهم» وأنه يُوالي إزاحة المغاليق من أمامهم، لذلك لم يكتفِ بأداء صلاة اليوم الأخيرة بل عمَدَ إلى أداء صلاة شكر

ضمّنها أدعية خصّصها جميعاً “لهبة ملف الهيكل الثالث التي بعثت بها السماء كبشرى تحمل في طياتها عودة عاجلة لأورشليم وقيام مؤكد للهيكل” ..

يوئيل يؤمن أن القضايا الدينية لا يصح شرعاً مناقشتها وفق الرؤى السياسية التي دمرت الهيكل الأول الذي بناه الملك سليمان بوحي من السماء والثاني الذي بناه الملك هيرودوس الكبير في نفس المكان، لهذا السبب حرص منذ سنوات طويلة على أن يُمسك بين يديه وحده بكل ما يتعلق بأورشليم والهيكل وجبله، حتى مساعده الأول يعتبر رأيه استشارياً في كل ما يتعلق بهذه الملفات ..

توجه الحاخام الأكبر فور خروجه من مطار دلاس إلى السيارة التي كانت في انتظاره لتوصله إلى مقر مكتبة اليهود الوطنية ..

كان الرجل لا يزال تحت وقع السكينة الإيمانية التي شملته منذ الأمس، لذلك انصرف ذهنه ناحية ما يمكن أن يتحقق للشعب اليهودي من طموحات بعد امتلاك خيرة أبنائه جميع الوثائق التي توفّر لهم أفضل الفرص لبناء هيكلهم في مدينتهم المقدسة ..

لن يتقاعسوا هذه المرة ولن يختلفوا ولن يتناحروا فيما بينهم ..

اعتذر أفي لمحبي يوئيل عاموس الذين عرفوا بقرب وصوله إلى دلاس، عن عدم استطاعته الجلوس إليهم فور وصوله وطلب منهم أن يمنحوه بضع ساعات للراحة، ووعدهم أن يلتقوا به بعد انتهائه من أداء أول صلاة في صباح اليوم التالي ..

قبل غروب ذاك اليوم بنحو ساعة.. تقابل الخاخام الأكبر يرافقه
مساعدته في سيفر مع صديقها العتيديوسي بلوتسكي في سرداب مزرعة
عائلة روتشيلد غربي مدينة دلاس بالقرب من نهر برازوس..

كان كل واحد من هؤلاء الثلاثة مطمئنًا تمامًا لعزلة المكان الذي
أتوا إليه فرادى عبر طرق ومسالك توحى بأن رُكاب كل سيارة
يقصدون رحلة قصيرة لاستنشاق شذا الغابات في هذا الوقت من
العام..

لقد جربوا هذه الوسيلة عدة مرات من قبل، وتأكدوا من استحالة
تتبعهم والتنصت عليهم..

في كل مرة تضطربهم الظروف لزيارة السرداب، لا بد أن يختبر
يوسي بنفسه مدى صموده أمام محاولات الغير لاختراق حوائطه..

لذلك يسبقه إلى هناك الخاخام ومساعدة الواحد في أثر الثاني..

وفور تقابلها يسارعان في فتح حديث تلقائي، بينما يحاول يوسي
الذي يكون على مبعده منها أن يسترى السمع عن طريق أدوات تصنت
يخفيها في صدرية ثيابه وضع سمعاتها على أذنية - كأنها يستمع إلى
موسيقى وأغنيات مفضلة لديه، على ما يدور بينهما..

يقضي التنسيق بين الثلاثة، أن يلحق يوسي بصاحبيه في الموعد
المحدد عندما يفشل في التقاط الحديث الدائر بينهما..

أما إذا نجح في التقاط ولو كلمة واحدة، فما عليه إلا أن يوجه
مسيرته إلى غابة أخرى يتمشى فيها بعض الوقت، وعليها في تلك

الحالة - التي لم يمروا بها بعد - أن يواصلوا حديثهما العفوي لمدة من الزمن ثم يبدأ كل منهما في العودة بشكل طبيعي من حيث أتى..
هذه المرة أيضًا لم يُفلح يوسي في الاستماع إلى حرف واحد، لذلك انضمَّ إليهما في الوقت المحدد..

استفهم يوئيل عن مدى ثقة يوسي في كون نسخة الملف - المنتظر وصولها - تمثل الحلقة المفقودة بين ملفات مدينة أورشليم، أجاب الرجل أنه يجزم بأنها هي التي كانوا يبحثون عنها بلا جدوى منذ عدة سنوات.. شدّد عليه الحاخام الأكبر أن يُراجع ما عنده على ما سيتحصل عليه بعناية فائقة، حتى يكون تخطيطهما للخطوة التالية مؤسسًا على حقائق مؤكدة..

دائمًا ما كانت أفكار هؤلاء الثلاثة تتلاقى خاصة حول المسائل التي تحتاج لترتيب وتخطيط، وذلك منذ كان يوئيل مساعدًا أول للحاخام الأكبر الراحل بيري أبراهام.. دائمًا ما كان استيعابهم للقضايا التي ترتبط بالعقيدة يجري في إطار تنسيقي يركز على العقلانية في كل ما يمتُّ لحقوق الشعب اليهودي بصلة..

بانت في عيني يوسي الطمأنينة لأن حرص رائده الروحي وتشدده يعنيان ثقة كبيرة بقدراته، لذلك سارع بالقول إنه لن يكتفي بمقارنة الملف بما لديه من ملفات مشابهة، بل سيخضعه لقياسات وثائق مزارات أورشليم التوراتية التي نجت من ثورات الطبيعة وحملها اليهود معهم إلى لاس فيجاس..

مرت فترة صمت ربط خلالها ثلاثتهم بين قرار رئاسة المعبد الكبير
بحتمية توظيف قُدرات اليهود التقنية والمالية والأيدولوجية للحصول
بأي ثمن على ما ينقصهم من وثائق وتقارير وخرائط تتعلق بالمدينة التي
كانت على بُعد ذراع من أن تصبح عاصمتهم الأبدية، وبين قرب
حصولهم على واحد من أهمّ الملفات التي كانت تنقصهم..

استعاد يوثيل الحالة الإيمانية التي تلبسته منذ الأمس، ولما لاحظ
علامات الاستفهام على مُحياّ صاحبيه.. ابتسم وهو يُعبرُ لهما أن بشارة
ضَمَّ هذا الملف لما في حوزتهم تعني عنده أن الربَّ لم ينسَ شعبه المختار،
وأنه يُوالي رفع العراقيل من طريق عودته إلى عاصمته المقدسة..

قبل أن يفترق ثلاثتهم فرادى كما جاؤوا، اقترح يوسي على الحاخام
الأكبر أن تتصل هيئة مكتب المعبد الكبير بالحكومة العالمية في بكين
لمعرفة ما إذا كانت قد رصدت بعض النفقات للجماعات الدينية التي
ستشارك في احتفالات الحادي والثلاثين من ديسمبر القادم، أم أن
التكلف ستكون على كاهل كلٍّ منها؟..

مدينة لندن عاصمة تجميع الموارد المالية ..

زادت الحركة في أروقة بناية الهيئة العليا للموارد المالية، التي تطلُّ على الجانب الغربي لنهر التيمز بوسط لندن، على غير العادة في شهري أغسطس وسبتمبر ..

فبعد أن وضعت كلُّ هيئة من الهيئات العليا ذات الصلة باحتفالات نهاية العام التي ستشهدها عاصمة السلام، خُطَّطَها وراجعت حجمَ مطالبِها، قامت بإخطار كبير المسؤولين في لندن باحتياجاتها لأجل العمل على توفيرها في التوقيتات التي حددتها كلُّ منها ..

عندما قامت الحكومة العالمية عام ٢٠٥٠ كانت الحالة المالية لمعظم دول العالم وأقاليمه في أسوأ صورها .. تفشت مديونيات كل نظم الحكم الرأسمالية تقريباً، وكادت أن تتلاشى رؤوس أموال مؤسساتها المالية المحلية والإقليمية بعد أن فَقَدَتْ قُدْرَتَهَا على سداد أقساط الديون

وفوائدها التي تراكمت عليها سنواتٍ طويلة، وبعد أن أشهرت العديد من المنظمات المالية الدولية إفلاسها لتوقُّفِ الأعضاء عن سداد مساهماتهم ولفشلها في تحصيل أقساط الديون، وتكاليف خدماتها من الدول المدينة سواء أكانت صغيرة أم كبيرة..

بسبب هذه الأزمة التي تفاقمت بمرور الوقت خضعت إيرادات العديد من الدول ومصرفاتها لإشراف اللجان المالية الدولية.. وباعت دول أخرى الكثير من مصالحها الحيوية مقابل إيجار سنوي كان زهيداً في الكثير من الأحيان.. وفتح البعض الثالث حدوده لمبادلات مشبوهة ولغسيل الأموال وتجارة الأسلحة والمخدرات وأعضاء بشرية وحيوانية! لقاء ضريبة بدأت عالية ثم توالى هبوط مستوياتها بسبب صراعات داخلية بين أجهزة الحكم المهترئة من جهة، وتضاعف أعداد المنافذ المماثلة والمنافسة من جهة أخرى..

قررت الحكومة العالمية في نفس العام تجميع المنظمات المالية العالمية كافة في قلب لندن، وشكَّلت هيئة عليا لإدارتها ومنحتها سلطات واسعة هيأت لها - بعد معاناة هائلة - أن تضع يدها على موارد العالم المالية..

نجحت الحكومتان العالميتان الأولى والثانية إلى حدٍّ كبير في ضبط حركة الهيئة العليا للموارد المالية، لذلك ألزمتها الحكومة الثالثة عام ٢٠٦٠ بوضع رُبع إجمالي إيراداتها السنوية في حساب مُستقلٍّ بالبنك الإلكتروني الدولي، وأوكلت للهيئة العليا للإنفاق بمدينة دبي حَقَّ السحب منه لتغطية النفقات التي تحتاج إليها الحكومة العالمية في بكن والهيئات التابعة لها، بناء على توقيع صوتي من كبير وزرائها..

لم يكن المشوار سهلاً على الخبراء الماليين في لندن..

في البداية أحكمت هيئة الموارد سيطرتها على حركة التبادل التجاري والمبادلات التي كانت تتم بدون دفع مقابل نقدي، ونفذت خطة تدريجية مُحكمة انتهت بإحكام قبضتها على جباية الضرائب لحسابها.. ثم أعلنت عن توحيد العُملة الدولية في عملة معدنية واحدة، أطلقت عليها “كينزي” وأوكلت للعاصمة المالية مسؤولية صكها وتأمين تداولها ونقلها.. ولما أمسكت بخناق نُظم الحكم التي كانت خاضعة لها، عملت على تقليص العديد من أوجه الإنفاق التي كانت تُعاني منها، وبدأت بتفكيك الجيوش المحلية وأجهزة الأمن على أثر تحمُّل الحكومة العالمية لهذه المهام..

تلقت الهيئة العليا بلندن أمراً من بكين يكلفها بوضع خطة دقيقة لتوفير مبالغ احتياطية من المال لمواجهة احتياجات الهيئات التي ستشارك في تنظيم حفل عاصمة السلام نهار يوم ٣١ ديسمبر وليله وصبيحة الأول من يناير، وتلك التي ستشارك في فاعلياته..

دعا كبير الخبراء الماليين بالهيئة عددًا من أفضل مساعديه لوضع مخطط مبدئي لتحقيق الهدف.. وفيما بعد لما تلقى تقديرات واحتياجات كل هيئة عليا على حدة، راجعها بدقة وكلف مستشاريه بوضع تقديراتهم لكيفية الاستجابة لتحقيقها..

بعد ذلك ببضعة أيام وضع مجلس إدارة الهيئة خطة عملية لتوفير كل ما رصدته الهيئات العليا كنفقات متوقعة..

بعد أسبوعين اتضحت الرؤية أمام الهيئة العليا لتوفير الموارد المالية،
ومن ثم عملت على تغذية مدينة دبي بما تحتاجه على دفعات..

اضطرت هيئة تجميع الموارد لتأجيل بعض المشاريع الزراعية التي
تقع في مناطق جغرافية وأقاليمها لن تختفي من فوق أرضها الثلوج إلا
بعد عدة أشهر.. وأوقفت برامج تشغيل خطوط النقل البحري
للمناطق التي لديها مخزون سلعي يكفيها ثلاثة أشهر على الأقل..
وألغت - سراً - قرارات سابقة بتنقلات عدد من الفرق الأمنية المسلحة
كدوريات روتينية بين المناطق الجغرافية التي دلت مؤشرات الهيئة العليا
للامن بموسكو أنها تمتعت عامًا كاملاً بالاستقرار والهدوء.. إلخ..

في نهاية المطاف، أخطرت اللجنة العليا للموارد مكتب كبير
الوزراء في بكين بأنها قامت بتحويل الجزء الأخير من النفقات التي
كُلفت بتوفيرها إلى الهيئة العليا للإنفاق.. وأن دبي تستطيع أن تباشر
الإنفاق بالتنسيق مع الهيئات المعنية..

مدينة موسكو عاصمة الأمن..

ظلت روسيا الاتحادية سنواتٍ عديدةٍ في منأى عن الأزمات المالية التي عصفت بالدول الرأسمالية، بل يمكن القول إن اقتصادها تعافى من الكبوة التي لحقت بها مع نهاية الحرب الباردة، وأصبح في بداية القرن الواحد والعشرين نَدًّا لأكبر الاقتصاديات في العالم.. ثم مُتفوّقًا على عدد لا بأس به منها بعد عام ٢٠٣٥..

لم يكتفِ قادة الرأسمالية بسقوط ما كان يُعرف بالاتحاد السوفيتي، بل خططوا بقيادة الولايات المتحدة على تدمير روسيا الاتحادية من الداخل لتحويلها إلى دولة تابعة تستجدي ما يقيم أودها من بنوكهم التجارية ومن المؤسسات المالية الدولية..

تخندق الجميع خلف مافيا الرأسمالية والعولمة التي تفننت في سياسات تخريب الاقتصاد الروسي على مرحلتين: الأولى تقويض قطاعها العام ثم فتح أسواقها على مصاريعها لغسيل الأموال وتهريب

الثروات وتمويل مخططات الانقلابات السياسية الصفراء والزرقاء التي قادت العولمة في أكثر من مكان..

ترنّحت الدولة الروسية كثيراً تحت وطأة العملة المزيفة التي أغرقت أسواقها وما تعرّضت له من نهبٍ مُنظمٍ لثروات قطاعها العام، خاصة مع تزايد واتساع طبقة رأس المال الجدد الوافد معظمهم من الخارج.. ولكنها لم تسقط..

أنقذها - ويا للعجب - قاعدتها الأمنية العتيدة التي لم تفرط فيها حتى بعد انتهاجها النهج الديمقراطي! لدرجة أن ضرباتها الاستباقية التي وجهتها للمخربين تحولت إلى برنامج دعائي دفع عدداً من دول غرب أوروبا للاستعانة فيما بين عامي ٢٠٢٥ و ٢٠٣٥ بكوادرها المتخصصة لوقف استنزاف اقتصادياتها على يد العصابات الدولية..

بسبب هذه المكانة الأمنية العريقة.. اختيرت موسكو عام ٢٠٥٠ لكي تكون مقرّاً للهيئة العليا للأمن التي أُسندَ إليها تشكيل الأجهزة وبناء الكوادر ووضع الخطط التي تساعد خبرائها على تعقب البشر ومحاصرة المخاطر والعمل دون تفاقمها، والأهم من ذلك التعامل بيد من حديد مع كل عصيان أو تمرد ينشأ ضد نظام الحكومة العالمية..

مع تنامي الأزمات المالية وانهيار الاقتصاديات، فقدت الولايات المتحدة ومجموعة كبيرة من الدول الأوروبية قدراتها على حِفْظِ توازنها الاجتماعي الداخلي وتنامت داخلها الحركات الرافضة للنهج الديمقراطي غير القادر على أن يوفر للمواطن مقومات الحياة الكريمة..

في البداية طالبت هذه الحركات أنظمة حكمها سلمياً بحق أسرهم في الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية، ولما تراخت لجأت إلى أساليب العنف لكي تُحقّق أهدافها..

كذلك عانت الدول ذات الإنتاج النوعي الواحد كالنفط، وتلك التي لم تفكر يوماً في التخطيط لمواجهة الأزمات المالية، من تقلُّص عدد سكانها بسبب الوفيات الناجمة عن الأوبئة، وضحايا الثورات الطبيعية وموجات الهجرة وانخفاض معدل المواليد..

هذه المجتمعات اختفى بعضها كلية وانضم من صَمَدَ منها حتى منتصف القرن إلى أقرب جارٍ له، أو صار مقهوراً على تقديم الولاء لمن فرض وصايته عليه..

في نفس الوقت نجحت الصين وروسيا والهند واليابان في تعزيز حق مواطنيها في حياة مستقرة تلبي لهم الحد الأدنى من احتياجاتهم المعيشية وتحميهم من تسوُّل حقوقهم..

زادت قناعة شعوب هذه الدول بأهمية تعزيز السياسات الضامنة لعدالة توفير المسكن والغذاء والكساء والعلاج والرعاية الطبية وفرص التعليم، بعد أن تابعت - على شاشات الفضائيات العالمية - أحوال غيرها من المجتمعات البشرية التي أملت بها الفاقة، وقضت على مقومات الحياة الكريمة بها تحت مظلة الحكم الديموقراطي..

حتى حلف الناتو فقدَّ بالتدريج القدرة على المشاركة في حماية الأمن العالمي بعد تجاربه الفاشلة أوائل القرن في أفغانستان، ثم في منطقة

الشرق الأوسط، وبعدها في منطقة القبائل بين باكستان وأفغانستان، ناهيك عن عجز قواته وقوات التحالف الغربي بقيادة أمريكا عن اجتثاث الإرهاب والفوضى في أكثر من مكان حول العالم أمام تنامي النفوذ الأمني الروسي في منطقة بحر قزوين بأكملها وفي غيرها، والذي جعل سمعته في الحضيض..

احتلت الهيئة العليا للأمن الدولي فور إعلان قيامها المبنى التاريخي للقيادة المركزية للحزب الشيوعي الروسي الذي يطل من ناحية على نهر موسكو الذي سُميت المدينة باسمه، وعلى طريق بوليفارد الدائري من الناحية الأخرى..

في قاعة الاجتماعات الكبرى بالمبنى اجتمع كبير مسؤولي الهيئة بثلة من مستشاريه وأطلعهم على التكليف الذي تلقاه من رئاسة الحكومة العالمية بخصوص احتفال نهاية العام الذي ستشهده عاصمة السلام.. عليهم أن يؤمّنوا المدينة وحركة النقل إليها براً وبحراً وجواً، وأن يضمنوا سلامة ضيوفها منذ وصولهم إليها وحتى يغادروها عقب انتهاء احتفالاتهم بها بعد منتصف نهار يوم الأول من يناير ٢٠١٠..

تداول المجتمعون الأمر وحدّدوا بشكل أولي حجم المسؤولية..

قرروا بادئ ذي بدء أن يخضعوا ما يوازي عشرة أمثال مساحة المدينة إلى الرقعة المطلوب تأمينها، وأن يوسّعوا من تركز كوادرم الأمنية ليشمل الموانئ الجوية والبحرية القريبة منها والمطلة على شرق البحر المتوسط.. ما دامت الحكومة العالمية قد نوّت بشكل مباشر إلى تنوّع وتعدد سُبُل الانتقال إلى أقرب مكان من المدينة..

بعد عدة اجتماعات اتفقوا على تجهيز مطار مدينة دمشق عاصمة الشام بعدد من طائرات الدفاع الصاروخية، وميناء عكا البحري بعدد من القطع البحرية المقاتلة.. وأن تُحاط المدينة بمستويين من البوابات الأمنية.. الأول يعمل بالأشعة السينية، ويقع على مبعدة ٥ كيلومترات منها، والثاني على مبعدة ٣ كيلومترات فقط، ويعمل ببصمة العين.. هذا بالإضافة إلى مئات التليسكوبات متناهية الصغر التي تنهاى مع العين البشرية وتتفوق عليها في القدرة على اختراق الجدر ونقل صور غاية في الدقة على مسافات بعيدة إلى الكومبيوترات الشخصية للكوادر الأمنية..

في نهاية المطاف حدّدوا نوعية الأجهزة والمعدات التي سيحتاجون إليها، وكلفوا المختصين ببدء التشاور مع مراكز بحوث تقنيات الأمن والمتابعة والكشف والاستشعار عن بُعد، حول ما ستلزمهم بتنفيذه من مستحدثات لكي يتعرفوا قدراتها، ويتخيروا منها ما يناسب والمهمة التي أُلقيت على عاتقهم..

الأهم من ذلك أنهم صمّموا خمسين خطة مراقبة على مستوى منطقة الشام كلها، تعمل كُلُّ منها وفق أدلة كودية لم يسبق استخدامها.. وتركوا تحديد شفرتها الأساسية للسكروتارية الدائمة لمكتب مسؤولي الهيئة العليا لكي يختار هو ومعاونوه منها ما ستلزمهم بتنفيذه بشكل يومي اعتباراً من نهاية مرحلة الصفر التي توافق منتصف نهار يوم ٢٥ ديسمبر..

اسمّتع مكتب رئيس الوزراء في بكين إلى شرح مختصر ودقيق لخطّة تأمين عاصمة السلام، ووافق من فوره على مطالب الهيئة العليا للأمن.. وكان ذلك إيدانًا ببدء العد التنازلي لخطوات التنفيذ..

نسق مسؤول الهيئة العليا للأمن مع زملائه في الهيئات العليا الأخرى بحيث تكون الطائرات المقاتلة فوق أرض مطار دمشق الدولي، والزوارق البحرية في مياه ميناء عكا اعتبارًا من يوم ٢٠ ديسمبر..

وكلف كبير خبراء التجهيزات الأمنية أن يسافر مع فريق متخصص إلى مدينة طوكيو عاصمة التقنيات.. لمتابعة عدد من التجارب العملية لجميع المعدات التي لم يسبق استخدامها، لكي يتعاقد على شراء ما يقع عليه اختياره هو ومعاونوه.. بشرط أن توفر الهيئة العليا للتقنيات الأطقم الفنية المتخصصة في تركيبها وتشغيلها داخل عاصمة السلام، وعلى مستوى خطط التأمين خارجها قبل الأول من ديسمبر..

حددت موسكو بدقة مع الهيئة العليا للنقل بمدينة نيويورك نهايات طرق النقل البرية التي تقود من شمال إقليم الشام وجنوبه إلى مكان الاحتفال.. وتعرفت منها أيضًا على نهايات الخطوط البحرية ومراكز المسارات الفضائية التي تصل إليها..

الحكومة الدولية في بكين..

تحددت بشكل تقريبي ملامح صورة الاحتفالات التي ستقام في عاصمة السلام..

ولما تأكد مكتب كبير الوزراء ببكين من الأرقام التقريبية للمشاركين في تلك المناسبة وإعداد عناصر الأمن والأجهزة المختصة التي ستُعنى بالحفاظ على سلامتهم، أَمَرَت الهيئة العليا للصحة العامة ببائيس بتجهيز عدد كافٍ من مراكز العلاج والجراحة المتنقلة لتكون في خدمتهم..

إلى جانب ذلك أوصى المكتب مدينة البحوث الطبية في استوكهولم بإعداد قائمة باحتياجات الآلاف من زوار مدينة السلام الذين سيتجمعون في داخلها وحولها لأكثر من أربعة أيام، من شرائح علاجية وأدوية ومضادات حيوية بنفس الكيفية التي تتعامل بها مع احتياجات مواسم حج المسلمين إلى مكة سنوياً..

مدينة دبي عاصمة تنظيم النفقات المالية..

كانت الهيئة العليا للإنفاق على صلة بكل ما يتعلق باحتفالية آخر العام منذ وافقت الحكومة العالمية على تنفيذها في مدينة القدس عاصمة السلام.. كانت تُتابع من ناحية احتياجات كل هيئة وتتحصل منها على تقدير أولي للنفقات، ثم على تقدير نهائي لها، وكانت على صلة من ناحية أخرى بهيئة الموارد المالية في لندن، وشاركتها في إيقاف بعض أوجه الصرف على المشاريع التي وَقَعَ عليها الاختيار..

وها هي تستعدُّ لوضع البصمة قبل الأخيرة على أوجه نفقات الاحتفالية بأكملها بعدما حصلت من لندن على آخر الدفعات المالية التي وُعدت بها..

بعد جفاف موارد النفط والغاز في منطقة الخليج العربي من حدود صحراء قرة قوم شرقاً حتى حدود البحر الأحمر غرباً بحلول عام ٢٠٣٠.. وبعد تعرُّض غالبية تجمعاتها السكانية للهجرة وللجفاف

والتصحر، لم يبقَ بجانب مدينة مكة التي أصبحت عاصمة للمسلمين من مجتمعات الخليج البشرية والعمرانية إلا ثلاث مدن: طهران ودبي وعمان البوسعيدية.. الأولى أصبحت عاصمة صُنْع السجّاد على مستوى العالم بجدارة، والثانية احتلتها الهيئة العليا للإنفاق، والثالثة يربط فيها مراقب أسطول الصيد العالمي المشرف على المياه الجنوبية الذي تغطي مسئولية مسطح المياه من جزيرة سومطرة شرقاً إلى سواحل أفريقيا الجنوبية غرباً..

اختيرت دبي لتولي مسئولية تنظيم الإنفاق تحت إشراف الحكومة العالمية لما تتمتع به من خبرات تراكمية في التنمية المالية والاستثمار، وبعد أن نجحت أكثر من مرة في تجاوز ما لحق بها من آثار سلبية بسبب أزمات مالية عالمية، خاصة وأنها تفوّقت على مراكز مالية أخرى كانت أقدم منها في هذين الميدانين..

قامت مدينة دبي بوظيفتها الأساسية منذ اليوم الأول على أحسن وجه؛ لأنها نجحت لنصف قرن تقريباً في اجتذاب واحتضان وتفريخ الكوادر المالية الماهرة ذات الخبرة الواسعة.. ولتمكّنها - بسبب قربها من الهند - من الحصول أولاً بأول على أحدث أجيال التقنيات ذات الارتباط المباشر بكل ما له صلة بالمال ومؤسساته.. ثم لأنها أصبحت منذ عام ٢٠٣٥ شريكاً مُتميّزاً في ميدان وضع الخطوط النظرية للتحديث التقني التي يتولى خبراء التكنولوجيا في طوكيو تحويلها إلى نماذج مُنتجة على أوسع نطاق..

مدينة الفاتيكان عاصمة المسيحيين ..

لم يكن مُتخيلاً عام ٢٠٥٠ أن تكون للمسيحيين عاصمة إلا مدينة الفاتيكان، كما لم يكن مُتخيلاً أن يكون للمسلمين عاصمة إلا مدينة مكة.. فرغم الانشقاقات العقائدية التي كانت بين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت وغيرهم، رضيت الهيئات الكنسية كلها في جميع أنحاء العالم بأن تتولى رعاية شئونها الدينية مدينة واحدة تكون عاصمة للمسيحيين جميعاً.. وهو نفس ما وَقَعَ عند المسلمين الذين برغم تعدّد مذاهبهم وخلافاتهم الشديدة والعميقة، توافقوا في نهاية المطاف بعد نزاعات كثيرة أن تكون مكة هي عاصمتهم..

ساهم في التفاف كبار قساوسة المذاهب المسيحية حول مدينة الفاتيكان التنامي المتواصل - وان كان بشكل بطيء - لمبادئ الثورة اللاهوتية التي أرسى قواعدها المجمع الكنسي الذي دعا لعقده البابا الليبرالي المستنير يوحنا الثالث والعشرون بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٧٥ ..

أدت القرارات التي اتخذها هذا البابا والتي عُرفت باسم «مجمع الفاتيكان الثاني» إلى التخلي إلى حد كبير - وإن بشكل تدريجي - عن لاهوت القرون الوسطى الذي قاوم كثيرًا دواعي ومنطقية الاعتراف بالاكشافات العلمية الجديدة والنظرية الفلسفية المُستحدثة.. مما ساهم في نشر مُقَوِّمات لاهوت جديد شديد الجرأة والعقلانية..

كان من أهم ملامح هذا اللاهوت الجديد أنه أدى من ناحية لعقد صلح بين الكنيسة الكاثوليكية وفلسفة التنوير والحداثة، واعترف من ناحية ثانية بالحرية الدينية للمسيحي وبوجود أديان أخرى مثل اليهودية والإسلام والهندوسية والبوذية..

منذ اليوم الأول لتدشين مدينة الفاتيكان عاصمة للمسيحيين تحت مظلة الحكومة العالمية، اتفق بابا المسيحيين المتحددين مع نوابه في الأقاليم الجغرافية على ترك أمر العقيدة القائم على بشرية السيد المسيح أو ألوهيته لكل جماعة تتعبَّد بها وفق رؤيتها دون تدخل مباشر منه.. وتعهَّد برعاية مصالحهم جميعًا على قدم المساواة دون تفرقة..

لذلك لما عرضت عليه الحكومة العالمية أن يضع تصورًا لما يمكن أن يُساهم به المسيحيون في احتفالات عاصمة السلام، ترك الأمر لنوابه في الأقاليم، وطلب إليهم أن يستشيروا مجتمعاتهم، واقترح عليهم أن يشكلوا لجنة فيما بينهم لصياغة المقترحات التي سترد إليهم وأيضًا لتحديد احتياجاتهم المالية اللازمة للمشاركة في الاحتفال، وأبلغهم وهو يتلو قداس عيد البشارة أنه سيوافق على ما سوف يتفقون عليه ما دام نابعًا من ضمائرهم الحية التي يرعاها الرب في السماء..

تشكلت في الفاتيكان لجنة خماسية، وزعت مسئولية الاتصال بالأقاليم الجغرافية بين أفرادها الذين سارعوا إلى الاتصال بالهيئات الكنسية لتوضيح الصورة لها..

لم تتأخر استجابات مسيحيي الأقاليم طويلاً..

توالى على مكاتب اللجنة الخماسية المقترحات والأفكار التي أثلجت صدورهم..

الشباب لم يسمع بمثل هذا الحدث من قبل، أما كبار السن فهزتهم ذكريات متابعتهم الحثيثة منذ سنوات طويلة لشعائر صلوات بدء السنوات الميلادية التي كانت تُشْنَفُ آذان العالم المسيحي كله شرقاً وغرباً، عندما تصدح بها ترانيم كنيسة القيامة في بيت لحم الفلسطينية..

نظّم أعضاء لجنة الفاتيكان المقترحات التي توالى وُصولها إلى بريدكم الإلكتروني..

عرضوها على برنامج كومبيوتر صُمم خصيصاً لهذه المناسبة، فقام بتبويبها وفق أولويات محددة.. بعد ذلك كلفوا البرنامج باختيار المستوى الأفضل لمشاركة الشعب المسيحي، واختاروا فيما بعد أبسطها الذي اشتمل على عدد من أغنيات أعياد الميلاد التي كانت معروفة منذ القرن التاسع عشر بالإضافة إلى مسيرات رمزية فوق طريق الآلام..

اجتمع أفراد اللجنة الخماسية بالبابا في مدينة الفاتيكان، واستعرضوا معه النهج الذي استخدموه، ولخصوا له المستوى الذي وقع اختيارهم عليه.. ولما وافقهم وبارك جهدهم، اقترحوا عليه أن

يكون على رأس الراغبين في حضور الحفل والذين بلغ عددهم عشرة آلاف مسيحي..

بعد موافقة البابا على تقرير اللجنة الخماسية وترحيبه بأن يحضر الحفل، وأن يُصلي لأول مرة في كنيسة القيامة، أرسل مُكاتبة للحكومة العالمية في بكين بما تم الاتفاق عليه موضحًا به حجم التكاليف التي يحتاج إليها.. وسرعان ما جاءت الموافقة على مطالب أتباعه كافة..

مدينة طوكيو عاصمة التقنيات

لم تلجأ مدينة طوكيو، بعد أن وقع عليها الاختيار لتكون عاصمة التقنيات، إلى استحداث نظام صارم فيما يتعلق بتقنيات العمل أو في دقة التنفيذ أو في أسبقية الابتكار لكي يكون عنواناً لمسئوليتها الجديدة.. بل يمكن القول إن جميع هذه الخصائص التي كانت تتميز بها إلى جانب تفردها فيما بين عامي ٢٠٣٠ و ٢٠٤٥ بقيمة التصميم والتصنيع على مستوى العالم في ميدان ثورة التقنيات العاشرة، جعلتها الأجدر بتحمل هذه المسؤولية بلا منافس..

ولما اقترح خبراءها على بكين أن يسند إلى مدينة نيودلهي - تحت إشرافهم - مهمة التنفيذ التقني لكل ما هو جديد، لم يعترض أي عضو من أعضاء الحكومة العالمية..

رفض مجلس إدارة عاصمة التقنيات فور تشيكله عام ٢٠٥٠، أن يقتصر مثلث الابتكار والتصميم ومتابعة التنفيذ على خبراء مدينتهم فقط..

لذلك قرروا فتح أبوابها لكل متخصص في عالم التقنيات..

في غضون خمسة عشر عامًا، أصبح لديهم صفوف متتالية من الخبراء والمساعدين، بل لنابعين - على مستوى العالم - الذين أخضعتهم لبرنامج تنموي جعل منهم أدمغة قادرة على مخاطبة المستقبل وتلبية احتياجاته وأحلامه وطموحاته..

لم يعتمد خبراء التقنيات في تصميماتهم فقط على الأفكار التي كانت تلوح في أفق خيالاتهم، بل أفسحوا مجالاً للاستفادة من تجارب البعض واحتياجات البعض الآخر..

لذلك توسَّعت خطوط إنتاجهم، وتوالى أجيال تقنياتهم الحديثة بلا توقف، خاصة بعد أن شددت الحكومة العالمية من قبضتها عبر سلسلة متصلة من الإجراءات الأمنية على حركة البشر مما جعلها هي والهيئات العليا المنفذة لأوامرها في حاجة ماسّة ودائمة لكل ما هو جديد في عالم التقنيات..

وفي بعض الأحيان كان مستشاروا عاصمة الأمن ينسقون مع خبراء طوكيو - في ضوء احتياجاتهم النابعة من تجارب كوادهم التطبيقية هنا وهناك - لكي يضعوا تصميمات لأجهزة محددة المواصفات تُوسَّع من مجال تحقيقهم من ملامح وسمات الشخصية التي يتابعونها، وتوفر لهم مهارات أكبر لملاحقتها عن بعد..

وهذا ما حدث بالفعل عندما تقرر إقامة احتفالات مدينة القدس عاصمة السلام..

توصَّلَ خبراء مدينة طوكيو إلى تصميماتٍ جديدة لأجهزة المراقبة والحماية، ونجحوا في إضافة إمكانات عالية لماكينات فحص بصمات العيون وطبقات الصوت وفق المقتضيات التي حددتها الهيئة العليا للأمن، وعدلوا في كفاءة مناظير المراقبة الليلية بعيدة المدى، وحسَّـنوا من مستويات التليسكوبات متناهية الصغر وكاميرات المتابعة عن بُعْدٍ..

ولما انتهت ورش نيودلهي من تصنيع نماذج للعرض والتجريب، استضافت طوكيو في بداية شهر سبتمبر ٢٠٩٩ كبار خبراء الهيئة العليا للأمن وعرضت عليهم في معاملها عينة منها..

نصبوا لهم منصبات للعرض على الطبيعة في مداخل بعض المدن وحول المباني وعلى حوافّ الجبال.. وعندما تطلب الأمر قياس كفاءة أداء كل جهاز على حدة، ووفروا لهم الكوادر الفنية التي نفذت بدقة متناهية تعليماتهم..

تواصلت المهمة مدة يومين متعاقبين، جرب كبار خبراء مدينة التقنيات خلالهما البرامج المحتملة كافة.. وعرَّضوا الأجهزة لجميع المعوقات المتوقعة.. زيفوا عليها عددًا من الاحتمالات المتضاربة، ولما ثبتت كفاءتها أصدروا أوامرهم بتصنيع العدد المطلوب من كل منها..

وقبل مغادرتهم طوكيو، كلفوا مسئول هيئتها العليا أن يطلب إلى الحكومة العالمية التنبيه على هيئة الإنفاق العليا في دبي بالترتيب لسداد التكاليف المتَّفق عليها..

مدينة سيراكوزاه..

بادرت ميشجان وسيندي بموافاة صاحبهما ديفيد بملف صور حفل عيد ميلاده، حتى لا يعاقبهما برفض طلبهما لو قررتا إقامة حفل بمناسبة رحيلهما عن سيركوزاه إلى مقر عمليهما الجديدين، خاصة إذا أتاحت لهما الظروف فرصة ثانية للاستحواذ عليه بعيداً عن يدي منافستهما روزالين..

تعمد ديفيد وهو يقوم بتصنيف الصور وترتيبها الواحدة تلو الأخرى أن يدسّ في خلفيتها ملف الهيكل، بحيث يبدو الأمر لمن يخترق الرسالة ويتعرّف فحواها ومرفقاتها - غير جوهان وزارا - أنه يشاهد مزيجاً هندسياً بديعاً يجمع في طياته بحرفية عالية بين صور ثلاثية الأبعاد لمجموعة من الأصدقاء يحتفلون بمناسبة سعيدة وبعض الرسومات الهندسية والمساقط الأفقية والرأسية، دون أن يتعرّف على تفاصيل الملف الأصلي أو يفكّ طلسم مكوناته..

في نفس اليوم استغل ديفيد فرصة انشغال جميع كاميرات مكتبه الداخلية مدة ثلاث دقائق في تسجيل عاصفة الأمواج المتتالية التي يصل ارتفاعها إلى سبعة عشر متراً وتحركها رياح بلغة سرعتها ٩٠ ميلاً / ساعة من ناحية رأس بون التونسية في اتجاه سواحل جزيرة صقلية ومضيق مسينا الذي يفصل بينها وبين جنوب إيطاليا، وقام بتثبيت شريحة ملف الهيكل الملفوفة بالقصدير في داخل القوقعة التي جاءته هديةً، وصبَّ عليها سلخات متعاقبة من الشمع الذي اختاره بنفس لونها من الداخل حتى اطمأنَّ إلى امتلائها حتى حوافها الخارجية..

غشيت ديفيد لحظات من الشعور بالتفوق والغرور.. لقد سدد هذه المرة ضربة قوية لروح القانون والالتزام، بينما هو يؤدي عمله المعتاد بكل همّة ونشاط..

وجاء ردُّ فعله - كما هو نفسه - اهتماماً أكبر بأعمال المكتب الروتينية..

لذلك سرعان ما انكبَّ على تحليل التسجيلات التي أمدته بها الأجهزة..

ثم قام بإبلاغ رئاسته أنه بسبب خطورة التوقعات الناجمة عن تزايد سرعة العواصف وهدير الأمواج التي ستتواصل حتى توقيت شروق شمس اليوم التالي، سيواصل العمل حتى ينتهي من إرسال آخر التقارير إلى هيئة المراقبة المركزية..

عقب ذلك اتصل بروزالين وأبلغها أنه سيتأخر بالمكتب بعض الوقت..

حظي صاحبنا بتقدير رؤسائه المباشرين لأن ما بعث به من
تقديرات في وقت مبكر أتاح لهم الفرصة لإخطار سفن الصيد التي
كانت تبحر حول الجزر الأيونية ومضيق أترنتو ناحية الشواطئ اليونانية
بالاستعداد لمواجهة مخاطر مؤكدة..

برج نيواورليانز..

كان أول شيء فعله هوجان بعد وصوله إلى مكتبه هو الاتصال عن طريق الشبكة السمعية البصرية بديفيد، أولاً لمتابعة تبادل الأخبار اليومية حول النشرة الجوية العالمية الصباحية.. وثانياً للتعبير عن إعجابه بمجموعة صور عيد ميلاده التي تلقى منها نسختين..

تواعد الصديقان على التواصل كلما سنحت الفرصة لجوهان..

من شقتها بنفس البناية سطرت زارا فوق شاشة الكمبيوتر الشخصي لزوجها أنها انتهت من ترتيب كل شيء، وعليه أن ينتظرها في ساحة الجراج في التوقيت المتفق عليه..

اتصل جوهان بالمراقبة الجوية وطلب الإذن له بالطيران إلى مدينة دلاس بعد ساعتين.. ظهر النموذج المعتاد على الشاشة.. قام بملاءم بياناته.. تلقى بعد دقائق التعليمات.. نقلها على الكمبيوتر الشخصي..

أبلغ جوهان رئاسته أنه يستعد لترك المكتب، وأن زميله سيتولّى
المسئولية بدلاً منه..

عندما نزل إلى جراج البناية وجد زارا في انتظاره..

لما أغلقت أبواب السيارة عليهما، قام جوهان بتلقين كومبيوتر
المحرك تعليمات الطيران، ولما سمعَ بعد خمس ثوانٍ ما يدلُّ على بدء العد
التنازلي لتنفيذها قام هو وزوجته بإحكام ربط حزام المقعد المزدوج..
بعدها خرج جوهان بالسيارة من الجراج..

انتظر عند نقطة محددة في بداية الطريق، سرعان ما حملته دفعة الهواء
مسافة ٥٠ مترًا بسرعة ٢٠٠ كيلومتر في الساعة، ثم أفسحت له المسار
المحدد له..

بعدها استوت السيارة طائرة في الجو سمع الراكبان صوتًا يقول
لهما: إن سيارتهما ستطير بسرعة ٦٥٠ كيلومترًا / ساعة على ارتفاع
٢٨٠٠ قدم، وأنها سيصلان إلى مطار هوستن المحلي بعد عشرين
دقيقة، ومن هناك سيلحقان بالطائرة التي ستقلهما إلى مدينة دلاس..

مدينة لاس فيجاس عاصمة اليهود الدينية..

لم يكن تركيز الحاخام الأكبر طوال اجتماعه قبل الأخير مع مساعديه لمناقشة برنامج احتفال بدايات السنوات في أورشليم مُنصبًا على إطار المشاركة، بل على كيفية الحصول بطريقة أو بأخرى على تمويل مالي من الحكومة العالمية يُستخدم جزء منه في تنفيذ البرنامج الاحتفالي والباقي يُوجَّه لخدمة احتياجات المعبد الكبير..

العقبة الكبرى التي كانت تقف في طريق تحقيق هذا الهدف، هي أن مدينة دبي توقفت نهائياً منذ عشرين عاماً عن الاستجابة لطلبات الإمدادات المالية التي يتقدم بها قادة الأقاليم أو العواصم أو ما شابه بعد أن تعرضت الحكومة العالمية لعدد من الخُدع التي أدت إلى ضياع مليارات العملة لسداد تكاليف وهمية..

اقترح مجلس الشورى العالمي لمنع تكرار هذه العمليات أن تحتفظ مدينة دبي في أوعية مستقلة بإيرادات ونفقات وحسابات كل إقليم وعاصمة وهيئة عليا، كُلُّ على حدة.. وأن تتوقف الحكومة العالمية عن

تقديم مال سائل لأي جهة تمثل تجمع بشري إلا فيما ندر وبعد دراسة
مُتأنية تتوافر لها جميع ما وضعته من مؤشرات الشفافية..

وهكذا عاد العالم كله عن طريق السياسات التي ألزمت بها عاصمة
الإنفاق المالي إلى حقبة التبادل السلعي والخدمي حتى تمنع أي سبيل
للتحايل عليها.. وأصبحت مدينة دبي هي النافذة الوحيدة المسؤولة عن
التحصيل والسداد نيابة عن الجميع..

في أعقاب هذا القرار حرصت معظم الأقاليم والعواصم المنتجة
والمُصنعة على أن واحداً أو أكثر من منتجاتها له ميزة ترويجية تقوم
بمبادلتها مع غيره بسلع أو خدماتٍ هي في حاجة إليها، وفي الحالات
الاضطرارية كانت الحكومة العالمية تمدّد العون للجماعة البشرية التي
ثبتت القرائن أنها في أزمة لا تستطيع مواجهتها بمفردها..

بعد مناقشات موسعة اتفق الخاخام الأكبر ومساعدوه على أن
يسافروا إلى أورشليم مع بوقهم وألواحهم المقدسة على ظهر مركب
يهودي حتى لا يشاركهم “الأغيار” رحلتهم الدينية .. وأوصاهم أن
يتضمن برنامج السفر توقف السفينة، بعد إبحارها من ميناء سان
يداجو، ليوم سبت واحد في ميناء من موانئ البحر المتوسط القريب
لكي يصعد إلى سطحها اليهود المسافرون من أوروبا، ولكي يحصلوا على
وجبات “الكوشير” الخاصة بركاب السفينة بقية أيام رحلتها حتى ميناء
عكا وأثناء يوم الاحتفال، مما سيحقق من وراءه منافع جمة..

اقترحوا أن يطلبوا من مندوبي الحكومة العالمية في أورشليم أن تُخْلِ
لهم حائط المسجد الأقصى الذي كانوا يطلقون عليه حائط المبكى من أي

مُتَعَبْدٌ، ليكون خالصًا لهم طوال مدة الاحتفال لأجل أن يتمكنوا من أداء صلواتهم وكتابة الرسائل للرب..

وأن يتضمن الطلب حقهم في إقامة خيمة للحاخام الأكبر على قِمَّةِ جبل الهيكل.. وعلى السماح لهم بدفن من يقضي نحبَه من اليهود أثناء هذه الرحلة في جبل الزيتون..

ولما لم يعد هناك إضافة، كَلَّفَ يوثيل عاموس مساعدته الأول بصياغة ما اتَّفَقَ عليه وإرساله فورًا إلى مكتب كبير الوزراء.. وأوصاهم بالاستعداد في كل وقت للرد على أي استفسارات أو إيضاحات تُطرح من جانب بكنين، وعلى مُناقشة أيِّ اقتراحات بديلة قد تُعرض عليهم حتى لا يضيع على اليهود دون غيرهم فرصة زيارة مدينتهم المقدسة التي اضطروا للهجرة بعيدًا عنها..

مدينة القدس عاصمة السلام..

تحوّلت مدينة القدس بعد فترة وجيزة من تلاشي دولة إسرائيل واختفائها على أثر تفكُّكها في أعقاب اندحار الفكر الصهيوني الذي مهّد لقيامها منذ نهاية القرن التاسع عشر، إلى مدينة تُمثل أنشودة المحبة والسلام وتؤكدُ التآخي بين البشر.. وبمرور السنين حققت لها عوامل الاستقرار والأمن التي ازدهرت في أرجائها على امتداد الخمسين عامًا الأخيرة من عمر العالم، مكانة متميزة بين أقاليمه المختلفة..

يتمثل أقصى ما قدمته حكومة إسرائيل من تنازلات على مستوى ملف صراعها مع شعب فلسطين، في الموافقة عام ٢٠١٨ على قيام دويلة فلسطينية فوق أرض قطاع غزة منقوصة السيادة معدومة الإمكانات.. بعد أن ضُمَّت إليه جزءًا من صحراء النقب يعادل نصف مساحة أراضي الضفة الغربية التي استحوذت عليها بالكامل..

كانت دويلة مشوهة ومسلوبة الإرادة والحقوق بكل معنى الكلمة، يعيش سكانها تحت حدّ الفقر بكثير..

في نفس الوقت فشلت جميع خطط إسرائيل التي صممتها لتفريغ الضفة من سكانها الأصليين سواء بالترحيل إلى الأردن أو إلى دوليتهم الممسوخة ..

لم تتزحزح إسرائيل بعد أن وقعت اتفاقيتي سلام مع سوريا ولبنان عن قمة غطرسيتها وتعاليتها على المحيط الجغرافي والبيئي الذي تعتمد عليه في حياتها، ولم تعمل على استثمار حائط السلام بينها وبين الدول المحيطة بها - كما كانت تُسمى معاهدات السلام مع كل من القاهرة وعمان ودمشق وبغروت - إلا للمحافظة على هوية الدولة اليهودية التي روَّجت له طويلاً ضاربة عرض الحائط بهويات وأمن الآخرين ..

إضافة إلى ذلك أدت سياساتها التسلطية ورفضها المتواصل لمبادرات السلام، إلى تزايد عزلتها بين الدول .. خاصة بعد تقلُّص الدعم المادي والمعنوي الذي كانت تحظى به من الولايات المتحدة التي انشغلت بمشاكلها الاقتصادية عنها ..

استغلت القوى الاقتصادية الآسيوية الكبرى الجفوة السياسية التي وقعت وتفاقت بين روسيا والغرب بسبب إمدادات الغاز إلى الدول الأوروبية من ناحية، وملفات الأمن المشترك من ناحية ثانية، ودعت موسكو إلى مشاركتها في تشكيل مائدة مستديرة لتنمية قدراتها الاقتصادية والإنتاجية، ولإيجاد حلول عملية لما تعانيه من مشكلاتٍ تسويقية ..

كان من أهم ما توافقت عليه هذه المجموعة من الدول، المبادرة بتأسيس صندوق موحَّد للإشراف على توسيع ميادين استثماراتها المالية في أنحاء عدة من العالم ..

لما قويت شوكة هذا التجمع اقتصادياً وتقنياً، ساوم مجلس إدارة صندوقه الاستثماري الإدارة الأمريكية على إسقاط ٣٠٪ من حجم مديونيتها لدى أعضائه، وعلى شراء ٢٠٪ من مديونيتها لدى المنظمات الدولية، إن هي وافقت على تشكيل كيان دولي للسلام يتحمل بدلاً من مجلس الأمن مسؤولية تنقية الأجواء العالمية المضطربة ويعمل على تنمية الاستقرار والأمن في جميع أنحاء العالم ويكون التصويت فيه بالأغلبية..

ترددت الولايات المتحدة كثيراً في إبداء موافقتها، ولكنها اضطرت تحت وطأة ظروفها الاقتصادية المتردية وتحالفاتها المتفسخة، للموافقة عام ٢٠٢٠ على قيام الكيان المقترح وفق الاشتراطات التي فُرضت عليها..

بدأ الكيان المستحدث الذي أطلق عليه “الهيئة الدولية للسلام” في تصنيف التركة المثقلة التي تسلمتها من مجلس الأمن، وكلف مجموعات من المستشارين السياسيين والقانونيين والأمنيين دراسة كل حالة على حدة؛ لوضع عدة مقترحات لحل تشابكاتها..

سرعان ما قويت شوكة الهيئة بعد نجاحها في فرض الهدوء والاستقرار بين الهند وباكستان على أثر تقسيم السلطة في مقاطعة كشمير بينهما بعد أن وقعا اتفاقية عدم اعتداء، وبعد نجاحها في إعادة توحيد الكوريتين وفرض الأمن في أفغانستان، وتعزيز المصالحات بين روسيا وجيرانها، وفُضّ النزاع الصحراوي بين المغرب والجزائر..

حتى مشكلتا جزيرة قبرص وجبل طارق، وضعت لهما حلولاً مرضية على مستوى الأتراك واليونانيين من ناحية وإسبانيا والمغرب من ناحية ثانية..

وزاد نفوذها بعد أن وفّرت الكثير من عوامل التنمية البيئية في المنطقة الحدودية الجبلية التي تعيش فيها قبائل التبت جنوب الصين، والقبائل الأفغانية / الباكستانية وتلك التي يعيش فيها أكراد سوريا والعراق وتركيا وإيران، وبعد أن قضت على أسباب الاقتتال بين القبائل السودانية وعلى أسباب تناحر قبائل البحيرات الأفريقية..

وأصبحت كلمتها مسموعة بعد أن نظّمت توزيع المياه وفق الاحتياجات الفعلية بين دول حوض نهر الأمازون وحوض نهر السنغال وحوض نهر النيل وبين تركيا وسوريا والعراق، مما قضى بشكل كبير على العديد من مصادر تهديد الأمن العالمي..

هذا النجاح الذي حظي بتأييد واسع ومساندة قوية، لم يوفر للهيئة فرصة نجاح واحدة في الشرق الأوسط.. فكلما اقتربت بمساعيها الجماعية من منطقة الصراع الأزلي عملت إسرائيل على إفشالها إما بتخريبها عن بُعد أو بتقديم أفكار غير عملية..

تعسّف حكومات إسرائيل المتواصل ضد كيان الدويلة الفلسطينية المشوّه وسعيها الدؤوب للحطّ من شأن سكانها من ناحية، وفشل مخططاتها المتتالية للتخلّص من عرب الضفة الغربية من ناحية ثانية.. عززا من قُدرات كواد العمل الوطني الفلسطيني في مقاومتها باستخدام أساليب غاية في البساطة والبدائية، ولكنها كانت قادرة على تفجير أوضاع المجتمع الإسرائيلي الداخلية.. خاصة وأن معظمها كان سلمياً..

وفرت شبكة المعلومات العنكبوتية للجيل الأحدث من المناضلين فرصاً متعددة للقيام بعمليات تشويش متنوعة المستويات، بدأت

باختراق مواقع أحزاب إسرائيل السياسية ورسائل مستوطنيتها وحاخاماتها! ثم انتقلت إلى تغيير شعارات تلك المواقع وتعديل أجزاء من محتوياتها، ثم تمكّنت في مرحلة تالية من نشر تسجيلات صوتية لمحاضر اجتماعاتها بعدة لغات، فكان أن سحبت شرائح واسعة من الرأي العام العالمي تأييدها لها..

وفي حين لم تتمكن إسرائيل بكل إمكاناتها الهائلة من القضاء على ما كانت تصفُه بقرصنة الإرهاب، طورت الكوادر الفلسطينية من وسائل تشويشها الصبائية التي شارك فيها بعض اليهود عن طريق ما كان يعرف بمشاركات السلام الجماعية.. ونجحوا في تعطيل جزء من شبكات الكهرباء وبرامج التغذية المائية للمستعمرات لعدة ساعات، وعلى توقيف نظام المرور الآلي داخل مدنها الكبرى لفترة من الزمن، وتمكنوا عدة مرات في تعطيل وصول رسائل التعبئة لجنود وحدات قواتها المسلحة الاحتياطية، مما تسبب في اضطرابات وفوضى لم تعهدها من قبل..

في أحيان كثيرة فقد قادة أجهزة إسرائيل الأمنية أعصابهم، فما أن يعلنوا عن القضاء على ما دأبوا على وصفه بـ “شبكات تعكير صفو المجتمع” حتى يفاجئوا بعمليات إعاقة لمسار برامجهم، مستمدة من اجتهادات غير متوقعة وغير معتادة..

وبينما كانت برامج تقنيات الحكومات الإسرائيلية تتعامل مع أفضل وأحدث التقنيات في العالم، كان زاد خلايا المقاومة السلمية يتغذى على الألعيب غير تقليدية لا تخطر على بال جهابذة مسؤولي وإِدِ مقاومة الشعب الفلسطيني..

فأقم من أزمة إسرائيل الداخلية انكماش دور الولايات المتحدة العالمي، وما نَجَمَ عنه من إلغاء النسبة الأكبر من المعونات التي كانت تحصل عليها سنوياً من إداراتها، وكذا قدر هائل من تبرعات اليهود الأمريكيين، بالإضافة إلى تدهور سمعتها خارجياً علي أكثر من مستوى بسبب موقفها العنصري تجاه ٤٠ ٪ من سكانها ذوي الأصول العربية الذين كانوا يحظون بتأييد واسع من منظمات حقوقية عالمية..

هياً تزايد رفض العديد من دول العالم لسياسات دولة إسرائيل العنصرية الداخلية ولأساليبها المجهضة لمساعي السلام الدائم والمُعطلة لبرامج الاستثمار والتنمية في دولة فلسطين، الفرصة للقوى الاقتصادية الكبرى في العالم لأن تساوم الولايات المتحدة مرة ثانية إن هي شاركت في فرض اتفاقية هدنة أبدية عليها، أن تقدم لها العون المالي والاستشاري الكافين لإعادة تشغيل مراكزها الإنتاجية المعطلة من ناحية ولمساعدة بورصة نيويورك من ناحية أخرى على إستئناف نشاطاتها التنافسية بضخ مئات المليارات من الدولارات إلى قنواتها الشرائية مقابل نسبة ربحية معقولة..

فوجئت حكومة إسرائيل بمشروع الاتفاق الذي توصل إليه خبراء الهيئة الدولية للسلام يتحول إلى وثيقة عالمية مُلزمة، مما اضطرها للتوقيع عليها عام ٢٠٣٥ خاصة وأنها نصّت على أن أي تأخير في تنفيذ ما تم التوقيع عليه وفق التوقيتات المتفق عليها سيضطر الهيئة لتشكيل قوات عسكرية من بين دول بحر قزوين لمحاصرتها لإجبارها على الانصياع بالقوة لما تم الاتفاق عليه بالإجماع..

رفضت شرائح عدة من المجتمع الإسرائيلي بكل أطيافه السياسية والاجتماعية والدينية الاتفاقية، وقاموا بتظاهرات أشعلوا خلالها الحرائق في بعض الممتلكات العامة والخاصة..

فشلت حكومة إسرائيل في إقناع الهيئة الدولية للسلام بحققها في إستفتاء شعبها على الاتفاقية، مما زاد من تفاقم أزمتها الداخلية خاصة بعد أن تمكنت بعض تياراتها من تفريغ شحناتها العنصرية ضد مواطنين يهود مثلهم، وبينما كانت بعض القوات الدولية تستعد في بداية عام ٢٠٣٦ للنزول على شواطئها للحيلولة دون انفجار حرب أهلية.. تعرضت المنطقة الداخلية الممتدة من جبل أربد في الشمال إلى بئر السبع في الجنوب مرة أخرى لعواصف رعديّة وحرائق شبيهة بتلك التي تعرضت لها منذ سبع سنوات..

لم تفلح أحدث وسائل مقاومة الحرائق في إخماد ثورة الطبيعة المزدوجة، بل أوقفها بشكل نهائي زحف الأمواج الهادرة التي جرفت معها المنطقة الساحلية الممتدة من جنوب حيفا إلى منطقة أشدود وغطتها بمياه البحر..

تمكّنت قلة محدودة من اليهود من العيش في وئام مع محيطها الجغرافي والبيئي والإنساني بعد هذه الحادثة، أما الغالبية فرتبت أمورها للهجرة إلى لاس فيجاس..

في نفس العام قررت الهيئة الدولية للسلام أن تصبح «القدس وما حولها مدينة تاريخية تضم أماكن عبادة لليهود والمسيحيين والمسلمين وفق ما كانت عليه حدودها عام ١٩٤٨ وأن تُزال جميع التشوهات التي

أقامتها حكومات إسرائيل المتعاقبة قرابة تسعين عام، لكي تعود المدينة إلى طبيعتها الدينية متعددة الأوجه»..

أزيل السورُ الواقِي الكُئيب، وهُدمت المعابر وكاميرات التلصُّص التي كانت مقامة حول المدينة، ورُدمت الحفائر التي كانت تجري في الخفاء تحت المسجد الأقصى، ونُظِّفَ حائط البراق من الأوراق والرسائل التي بقيت بين شقوقه سنوات طوال.. وأُعيد لتراث المدينة الديني رونقه، وهُدمت المساكن والدكاكين والحانات التي أُقيمت عنوة بين الحيين المسيحي والإسلامي..

حتى نموذج هيكل سليمان المُجسَّم الذي شُيِّدَ فوق مبنى “كنيس الخميس” على مبعده أمتار معدودة من المسجد الأقصى وحائط البراق، لتأكيد معنى حاجة الروح اليهودية لرؤية هيكلها التاريخي مُقامًا في مكانه، لم يبقَ طويلا هناك لأن خبراء الهيئة الدولية للسلام اعتبروه خارجًا عن النسق الأصلي لثراث المدينة..

شكلت الهيئة الدولية للسلام مجلس إدارة للمدينة تكون لأول مرة عام ٢٠٣٥ من كبار حكمائها ومن رجال الدين العاملين فيها، ثم صار اختيار أعضائه فيما بعد وفق اشتراطات حتمتها تجربة رعاية الصالح العام والشفافية وطهارة اليد والتفاني في الخدمة العامة.. وبعد أن كان المجلس يُسَّقُ احتياجات المدينة مع ممثل الهيئة، أصبح بعد عام ٢٠٥٠ يباشرها مع نائب الحكومة العالمية..

نفذت مجالس إدارات المدينة المتعاقبة العديد من المشاريع التنموية والإصلاحية التي أعادت لها أصالتها التاريخية وبهاءها الإنساني،

وأبرزت نورانيتها، وأكدت صلتها بالسماء، وأزاحت عن كاهلها بالتدريج الشبهات التي ألحقها بها الاحتلال الصهيوني..

عادت جميع دور العبادة في عاصمة السلام إلى ما كانت تتصف به من ساحة وتآخ بعد أن تبنت بالتدريج مخططات العودة إلى المنبع السماوي في تعاملها على المستويات كافة، وأصبح كل واحد من سكان المدينة آمناً على رُوحه وعلى مُستقبل المجتمع المقدسي كله.. وانعكس ذلك على زائريها ثقة وطمأنينة..

لم تعد عاصمة السلام بعد مرور نحو ٦٠ عامًا على تبوُّئها مكانتها العالمية في حاجة للكثير من الخدمات التي كانت توفرها لها أطراف خارجية.. أصبحت تتمتع بقدر عالٍ من الكفاية الذاتية التي توفرت لها على يد مجالس إدارتها المتعاقبة، وجموع المؤمنين بالديانات الثلاث برعاية ممثلي الحكومة العالمية..

دأب مندوب الحكومة العالمية بالمدينة منذ اختياره عام ٢٠٩٥ على وضع خبرته كونه مهندساً وأثرياً في خدمة مشاريع صيانة وترميم آثارها الإنسانية دون تفرقة أو تمييز بين الديانات التي تمثلها، مما أكسبه ثقة ومحبة غالبية أبناء المجتمع المقدسي.. ونجح بعد أن وطّد علاقته على المستويين الرسمي والإنساني في تعميق إحساس الجيل الأحدث من سكانها بقيمة كل ما هو فوق أرضها من تراثٍ بشريٍّ، عن طريق إشراكهم في تنفيذ مشاريعها، ومن خلال منحهم الفرصة للتعبير عن رؤيتهم الشبابية فيما يتصل بسبل تلبية احتياجاتها ذاتياً..

وبعد مرور حوالي عامين، أصبح هذا المندوب لا يُرى في مقره الإداري إلا نادرًا.. فهو إما إلى جوار مشروع يتابع تنفيذ خطته الإصلاحية.. أو يتدارس على الطبيعة مع مجموعة مختلطة من كبار السن والشباب كيفية الاستفادة من التقارير المناخية الدورية لتحديد أنسب الأوقات لبدء برامج الصيانة المعمارية الروتينية.. أو يُشاركُ ضمن فريق من الشباب في نشاطات حماية البيئة أو في مباريات الشطرنج التي كان بارعًا فيها..

تلقَّى الرجلُ رسالةً بكنين التي تطالبه بالعمل على أن يخرج احتفال عاصمة السلام ببداية السنوات الميلادية الجديدة في أحسن صورة..

لم يصادف الرجل اعتراضًا يُذكر عندما رتَّبَ جلسة عمل مع أعضاء مجلس الإدارة لمناقشة رسالة الحكومة العالمية، واقترح في بدايتها أن يتحمل الشباب مسؤولية تخطيط وتنفيذ ما سيصدر عنهم من توصيات تحت إشراف البعض منهم..

أوصى أعضاء مجلس الإدارة بتشكيل لجان خدمية من الشباب على مستوى المربعات السكنية لاستقبال الضيوف والترحيب بهم وتسهيل تنقلاتهم وتقديم المساعدة الفورية لمن يحتاج إليها.. ولجان أخرى لمراقبة مستوى النظافة.. ولجان ثالثة للإشراف على توافر السلع والاحتياجات اليومية.. وأسندوا لكبار السن مراقبة تنفيذ التعليمات التي ستصدر عن بكنين في هذا الخصوص..

بعد ذلك بعبدة أسابيع، وضع أعضاء مجلس الإدارة أنفسهم في خدمة لجنة الإعداد التي قدم منتسبوها لزياتها قبل ثلاثة أشهر من موعد

الاحتفال المشهود، لتحديد مدى جاهزية المدينة وما إذا كانت تحتاج إلى ترتيبات إضافية من نوع محدد..

زار الضيوف الأحياء الدينية التي يتشكل منها قلب المدينة ولمسوا بأنفسهم مدى التقارب الذي تمثله دور العبادة المتلاصقة من تلاحم بين معتنقي الأديان الثلاثة.. وصعدوا مع بعض أعضاء مجلس إدارتها إلى قمم التلال المحيطة بها وشاهدوا من عل قدرتها الفذة على احتضان تراثها الإنساني وتوفير الأمان لسكانها وأحسوا بمقدار السعادة التي توفرها لزائريها..

ولما مشوا في شوارعها القديمة، عرفوا من مرافقيهم حجم اعتزازهم بكل مُقدَّسٍ سماويٍّ وبشريٍّ يوجد على أرضها، واستمعوا منهم لشذرات من الحكايات الإنسانية المرتبطة بكل مبین أثري يقع في محيطها أو على تخومها..

اتفق كبير لجنة الإعداد بعد زيارة تفقدية استمرت يومين كاملين مع ممثل الحكومة العالمية على أن تُقام منصات الفنون الشعبية بعيداً عن قلب المدينة.. وأن يكون السير فيها على الأقدام في اتجاه واحد.. وأوصى أعضاء مجلس الإدارة حفاظاً على نظافة المكان، أن يمنعوا تناول الأطعمة والأشربة داخل المنطقة..

ناقشت اللجنة مع ممثل الحكومة العالمية المسائل الأمنية.. وافقوه على أن يرتدي رجال الأمن داخل مربع المدينة زيّاً موحدًا يعرفون به.. وأن يتولّى الشباب مسئولية حراسة أماكن مبيت الضيوف حتى لا يبدو الأمر كما لو أن البلدة تحولت إلى ثكنة عسكرية..

مدينة سيراكوزاه..

خيمَ على فكر روزالين وهي في الطريق إلى شقة ديفيد أجواء جلستها الأولى مع أندرو واستعادت ما بسطه بين يديها من دلائل وقوع حبسها لإغواء عشيقته السابقتين، وتحذيره لها من إمكانية استغلاله من جانبها في أمور قد تضرُّ به مستقبلاً.. زاد من حنقها ما ألمح إليه الرجل من أن هذا المأفون ربما يخطط في الخفاء للابتعاد عنها وعن سيركوزاه كلها، بالتعاقد على تولي مسئولية وظيفية مع مراقبة حرس الحدود..

تساءلت والألم يعتصرها: لماذا الآن؟..

بعد مرور عام على انقطاع علاقته العاطفية بهما وتوثيق معرفته بها.. ماذا أصبح يكره فيها إلى درجة أنه يعتزم الابتعاد كلية عن سيراكوزاه؟..

من ناحيتها لم يطرأ عليها أي تغيير، لكنها لا تدري شيئاً عن أية ترتيبات كان يقوم بها في السِّر لنقل نشاطه الوظيفي كما قال لها أندرو..

عليها هي أن تتأكد بأدواتها الخاصة من تبدل شعوره ناحيتها وتترك للمسؤولين في باريس أن يتأكدوا من انحرافه الوظيفي! فإذا ما ثبت لها إغفاله وازدراؤه المتعمد لأنوثتها، فما عليها إلا أن تلفظه إلى غير رجعة، ويصبح من حقها أن تشفى فيه إذا ما عُوِّب لسبب وظيفي..

أما إذا اطمأنت إلى أن تأثير منافستها عليه كان لحظياً وأنه ما زال وَهْماً في حبها، فستعاونه بكل طاقتها وتقف إلى جانبه حتى يجتاز هذه المحنة ويثبت مدى التزامه الوظيفي..

نَحَتْ روزالين وهي تقترب من البناية الأفكار التي سيطرت عليها من بداية الطريق، وبدأت تسترجع خلاصة الخبرة العملية التي زودتها بها الاختصاصية..

ستبدأ من منهجية الليونة التي تجعله متوافقاً مع نفسه إلى درجة الغرور المرضي، ثم تنتقل إلى تصنع عدم الارتواء الذي يسلبه إرادة التفكير إلا من التصميم فقط على إشباعها فتفتتح أبواب ذاكرته بلا تحفظ..

ترتيباً على مدى انصياعه لتكتيكاتها هذه عليها أن تركز تفكيرها في الضغط بسرعة شديدة على مفاتيح الكلام مع الاعتصار الجنسي في نفس الوقت.. لكي يحدثها بما يردُّ على ذهنه من أفكار بلا ضابط..

تذكرت وهي تتجه إلى المصعد ألا تلح في السؤال، وأن تباعد عن مراجعة ما يقول أو تدفعه لتكرار ما يصرح به..

دخلت إلى كابينة المصعد.. نظرت إلى صورتها في المرآة، لاحظت، بينما كان المذياع الآلي يُسمِعُها اللحن الذي تحبُّه، أن عينيها تعكسان لمعة

تعرفها جيدًا، إنه إحساس التحدي الذي يتولد داخلها كلما أقبلت على خطوة مهمة في حياتها..

عندما اقتربت من باب الشقة، سجلت الأشعة الكاشفة قدومها وفتحت لها الباب بناء على تعليقات ديفيد المسبقة..

قبلته في رقبته وهو يخرج الأطباق من الفرن الآلي.. قبلها بشوق.. ساعدته في ترتيب الطاولة.. خلعت حذاءها.. وضعت حقيبة يدها على الكنبه نظرت بداخلها لتطمئن على الهاتف الذي جهزته للتسجيل بمجرد تحريكه في أي اتجاه كما تدربت..

عندما عادت إلى شقتها.. نزع الشريحة من الهاتف وأوصلتها بالكمبيوتر الشخصي، وجلست ساكنة وهي تتابع ما مر بها منذ أقل من ساعتين..

لما شاهدت اللقطات المتتالية أحسّت بنوع من الرضا عن النفس، لكنها وإن كانت لا تستطيع أن تُقدّر مدى النجاح الذي حققته، فإنها على يقين أن المختصين سيدركون أنها بذلت الكثير من الجهد حتى دفعت صاحبها للكلام..

لا يهمها إن هم فطنوا بخبرتهم أنها لم تكن بكامل أحاسيسها العاطفية والجنسية معه، فكل ما كانوا يريدونه أن يكون هو معها بكل جوارحه.. وهذا ما وقع بالفعل، وعليهم الآن أن يحلّلوا ما كان يدور في رأسه ويساعدوها على التخلص من البومتين اللتين تنغصان عليها علاقتها بحبيبها، لكي تتوقف عن القيام بالدور المفتعل الذي قامت به اليوم..

تعمدت في أثناء جولتهما الأولى ألا تكثر من الكلام، نجحت في أن تلمس مشاهد حفل عيد الميلاد الصاخبة لمسًا خفيفًا.. في المرة الثانية استدرجته إلى المقارنة بين ممارسته معها وممارسته مع صديقتيه مشيجان وسيندي.. ولما حاول إغاضتها بأن مضاجعة اثنتين في المرة الواحدة شيء خرافي.. أمسكت بأول الخيط وركزت في نقاشها المختصر الذي كان يتقاطع مع القبلات المحمومة والتأوهات والآهات، على كيف يمكن للمرأة أن يجزئ تفكيره بين التمتع بالجنس والتفكير في أمر آخر حتى لو كان أنثى عارية تلاعبه ويلاعبها وهو في تواصلٍ حميم مع أخرى!..

قال ديفيد بغرور واضح إنها قدرات لا يتمتع بها الكثيرون.. هو مثلاً كثيرًا ما يسرح وراء أفكار بعيدة عن الجسد الأنثوي الذي يحتويه بين ذراعيه.. سألته: هل فعل ذلك معها؟ ابتسم وهو يهز رأسه: نعم.. خبطته في صدره بدلال، وقالت: إنها أحست بذلك منذ لحظات لأنه لم يكن متجاوبًا معها.. ضحك وهو يلقي بجسده إلى جوارها متهمًا إياها بالغباء لأنه اليوم بالذات لا يشغله أي شيء عنها لأنها أكثر من رائعة..

طَرَقَ الحديد وهو ساخن كما علموها..

ذَكَرَته باليوم الذي مارسا فيه الجنس معًا في التراس..

فورًا قال لها وبلا تفكير أن تخمينها هذه المرة صحيح، جذبته بعنف إليها، ولما اعتلاها وضت شفتيه وزادت من ضغط ساقيهما على منتصف ظهره.. لم يبدِ اعتراضًا..

لما انتهت من المشاهدة ضغطت زر تحويل الصور والحديث المسجلين إلى هيئة ملف، ثم أمرت الجهاز أن يقوم بإرساله كرسالة إلى عنوان محدد..

باريس..

كان أندرو يهدف بصفة خاصة عندما وضع ديفيد أوزولد تحت المراقبة اللصيقة، أن يحدد ما إذا كان مُنخرطاً في نشاط مُعادٍ للحكومة العالمية أم أن المسألة برُمَّتْها حالة مرضية..

كان الرجل يؤمن أن تعدُّد مصادر المعلومات يوفر قَدراً أكبر من حيثيات الحكم، من هنا جاء حرصه على متابعة التقارير الدورية التي تهتم بتحليل الرسائل التي تردُّ تَباعاً عن مثل هذه الحالات لأنها في مجملها توفر إمكانات متسعة لوقف أي مُحالفات أو مؤامرات من شأنها أن تُعكِّرَ صَفْوَ الأمن والاستقرار الذي دشتته الحكومات العالمية المتعاقبة..

لاحظ الرجل بحسه الوظيفي بعد أن قارن ما حصل عليه عن طريق الأقمار الصناعية بما حمله تقرير روزالين من لقطات أكثر قرباً وأعمق تعبيراً، وقوع بعض التطورات التي لم ترد في تقارير سابقة،

لذلك كلف المختصين بضم ملاحظاتهم السابقة إلى ما استتجوه مؤخراً
في تقرير واحد يشتمل على تقديرهم الإجمالي لحالة ديفيد في هذه
المرحلة..

وها هو يبدأ نشاطه اليومي بمطالعة ما بعثوا به على شاشة مكتبه
المركزية..

الرسالة الأخيرة تشير إلى أن هناك شيئاً ما يُخفيه ديفيد في عقله
الباطن، شيئاً ليس له صلة بـهاضيه، ولكنه ذو صلة بحاضره القريب..

أهتم أندرو كثيراً بالملاحظة التي تقول: “إن مقارنة تسجيلات
مماثلة لديفيد مع نفس الأنثى ومع أخريات في مناسبات مختلفه وأماكن
متعددة، تؤكد أنه منذ نحو ثلاثة أشهر يعاني حالة انقسام تدفعه لأن
يكون شديد الحرص، مما يؤكد أنه يحاول إخفاء أمر ما”..

الأمر المؤكد - في هذه اللحظة - عند أندرو وفريقه، أن حالة
الانقسام التي يتعرض لها ديفيد عندما يمارس الجنس مرتبطة ارتباطاً
شريعياً بشيءٍ يعتمد على إخفائه..

إذن لا بد من التعرف إلى ما يخبئه داخل رأسه في أقرب وقتٍ حتى
تتعرف الجهات المختصة على دواعيه، هل هي مرضية أو تآمرية!..

إذا كانت مرضية غير متفاقمة، اتخذ قراراً بتركه وشأنه حتى تظهر
عليه تطورات تشير إلى تزايد الحالة.. أما إذا كانت تآمرية، فلا بد من
الإسراع بمحاصرته لمعرفة ما إذا كان بمفرده أم ينشط في إطار مجموعة
تضم آخرين..

كَلَّفَ أندرو الفريق المتابع لحالة ديفيد بعمل نماذج توفر لهم فرص
تعرضه لمواقف ضمن دائرة العمل وخارجها تجعله أقل حرصًا على
كتمان ما يخفيه، مع الإبقاء على معدل متابعته عند مستواه الحالي حتى لا
يكون في استطاعته التمرُّس طويلاً خلف حائط الجنس..

مدينة دلاس عاصمة المال اليهودي..

بان البشرُ على وجه هاري جولدمان وهو يستقبل ابنه وزوجته في منزله بعد أن غادر المركز العلاجي في نفس يوم وصولهما.. نسي تمامًا أنه بقي بضعة أيام يتوقع أن يوافيه الأجل قبل أن يراها أمامه وينعم بصحبتها..

استفسر جوهان من والده عن أسباب تدهور صحته برغم الفحوصات المطمئنة التي أجراها بمستشفى هوستن قبل أن يزوره في أورليانز.. أكد له هاري أنه لم يجهد نفسه في أي عمل حتى زيارته لبلوتسكركانت متباعدة..

سأله جوهان: هل أهاج حديثهما عند الشاطئ، ذكريات أورشاليم في قلبه؟..

مرت لحظة سكون كان الأب ينظر خلالها ناحية الفضاء الممتد أمامه عبر الطابق الثاني من منزله، أوماً برأسه موافقاً..

قرر جوهان أن يُسرِّي عن أبيه لما شاهد الدموع تملأ عينيه.. قال له وعلى وجهه ابتسامة عريضة إنه وزارا يمتلكان نسختين من ملف الهيكل.. انقشعت ملامح التأثير العاطفي من على وجه الأب وحلت محلها فرحة إنسانية مفاجأة.. وكاد أن يقول إنه غير مصدق، لولا أن زارا أشارت إلى حقيبتها قائلة: إن النسختين في حوزتها “هنا”..

خشى جوهان أن يتعرض أبوه لأزمة قلبية مجددة بعد ما سمعه منذ لحظة..

انتبه هاري لصمت ابنه وزوجته..

رسم ابتسامة كبيرة على وجهه وأكد لهما أنه الآن لا يحس بأي تعب.. وأضاف أنه لن يتعرض للخطر مرة أخرى، وأنه سيسافر إلى احتفالات يوم ٣١ ديسمبر كما خطط من قبل..

نظر إليه الابن بحنين دافق زادت وتيرته عندما سمع أباه يبرر ثقته هذه بقوله أن استرجاع مجد أورشليم التاريخي وما يستتبعه من تحقيق بناء الهيكل الثالث الذي كان يحلم به هو وأبناء جيله، يقويان القلب ويمنحانه حماسة الشباب..

لا حظ الأب حالة الشجن التي بانَتْ في عيني جوهان وزوجته..

ربت على كتف ابنه مؤكِّداً أن الخلية التي حقنوه بها تحذره في وقت قياسي كلما تجاوز حدَّ الإفراط في أيٍّ من سلوكياته الحسية أو المعنوية.. وحنَّ وهو في حالة فرح جلي أنه يتوقع أن يستمتع بعد فترة وجيزة لنوع من التحذير المبطن بسبب سعادته بقدومهما، أبدت زارا تقديراً لوظيفة الخلية.. ولما استفسرت من والد زوجها: هل أثَّرت في مستوى إعجابه بصغيرات السن؟ ضحك العجوز نافياً ظنوها السيئة..

في اليوم التالي قضت زارا فترة الصباح إلى جوار والدها تطمئنُ على أحواله، ثم تركته في صحبة جوهان عندما حضرت صديقاتها لتحياتها..
اتكأ الكهل على ذراع زوج ابنته وهما يتجهان ناحية سُلم المكتبة الداخلي الذي يقودهما إلى الحجرة التي تطل على خلفية البناية حيث يجلو لهما تبادلُ الرأي حول الكثير من القضايا.. امتدح يوسي وهما يسيران بتكاسُل استفادة جوهان من نظام Kindle (لحفظ المعلومات) في نقل نسختي ملف الهيكل وأثنى على إحاطته لهما بأكثر من ألفي صفحة من كتب متفرقة وعدد من الصحف الوثائقية، بالإضافة إلى الشخبطات التي أبدعتها ريشة صديقه ديفيد..

سأل جوهان حماء بعد أن جلسا متقابلين عن مدى ثقتة في نسخة ملف الهيكل التي عرضها عليه.. أكد الرجل أنها أصلية، وأنها الوحيدة التي كانت تنقص مجموعة ملفات أورشليم التي يمتلكها.. وأردف: إن حصولهم عليها يفتح باباً واسعاً لإمكانية التحرك الحذر الواعي لإعادة كل شيء إلى أصله الذي كان عليه..

أخفى جوهان غيظه عندما استنتج أن والد زوجته يرمي إلى وقف اندفاعه ويطالبه بالتريث كما فعل أبوه من قبل عندما تبادل معه الرأي حول نفس الموضوع عند شاطئ نيو أورليانز..

ولمّا حاول أن يقنعه أن حق شباب اليهود في بناء هيكلهم في أورشليم يحتاج لمؤازرة الشيوخ ودعم الحاخامات، أفهمه يوسي أن الأمر ليس بهذه البساطة كما يظن؛ لأن الحاخام الأكبر هو الذي سيقدر الخطوة التالية..

مدينة نيويورك عاصمة وسائل النقل..

هل حقًا هي المدينة التي كان العالم يتحاكى بقوتها ونفوذها؟.. أين نيويورك اليوم من تلك المدينة التي ظلت عدة عقود ملء السمع والبصر؟..

كبار السن من أبنائها يلوكون ذكرياتهم الجميلة فيها كلما طاف بخاطرهم بعضٌ منها لسبب أو لآخر حالمين بعودة الأضواء إليها في يوم قريب، فيما لا يصدق الأصغر عمرًا أنها كانت ذات شأن في يوم من الأيام، فقد ولدوا وشبُّوا فوق أراضيها وهي على حالتها هذه وتعلموا في معاهدهم أنها آلت إلي هذه الوضعية المذرية - التي تُشبهُ إلى حدٍّ كبير مُدن شرق أوروبا قبل نهاية الحرب الباردة في نهاية ثمانينيات القرن العشرين - منذ أربعة عقود..

ضاعت شهرة المدينة حتى من قبل قيام مجلس الحكماء عام ٢٠٤٥.. أحاطت بها المشكلات المستعصية من كل ناحية بسبب فشل الإدارات الأمريكية المتعاقبة في إيجاد حلول عملية ومستدامة لمشكلات

دولتهم الفيدرالية الاقتصادية والمالية والتي انعكست بشكل مباشر على بورصة نيويورك التي كانت الأشهر على مستوى العالم..

زاد من انكماش المدينة تسارع وتيرة خروج العديد من الاقتصاديات الدولية من دائرة الهيمنة الدولارية مما عرض الغطاء المالي للولايات المتحدة للاهتزاز ودفع القائمين على أمرها للاستدانة مرات وبيع بعض الأصول مرات أخرى..

ثم جاءت الضربة القاصمة عندما تفتت النظام الدولي الذي كانت تنزعه الولايات المتحدة، ولما بزغ نجم الزعامة الدولية الجديدة في شرق وجنوب آسيا، لم يهتم قادتها كثيرًا بتبعات التدهور الأمريكي ولا بمعاونة مدينة نيويورك على وجه الخصوص..

يقول شيوخ المدينة: إن مجدها ضاع بسرعة لم تكن متوقعة..

كانت المدينة تحظى بمكانة رفيعة بين كُبريات المدن العالمية، لكن تألُّقها تضاعفَ في أربعينيات القرن العشرين بعد أن صارت مقرًّا لمنظمة الأمم المتحدة التي مثلت الشرعية الدولية في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية..

وفور احتلالها لهذه المكانة، درب الجزء الأكبر من رأسها نفسه على أن يكون في خدمة خليط شرعيتها الدولي وما يحتاجه من نشاطات وخدمات ومؤتمرات ومؤامرات..

بدأت هذه الخدمات نشاطها متوافقة مع النظام والقانون المتعارف عليهما، ثم تحوَّلت بالتدريج إلى صناعة لها قانونها الخاص الذي جعلها

لا تعرف المستحيل، ويسر لها أن تستعين في سبيل بلوغ هدفها بكل ما ليس له صلة لا بالأخلاق ولا بالقيم ولا بالمبادئ..

ولما ذاع صيت هذا المنتج النيويوركي المنشأ نقل سادة المدينة الجدد نشاطهم إلى أطراف المعمورة وأصبح شعارهم “تأمرون، وعلينا الطاعة”..

مع مرور الوقت تراكمت لدى نيويورك تجارب ناجحة في ميدان تلبية طلبات كل من كان قادرًا على سداد فاتورة احتياجاته، حتى لو كان عدوًا للشعب الأمريكي أو مناهض لنظامه الرأسمالي أو على خلاف أيديولوجي مع البيت الأبيض..

وبعد أن كان القائمون على أمر هذا المنتج الفريد من نوعه أفرادًا وجماعات صغيرة، أصبحوا مؤسسات ومنظمات مسجلة ومعترف بها.. يعمل لحسابهم متخصصون في تقديم الخدمات الأمنية وتوفير الحماية الشخصية.. وأساتذة في ترتيب سهرات الجنس بكل أشكاله وألوانه وعارفون بأصول قعدات الشم وتعاطي المخدرات.. وخبراء في شراء الذمم وسرقة الوثائق والمستندات.. ونشطاء في غسيل الأموال.. إلخ.. تواصل مجدُ المدينة حتى قال البعض: إن نجمها لا يعرف الأفول..

باتت نيويورك ذات ليلة وهي تحلم بمد يدها لتمسك بالسماء، ولما فتحت عينها في الصباح لم تجد أثرًا لشمسها التي ظلت متوهجة لعدة عقود.. تشقق عصرها الذي وهب لونه الذهبي لكل شيء على أرضها وشاهد أهلها ذراته وهي تتبدد في الأفق وهم غير قادرين على الممتهتها..

توقّف دوران عجلة المدينة التي جعلت من نفسها مطية لكل ذي حاجة..

وقبل أن يفيق أهلها من واقع صدمة انسداد الشرايين التي كانت تمدهم بأسباب الحياة أتاها طوفان التدهور الاقتصادي الذي عصف بغالبية الولايات الأمريكية، فمُنيت بورصتها التي كانت تهز أسواق المال في العالم كله بخسارةٍ تلو الخسارة..

لم يختلف مجلس الحكماء الذي اتخذ من فيينا مقراً له على جدوى العمل على إنقاذ مدينة نيويورك من كبوتها لتتحمل جانباً من المسؤوليات ضمن نشاطات الحكومة العالمية..

وبعد عدد من المداولات قرروا أن يجعلوا منها عاصمة لوسائل النقل..

تحمّل أول مسئول عالمي كلف بتأسيس هذه المراقبة وتنظيم عملها، تبعات شتى..

اصطدم بمؤسسات تقديم الخدمات التي نجت من الطوفان عندما حاولت أن تفرض عليه الاستفادة من خبراتها.. والتي عملت بعد رفض مشاريعها على قطع رأس من قبل أن يتعامل معه خارج دائرة نفوذها.. وباعت له عبر الأبواب الخلفية معلومات مزيفة.. مما اضطره لأن يبذل هو ومعاونوه جهوداً مُضنية لخلق قاعدة معلومات على مستوى العالم تشمل البشر ووسائل النقل بكل أنواعها، بعد أن علمتهم التجربة أن يراجعوا البيانات عشرات المرات وأن يطابقوها على أكثر من مصدر حتى يستوثقوا من شفافتها..

أخيراً وبعد مجاهدة تواصلت حوالى خمسة وعشرين عاماً.. أعلنت حكومة بكين عام ٢٠٧٥ أن نيويورك عادت إلى دائرة المساهمة الإيجابية في شئون العالم..

نجحت المدينة بعد تجارب لا تُحصى في وضع أساس متين لتنظيم شبكة المواصلات والنقل بين الأقاليم الجغرافية، وأصبحت قادرة على تلبية احتياجات البشر في السفر بعد أن خضعت تنقلاتهم للقوانين التي فرضتها عليهم الحكومات العالمية المتعاقبة..

حرصت بكين بعد الموافقة على إقامة احتفالات بدايات السنوات الجديدة، على إيضاح الصورة بكل جوانبها لهيئة النقل العليا..

كان التكليف جديداً تماماً على المسئول العالمي المقيم في نيويورك..

فحتى أوائل العام كانت حركته تدور في إطارها الطبيعي الذي استقرّ طوال عقدين من الزمان، اليوم وجد نفسه مكلفاً بالتخطيط لتسفير حوالى ستين ألف شخص وبوسائل نقل مختلفة خلال فترة زمنية محددة إلى مدينة القدس عاصمة السلام..

انكب الرجل ومساعدوه على تجميع مصادر المعلومات التي هم في حاجة إليها..

ولما احتاجوا المساعدة عدد من التخصصات غير المتوفرة لديهم، وافقت الحكومة العالمية على إمدادهم بكل الخبرات التي توفر لهم معرفة حقيقية بحالة الطرق البرية والبحرية والجوية التي تصل أقاليم العالم بعاصمة السلام، وتساعدتهم بالتالي على وضع خطة محكمة لنقل المسافرين إلى أقرب نقطة منها..

تلقت بكين في بداية شهر يولية ٢٠٩٩ تقرير مفصل من نيويورك
حول ترتيبات تسفير الضيوف إلى المدينة التي ستحتفي بهم.. وبعد
دراسته كلفت الهيئات العليا المتداخلة مع الاحتفالية بالتنسيق معها وفق
الخطة التي تمّ اعتمادها..

الحكومة العالمية في بكين..

إلى جانب استجابة رئاسة الحكومة العالمية الفورية لمقترحات مدينة نيويورك لترميم بعض الطرق وتحديث البعض الآخر، ركزت اهتمامها في المقام الأول على تنفيذ مجموعة متكاملة من الأهداف الأمنية والبيئية في إقليم الشام بشكل مُتزامن..

حددت نهاية شهر أكتوبر موعدًا للانتهاء من تجهيزات مطار دمشق الدولي لاستقبال الطائرات الصاروخية، وفي نفس الوقت أمرت مدينة دبي بمضاعفة المخصصات المالية التي كانت قد رُصدت قبل شهر لأعمال الترميم التي يحتاجها ميناء عكا..

استنتج الخبراء - من واقع التقرير الذي أعدته الهيئة العليا للنقل بنيويورك - أن تكاليف صيانة ميناء عكا البحري لن تُحسن كثيرًا من إمكاناته المتواضعة بعد أن أُهمل شأنه عُقودًا متتالية.. لذلك قرروا أن يستغلوا الفرصة لتوسيع قدرته الاستيعابية..

بعد الاستماع إلى تقرير لجنة الأمن - التي عادت مؤخرًا من زيارة ميدانية لعاصمة السلام - أوصت بكين هيئتها في موسكو بجعل الخط الأمني الأساسي للمدينة متوافقًا مع نهايات الطرق البرية الرئيسية التي تقود إليها.. في نفس الوقت أمرت بتشكيل فريق من المهندسين لتولي مسئولية إصلاح الطرق البرية التي تقع ضمن دائرة الخمسة كيلومترات كما حددتها لجنة الأمن العليا..

بعيدًا عن تقرير الهيئة العليا للنقل، كان لا بد من تخفيف وطأة الطقس البارد الذي ستعرض له القدس مدينة السلام خلال الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر كلما أمكن.. إلى جانب توفير نظام للإسعافات الأولية والعلاجات الطارئة وتسهيل نقل من يحتاج لرعاية طبية أعمق إلى أقرب مستشفى علاجي..

كلّفت بكين مسئول مراقبة البيئة بوضع خطة مفصلة لإبعاد ما يزيد عن حجم متوسط كمية الأمطار والثلوج المتوقع سقوطها شرقي البحر المتوسط، عن المنطقة برمتها اعتبارًا من صباح يوم ٢٧ ديسمبر، إما إلى ناحية مزارع سهل البقاع في الشمال أو ناحية الجنوب حيث مزارع الزيتون الشاسعة في قلب إقليم سيناء..

في نفس الوقت حددت لمراقبة البحوث الدوائية بإستوكهلم الأسبوع الأول من ديسمبر لتوفير كميات الأدوية والمضادات الحيوية اللازمة لتغطية حالات الطوارئ التي قد تنجم عن هذا التجمع.. على أن يتم تخزينها على مشارف المحيط الخارجي لعاصمة السلام وبالقرب من أماكن الإقامة داخلها بحيث تكون في متناول اليد قبل النصف الثاني من الشهر..

مدينة مكة عاصمة المسلمين..

برغم التدهور الذي عانته عواصم ومدن كثيرة في منطقة الشرق الأوسط لأسباب متنوعة، حافظت مدينة مكة على مستوى ازدهارها الذي ورثته منذ نهاية القرن العشرين بالقياس إلى تردّي أوضاع منارات أخرى كانت ملء السمع والبصر..

شاركت المدينة المنورة مكة في تبوء نفس المكانة السامية التي كانت لها، في حين تأثرت العديد من مدن المملكة العربية السعودية الأخرى سلباً بالانخفاض المتتالي لمستويات ضخ النفط الخام من آبارها في المنطقة الشرقية.. وقد لوحظ ذلك على مستوى الخلخلة السكانية من ناحية و مستوى الخدمات التي كانت تُوفّرُها الدولة من ناحية ثانية..

كما تأثرت الكيانات السياسية المطلة على مياه الخليج العربي من الناحيتين لنفس السبب..

انخفاض مستويات صَخ النفط العربي الخام ثم نضوبها اعتباراً من عام ٢٠٣٠ لم يكن بنفس المستوى لدى كل دُوله المنتجة، فبينما ساهمت سياسات الحذر والقدرة على التخطيط عند البعض في تواصل الإنتاج عدة سنوات.. أدى منطق المنافسة والجشع إلى إفلاس البعض الآخر في زمن قياسي..

تفاوتت مُعاناة الكيانات السياسية والاجتماعية التي كانت تعيش على ضفتي الخليج العربي حيال ما تعرضت له من مصاعب ومآسٍ من جراء هذا الانكماش الذي قاد في النهاية إلى مرحلة الجفاف التام! رغم مناداة الكثيرين - قبل بداية الجفاف بسنوات طويلة - بضرورة توظيف جزء من عوائد المبيعات لإقامة مشاريع تصنيع طاقة بديلة ومنتجات قابلة للتسويق الخارجي أو حتى لتلبية احتياجات السوق الداخلي لوقف نزيف الاستيراد! فإن هذه المطالبات ذهبت أدراج الرياح..

المؤسف أن التفكير في وضع هذه المشاريع موضع التنفيذ جاء متأخراً بعد أن تقلص حجم الميزانيات النقدية التي كان يمكن أن توظف لتنفيذها في حين تضاعفت تكاليفها عالمياً..

ففي حين فكرت دول بحر قزوين وأمريكا اللاتينية، في مستقبل مجتمعاتها وعملت في وقت مبكر على إقامة صناعات عملاقة كفتها عند الحاجة سؤال اللثيم.. تراجع موقع دول الخليج العربي وإيران عام ٢٠٣٥ كثيراً عن المكانة التي كانت تحتلها بل عاد بعضها إلى أوضاعه وعلاقاته القبلية التي كان عليها قبل نهاية القرن التاسع عشر..

هذا بينما تداركت دول الشمال الأوربي أمرها منذ بداية القرن

الحادي والعشرين وشاطرت بريطانيا والولايات المتحدة أبحاثهما المشتركة لإنتاج طاقة بديلة، ولما بدت في الأفق مؤشرات أزمة الطاقة العالمية عام ٢٠٣٥ استفاد هؤلاء وهؤلاء - ما عدا دول الخليج العربي - من التجارب الهندية / اليابانية المتقدمة في هذا الخصوص..

منحت خطط التعاون المشترك بين الصين واليابان منذ عام ٢٠٣٠ في مجال خفض معدل استهلاكهما للطاقة الطبيعية، الفرصة كاملة لمراكزهما الصناعية والزراعية لتوسيع نطاق استخدامهما للطاقة البديلة من ناحية، ووفرت لنظمها الحاكمة فوائض مكنتهما من منافسة الولايات المتحدة وشركائها بقوة على مستوى ما بقي من أسواق كانت لا تزال في أمس الحاجة إليها من ناحية أخرى..

ساهمت الأزمة الاقتصادية التي كان يعانيها الغرب في تقوية قبضة التحالف الاقتصادي الذي تزعمته روسيا والصين، ووفرت له قدراته المالية المتعاظمة إمكانيات لا تنفذ، مكّنته من شراء حقوق تصنيع مشاريع الطاقة البديلة لمئات السنين..

ولما قامت أول حكومة عالمية عام ٢٠٥٠ أخذت على عاتقها تحقيق توزيع عادل للطاقة البديلة في أنحاء العالم كافة..

رفضت المجتمعات الإسلامية إحصاء السكان العالمي الذي أصدرته منظمة الأمم المتحدة عام ٢٠٢٠ بسبب ما جاء فيه حول تزايد أعداد أصحاب الديانات الأرضية في مقابل أعداد المؤمنين بالديانات السماوية، أما المجتمعات المسيحية واليهودية فسلمت بالأمر الواقع وبدأت تتعامل مع ما يرتبه ذلك من حقائق..

تضامن نظم الحكم الإسلامية فيما بينها لم يكن لاستكشاف المستقبل، ولكن لأجل البرهنة على زيف ما جاء في الإحصاء الدولي..

عقدوا العديد من المؤتمرات والندوات التي صوّرت الموقف على أنه مؤامرة تُحاك ضدَّ المسلمين وحدهم، وأشارت إلى تحيُّز مُنظَّمات الأمم المتحدة ضدهم.. أما زعاماتهم الدينية فتنادوا عبر وسائل الإعلام أن «العالم كله يخشى تفاقم قوة الدين الإسلامي»..

لم يغير الرفض الإسلامي للحقائق بتلك الكيفية، من الأمر شيئاً..

من ناحية أخرى لم ترفض أي قيادة سياسية أو دينية من خارج الرقعة الجغرافية التي تعيش فوقها المجتمعات الإسلامية المقولات التي أكدت اتساع الفجوة المعرفية بينهم وبين الآخرين..

وبدلاً من أن توحدَ الحقائق الرقمية والمعرفية بين معتنقي المذاهب الإسلامية وتياراتهم السياسية، عمّقت من أسباب الفرقة بينهم وزادت من انقساماتهم..

من هنا لم يتراكم لدى هذه المجتمعات رؤية واضحة تفتح لهم باب مشاركة العالم في مسيرة مخاض ولادة نظامه الذي انبثق بعد ذلك بعشرين عاماً..

انشغلت نظم الحكم الإسلامية وزعاماتها السياسية والدينية بتبادل تُهمة التقصير في حق «الأمة» في حين تآلف أتباع المذاهب المسيحية واليهودية فيما بينهم، لأنهم أدركوا حقيقة وواقع الغبن الذي يمكن أن يُعانيه كُل فريق لو تواصل التنأخر والخلاف والتشرذم فيما بينهم..

لذلك لما تشكلت الحكومة العالمية عام ٢٠٥٠ بقيادة أصحاب الديانات الأرضية، كان حال المجتمعات المسيحية واليهودية أفضل بكثير من حال نظيراتها التي يدين أبنائها بالدين الإسلامي..

أثرت تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية في العديد من مؤازرات الدول العربية والإسلامية فلم تعد قادرة - في مجملها - على تلبية احتياجات مجتمعاتها الحياتية، مما دفع القادرون من مواطنيها مسلمين كانوا أو مسيحيين إلى المسارعة بتركها إلى دول المهجر التي كان بها أقاربهم ومعارفهم..

أما الجاليات المسلمة في بلدان المهجر فبقيت حيث هي، ولم يفكر أيٌّ منها في العودة إلى موطن الآباء والأجداد.. أولاً لأن أفرادها من الجيل السادس والسابع أصبحوا مع مرور السنين جزءاً لا يتجزأ من نسيجها الأساسي وأصبح غالبيتهم مشاركين في حركة مجتمعتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. وثانياً لأنهم تبنوا بعد معاناة طويلة، أن انقيادهم مغمضي العينين لمرجعيات بعض الزعامات الدينية العربية والإسلامية فرّق بينهم وعرضهم لمواقف سياسية ودعوية غير مبررة.. مما دفعهم إلى الالتفاف حول قاعدة «الوسطية الفقهية» التي دعمتها تجاربهم الحياتية..

وكان في ذلك مدعاة لمزيد من الفارقة..

الزعامات الدينية العربية والإسلامية رأت في إنكار الجماعات المسلمة بدول المهجر لمرجعيتها خروجاً عن مقتضيات التوحد في مواجهة "عوامل الفناء التي يتعرض لها أتباع الدين الإسلامي"، لهذا

السبب لم يفكر أيُّ منها في تقريب وجهات النظر مع غيرهم من أتباع نفس الدين لوقوف ما وصفوه يومًا بأنه «مؤامرة»..

لم يقف زعماء المهجر الإسماعيليون المتمسكون بالوسطية الفقهية، طويلاً أمام سيل اللعنات التي انهالت فوق رؤوسهم وفتاوى التكفير التي لاحقتهم حتى لا يقعوا في نفس الخطأ الذي فتَّ في عَصْدِ الكثير من المجتمعات العربية والإسلامية التي ارتضت لنفسها الجُمُود، ودفنت يومها وعَدها في حصن الماضي التليد، وقرروا المُضيَّ قُدُمًا في تجديد مبادئ المعاملات الإسلامية وقواعدها وفق مقتضيات العصر..

فما كان من الزعامات الرافضة لمنهجهم هذا إلا أن اتهموهم بالخروج عن المِلَّة وبالعَمَل على شق الإجماع! بل إن بعضهم أهدر دمهم جميعاً..

وَقَعَ التقارب بين مسلمي الداخل والخارج لأول مرة بعد عام ٢٠٥٠ عندما سمحت الزعامات الدينية في مكة والمدينة، للقيادات الدينية في بقية أقاليم العالم بالمشاركة في تقديم حلول لعدد من المشكلات المجتمعية التي ظلت كُلُّ منها تعانيها سنواتٍ طويلة، ولكنها تمسكت بأن يكون من حَقِّها وحدها في نهاية المطاف اختيار الأنسب منها..

زادت هذه المساهمة بعد أن برهنت الحلول التي تقدَّم بها مسلموا أقاليم أوروبا الغربية والولايات المتحدة واقعيَّتها ومرونتها، فطُلب إليهم المشاركة في وضع حلول لقضايا استعصى حلُّها طويلاً على المرجعيات

القديمة التي رفضت لنحو مائة عام التواصُل مع مستجدات الحياة البشرية مادياً ومعنوياً وروحياً..

انحسر الدخُل الذي تتعايش منه مدينتا مكة والمدينة في مصدرين رئيسيين.. العائد الذي تتحصلان عليه نظير تقديم خدماتها للحجاج والمعتمرين، وقيمة فاتورة إمدادهما التجمعات الصحراوية على جانبي الخليج بالطاقة الشمسية وطاقة الرياح والأمواج البديلة التي تقوم الحكومة العالمية بسدادها منذ عام ٢٠٦٠..

تربَّعت الأراضي السعودية منذ عام ٢٠٣٠ على قمة الدول المنتجة للطاقة البديلة المُستمدَّة من الشمس والرياح والأمواج، واستطاعت بعد أن وفَّرت احتياجات شرائحها الاجتماعية منها أن تُصدِّر ما يفيض عنها للمجتمعات القبلية التي عادت للعيش على أطرافها..

اتجه التفكير السعودي في بدايته لتسخير الطاقة الشمسية لتطوير خدمات الحجاج والمعتمرين.. فأقيمت شبكة نقل بالتلفريك بين قمم الجبال والوديان في منطقة المشاعر المقدسة، وأنشئَ خطُّ نقل كهربائي دائري يربط مكة بها حولها.. ولما تأكَّد تعاظُم العائد من حصيلة تشغيل هذه المشاريع، وجه الفائض منه للاستثمارات في مجال إنتاج الطاقة البديلة، فوظفتها جميعاً لخدمة احتياجات المجتمع السعودي الداخلية أولاً ثم بدأت في تصدير جزءٍ كبيرٍ من طاقاتها المستحدثة إلى الخارج..

ضمن هذه الأجواء حمل بريد الحكومة العالمية رسالة احتفالات عاصمة السلام..

رأى الشيخ عبد الرحمن عبد الرزاق بن أبي السعود رئيس مجلس إدارة مدينة مكة في الرسالة مناسبة كبيرة لتأكيد قدرة الدين الإسلامي على التعامل مع غير المسلمين وحرص أتباعه على مشاركة الآخرين احتفاءهم بحدث إنساني يهتم المجتمع البشري كله، وقدرتهم على التعاون معهم بلا حرج..

ولمّا دعا مجلس الإدارة لمناقشة ما ورد بالرسالة، طفت على السطح أول إشكالية عندما تساءل البعض عن نوعية المشاركة التي يمكن أن يساهموا بها؟ وكيف يمكن ترجمتها إلى فعل يناسب الحدث ولا يتعارض في نفس الوقت مع ما سيقدمه معتنقو الديانات السابوية الأخرى وكذا أصحاب الديانات الأرضية من مشاركات قد تتعارض في غالبيتها مع المرجعية الأصولية للدين الحنيف والسنة النبوية المطهرة! وفُضِّل هذا البعض عدم المشاركة لأنها ستُجنَّب المسلمين التردّي في المهالك..

رفض الشيخ الجليل رئيس مجلس إدارة المدينة هذا المنطق وأيده آخرون لأنه يعني الانعزال، وتمسك بضرورة الاتفاق على صيغة مشاركة تحمل سمات الدين الإسلامي، لأن وجود المسلمين ضمن إطار احتفالي بالمواصفات التي أشارت إليها مكاتبه بكن لا يُعدُّ بأي مقياس خروجاً على المرجعية الأصولية..

ولمّا اقترح البعض مشاركة مسلمي الأقاليم الأخرى في إيجاد حلٍّ لهذه الإشكالية، قوبل اقتراحهم بامتناع الجماعة التي رأت عدم المشاركة لأن ما تُقدِّمه هذه الشريحة من المسلمين - في رأيهم - وإن كان

يُقدّم حُلُولاً ذات وزنٍ في بعض الأحيان فإنه لا يركز كُليّةً على
الأصول الفقهيّة..

تأجّل الاجتماع إلى وقت آخر لأن كل الاقتراحات التي طرحت لم
تُحظ بالتأييد الكافي، كأننا تعمّد كل فريق العمل على إفشال ما يتقدم به
الآخرون من مقترحات..

ظَلَّ الخلاف قائماً رغم تعدّد اللقاءات..

وفي آخر اجتماع اتفقوا على أن تقتصر المشاركة على تسفير عدد من
الزائرين الراغبين في زيارة المسجد الأقصى بالقدس.. وأن يُترك أمر
متابعة البرامج التي سيقدمها غير المسلمين من المشاركين في الاحتفال،
لكل منهم وفق قناعاته الشخصية..

مدينة لاس فيجاس عاصمة الديانة اليهودية ..

خرج كلاهما من ساحة مطار لاس فيجاس المكتظة بالمسافرين، بعد أن استوثقت الأجهزة المختصة من بصمة عينيه ..
وجدا في انتظارهما إحدى سيارات الحاخام الأكبر التي خُصصت لنقلهما إلى حيث يوجد يوئيل عاموس وعدد محدود من معاونيه ومستشاريه ..

كانت شمس بعد الظهر خفيفة نوعاً ما في هذا الوقت من العام ..
أدرك بلوتسكر بحكم زيارته المتكررة للاس فيجاس في مناسبات كثيرة أن السيارة أخذت طريقها إلى مقر الحاخامية .. ولما أوقفها السائق عند نقطة محددة فطن أن اللقاء سيتم في الجُبِّ كما كان يسميه ..

وقعت مسؤولية اختيار مقر للحاخام الأكبر في مدينة لاس فيجاس، بعد أن اتفقت القيادات الدينية في إسرائيل على النزوح إليها، على عاتق ثلاثة من كبار الزعماء وأربعة من المهندسين اليهود المقيمين في أميركا ..

ترك المهندسون للزعامات الدينية تحديد مواصفات المبنى الذي يروونه مُناسبًا..

في نهاية المطاف اتفقوا جميعًا على ثلاثة عناصر لا بُدَّ من مراعاتها..
توافُر القابلية للتوسُّع مع انخفاض القيمة الشرائية، البُعد عن قلب
المدينة مع عدم العزلة، التمتُّع بالقدر الأكبر من الأمن والأمان..

بعد جهد عثر المهندسون على مبنى ضخم له أكثر من ملحق محاط
بسور من أشجار السرو الضخمة العالية، كان اعتراض الزعامات
الدينية الأوليُّ أنه يبعد بنحو ٧٠ كيلومترًا عن المدينة.. لكن لما عاينوه
وتأكدوا من تلبية لمعظم الاحتياجات التي كانت في مخيلتهم بالإضافة
إلى الثلاثة هكتارات التابعة له، دخلوا في مساومات مضنية مع شركة
إنتاج الكحوليات التي كانت تملكه، انتهت بنقل ملكيته إلى جمعية أبناء
داود في المنفى التي تأسست لتنظيم قدوم يهود إسرائيل إلى المدينة
والعمل على تسكينهم ورعايتهم..

أشار بلوتسكر لزوج ابنته بالنزول من السيارة..

سار الرجلان معًا بين مجموعة هائلة من الأشجار السامقة.. قال
العجوز لزوج الابنة: إن أول حاخام أكبر أقام في لاس فيجاس لم يهتم
كثيرًا بتنظيم مبنى الحاخامية لأنه عاش مُحبطًا بعد أن ترك إسرائيل
وراءه، لكن من جاء بعده عمل على تحويل البناية إلى مركز إشعاعٍ حَظِيٍّ
بتأييد غالبية اليهود خاصة في مدينة دلاس..

وأضاف: إن ميزة الحاخام الحالي أنه يعمل بنشاط على إحياء فكرة
الدولة اليهودية في وجدان الأجيال الجديدة الذين أصبحوا يعيشون في

المنفى، وأنه من هذه الزاوية يقدم دعمه اللا متناهي لكل ما يُقرب من تحقيق هذا الهدف..

بعد نحو مئة متر اعترضهما حاجز وهمي، صدر عنه صفير مُتقطع طالبهما بالإعلان مرتين متتاليتين عن اسمهما الثلاثي لأخذ بصمة الصوت، كانت بصمة صوت جوهان غريبة عليه.. لكن التعليمات التي أُمليت على برنامج تشغيل الحاجز أمرته بأن يسمح له بالمرور إذا حضر للمكان رفقة بصمة صوت بلوتسسكر، زعيم دلاس كما كانوا يسمونه في لاس فيجاس..

ولما سُمح لهما بالمرور تقدّم بلوتسسكر ناحية شاشة موهة بلون جذع الشجرة لم يتبيّن جوهان وجودها إلا بعد أن وضع حموه كف يديه اليسرى عليها.. انزاحت مجموعة من الأشجار عن باب اجتازه الرجلان ليجد زوج الابنة في مواجهته درجات سلم قادتهما إلى باب مصعد..

شرح له حموه وقد بانت على وجهه جوهان علامات الدهشة أن مهندسي الحاخامية اكتشفوا وجود هذا الطابق السفلي مصادفةً بعد شراء البناية بعدة سنوات.. ولما سأله: لماذا سموه الجُبّ؟ عرف أن ذلك يرجع إلى اللأربعين مترًا التي تفصل بينه وبين سطح الأرض وإلى ضيق مساحته..

توقفت كابينة المصعد عند بداية ممر تصطفُ على جانبيه مجموعة من القاعات المغلقة، سار فيه الرجلان حتى وصلا إلى القاعة الرئيسية التي كان يجلس فيه الحاخام الأكبر وآخرون في انتظار حضورهما..

انصب اهتمام مستشاري الحاخام الأكبر قبل انتقاله بصفة نهائية إلى مقر الحاخامية الجديد على توفير أكبر قدر ممكن من احتياطات الأمن، لذلك حرصوا على القيام بعمل محسّات استكشافية داخل حجرات وطوابق المبنى للتأكد من عدم وجود أجهزة تنصت أو مراقبة، ولما قرروا بعد بضع سنوات عمل خرائط طبوغرافية للهكتارات الثلاثة التي تمتد إلى غرب البناية اكتشفوا بالمصادفة وجود هذا الجب الذي كانت تستخدمه شركة إنتاج الكحوليات في تعتيق أجود منتجاتها وفي حفظ توليفات الأنواع الجديدة المُستحدثة بعيداً عن أيدي المتطفلين..

بعد أن قدّما تحيتهما الواجبة لزعيمهم الديني.. عرّف بلوتسكر الحاضرون بزواج ابنته، الذي عبّر عن امتنانه العميق بوجوده بينهم..

كانت الليلة تؤرخ لآخر ليالي احتفال اليهود بعيد حانوكاه أو الأنوار، الذي يُجدّد في نفوسهم ذكرى انتصار المكابيين الأسطوري على أعدائهم ويُعمّق في قلوبهم ذكرى انهيار الهيكل الثاني، ويحيي في شعورهم الداخلي معجزة اشتعال الزيت المقدس - في أعقاب الانهيار - فترة ثمانية أيام متتالية برغم أن ما كان متبقياً منه لم يكن يكفي إلا ليوم واحد فقط!..

صلوا معاً صلاة حلول الظلام، وأضاء مساعد الحاخام الأكبر شمعة الزيت المقدس..

تناول أحدهم شريحة ملف الهيكل من جوهان ودسها بعانية بالغة في داخل الكمبيوتر..

تابع الحضور بشغف وصمت ملحوظين تفاصيل مشروع إعادة بناء «هيكل سليمان» ذي الأبعاد الثلاثية الذي بدأت دولة إسرائيل تعدُّ له في أعقاب احتلالها الأراضي العربية عام ١٩٦٧ وبعد ضمِّها للقدس الشرقية..

تضمَّن المشروع إضافات تعكس مساهمات فنية هندسية وتقنية متتالية اقترحها خبراء من خارج إسرائيل انتُقوا بعناية وحذر فائقين، لتوفير أكبر قدر من التأمين لبناية الهيكل في مواجهة الظواهر الطبيعية واعتمادات الأعمار..

اغرورقت أعين الحاضرين كلهم بالدموع.. وهمس غالبيتهم بدعوات صامته صادرة من القلب.. وحزَّ في نفوسهم جميعاً أن تُؤدِّي الصراعات الحادة العقيمة بين التيارات السياسية والقوى الدينية التي شهدتها المجتمع الإسرائيلي سنواتٍ مُتواصلة، إلى تأجيل تنفيذ المشروع المرة تلو المرة حتى اندحرت الدولة، واضطرت الغالبية العظمى من ساكنيها إلى الهجرة بعيداً عن الأرض التوراتية التي كان الرب قد أسكنهم فيها..

كان أكثرهم صمّتاً وتعبداً كبير الحاخامات يوشع عاموس.. الذي سرعان ما استحضر روح معلمه الراحل بري أبراهام عندما أوصاه قبل أيام من وفاته أن يعمل على تحقيق حلم الشعب اليهودي الذي خذلته السياسة وفرّقت بينه انقسامات فقهية يتناحر أنصارها حول «هل يُترك بناء الهيكل ليد المخلصين اليهود أم للسما؟» مؤكداً أن بناء الهيكل بأي وسيلة هو القربان الأعظم الذي سيغفر لليهود خطيئة إهمالهم جميعاً عقوداً متتالية التكاثر من أجل تشييده في أورشليم..

لم تحبُ فكرة إقامة الهيكل في أعين اليهود منذ اضطروا إلى ترك الأرض التي ظنوا نحو قرن أنها آلت إليهم بلا منازع، شجعهم على ذلك أن حاخاماتهم دأبوا على تذكيرهم ضمن تلاوات صلاتي الشروق وحلول الظلام على أحقيتهم في أن يكون لهم مكان للعبادة في مدينة السلام كما للمسلمين والمسيحيين مقار فيها..

عرض زعماء اليهود الدينيون مطلبهم هذا بإلحاح على الحكومة العالمية الثانية (٢٠٦٠ - ٢٠٦٥)، التي عندما استشارت مجلس الحكماء في فيينا أقر غالبية أعضائه بعدم أحقيتهم في ذلك لأن زعماءهم وافقوا مع زعماء الأديان السماوية الأخرى عام ٢٠٥٠ على عدم المساس بتراث عاصمة السلام لأي سببٍ من الأسباب..

بعد فترة تقدّم كبير حاخامات لاس فيجاس بري أبراهام بمذكرة إلى الحكومة العالمية الثالثة (٢٠٦٥ - ٢٠٧٠) أكّد فيها بأدلة قاطعة مُستمدّة من مجلدات المشناة الستة، أن فكرة إقامة الهيكل لن تمسّ بتراث مدينة أورشليم / القدس، لكنها ستضيف إليه بُعداً واقعياً يُشيرُ بعمق لا تخطئه عين إلى عمق تسميتها «بعاصمة السلام» وذلك حين «تتم الموافقة على تشييد معبد لليهود يياثل كنيسة القيامة والمسجد الأقصى».. رفضت الحكومة العالمية للمرة الثانية بتأييد من مجلس الحكماء مذكرة الشروح اليهودية..

احتجّ كبير الحاخامات يوييل عاموس بعد بضع سنوات بأن مجلس الحكماء في فيينا والحكومة العالمية في بكين يمارسان نوعاً من التعنُّت المقصود ضد المؤمنين بالدين اليهودي، لأنهما يوافقان على تمييز

المسيحيين والمسلمين عليهم داخل مدينة أورشليم / القدس التي هي عنوان للسلام الذي لا يعرف التعنت.. فبينما يتمتع أصحاب الديانتين بمعبديهما الهائلين في كل من مدينة الفاتيكان ومدينة مكة وبدور عبادة لها وزنها في داخل عاصمة السلام، يُحَرِّم اليهود الماثلون لهما في الارتباط بالسماء من هيكَل يرمز اليهم في مدينة السلام..

طلبت الحكومة العالمية مهلة لدراسة الأمر من جميع جوانبه، ولما استعجل زعماء لاس فيجاس موافقتها بحجة أنهم الفئة السماوية الأولى بأن يكون لها معبد في أورشليم / القدس لأنهم أصحاب أقدم ديانة موحدة في العالم، وكان هيكَلهم الثاني «يَشْعُ أنواره حتى عام ٧٠ قبل الميلاد» نبهت عليهم بكين ألا يخاطبوها في هذا الموضوع حتى ترد عليهم بما تراه..

وبرغم مرور السنين دون تلقيهم الرد الذي يلحسون به، لم يجرؤ يوثيل عاموس على تكرار سؤاله.. ومن ثمَّ ركز جهده ضمن صلوات الرعية التي يؤمُّ فيها المؤمنين أيام السبت والإثنين والخميس، في التوسُّل للرَّبِّ أن يثبَّت إيمانهم بكتابتهم «اليشيفاه» لكي يتمكنوا من إعادة بناء الهيكل في أورشليم..

انتهى عرض المشروع على شاشة الكمبيوتر بتفاصيل خطوطه الأفقية والرأسية وخطواته التنفيذية التي كانت تُرتَّب لها حكومات إسرائيل المتتابعة..

تمالك مساعد الخاخام الأكبر أفي سيفر نفسه بصعوبة، وهو يقف مُعلِّقًا على ما تضمنه الملف.. أكَّد أن الخلاف الديني والسياسي هو الذي

عَظَلَ بناء الهيكل أكثر من ١٣٠ عامًا.. وقال: إنه لا خلاف على أحقية اليهود في أن يكون لهم وحدهم مكان للعبادة داخل أورشليم حتى يتساووا بالمسيحيين الذين لهم كنيستهم في الفاتيكان وبالمسلمين الذين لهم مسجدهم في مكة! وأضاف أن مرور وقت طويل دون أن تردّ الحكومة العالمية على الطلب الذي تقدّم به كبير الحاخامات مشفوعاً بالحثجج والبراهين، يعني أنها قد لا تردّ.. لذلك يصبح من حق اليهود إقامة هيكلهم داخل مدينتهم القديمة دون مشورةٍ من أحد..

وختم تعليقه مُطالباً بالعمل على تعميق وحدة النخبة من أبناء الشعب اليهودي لأجل التمسك بهذا الحق، خاصة وأنه لا يوجد اليوم خلاف سياسي فيما بينهم..

نبّه الحاخام الأكبر قبل نهاية الاجتماع على مراعاة التجهيزات التعبّدية التي سترافق السفينة التي ستقلّهم من ميناء سان دياجو إلى عكا وكلفّ مساعدته الأول بمراجعة خط سيرها بحيث ترسو في ميناء مدينة سيراكوزاه مساء يوم الجمعة الأخير قبل ليلة الاحتفالات..

بدأ الحاضرون في الانصراف فرادى..

استبقى الحاخام الأكبر بلوتسكو وزوج ابنته جوهان..

طلب يوثيل إلى جوهان أن يشرح له كيف يرى وسائل الضغط على الحكومة العالمية حتى تستجيب لمطلب بناء الهيكل..

انشرح صدر جوهان وقال عن قناعة متأصلة في أعماقه: إن الوسيلة المثلى هي العمل على هدم المسجد الأقصى وعدد من البنايات

الأخرى، خاصة وأن التوقعات كافة تُشير إلى أن التهمة ستلصق بسكان أورشليم من مسلمين ومسيحيين، ولن يُشار من قريب ولا من بعيد لليهود خاصة بعد إنصاعهم لقرارات الحكومات العالمية المتعاقبة، وعدم إبدائهم أي إمتعاض أو حتي جفاء حيالها بسبب تراخيها في الردّ عليهم..

ولمَّا لَقِيَ آذانا مُصغية، إستكمل مقترحًا أن يُبادِرَ الحاخام - بعد أن تهدأ الأحوال - إلى إحياء طلب تشييد الهيكل الثالث مرة أخرى ضمن ما سيتقدّم بها الطرفان المتضرران - المسيحيون والمسلمون في أعقاب عملية الهدم لبناء ما دُمّر من دور عبادة كانت تابعة لهما..

وضحت الصورة..

هناك حاجة ماسة إلى نسخة ثالثة من ملف الهيكل، وإلى متفجرات..

كلّف الحاخام الأكبر جوهان أن يطلب إلى صديقه ديفيد أن يحمل معه وهو في طريقه إلى أورشليم نسخة ملف الهيكل التي في حوزته، لأنها هي التي سيُعتمد عليها في تنفيذ الخطة التي أشار إليها، وبرّر ذلك بأنه سيأمر بحفظ النسخة التي أتى بها معه من نيو أورليانز في خزانة المعبد الكبير كمرجعية لا تُقدّر بثمن، وأن تودع الثانية بمكتبة دلاس..

وأوصى مساعده الأول بالبحث عن وسيلة آمنة للحصول على كمية مناسبة من المتفجرات، وخصّ ثلاثتهم معًا بأن يجتهدوا في وضع خطة لتأمين نقلها إلى داخل أورشليم..

تمكّن جوهان بجهد كبير من إخفاء تعابير السعادة التي انطلقت
من داخل قلبه إلى ملامح وجهه، لأنه كان يتصوّر وهو في طريقه من
دلاس إلى لاس فيجاس أن إقناع الحاخام الأكبر بخطته الطموح في
الهدم والبناء سيحتاج منه مجهودًا كبيرًا..

وها هو يظل صامتًا بينما يتبنّى الرجل أفكاره كما كان يحلم..

في خضمّ نشوته أيقن أنه سيفوز مع ديفيد بركة أسفار الأنبياء التي
تحضّ «كل يهودي نقي» على إقامة الهيكل! وسينال كل منهما بركة نبوءة
الوصايا التي تصف مَنْ يساهمون في تشييده بأنهم من أتقياء الدنيا
وأصحاب الجنان في الآخرة!..

مدينة بكين عاصمة الحكومة العالمية ..

قبل شهرين من تاريخ الاحتفال ببدايات السنوات الجديدة بعاصمة السلام، عقدت الحكومة العالمية اجتماعاً فضائياً لمتابعة آخر المستجدات وتحديد توقيتات باقي الترتيبات ..

انتهت مدينة طوكيو من اختبار الأجهزة عالية التقنية التي صُنعت في مدينة نيودلهي خصيصاً لهذا الاحتفال، وستُشحن بالطائرة إلى مطار جسر الملك حسين مرة واحدة، حيث سيكون الخبراء والفنيون في انتظارها لنقلها وتركيبها في أماكنها المختارة فوراً ..

انتهت اللجنة العليا للأمن من اختيار العناصر التي ستتولى القيام بمهام الحراسة والمراقبة والصيانة، نُظِّمت لهم دورة تدريبية لتعريفهم بطبيعة المهمة ومحيطها الجغرافي ونوعية الزائرين وكيفية التعامل معهم .. أخذت في اعتبارها دسّ بعضهم ضمن جولات الزائرين للتمويه ومعالجة ما قد يطرأ من احتكاكات قد يكون من المستحبّ التصرّف حيالها بسرعة ..

أثناء المناقشات عرفت بكون أن الوقت اللازم لتركيب الأجهزة واختبارها والتأكد من كفاءة أدائها هو عشرة أيام.. لذلك نَسَّقت بين طوكيو وموسكو على أن يحضر أفراد أطقم الفنيين في النصف الأول من ديسمبر لكي يكونوا في استقبال شحنات الأجهزة القادمة من نيودلهي..

ولما استفسرت عن ترتيبات موسكو لمتابعة سباق سيارات حوض البحر المتوسط الذي تكاد مدينة شتوتجارت أن تنتهي من الإعداد له، قيل لها: إن كبير أمناء المراقبة سيقوم بنشر الخبراء والفنيين بالتدريج في جميع المناطق الذي ستمرُّ بها سيارات الفريقين المتسابقين بدءاً من الأسبوع الأول من شهر نوفمبر..

نوّهت الحكومة العالمية إلى أهمية هذا السباق بالنسبة لها خاصة وأنه سيمثل مع احتفالية بداية السنوات الجديدة، أهم حدثين على مستوى وقائع العام ٢٠٩٩..

عرّضت هيئة البيئة بياناً مُختصراً لحالة الطقس في منطقة شرق البحر المتوسط طوال الأسبوعين الأخيرين من شهر ديسمبر.. ومنها تبين أن درجات الحرارة ستكون منخفضة بما لا يتوافق مع ظروف الاحتفالات..

لذلك أعدت خطة لإسقاط كمية مناسبة من الأمطار على فترات متقاربة فوق إقليم الشام بدءاً من السابع والعشرين من الشهر للتخفيف من موجة البرودة ولمنع تكوين طبقات رقيقة من الثلج فوق الطُّرقات وأسطح المنازل، حتى لا تفسد على ضيوف المدينة برنامج زياراتهم لمعالمها والتنقل بين أرجائها لمتابعة فقرات الاحتفال..

قالت هيئة البحوث الطبية في ستوكهولم: إنها ستقوم بشحن الكمية المناسبة من الأدوية والمضادات الحيوية وشرائح العلاجات السريعة في الأسبوع الأول من ديسمبر، وستقوم بتفسير مجموعة المختصين والممارسين العامين وما يلزمهم من أجهزة كشف التاريخ المرضي لمن يحتاج لإسعاف أو الذي تسوء حالته المرضية بشكلٍ يحتاج إلى علاجٍ فعليٍّ سريع بعد منتصف الشهر..

تركت الحكومة العالمية لهيئة النقل العليا بنيويورك حرية تنسيق تسير الخط الملاحي من لاس فيجاس إلى ميناء عكا بعد أن يتقدّم الحاخام الأكبر لليهود بخطته النهائية.. وأعلنت موافقتها على الخطط التي تقدّمت بها العواصم الأخرى.. فليس هناك اعتراض على استخدام القادمين من نيودلهي للخط الملاحي المار بالمحيط الهندي ثم بالبحر الأحمر ثم قناة السويس.. ولا اعتراض على الخط الملاحي الذي ربما يستخدمه المسيحيون القادمون من البحر التيراني إلى البحر المتوسط، إذا تعدّر سفرهم بالطائرات.. ولا على استخدام المشاركين من أتباع الدين الإسلامي لطريق الشمال البري في الوصول إلى عاصمة السلام..

اقترحت الحكومة العالمية زيادة معدل الإضاءة الليلية في قلب مدينة القدس / عاصمة السلام وما حولها لأبعد مسافة ممكنة منذ الخامس والعشرين من الشهر.. كما أكدت مرة ثانية الحاجة إلى زيادة عدد علامات الإرشاد الضوئية التي تُسهّل الوصول إلى الأماكن الأثرية بها، وتلك التي تُحدّد مسار الاتجاه الواحد وأماكن العيادات الطبية المتنقلة.. ودوريات الحراسة..

مدينة سيراكوزاه..

عرف ديفيد من رسالة صديقه جوهان التي تركها على شاشة تليفونه، أنه وَصَلَ إلى دلاس واطمأنَّ على والده.. وأوصاه بعمل اللازم للحاق بسفينة القادمين من سان دياجو عندما ترسو في ميناء مدينه سيراكوزاه مساء يوم الجمعة الأخير من شهر ديسمبر.. وقال له بسخرية: إنهم ينتظرون منه أن يصطحب معه رسوماته الصبائية التي يتفاخر بها، ربما يجد من يفرح بمشاهدتها من بين المسافرين إلى أورشليم..

فهم ديفيد الرسالة.. لقد تحدَّث صديقه مع من يهتمُّ أمر ملف الهيكل، وأنهم كلَّفُوهُ أن يوصيه بجلب النسخة الخاصة به معه.. تساءل بينه وبين نفسه: لما ذا؟..

لم يشغل باله كثيرًا المعرفة ما خَفِيَ عليه، ما يعنيه أن بعضهم أصبح على علمٍ بمحتويات الملف، وثبت لديه أهميته..

تَحْيَلُ نفسه وهو يحظى بتكريم خاص من الحاخام الأكبر بسبب ما
بذله في سبيل توفير نسخة نادرة من ملف الهيكل .. استبعد أن ينسب
صاحبه الفضل لنفسه؟ سرح مرة أخرى وراء تأكيد جوهان له أن
يصطحب معه نسخة الملف .. اتجه نظره بلا إرادةٍ منه إلى القوقعة التي
خبأ داخلها الشريحة ..

شتوتجارت مدينة السيارات ..

في الموعد المحدد من قبل .. اتصلت الهيئة العليا للأمن من موسكو بمجلس مدينة شتوتجارت في وجود إيمانويل لتحديد توقيتات السباق ومساره النهائي حول البحر المتوسط من جهتيه الشرقية والغربية ..

ركزت موسكو على المدى الزمني للسباق، وعدد مراحل، ونقاط بداياتها ونهاياتها، وأماكن الاستراحات الفاصلة بين كل مرحلة والتي تليها .. بحيث يتم الإعلان عن الفريق الفائز قبل نهاية نهاريوم ٣١ ديسمبر ..

نقلت الكاميرات إلى جهاز الكمبيوتر العملاق في موسكو طاولة مجسم السباق ..

شرح لهم إيمانويل أن الفريقين المتسابقين سينطلقان من مدينة روما إلى مدينة فلورنسا ومنها ينطلق الفريق الغربي يسارًا إلى مدينة جنوة في اتجاه البروفانس، أما الفريق الثاني فسينطلق إلى مدينة البندقية ومنها

يميناً إلى مدينة بلجراد، وكلا الفريقين عليه أن يقطع المسافة حول شواطئ حوض البحر المتوسط وأقاليمه على سبع مراحل مدتها عشرة أيام ..

حرصت المراقبة العليا للأمن على معرفة التوقيت المتوقع لمرور كلا الفريقين بالإطار الخلفي لعاصمة السلام، أشار إيمانويل وهو يمرُّ بالشعاع الضوئي فوق المجسم أن الفريق الشرقي سيمر هناك بعد ثلاثة أيام من انطلاقه، بينما سيمرُّ بها الفريق الغربي بعد سبعة أيام ..

استقبل كومبيوتر موسكو هذه المعلومات وشارك الخبراء والمتخصصون في النقاشات التي دارت حولها .. وقرروا بعد تحليلها وفق برنامج متخصص، أن يبدأ السباق من نقطة الصفر (روما) الساعة الثانية عشرة منتصف نهار يوم ٢٠ ديسمبر، وأن يُعلن عن الفريق الفائز من نفس المكان (روما) منتصف نهار يوم ٣١ ديسمبر ..

بعد دقائق من هذا الإعلان تحمل الطائرة الفائزين إلى مطار دمشق ومنها بالسيارات إلى قلب عاصمة السلام كي يتسلموا الجائزة قبل غروب نفس اليوم، حتى يُتاح لهم الاستمتاع بالحفل الذي سيقامُ بها ويستمرُّ حتى صبحية اليوم التالي ..

كَلَّفَ رئيس الهيئة العليا للأمن إيمانويل بأن يكون بمدينة السلام قبل أن يبلغها أيُّ من الفريقين، وأن يبقى بها لحضور حفل تقديم الجائزة للفائز، وبعدها متابعة الاحتفالات التي سبق أن تقدَّم بطلب للمشاركة فيها ..

بانت السعادة على وجه إيمانويل لأنه سيشارك بالإضافة إلى زيارته
المرتقة لمدينة أورشليم، في تقديم الجائزة لأفراد فريق سباق السيارات
الفائز..

من فرط سعادته، لم ينتظر إيمانويل أن يصل إلى شقته ليخاطب
أخاه.. بل سارع إلى إبلاغه قبل أن يغادر القاعة بآخر الترتيبات التي
وافقت عليها الهيئة العليا للأمن..

أضاف وهو يسمع منه تهنئته الخاصة أنه سيكون في أورشليم مساء
يوم ٢٢ ديسمبر لكي يتابع مُرور الفريق الشرقي بحدودها.. وأنه
سيبقى بها لمتابعة وصول الفريق الآخر، ثم للمشاركة في تقديم الجائزة
لمَن يَفوزُ بها، بعدها يتفرغ تمامًا لمشاهدة الاحتفالات..

مدينة باريس..

تلقت روزالين أمرًا مُشدّدًا بالألا ترفض مشاركة أخرى لها في جسد صاحبها عندما يعرض هو عليها الفكرة في وقتٍ قريب، لم تستوعب الفكرة من أول مرة..

كان أندرو يتوقع منها هذا الموقف، شرح لها ما استقر عليه رأي المختصين الذين يتابعون معه ملف ديفيد بشكل مبسط..

ولما عبّرت عن اندهاشها واستفسرت عن السبب، برّر لها أنهم لم يتمكنوا برغم ما في حوزتهم من تحليلاتٍ نفسيةٍ وتقارير حول حياة ديفيد الوظيفية وعلاقاته الغرامية، من تحديد كُنه هذا الشيء الذي برّع حتى الآن في ستره..

قال لها: إن مهمتها المحددة في الأيام القادمة ستتركز في استغلال تشتت فكر ديفيد عندما تقتحم عليه أخرى حياته، لأن كل التوقعات تشير بنسبةٍ كبيرةٍ إلى احتمال أن يفك الموقف - دون شعور منه - عقدة

تفكيره المركبة تحت وطأة بُعْدِه العاطفي والجنسي عنها، وسُقوطه في غواية أخرى! ومن ثم يُفشي السِّرَّ الذي نجح حتى الآن في إخفائه.. أو أن يطرأ على تصرُّفاته الروتينية وسلوكياته المعتادة ما يُعين المختصين على كشف ما غمَّضَ عليهم حتى الآن..

استسلمت روزالين للأوامر، فلم تكن تملك غير ذلك..

جلست تفكر في ديفيد وفي نوعية المشكلات التي تحيط به..

سألت نفسها: مَنْ تكون هذه الأخرى؟ ولماذا قرروا الاستعانة بها؟ هل سجلوا عليها فشلاً في أداء المهمة التي كُلِّفَتْ بها؟ هل ستمكن - هذه الأخرى - من استغلال حالة التشتت لكي يبوح لها بما في نفسه قبل أن يورط نفسه أكثر مما هو عليه الآن؟ هل يأتمنُّها على سِرٍّ أو موقفٍ فشلت كل الوسائل في استخلاصه منه بعد كل ما نُقِلَ عنه بالصوت والصورة؟..

أحست بحالة انهزامية عندما تخيلت أن الأخرى ربما تنجح فيما ما لم تقدر هي عليه!..

مدينة سيراكوزاه..

انتبعت روزالين من تفكيرها العميق، على صورة ديفيد تملأ شاشة جهاز الاستقبال..

رجاها مباشرة: ألا تُمانعُ في استضافة زميلة من قطاع التحليلات المناخية لمدة يومين وهي في طريقها لاستلام عملها بغرفة المراقبة الجوية بمدينة إستانبول؟..

تجمّد تفكيرها لثوانٍ.. إلى هذه الدرجة ملف ديفيد يهمُّهم!..
لقد بدأ في التوّ تنفيذ مخطط ما كانت تظن انه سيقع غداً أو بعد غد..

هياتها مكالمه أندرو نفسياً، وجدت نفسها تردُّ بتلقائيةٍ حرصت على أن تكون طبيعية: إن ضيوفه هم ضيوفها أيضاً.. قبلها قبلةً طويلة تعبيراً عن الشكر..

استفسرت منه عن هذه الزميلة، قال: إنه لم يتعرف إليها إلا منذ دقائق..

معنى ذلك أن أندرو وفريقه كانوا يرتبون لهذه الخطة قبل أن يحكموا على ما قامت به مع حبيبها منذ عادت من باريس بالنجاح أو بالفشل..

عرفت من صديقها أن زميلته ستطير إلى سيراكوزاه من نابولي بعد ساعتين، وأنه سوافيها عن طريق جهاز Mobile TV بخريطة تبين لها كيفية الوصول إلى عنوانها وكذا رقم تلفونها حتى يتيسر لها أن تتصل بها عندما تقترب من البناية..

وعدته أن تكون في استقبالها لكي تدخلها بسيارتها إلى الجراج وتفتح لها باب المصعد..

سألته: هل سيأتي إلى شقتها لتناول وجبة العشاء معها ومع ضيفته؟ شكرها باسمًا، وقال: إنه سيرتب لثلاثتهم سهرةً وعشاء على شاطئ البحر، طلب إليها أن تقترح مكانًا مُعينًا.. تركت له حرية الاختيار..

لما اختفت صورة ديفيد، ظلت روزالين جالسة في مكانها تفكر في حجم مشاركتها في توريط حبيب القلب بعد نحو أربع أو خمس ساعات، في علاقة لا تعرف إلى أين ستنتهي به!..

استحسنّت أن تأخذ حمامًا ربما تتمكّن خلال الدقائق التي ستبقي جسمها مُعرّضًا لرذاذ المياه أن تُعثرُ على إجابةٍ للسؤال الذي يشغلها: كيف ستصرف مع هذه العابرة المجهولة والتي من المؤكد وفق ما

سمعتة من أندرو أنها ستتنازل لها عن رَجُلِها، أو على الأقل ستسمح لها
أن تشاركها فيه؟..

تشئت فِكْرُها بضع ثوانٍ، وجدت نفسها في حالة ارتباك غير
مسيبقة..

أنقذها من حيرتها معاودة اتصال أندرو بها..

عرَّفها أن الضيفة فائقة الجمال، ممثلة بالأنوثة، طاغية التأثير في
الرجال، ثم أضاف بخبثٍ لم يخف مقصده عليها: أنها هي أيضًا ربما لا
تستطيع مقاومة فتنتها!..

قررت أن تمنح نفسها لحظة من التركيز لكي تجمع شتات تفكيرها
الذي تبعثر تحت ضغط ما تعرضت له من تجاذبات..

كيف سيكون الموقف بين ديفيد الذي يتباهى بوسامته وباعه
الطويل في العشق والغرام، وبين فائقة الجمال ممثلة الأنوثة ذات التأثير
الطاغية على الرجال والنساء؟..

أخذها تعليق أندرو الخبيث بعيدًا، وسألت: هل يمكن أن تخضع
هي أيضًا لسطوتها؟..

قررت وهي تقوم بنشاط ناحية الحمام، ألا تجهد نفسها كثيرًا في
العثور على أجوبة محددة.. الموقف كله في صالحها، هكذا همست بعد أن
أنعشها تساقط المياه الدافئة فوق جسمها.. فهي مطلعة على سبب مجيئها
وديفيد يجهله، وستتعرف إليها قبل أن تقع عينه عليها..

اشتعل ذهنُها بالعديد من التوقُّعات، فقررت أن تترك نفسها على
سجيتها عندما تجمعها وضيفتها وديفيد سهرة واحدة..

كانت روزالين تضع اللمسات الأخيرة على وجهها عندما رنَّ
هاتفها وسمعت من تقول لها: أنا مادلين زميلة ديفيد..

عندما اقتربت مادلين من زاوية الشارع المُفضي إلى البناية التي
تسكنها روزالين، سمعت الـ Mobile TV يقول لها: إنها بلغت نهاية
الرحلة.. ضغطت على زر الاتصال.. سمعت صوت روزالين يُرَحِّبُ
بها ويفتح لها الحاجز الخارجي ويقودُها إلى المكان المخصص لها داخل
الجراج، ثم يركب معها المصعد حيث الشقة التي تقصدها..

لم يخطئ أندرو في وصف الضيفة، فتنتها طاغية بلا تعالٍ.. اكتشفت
روزالين روحها الخفيفة من تعليقاتها المرحّة علي شقتها ومحتوياتها
البسيطة..

تلقت مراقبة الأمن في سيراكوزاه تعليقات بإضافة كاميرا أخرى إلى
كاميرات المراقبة المُثَبَّتة داخل شقة روزالين..

نُفَذَ ذلك فور خرجها مع ضيفتها مادلين للقاء ديفيد الذي
شاهدَهما من بعيد وهما تتمشيان بالقرب من البناية..

* * *

اختار ديفيد مطعمًا قريبًا من شقة حبيبته يشتهر بتقديم وجبات
السّمك المشوي..

شاهدتهما تتهاديان في الطريق إليه..

تابع بعينه على البُعد اندماج زميلته مع روزلين في حديثٍ يبدو أنه
يبعث على الابتسام، فقد كانتا تتوقفان وتلامسان وتطوح كل منهما
رأسها إلى الخلف في حبورٍ ملحوظ..
شعر بالاطمئنان..

لما اقتربتا منه بهره جمال زميلته الصارخ، فزال اطمئنانه..

جلس ثلاثتهم إلى منضدة تحضنها مجموعة عالية من الأشجار،
وتطلُّ على خليجٍ مائيٍّ صغيرٍ.. أضفت خيوطُ الشمس التي كانت
تستعدُّ للمغيبِ جواً سحريّاً على المكان الذي سرعان ما اصطبغ بحُمْرةٍ
شفافةٍ جعلت سحره يملأ مس الإنسان والجماد..

لمحت روزالين في عيني ديفيد اشتهاً للضيقة تحفظه عن ظهر
قلب! راقبت يده وهي تلامس منحنيات جسمها دون تعمُّد..
ولاحظت لغةً جسد الضيقة وهي تعلن استجابتها للمناغشات الخفيفة
وعدم اعتراضها على تطويرها..

دار حديث متنوع بين الثلاثة.. اعتذرت مادلين عن تناول الخمور
الثقيلة، اكتفت بكأسين من النبيذ الأبيض إلى جانب وجبة السمك
شهية المذاق..

راقص ديفيد روزالين أولاً.. ولما حاصرته بعينها وسألته عن رأيه
في زميلته، عبّر بصدق عن طغيان جمالها عليه وأنه يُريدها..

بادرته بأنها لا تمنع في أن يختلي بزميلته، لكنها لن تتركه لها الليل كله.. ضمَّها إليه، أحسَّ بصدرها يموج تحت ضغط ذراعيه..

حاول أن يشيها بشتى الطرق، ولكنها تمسكت بفكرتها مصممة أن تعيش معه تجربة مُضاجعتها في وجود أخرى.. تلك الفرصة التي أفلتت من يدها ليلة احتفاله بعيد ميلاده، ذكرَّها أن ذلك كان بسبب غيابها..

اعترفت له وهي تبتسم بدهاء أن سفرها إلى باريس حرَّمها مُتعةً ليس بعدها متعة، وهي الآن لا تمنع في تكرار التجربة..

انضمت مادلين إليهما في الرقص عندما بدأت الفرقة الموسيقية تعزف أنغام لحنٍ إسبانيٍّ شَجِيٍّ.. أفسحت لنفسها مكانًا بين الأذرع الأربعة التي كانت متشابكة..

تحاضن ثلاثتهم، همست في أذن روزالين بعدة كلماتٍ وهي تُداعِبُ ظهر ديفيد بأظفار يديها اليسرى..

* * *

صعد ثلاثتهم إلى شقة روزالين..

تركته صاحبه مع زميلته يتناجيان..

اتجهت إلى المطبخ لكي تعدَّ مشروبًا مُنْعِشًا ومُنَشِّطًا..

داعب ديفيد شفتي مادلين بينما هي تفكُّ أزرار الجاكت الذي كانت ترتديه.. أبدت استجابة متعادلة لحركة يديه فوق منحنيات جسدها بديع التكوين.. ساعدها على التخلص من بقية ثيابها.. سمعته روزالين وهو يطلب منها أن تسرع للحاق بهما في حجرة النوم..

ركبت مادلين فوق ديفيد بعد أن جردته من ملابسه، تجاوب معها وهو يمتدح أداؤها.. ظهرت روزالين في الخلفية وهي تضع المشروب المنعش على المنضدة بينما قامت بضبط زاوية اتجاه تليفونها..

ألقت روزالين بقطع ملابسها على الأرض قبل أن تجتاز باب حجرة النوم المفتوح على مصراعيه.. طرق أذنيها صوت ديفيد وهو يعبر عن امتنانه العظيم للمصادفة التي جعلت مادلين تمرُّ بسيراكوزاه وهي في طريقها لمقرِّ عملها الجديد، شاهدته وهو يعتصرها.. وسمعتها وهي تتأوّه، بينما هو يقول: إنه يعتبرها من أغلى الهدايا التي تلقّاها مؤخرًا..
بتلقائية دخلت روزالين على الخط..

قرصته من أذنه.. وسألته وهي تتمدّد إلى جانبه بينما ما زالت مادلين متربعة فوقه: هل كانت تلك هي الهدية الغالية الوحيدة التي جاءته دون ترتيب وبلا تعب؟ اعترف وهو يقبلها بنهم أنه يضع مادلين في نفس مستوى هديتها الرائعة التي أهدته إيّاها في عيد ميلاده..
بنفس التلقائية عارضته وهي تفرك أذنه بين شفتيها أن مادلين أغلى وأجل من القوقعة..

ردّ عليها وهو في كامل نشوته.. أنه لن ينسى لها أبداً هديتها..
أخذت مادلين دورها..

تركت الحبيين على السرير، واتجهت إلى الحمام بحثاً عن انتعاشة مائية تعيد لها حيويتها، اندست روزالين في حضن حبيبها، نصحته أن يفكر جدّاً في سداد قيمة الهديتين اللتين اعترف بأنها هي السبب في تمتعه بهما..

جاءهما صوت مادلين وهي تسأل عن مواصفات الهدية الأخرى
التي تقارن بها..

قالت لها روزالين وهي ترفع صوتها بعض الشيء: إنها قوقعة
طبيعية ذات تأثير شفاف..

أكمل ديفيد أنه لم يكن يصدق ما تقوله صاحبتة عن قُدراتها الخفية
حتى جرَّها هو بنفسه..

رفعت مادلين صوتها وهي تسأل..

هل يعتبر مضاجعته لها استجابة لرغبة أبدائها للقوقعة وهما في
المطعم..

بان عليه الاندهاش، بينما عبر اتساع عيني روزالين عن اعتقادها
الجازم بالقُدرات السحرية المدهشة لهذا الكائن البحري الأسطوري..

لم تشغل مادلين نفسها بتفسيرات مضيفتها ردُّ على سؤالها، فما وقع
حتى الآن فيه الكفاية..

قالت له روزالين وهي تحديق في عينيه: إن عليه المبادرة بالترتيب
لمكافأتها حتى يحصل عن طريقها على هدية ثالثة بلا مجهود، تعهّد وهو
يُقبِّلها في أنحاء متفرقة من رقبتها وثدييها بتنفيذ كل ما تطلبه طمعاً في
أن تأتي هداياها كلها على شاكلة مادلين والقوقعة..

استسلمت لعبث يديه.. التفت ناحية الباب عندما سمعت مادلين
تحتج لتشبيهها بالقوقعة.. أفسح لها ديفيد مكاناً على السرير وهو يقول
لها: إن كليتيهما ممتلئة بالأسرار العميقة والغامضة، وأنهما تشرحان
صدره، كلُّ بوسيلتها الخاصة المختلفة..

مدينة باريس..

التحليل النهائي للملف تسجيلات سهرة ديفيد مع المرأتين في شقة روزالين يقطع بأن القوقعة التي جاءته هدية تمثل عنده أهمية بالغة.. تؤكد اللقطات التي صورت لمبادلات المتعة بين ثلاثتهم، أنه رغم انصرافه الكامل لممارسة الجنس مع حبيبته وزميلته كان جهازه العصبي يعكس حالة من التوتر اللحظي كلما جاء ذكرها على لسانه.. وقد تكرر ذلك عدة مرات..

إذن هناك علاقة عضوية ما بين ما يعتمد ديفيد أن يخفيه وبين القوقعة، ولا بُدَّ من الكشف عن كُنْهها.. أعاد أندرو مشاهدة ملف الصور مرة أخرى.. تأكد من مظهر أساسي آخر..

اتساع حدقتي عيني ديفيد كلما جاء ذكر القوقعة على لسان المرأتين، الأمر الذي لا وجود له ألبتة على أي مستوى عند روزالين التي

أهدته إياها بعد أن أبدى إعجاباً فائقاً بتلك التي في حوزتها منذ عدة سنوات..

اتفق أندرو مع رئاسته على أهمية أن يضع يده على القوقعة..

ولما جاءت الموافقة الفورية، بدأ يخطط للتنفيذ؟..

مطلوب الكشف عن طبيعة العلاقة المثيرة للريبة بين المواطن العالمي ديفيد أوزويلد ووقعته عن طريق إخضاعها للكشف الإشعاعي وقياسات الرنين..

فإذا ثبت أن الأمر كله لا يخرج عن هوس أسطوريٍّ من بقايا مخلفات أزمنة بشرية ساحقة، أُعيدت له بلا ضجيج.. أما إذا أبانت عن مخالفات أمنية محظورة، فستشكل الدليل الأقوى الذي يقوده إلى المحاكمة..

لكن كيف سترشدكم هذه القوقعة إلى ما يبحثون عنه؟..

لا بُدَّ أن تكون ذات قُدرات خاصة أو قوى خفية كما ردد هو وصاحبته أمس!..

توقف أندرو عن التفكير، حين ضبط نفسه مُتلبساً بالاعتقاد في مسائل لم يعهد لها من قبل..

لا يصح لمن في مستوى مسؤولياته أن ينجرف لمسلمات تتناقض مع الحقائق العلمية الراسخة، عليه أن يفكر كيف يضع يده على القوقعة في أسرع وقتٍ ممكن؟..

أول ما طرأ على ذهنه الاستعانة بـروزالين، لكنه استبعد لها لأنها تحتاج لإعداد نفسي وعملي من نوع خاص.. كما رفض أن يقوم باستدعاء ديفيد بحجة المشاركة في حلقة تدريبية، خشية أن تقوده أفعاله لشك ما يدفعه للتخلص من القوقعة!..

أحاله إصراره على إيجاد وسيلة لفحص القوقعة إلى ضرورة التوصل إلى تحليل لأسباب تشبيه ديفيد لمادلين بها؟..
ما العلاقة التي تربط بينهما؟..

ظهرت مادلين على شاشة مخيلته.. كيف لم يفكر فيها من أول لحظة؟..

عليه أن يستفيد من وجودها في سيراكوزاه قبل أن تتركها مُتجهةً إلى استانبول!..

من فوره اتصل بها.. قالت له: إنها تتريض على شاطئ النخيل بالقرب من البرج الذي يشغله مكتب ديفيد.. سألها من فوره: هل لديها تفسير لتشبيه ديفيد لها بالأمس بالقوقعة؟ ولما لم تُبدِ رأياً مقنعاً، طلب منها أن تعرف منه الإجابة الأقرب إلى الحقيقة..

اتصل بعدها مباشرة بـروزالين وأثنى على ما بذلته من مساعدات، ثم اقترح عليها أن تعتذر لديفيد عن مشاركته ومادلين سهرتهما المسائية من بدايتها وأن تكتفي بالجزء الأخير منها..

مدينة سيراكوزاه..

أمضت مادلين بقية يومها في التنزه ومشاهدة الطبيعة الخلابة التي تحيط بالبرج.. خاصة وأنها كانت مُغرمة منذ الصغر بالترئُّض بالقرب من شواطئ البحار وبين ممرات الأشجار الكثيفة..

قادتها قدماها إلى السور الحجري الذي يطل على مياه الخليج..

سرحت بعض الوقت مع الأمواج التي تتكسر فوق الصخور القريبة من الشاطئ.. جلست باسترخاء فوق العشب تفكر في المهمة التي كلفها بها أندرو.. كيف سيتاح لها أن تنفذها في وجود روزالين؟..

لاحظت أن تفكيرها مشتت بين أكثر من سبيل، لكن أيًا منها لم يكن ليفضي إلى نتيجة عملية مُرضية في وجود الأخرى..

رأت أنه من الأفضل أن يكون ديفيد لها وحدها حتى لا يفسد تصرف غير مقصود من صاحبته، محاولات استنطاقه لكي يفصح عما يراه من صفات تجمع بينها وبين قوقعته العجيبة!..

تحقق ما لم تكن تتوقعه، هاتفتها رزالين وأبلغتها أنها في حاجة إلى الاسترخاء بعض الوقت بعد يوم عمل شاق ووعدتها أن تنضم إليها هي وديفيد إن هي شعرت بذهاب بوادر الإرهاق، أذهبت المكالمات الضغوط النفسية عن دماغ صاحبتنا، وبدأت تفكر بهدوء عن أجدى السبل وأقصرها لبلوغ الهدف..

قلبت الأمور على عدة أوجه.. وتخيَّرت أن تكون مستعدة لاستغلال المواقف التي لا بد ستعرض لها مع ديفيد، إما من زاوية الخرافة التي تحيط بالقوقعة، أو قُدرته الشخصية على تلمُّس مواطن الجمال حتى في الطبيعة الصماء..

ابتسمت لنفسها.. وفيما هي تسعد للقيام لاستكمال مسيرتها الترويحية، هاتفتها ديفيد واتفق معها على مُلاقته عند بناية البرج.. عبرا الشارع معًا إلى الناحية الأخرى حيث المحلات المترامية على الشاطئ..

جلسا يتحدثان على المقاعد الحجرية المنخفضة عند حافة الماء..

كان يسألها عن الانطباع الذي تركته سيروكوزاه في نفسها وهي تزورها لأول مرة، عندما عثرت قدمها العارية على أجزاء من قواقع مكسرة، التقطت أكبرها، ومسحت عنه الرمال..

سألته: هل قوقعته الأثيرة من نفس النوعية؟..

أخرجها من جيبه، وب نظرة أثيرة نفَى أي تشابه.. استفسرت وهي تتأمل تلك التي بين أصابعه عن العلاقة التي تجمعها بها..

بلا لعنمة قال: إنه يراها مخزناً للأسرار ونموذجاً لجمال الصنعة..

طوقته بذراعيها وسألته بحنانٍ جارفٍ وهي تنظر في عينيه إذا كان
يسمح لها بأن تبوح بسرٍّ عزيز عليها لوقعته قبل أن تغادره إلى
استانبول، ملأه الزهو..

لامست مادلين عن قصد وسوء نية نقطة تفاخر ديفيد بذاته..
أحسَّ بأن كل ما حوله يؤكد له أن هذه الأنثى التي تشتهيها بكل
ذرة في جسدها، خاضعة لتأثيره..

رأت الفرحة في عينيه فزادت من تطويق صدره بساعديها..
حرَّضه شعوره بضغط ثديها فوق ذراعه على مواصلة الاندفاع في
طريق اقتناص الفرصة فربما قادتة إلى مغامرة جديدة..
سارع بإحكام قبضته على الموقف لصالحه..

وعدها أن يتركها تهمس للوقعة بما تشاء، إن هي وافقت على
تأجيل العشاء، وقامت معه فوراً إلى شقته قبل أن تنضمَّ إليها روزالين..
كلاهما كان يُرتَّب لاستغلال الموقف لصالحه..

هو يريد أن ينفرد باستطعامها دون ملاحقة من أحد حتى لو كان
معشوقته روزالين..

وهي رغم أنها لم تكن تشتهي أن يطارحها الغرام في هذا الوقت
قبل أن تكون هي في حالة اشتهاٍ له، كانت الأسرع قبولاً لتنفيذ
الاقتراح..

فكت ذراعيها من حول صدره.. انتفضت واقفة، وجذبتة لكي
ينصرفا بلا تَلَكُّؤٍ..

* * *

لا يذكر ديفيد أنه اجتاز المسافة بين المكان الذي يترك فيه سيارته
بالجراج وباب مصعد البناية التي يقطن بها بنفس السرعة من قبل، كان
يقفز الخطوات ولا يمشيها.. حتى أنها اضطرت إلى حمل فردتي حذائها
في يدها اليمنى بينما كانت تتقاذف مثله وهو يشدها وراءه من يدها
اليسرى..

تفنت في إغراقه بغرامها وحنكتها، حتى إنه كان يلهث طلباً
للمزيد، فلا يرى منها إلا استجابة أروع وانصهاراً أشد..

أمتعها، لدرجة أن ذهنها الصافي يسر لها أن تتخير بلا معاناة ماذا
ستقول له بعد أن يعطيها القوقعة لتهمس لها بما تشاء..

فكرت في احتمال أن يتخابث عليها، ويلتمس أي حجة لكي
يصرف نظرها عنها، فقررت أن تستخدم مدخل الخرافة لكي تذكره بما
ينتظره من مشكلات إن هو حرمها التواصل مع ما وصفه بأنه يُماثلها
في جمال الصنعة..

أبدت خشيتها أن يسرقها الوقت، اقترحت عليه أن يكتفيا بهذا
القدر، وأن يستعداً للذهاب إلى المطعم لأنها تحسُّ بجوع شديد.. وافقها
وهو ينسحب ناحية الحمام..

سمعته يردد بين شفثيه لحناً موسيقياً حالماً..

اعتدلت في السرير، نظرت ناحية القوقعة التي كانت ملقاة على منضدة بجوار باب الحجرة.. قامت إليها وأخذتها.. لاحظت أن قلبها مسدود على غير العادة، مررت أصبعها المدربة حول حوافها، أحسّت بليونة المادة التي توحدت مع طبيعة القوقعة.. قربتها من أنفها، تشممت رائحة شمع.. أعادتها إلى مكانها..

خرجت من الحجرة وراحت تتمشى في المكان وهي تفكر..
توقّف صوت المياه..

خرج ديفيد من الحمام، دخلت هي مكانه..

سمعته والماء ينزل على جسمها يرحب بروزالين، ويقول لها: إنهما في طريقهما إلى المطعم.. بعد برهة أبدى أسفه لأنها لن تشاركهما العشاء..

رفع صوته وهو يبلغها اعتذار صاحبتة عن اللحاق بهما..

* * *

لم يرغب عن فطنة مادلين حالة الانتعاش التي بدا عليها ديفيد بعدما أرته من فنون العشق والهوى ما لم يتوقعه، الهوة واسعة بين قفزاته المتتالية في الطريق إلى شقته قبل نحو ساعة وبين كياسته المتأنقة وثبات خطواته وهما يتجهان إلى المطعم..

قررت أن تُعظّم من أحاسيس الافتخار التي تطل من بين عينيه..

تركته يختار لها مكونات العشاء وفق تفضيلاته..

استأذنته أن تلقي نظرة على القوقعة، أخرجها من جيبه قدّمها إليها.. قلبت القوقعة في يدها بلا اكتراث.. تأكد لديها أنها تحمل سِرًّا يجعله يثبت عينيه عليها كلما حركتها في أي اتجاه.. جربت أن تضعها بالقرب منه ثم تسحبها.. ثم تضعها ثم تلتقطها وهي تتابع مبتسمة رد فعله وهي تنظر في بؤبؤي عينيه..

توقف تنفسه أو كاد دون أن يجراً على تنبيهها إلى مُراعاة حالة قلبه الذي يكاد ينخلع، خاصة وهو يعرف الآن أكثر من أي وقت مضى – بعد حديث جوهان معه – أهمية الشريحة التي ترقدُ بداخل قوقعته الأثيرة..

سألته بدلالٍ: هل يسمح لها أن تودعها بعضًا من أسرارها؟.. وافق من فوره، لكي يستعيدها بين يديه مرة أخرى ..

عندما رآها تقربها من فمها ابتسم، استبشر خيرًا.. فهي لن تعترض على أن يقوم بدسها في جيبه بعد انتهاء عملية الهمس حتى يستدفي بها أودعته فيها من أسرار..

تعمدت أن تُطيلَ من همساتها للقوقعة وهي تنظر بعيدًا ناحية أمواج البحر، ثم وضعتها إلى جانبها ثم جذبتها سريعًا قبل أن تمتدَّ إليها يده..

قربتها مرة ثانية ناحية فمها كأنها تودعها بقايا كلمات لها أهميتها، ثم مدّت يدها بها إليه..

حرص على أن ينظر بعيدًا عنها وقام بوضع القوقعة في جيبه مباشرة، حتى لا تلاحظ تعبيرات وجهه التي انبسطت دليلاً على خلاصه من حالة القلق التي عايشها لحظات..

رفع ناظريه إليها..

سألها وهو يرسم ابتسامة فرحة على شفثيه، ماذا استودعتها من أسرارها؟..

سألته بخبث جليٍّ: هل سِرُّها هو الأول الذي تحضنه قوقعته في قلبها؟..

لم يكن يتوقع سؤالها!..

بادر بإحراجها، علَّه يجد مخرجًا للرد على استفسارها..

قال لها: إن صرَّحت له بماذا همست سيردُّ على سؤالها!..

تمنَّعت بعض الشيء، ثم قالت له: إنها تمنَّت أن يقضي معها بعض الأيام في استانبول..

أسعدته الإجابة..

لم يكن قد اختار إجابةً على سؤالها عندما نظرت في عينيه مستفهمة عن ردِّ لسؤالها..

قال دون تفكير: إنه أودعها أمنيةً غالية!..

هو يتهرب، عليها أن تحاصره..

رفعت حاجبيها وهي تسأل باصرار: ما هي؟..

حاول التملُّص من الإجابة المباشرة..

عاد للمراوغة وهو يفكر في الرد المناسب، سألها: هل ستصدق؟..

أومأت برأسها أنها ستفعل..

قال إنه تمنى بعد أن هاتفته وهي في الطريق من نابلي إلى سيراكوزاه
أن يجمع الحب بينهما..

كانت تعلم أنه لم يقل الحقيقة، لكن ملامح وجهها حملت تعابير
الامتنان..

أحاطت وجهه بكفيها وجذبه إليها وقبلته قبله تعمدت أن
تُكسبها قدرًا من الشهوانية يصعب عليه أن يفرق بين ما فيها من كذبٍ
وما فيها من حقيقة..

وجد نفسه يقول لها بشكلٍ تلقائي حمل الصدق كله: إنه يتمنى أن
تحقق لها القوقعة أمنيته كما حققت له أمنيته..

مدينة باريس..

كانت مادلين تطير بسيارتها فوق منطقة الجبل الأسود في طريقها إلى استانبول، تنفيذًا لتعليمات أندرو لها بعدما حكّت له عما وقع بينها وبين ديفيد..

بالأمس وافته بتقرير مفصل لما يجري بينها وبين ديفيد منذ تقابلا على الشاطئ، وحتى أوصلها قبل منتصف الليل بقليل إلى شقة صاحبه روزالين..

استمع إليها أندرو وهو يمعن النظر في صورة مكبرة للوقعة وهي بين أصابعها، توافقت آراؤها مع جانب من التحليل الذي توصّل إليه الخبراء..

في نهاية الحديث سألها عن رأيها الشخصي..

مالّت إلى القول: إن هذا الشيء يُمثّل لديفيد مسألة حياة أو موت؟..

لم يكن من طبيعة أندرو أن يهمل مثل هذا التأكيد خاصة وأنه
يَصْدُرُ عن كادرٍ أمنيٍّ كفِّ اقترَب من المشتبه به حسيًّا ومعنويًّا وفق
الخطَّة التي وُضِعَتْ له..

بالرغم من أنه صنَّفَ رأيها في خانة “المبالغ فيه بعض الشيء” فقد
أمرها ألا تستعجل العودة من استنابول إلى باريس وأن تضع نفسها في
خدمة مندوب الهيئة العليا للأمن بالمدينة حين الحاجة إليها ..

ناقش أندرو مع معاونيه ما جرى علي لسان عميلته، واتفقوا على
ضرورة الكشف عن كنه اعتزاز ديفيد بقوقعته في أسرع وقت وبأي
وسيلة!..

مطلوب التعامل بشكل مهني مع القوقعة..

من هنا جاء تنسيق أندرو مع زميله في استنابول أن تكون مادلين
هي نقطة الإغراء الطبيعية التي يُجر إليها ديفيد وهو مغمض العينين، إذا
ما توافر دليل إدانته، واضطر إلى تفسيره إلى هناك تحت غطاء مهمة
وهمية..

ديفيد لن يشك فيها بعد ما أبداه من هيام تجاهها وبعد ما جربه من
متعة في أحضانها، وهي بعد تجاربها الناجحة معه ستؤدي باقتدار الدور
المرسوم لها وفق توجيهات زملائه في استنابول كما سيحدد معهم
خطوطها العريضة..

طلب أندرو من معاونيه موافاته بأكبر عدد من الصور لقوقعة
ديفيد، وكلفهم في نفس الوقت بتحديد مصادر الحصول على نسخة
تماثلها طبق الأصل..

كلا التكليفين كان حاضراً بعد ثوانٍ على شاشات الكمبيوتر..
تتالت أمام ناظريه أكثر من عشر صور للقوقعة من زوايا مختلفة،
كان من بينها صور لقوقعة صاحبة ديفيد عندما نسيته يوماً في شقته..
وأخرى لروزالين نفسها وهي في طريق عودتها إلى سيراكوزاه عندما
توقفت في سوق المطار لشراء شبيهة بها وقدمتها له ليلة عودتها من
باريس بمناسبة عيد ميلاده..

وجهت الصورة الأخيرة الأنظار إلى إتمام عملية الشراء من نفس
المحل..

عاونت مجموعة صور أخرى أحد الفنانين على تحديد نوعية المادة
الشمعية التي عليهم أن يستخدموها لملء قلبها قبل دسّها على المشتبه
به..

كان لا بد من الاستحواذ على قوقعة ديفيد لحسم علاقته بها، هل
هي نوع من الهوس أم لا؟.. تمحورت خطة أندرو على استبدال القوقعة
الأصلية بالمزيفة، لحين الكشف عما بداخلها، ثم إعادة الحال إلى مكان
عليه..

قال لمعاونيه: إن درجة الاطمئنان لدى ديفيد عالية جداً طالما
القوقعة بين يديه أو في جيبه أو أمام عينيه، لذلك لا بد من الاستعداد
لتنفيذ المهمة في أقصر وقت ممكن..
في نفس الوقت حددوا مسار خطواتهم التالية في ضوء ما يستجدُّ
من حقائق..

بعد أن اتضحت أبعاد الصورة، كلف أندرو كبير معاونيه بالتنسيق
مع مكتب هيئة الأمن العليا في سيراكوزاه لتنفيذ ما اتفق عليه..

مدينة لاس فيجاس ..

عاد بلوتسكو وزوج ابنته بعد ثلاثة أيام إلى لاس فيجاس محمليين بطلبات سفر تقدم بها عدد من اليهود الرّاعبين في المشاركة في احتفالات أورشليم وبتوقعات موجهة إلى الحكومة العالمية تصر على أن يحصل المسافرون على حاجاتهم من الأطعمة والمشروبات وفق ما تميله عليهم الشريعة اليهودية ..

نقلتهما السيارة إلى دار الحاخامية، ومنها سارا جنباً إلى جنب ناحية الجب ..

افتتح أفي سيفر الاجتماع فور انضمامهما إلى العدد المحدود من المستشارين ..

لم يحتج البند الأول لكثير نقاش؛ لأنه كان ذا صلة بصياغة رسالة للحكومة العالمية، يصّر فيها المسافرون اليهود على ضرورة الحصول على وجبات الكوشر «الطعام الحلال» طوال رحلتهم من سان دياجو إلى

عكا مرورًا بمدينة سيراكوزاه التي سيقضون بها ليلة الجمعة وآخر يوم سبت قبل وصولهم إلى مدينة أورشليم من مصدر يهودي موثوق به.. وأنهم في حاجة إلى نفس الخدمة في طريق عودتهم من عكا إلى سان دياجو..

اقترح واحد من الحاضرين أن تضاف فقرة ضمن الرسالة تفيد بأن من حق الحاخام الأكبر وحده أن يحدد المصدر الشرعي لتلبية هذه الخدمة وفق المواصفات التي تحددها التوراة..

نَفَّحَ أفي ما كان يكتبه واحد من تلامذته.. وكَلَّفَهُ بأن يعرضه على الحاخام الأكبر، وبعد إجازته عليه أن يرسله فورًا إلى بكين..

فور انصراف التلميذ، قال أفي: إن وجود بلوتسكر وجوهان معهما اليوم باعتبارهما يمثلان مدينة دلاس عاصمة المال، يشير إلى توحد الشعب اليهودي خلف المطالبة بالعمل يدًا واحدة لبناء الهيكل الثالث باستغلال الزيارة الجماعية التي سيقومون بها لأورشليم في الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر القادم..

ظل الجمع صامتًا بُرْهةً..

سأل أحدهم: كيف سيحصلون على المتفجرات التي ستخلصهم أولاً من معابد المسيحيين والمسلمين لكي يمهّدوا الأرض لإقامة معبدهم؟..

شرح أفي أنه ليست هناك مشكلة في الحصول على متفجرات بغرض الهدم، الإشكالية المستعصية تتمثل في جلبها من مكنها

بصحراء نيفادا إلى لاس فيجاس، ثم في تسفيرها إلى ميناء عكا ومن هناك إلى أورشليم!..

أحسّ مساعد الحاخام الأكبر أنه استراح..

أخيرًا أزاح عن كاهله معضلة ظلت تؤرقه عدة أيام منذ كلفه يوثيل عاموس بهذه المهمة..

تذكّر الرجل أنه لم تكن لديه معضلة من أي نوع عندما ساوم لشراء كميات هائلة من المواد الناسفة، ولا كانت لديه مشكلة في إخفائها عندما أمر بتخزينها في وداي الموت لحين الحاجة إليها..

ترتّب على تفكك الولايات المتحدة الأمريكية، وتفسّخ روابطها بعد الثلث الأول من القرن الحادي والعشرين، أن تُهبت ثرواتها الفيدرالية كما حدث للاتحاد السوفييتي عندما انهار قبل ذلك بنحو ستين عامًا..

وضع كبار المسؤولين والخبراء الأمريكيين أيديهم على ما كانوا مؤتمنين عليه من ممتلكات فيدرالية، ثم باعوها بالتدريج لمن كان لديه المال في أي مكان من العالم..

اشترى البعض منهم أسرارًا عسكرية، وسارع آخرون بالاستحواذ على الخطط الأمنية، وتنافس كثيرون حول أجيال من المنتجات التقنية التي لم تكن قد طُرحت في الأسواق بعد!..

أمّا متوسطو الحال فسرّقوا معدات ري وأجهزة قياس تلوث وأبراج مراقبة ومصائد أسماك، وباعوا معظمها لدول أمريكا الجنوبية، أما المحاليل الكيميائية والمواد شديدة الانفجار فتسرب الجزء الأكبر منها إلى أيدي العصابات الدولية..

انتهز بعض المتاجرين في المسرقات حالة الاستقرار المالي والرواج الاستثماري التي أصبح المهاجرين من يهود إسرائيل ينعمون بها في لاس فيجاس، وعرضوا عليهم شراء العديد من المنهوبات..

بعد مُساوماتٍ وأخذ وردٍّ، تَحَيَّرَ المشترون - بتوصية من الحاخام الأكبر - أنواعاً محددة من المنتجات ودفعوا ثمنها نقداً..

كان على رأس هذه المنتجات كمية هائلة من المواد شديدة التفجير..

أدلى إيهودا بن مائير مهندس الحفريات الذي كان حاضراً الاجتماع بدلوه، وقال لهم: إن من بين ما تم شراؤه في ذاك الوقت أسطوانات رصاصية تحتوي على مواد مفجرة تتميز بأنها معمرة وغير قابلة للتحلل وأكيدة المفعول وفوق ذلك ليست في حاجة إلى مفجر خارجي أنها ذاتية الاشتعال بعد حوالي عشرين ثانية من اصطدامها بسطح صلب..

استهلكوا وقتاً طويلاً في مناقشة كيفية جلب الخبيثة من مكنها؟ وأين يتحفظون عليها في لاس فيجاس حتى يتم اختيار وسيلة نقلها إلى أورشليم؟..

اقترح عليهم جوهان توجيه سيارة نقل مجهزة بثلاجة إلى وادي الموت جنوب صحراء نيفادا لشراء كمية كافية من لحوم الخراف لتجهيزها كوجبات «حلال» للمسافرين، بينما مهمتها الأساسية هي جلب المتفجرات..

سألوا المهندس بن مائير: كم يلزمهم من نوعية المتفجرات التي أسهب في شرح مميزاتها في هدم المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وغيرها

من المباني التي تقف حجر عثرة في سبيل تشييد هيكلهم، أجاب بعد تفكير: «عشرة»..

ولما سأله أفي: هل هو على استعداد للسفر مع السيارة إلى وادي الموت لفرز أنواع المتفجرات وجلب الأسطوانات الرصاصية التي سيخبرها وتأمين وصولها إلى المعبد الكبير، لأنه لا يوجد من هو أكفأ منه للقيام بتلك المهمة..

أبدى الرجل قبوله بترحاب شديد..

توافقوا فيما بينهم على أن يتم التحفظ على الأسطوانات في الجب الذي يجتمعون فيه وأن تُنقل فيما بعد إلى مركز تجمع المسافرين..

أنهى بلوتسكر النقاش مقترحاً أن تُدسّ - الأسطوانات - في أمتعة العشرة الأكبر سناً من المسافرين، بقصد تحفيز مراقبي السفر في كلا الميناءين (سان دياجو وعكا) على تقديم العون والمساعدة الإنسانية لهم، وبذلك تسافر الأسطوانات العشر تحت أعين رجال الأمن وفي حراستهم على ظهر السفينة من ميناء السفر حتى ميناء الوصول، ثم إلى عمق مدينة أورشليم دون أن يكون هناك قدر كبير من الخوف أن يتم الكشف عنها..

تساند أفي على ذراع جوهان وهما يسيران في ممر الجب المتجه إلى المصعد.. وسأله عن أحوال صديقه ديفيد، فأكد له أنه على يقين أنه استوعب الرسالة التي أرسلها إليه وأنه سيحمل معه نسخة ملف الهيكل التي في حوزته وهو في طريقه إلى المدينة المقدسة..

وختم حديثه بطمأنته أنه سيركب السفينة معهم عند رسوها في مدينة سيراكوزاه..

مدينة الفاتيكان..

كانت الزعامة المسيحية في الفاتيكان أول من رتب أوراق ملف زيارة أتباعها إلى مدينة القدس.. لذلك كانت أول عاصمة دينية تتلقى تصديقات الحكومة العالمية..

لم يكتفِ مكتب الوزير الأول في بكن بإبلاغ قداسة البابا بالموافقة على تسفير سبعة آلاف زائر للمدينة، بل امتدح البرنامج الذي سيقدمه نخبة منهم حول ميلاد نبيهم تحت شعار السلام والمحبة ضمن الاحتفالات التي ستقام هناك، لأنه كان يتحدث عن كيف ينمو الوئام بين البشر في ظل السلام والمحبة..

وقبل أن يستفسر مكتب البابا عن الخطوة التالية..

طمأنتهم بكن أنها كلفت المراقبة العامة للنقل بمدينة نيويورك بالتنسيق معهم لتحديد توقيتات وسيلة الطيران التي ستقل المسافرين إلى أقرب مكان من عاصمة السلام..

حَمَلَ أَحَدُ الْمُخْتَصِينَ بِمَكْتَبِ الْبَابَا أَسْمَاءَ وَبَيَانَاتِ الْمَسَافِرِينَ عَلَى
بِرَامِجِ الْكُومْبِيُوتَرِ الْخَاصَّةِ بِالزِّيَارَةِ وَطَرَحَهُ فِي شَكْلِ مَوْجَةٍ مَعْلُومَاتِيَّةٍ
مَوْجِهَةً إِلَى نِيُيُورِكِ..

ظَهَرَ أَحَدُ مَسْئُولِي نِيُيُورِكِ عَلَى جَانِبِ مِنَ الشَّاشَةِ..

تَبَادَلَ الْمَوْقِعَانِ الْبَيَانَاتِ وَالْأَفْكَارِ وَاتَّفَقَا عَلَى أَنَّ تَكُونُ مَدِينَةُ
الْفَاتِيكَانِ مَرْكَزًا لِلتَّجْمُّعِ، وَعَلَى أَنَّ يَتِمَّ تَسْفِيرَ الْمَجْمُوعَةِ كُلِّهَا خِلَالَ نَهَارِ
يَوْمِ ٢٧ دَيْسَمْبَرٍ، فَالْمَسَافَةُ بَيْنَ رُومَا وَدَمَشَقٍ لَيْسَتْ بِالْبَعِيدَةِ.. كَمَا أَنَّ
تَوْفِيرَ الطَّائِرَاتِ حَمُولَةَ ٧٥٠ رَاكِبًا لَيْسَتْ بِالْأَمْرِ الصَّعْبِ..

اسْتَحْسَنَ مَكْتَبُ الْبَابَا الْفِكْرَةَ، لَمَّا ظَهَرَتْ عِلَامَاتُ التَّوَافُقِ عَلَى
شَاشَاتِ الْكُومْبِيُوتَرِ لَدَى الطَّرْفَيْنِ، انْضَمَّ إِلَيْهِمَا مَكْتَبُ كَبِيرِ الْوُزَرَاءِ فِي
بَكِينٍ وَأَصْدَرَ تَعْلِيمَاتِهِ لِمَدِينَةِ دُبَيٍّ بِتَوْفِيرِ الْمِيزَانِيَّةِ الْإِلَازِمَةِ لِتَنْفِيذِ مَا أُتَّفِقَ
عَلَيْهِ بَيْنَ كُلِّ مِنَ نِيُيُورِكِ وَالْفَاتِيكَانِ..

فِي نَهَايَةِ الْيَوْمِ حَصَلَتْ مَدِينَةُ الْفَاتِيكَانِ عَلَى تَحِيَّةٍ وَتَقْدِيرٍ إِضَافِيِّينَ،
لَأَنَّهَا كَانَتْ عَلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ التَّرْتِيبِ وَالشَّفَافِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّفَاهُومِ
مِمَّا جَعَلَهَا تَحْتَاظِرُ عَقِبَةَ التَّنْسِيقِ مَعَ الْأَطْرَافِ الْأُخْرَى فِي وَقْتٍ قِيَاسِيٍّ..

مدينة مكة عاصمة المسلمين ..

استعد الشيخ عبد الرحمن بن أبي السعود رئيس مجلس مدينة مكة هو وزملاؤه في الموعد الذي سبق وحددته لهم بكين لمناقشة فضائية مع مراقب التنسيق الرئيسي للحكومة العالمية حول المقترحات التي ضمنوها مشاركتهم في احتفالات عاصمة السلام ..

كانوا يتساءلون فيما بينهم عن سبب الاتصال وماذا ينوي المسئول أن يناقش معهم؟ ..

لقد بعثوا منذ فترة بالمقترحات التي انتهت إليها نقاشاتهم المتتالية، لذلك جلسوا في انتظار إبلاغهم بالترتيبات الأخيرة ..
فوجئ المجتمعون بتعليقات لم تكن في الحسبان ..

قال لهم رجل بكين: إن مكتب كبير الوزراء لاحظ قصوراً شديداً في مستوى مشاركة المسلمين لا يتفق مع مكانة هذا الدين الذي يحتل أنصاره المرتبة الثانية بين الديانات السماوية على مستوى العالم ..

قال رئيس مجلس الإدارة، هذا ما توصلنا إليه بعد مناقشات كثيرة..

ردُّ مراقِبُ التنسيق: إن الحكومة العالمية رتبت لفتح دائرة نقاش في غضون دقائق تضمُّ مجلس إدارة مكة مع مجالس إدارات ثلاثة مراكز إسلامية تمثل أوروبا وأمريكا وآسيا، بهدف إثراء النقاش وتوسيع دائرة الحوار لإتاحة الفرصة لضم عدة مئات من أبناء الجاليات المسلمة في هذه الأقاليم إلى المسافرين لعاصمة السلام..

لم يكن هذا ما توقعه رئيس مجلس مدينة مكة وزملاؤه، لذلك وجدوا أنفسهم مضطرين للمشاركة في حوار مع إخوان لهم دون أن يكونوا على وفاق معهم.. تمامًا كما وجدت حكومة بكين نفسها مدفوعة بحكم مسؤولياتها لعقد حوار لم تكن ترغب في الإصرار على إتمامه..

قررت الحكومة العالمية الأولى فور قيامها عام ٢٠٥٠ عدم التدخل في القضايا الدينية إلا إذا بانت في الأفق نذر تصادم بين أتباع ديانتين، أما ما يطرأ من مشكلات بين أتباع الديانة السماوية أو الأرضية الواحدة فتركته لزعاماتها المحلية..

وبعد أن دان لها العالم بالخضوع رفضت في أحوال كثيرة دسَّ أنفها في أي من القضايا التي تقع ضمن مسؤوليات المراقبات العليا التي أسندت إليها تصريف الشئون العالمية..

لكنها تفاضت عن كل ذلك وقررت لأول مرة منذ سنوات عديدة التدخل لإصلاح ذات البين على مستوى أتباع الدين الإسلامي في مكة والمدينة من ناحية ومجموعات المسلمين الذين يعيشون في خارجيهما من ناحية أخرى..

لاحظت بكين في رد مجلس إدارة مدينة مكة على اقتراح مشاركة أتباع الدين الإسلامي في احتفالات عاصمة السلام عدم توافر التوازن المنطقي الذي كانت تتوقعه..

جاء في الرسالة التي في ضوئها جرى الاتصال بالشيخ أبي السعود وزملائه، أنه لا توجد ضرورة شرعية لمشاركة جماعية من أتباع الدين الإسلامي في مثل هذه الاحتفالات خاصة في وجود زوار مسيحيين ويهود لنفس الأمكنة.. ومن ثم قررت أن تترك للراغبين في زيارة المسجد الأقصى مسئولية تلبية الدعوة! وعددهم لا يتعدى بضع عشرات يمكن أن يتم تسفيرهم عن طريق البر الذي يصل بين مكة والقدس..

أدرك مستشارو الوزير الأول أن الزعامة الدينية الإسلامية بمكة لم تتحاور في هذا الخصوص مع القيادات التي تمثل الجاليات الإسلامية في آسيا وأوروبا وأمريكا، وأوصوا بأن يتولَّى مراقب الاتصال الرئيسي إدارة حوار مع عاصمة المسلمين من ناحية وممثلي الجاليات الإسلامية في الأقاليم الأخرى من ناحية ثانية لإقناعهم بأهمية مشاركتهم في الحدث..

لذلك تم الاتصال بهم وبالزعامات الأخرى، لبدء الحوار..

لم يجد رئيس مجلس إدارة مدينة مكة ما يرد به فوراً.. ولكنه رحَّب باسمه وباسم من معه بالمشاركة في اللقاء الفضائي الموسع مع زعامات المراكز الإسلامية في الأقاليم الأخرى، مؤكداً استعدادهم للعمل معاً لتحقيق ما فيه مصلحة المسلمين جميعاً..

فتحت قنوات التواصل السمعية والبصرية المترجمة بين خمس جهات بكين ومكة، سيراييفو / أوربا، فيلادلفيا / أمريكا، ماليزيا / آسيا للتعاون حول كيفية التنسيق لمشاركة عدد من مسلمي الأقاليم الثلاثة في الاحتفالات..

أُسْقِطَ في يد رئيس مجلس الإدارة ورفاقه عندما أعلن المحاورون من المدن الثلاث تباعاً، أن أحداً لم يطلعهم أو يناقش معهم أي مسألة ذات صلة بالترتيبات التي أقرتها الحكومة العالمية بخصوص احتفالات آخر شهر ديسمبر القادم..

ولمَّا عَرَضَ عليهم رجل بكين فحوى الرسالة التي جاء فيها أن مجلس إدارة مكة اتخذ قراراً بعدم المشاركة، لعدم توافر الاشتراطات الشرعية الواجبة في مثل الحالات..

لم يقتنع ممثلو الأقاليم بالحجج التي سيقَّت في هذا الشأن.. ورفضوا جيمعاً أن يكون لهذه المشاركات صلة بالمسائل الفقهية أو الشرعية العويصة..

الأمر، من وجهة نظرهم لا يخرج عن رأي في مسألة عصرية تقوم على مبدأ المشاركة من عدمه، وهل في الإمكان تقديم عروض فنية بهذه المناسبة أم لا؟..

أصر مجلس إدارة عاصمة المسلمين على رأيه، وتمسكت زعامات سيراييفو وفيلادلفيا وماليزيا بحقها في السفر والمشاركة بالشكل الذي يناسب القرارات التي اتخذتها الحكومة العالمية في هذا الشأن..

حسم رجل بكين القضية الحوارية بالإعلان أنه سيسمح للراغبين من مسلمي أوروبا وأمريكا وآسيا بالسفر في حدود ثلاثة آلاف شخص، إضافة إلى العشرات أو المئات القادمين من إقليم الشرق الأوسط..

واشترط عليهم إن هم كانوا راغبين في تقديم عروض فنية تعكس ثقافتهم ومعتقداتهم أن يوافقوا مكتب الوزير الأول ببرنامجهم الجماعي خلال مدة أفصاها ثلاثة أيام بشرط الالتزام بالقواعد التي سبق وأقرتها حكومته..

ولما طلبوا موافاتهم بنسخة من تلك القواعد، وعدهم بإرسالها إلى كُلٍّ منهم فوراً..

أغلقت دوائر الاتصال السمعية والبصرية بين الأطراف الخمسة.. في مكة لم يجد أحد من الحاضرين في مقر مجلس إدارة مدينة مكة ما يقوله..

ولمَّا بدؤوا في الانصراف.. تذكَّر بعضهم أن أكثر من عضو طالِبَ وألحَّ في ضرورة مشاركة مسلمي الأقاليم، لكن الأكثرية تشدَّدت في رَفْضِها ولوت عُتق التفسيرات الشرعية لصالح وجهة نظرها..
تحقق للحكومة العالمية في بكين ما أرادته..

في مقابل استسلامها لرفض المشاركة لأسباب شرعية الذي تحصنت وراءه عاصمة المسلمين، شجعت مسلمي الأقاليم على المشاركة العددية والتعبيرية..

مدينة نيودلهي عاصمة الديانات الأرضية..

اجتمع الزعيم الديني سابل باتيل فور تلقيه رسالة الحكومة العالمية بكبار معاونة، وبعد مناقشات متسفيضة قرروا توسيع دائرة النقاش لتشمل كل الأقاليم التي يدين سكانها بديانات أرضية لكي يساهموا في تحديد الإطار المناسب للمشاركة في احتفالات عاصمة السلام..

توالت الردود بشكل موسع حتى إن مكتب الزعيم الروحي في نيودلهي اضطر إلى الاستعانة بعدد أكبر من المتخصصين لتصنيف ما يتلقونه عبر المدارات الفضائية ليل نهار.. أخضع الخبراء جميع الاقتراحات والتعليقات للبرنامج القياسي الذي أعدوه لمثل هذه المشاركات الجماهيرية..

كما كان متوقعًا، رحبت جميع المساهمين بالمشاركة الجماعية في الاحتفالية، وتقدموا بعدد من الأفكار الاحتفالية التي دارت كلها في إطار الفعالية والإيجابية..

كان أكثر ما حرص ساباتل باتيل على إيضاحه ضرورة الالتزام بأعداد الزائرين التي حددتها الحكومة العالمية لكل جماعة تؤمن بدين واحد، مخافة أن يسعى بعضهم إلى تحقيق مزايا لأنصاره على حساب الآخرين..

لجأ الرجل إلى هذا النهج المتشدد حتى يقطع على الغالبية من أتباعه طريق مطالبته بالضغوط على الحكومة العالمية لزيادة الأعداد التي تقرر لهم بما يتناسب وتعدادهم خاصة وأنها الزيارة الأولى لهم إلى عاصمة السلام..

أكدت المداخلات التي تقدّم بها زعماء الديانات الأرضية ثقة كبيرهم بهم.. وأن من سيشركون في هذا الحدث سيمثلون المجموع الأكبر لبقية أبناء الطائفة، ومن هنا توافقت آراؤهم على أن تعكس الفقرات الفنية التي سيساهمون بها وحدة البشرية وضرورة تكاتفها من أجل تعمير الكون..

تمسك الزعيم ساباتل عندما عرض عليه مستشاروه بمجمل الآراء بأن تؤخذ جميع الأفكار الإبداعية التي أبانت عنها التصنيفات في الحسبان، وشدد على ضرورة أن يلتزم مصممو العروض الفنية بالأفكار والآراء التي لخصها موقف الغالبية..

أبلغ مكتب ساباتل في نيودلهي الحكومة العالمية في بكين أن عدد معتنقي الديانات الأرضية لن يزيد عن العشرة آلاف بما في ذلك الرهبان والنخب، وأكد أن العروض التي ستقدمها الفرق الفنية تتواءم مع قراراتها في هذا الخصوص..

في اليوم التالي قامت مراقبة النقل بمدينة نيويورك بالتنسيق مع نيودلهي على أن يكون يوم ٢٠ ديسمبر هو آخر موعد لتجمّع المسافرين من شمال اليابان إلى غربي الهند في مراكز تسفيرهم المحلية التي ستقلهم إلى ميناء بومباي غربي شبه الجزيرة الهندية.. أما رحلتهم البحرية إلى عكا فستبدأ بعد ذلك بثلاثة أيام..

مدينة سيراكوزاه..

حصل مساعد أندرو على نسخةٍ مُطابقةٍ لقوقعة ديفيد من مطار باريس..

قام فريق العمل في نفس اليوم بحشو قلبها بمادة شمعية مقاربة لنفس اللون الذي بان لهم على شاشات أجهزةهم التقنية..

لمزيد من الدقة التُقطت للقوقعة التي سميت مؤقتًا بالاسم الكودي "Davquzi 3 a" عدة صور من زوايا مختلفة، ثم خضعت صور القوقعتين الأصلية والمقلدة لمحاولات التمييز بينهما على يد متخصصين..

ثبت صعوبة التفرقة بين الاثنتين لمن هو غير مطلع على الحقيقة..

أطمأن أندرو إلى نجاح خطوته الأولى، أمر بشحن قوقعة الـ 3a فورًا إلى سيراكوزاه..

عندما فتح مراقب الهيئة العليا للأمن بالمدينة الطرد الشخصي الذي وصله مع مخصص.. وجد به ميدالية على هيئة قوقعة مُرفَقًا بها مجموعة من كروت تشغيل السيارات وفتح الأبواب، قام من فوره بتلقين الكمبيوتر الرقم الكودي المكتوب بداخل العلبة، ظهرت له مجموعة من التعليقات على الشاشة..

مطلوب منه أن يعمل الليلة جهده لكي يضع يده على ميدالية ديفيد أوزويلد المشابهة لتلك التي أرسلت اليه، وأن يقوم بفحصها بكل دقة.. وإذا عثر على أي شيء بداخلها عليه أن يصوره ويرسله في نفس التوقيت إلى باريس، ثم يعيد القوقعة الأصلية إلى مكانها..

وعليه أن يبقى مستعدًا لتلقي تعليقات أخرى في هذا الخصوص.. قام الرجل فورًا بضرب حصار حول ديفيد، وأخضع تليفونه وكمبيوتره الشخصي للتنصت والنسخ المتوازي.. قرر متابعتها كطلّ، وخطط لأن يقتحم عليه سهرته ويقوده من خلالها إلى حيث يريد أن يكون..

بعدها سيكون من اليسير التسلل إلى داخل شقته..

حرص ديفيد وهو يستعد للانصراف من مكتبه على الاتصال بروزالين لتقديم الاعتذار لها للمرة الثانية بسبب تأخره عليها لأسباب خارجة عن إرادته، أحسَّ بجفاء في ردوها حتى أنها اعتذرت عن تلبية دعوته لقضاء السهرة بالخارج..

زاد من حنقه عليها أنها لم تُرحِّب كما عودته أن يلحق بها في شقتها بعد الانتهاء من وجبة العشاء، وادعت أنها مُتوَعِّكة، وترغب في تضيئة الليل بمفردها..

هذا هو الاعتذار الثاني منذ رحلت مادلين إلى استانبول، هل
قررت هجره بعد أن أمضى ليلة بكاملها مع صديقتة وهي وحيدة في
شقتها؟..

قرر أن يتوقف عن التفكير في حبة القلب، خاصة وأنه مُتْعَبٌ بعد
يوم عمل شاقٍّ..

قادته قدماء ناحية الشاطئ..

تناول عشاء المعتاد، ثم انضمَّ إلى بعض الأصدقاء لتمضية الوقت
قبل أن يذهب للنوم..

في البار المطل على مياه الخليج شَجَّعَهُ أحدهم على المشاركة في
مسابقة احتساء كؤوس الجين كنوع من التسلية والتغيير..

رفض في بدء الأمر، ثم وافق بعدما همست إحداهن في أذنه أن
جائزة الفائز ستكون نُزْهةً مجانيةً له ولصديقتة في عرض البحر من
منتصف نهار يوم السبت إلى مساء الأحد على أكبر يacht بالجزيرة..

تردَّد بعض الشيء..

ثم قرَّر خوض التجربة لما وَجَدَ التشجيع من جار له يسكن معه في
نفس البناية..

مع تلاحق الكؤوس وتاليها انسحب بعض المتسابقين، وصَمَدَ
البعض الآخر، وسرعان ما سلم آخر اثنين من المتبارين مع ديفيد.. أنهما
لا يستطيعان مجاراته..

وسط تصفيق السكارى وتهليلاتهم المترنحة، سجل مدير البار فوز
ديفيد أوزويلد..

جلس ديفيد مُترنِّحًا يردُّ تهاني الأصدقاء..

لما عاد الهدوء للمكان، استحضر في خاطره همسة الرحلة البحرية
وعاش أجواءها..

فرضت صورة روزالين نفسها عنوة على مخيلته..

بدأ يفكر في كيفية استغلال النزهة التي جاءته بلا ترتيب، في إعادة
المياه بينه وبينها إلى مجاريها..

ولما بدت له صورتها في ملامح مقطبة عمَدَ إلى إزاحتها جانبًا حتى
لا تفسد عليه تكشيرتها الغاضبة سعادة الفوز..

ربما عندما يحكي لها في الصباح ما فاتها من أحداث ويطلب منها
الاستعداد لتمضية رحلة بحرية في صحبته لمدة يومين، تضطرها المفاجأة
وعشقها للبحر إلى التغاضي عما يكون قد سببه لها من منغصات دون أن
يقصد..

إلى الغد إذن..

لم يميز ديفيد بدقة وهو يترك سيارته في جراج البناية، ما إذا كان
الذي ينزل من سيارته بالقرب من منه هو جاره أم واحد من رفاق حفلة
احتساء الجين..

وجهه ليس غريبًا لكنه غير قادر على التعرف إليه ومع ذلك رد
تحيته..

دخل الرجلان إلى المصعد معاً..

تعرف المصعد إلى ديفيد وأذاع له ألحانه الموسيقية المميزة..

خرجا معاً في نفس الدور، اتجه ديفيد إلى شقته، ولم يهتم حتى بالنظر إلى رفيقه الذي صاحبه في رحلة الصعود إلى أعلى..

كاد يتعثر لولا أنه استند على الحائط القريب من الباب الذي يقصده..

لو كان هناك ثالث في نفس المكان، لرأى كيف كان الآخر يتابع ديفيد بحذر بينما أشعة الباب الخفية تتعرف عليه..

في جزء من الثانية تمكّن هذا الآخر من وقف مفعول الأشعة بجهاز كان يحملها في يده بعد أن فتحت الباب لصاحب الشقة..

لم يدرك ديفيد بسبب الاعتياد وثقل رأسه أنه ترك باب شقته وراءه غير مؤمن، كل ما كان يصبو إليه في لحظة تلك أن يصل سالماً إلى حيث يجد أربعة حوائط..

فور ولوجه من الباب أضيئت بعض الأنوار..

استراح وهدأت خوافه لما تيقن أنه أصبح في الداخل.. ألقى ما في يده على الطاولة في حجرة الاستقبال، تخلص مما عليه من ملابس كما اتفق..

اتجه إلى حجرة النوم، وألقى بنفسه على السرير، وسرعان ما راح في نوم عميق..

راقبه الآخر من ضلفة باب الشقة المواربة وهو ينظر في ساعة يديه..

تركه دقيقتين كاملتين، ثم دخل خلفه بهدوء..

قام فوراً بتصوير مدخل الشقة.. وصوّر القوقعة وهي ملقاة على الطاولة، ثم صوّرها بعد أن قام باستبدالها بالقوقعة المزيفة..

اختفى من المكان بسرعة لينجز الجزء الأهم من مهمته..

أغلق باب الشقة مؤقتاً بالجهاز الذي معه.. استدعى المصعد، هبط إلى الجراج..

أحكم إغلاق أبواب سيارته.. أضفى أشعة سوداء على زجاجها من الداخل حتى لا يراه قادم جديد، أخرج مجموعة من الأجهزة الدقيقة قام بفحص القوقعة بدقة وبحرفية..

عرض غنيمته للتصوير.. قام بالكشف عليه بدقة، نزع المادة الشمعية بمهارة وجد داخلها شريحة كومبيوتر..

فتح قناة التواصل مع أندرو، نقل له بالصورة ما عثر عليه.. كلفه رئيسه بنقل محتويات الشريحة على جهاز الـ PDF الذي يقوم في نفس الوقت بنسخها إلى باريس..

أنهى الرجل عملياته في نحو دقيقة ٤٠ ثانية.. لم ينتظر طويلاً، شكره أندرو بينما كان صاحبنا يقوم بإعادة الشريحة وطيّات الشمع إلى مكانها.. لم يشأ أندرو أن يتسرع في البحث وراء أسباب إخفاء ديفيد لشريحة

ما في داخل قوقعة، عليه أن ينتظر إلى الصباح ليتحقق مع فريق العمل
من محتوى الملف أولاً، وما إذا كان في الأمر ما يستوجب المحاسبة..
لقد تحقق هدفه كاملاً..

في ضوء هذا التحديد سيضع يده على التكييف القانوني للفعل،
ومن ثم العقوبة إذا ما ثبت أن هناك جريمة، لأن دليل توافر أركانها
متوافر ومسجل بعيداً عن وسائل المتابعة والتقصي التقليدية التي تُحصى
على البشر أنفاسهم..

أُعيدت القوقعة الأصلية إلى مكانها مع متعلقات ديفيد الأخرى،
واستردَّ الرجل النسخة a3 التي استخدمها للتمويه المؤقت..

ثم أعاد تنشيط دائرة الأشعة الخفية حول باب شقة ديفيد وأغلقه..
في الجراج أدار الرجل محرك سيارته، وبينما هو يقودها خارج البناية
قام بإرسال نصّ صوتي إلى باريس يفيد بإتمام المهمة..

مدينة باريس..

صباح اليوم التالي تتابع وصول الفريق المكلف بمتابعة ملف ديفيد..

كلفهم أندرو بمهمة أولية محددة، عليهم أن يسيطروا اللثام عن طبيعة الرسالة التي جاءت بعد منتصف الليل على جهاز الـ PDF..
أبان جهاز التحليل GHOST على الفور أن الشريحة منقولة / مستنسخة من ملف متخصص في أحوال شرق البحر المتوسط..
طرح هذا الكشف سؤالين محددتين..

كيف ومتى حصل على هذه الشريحة؟ ولماذا نسخها لنفسه ضارباً عرض الحائط باللوائح والنظم التي تحرم ذلك وتُجرّمه؟.. ما دواعي تحبّثها بتلك الكيفية؟..

بداية البحث تطلبت مراجعة تنازلية لتعاملات ديفيد مع الملفات الفضائية بحكم مسؤولياته الوظيفية حتى يضع الفريق يده على توقيت

استعانت به هذا الملف، ومن ثمَّ يتعرفوا طبيعة التكاليف المؤسّساتي الذي
سمح له بالاطلاع على محتوياته..

توزعت المهام على أكبر عدد من الخبراء لكي تُنجزَ في أسرع
وقت..

بعد نحو ساعتين قدموا لأندرو الردود القاطعة..

رئاسة ديفيد العليا كلفته في شهر فبراير الماضي بفحص مجموعة من
الملفات لكتابة تقرير مفصل للظروف المناخية حول مدينة القدس
عاصمة السلام والإقليم المحيط بها بدءًا من النصف الثاني من ديسمبر
٢٠٩٩ وحتى صبيحة الأول من يناير ٢٠١٠..

لهذا السبب مُنِحَ رقمًا كوديًا أتاح له الفرصة لتفحص عدد كبير من
الملفات ذات العلاقة بإعداد التقرير لمدة زمنية محددة.. كان ملف بناء
الهيكل اليهودي الذي قام بنسخه، واحدًا من تلك الملفات التي استعان
بها لكي يعد المطلوب منه..

تفيد المتابعات المدققة أنه قام فور إجازة رئاسته لتقريره، بإلغاء ما
كان في حوزته من بيانات ومُسوّدات تحت سمع الأجهزة المختصة
وبصرها!..

كل هذا صحيح.. لكن وجود الملف في حوزته بالكيفية التي عثر
عليها، يشير إلى أنه تعمّد عن قصدٍ مخالفة التعليمات المشددة التي ينص
عليها عقد شغله لوظيفته..

هذا التعمد قاده إلى ارتكاب جنايتين في وقت واحد.. القيام بنسخ
الملف والتدليس على رئاسته أنه تخلّص من كل ما يمتُّ للتكليف
الصادر إليه بصلة..

السؤال اللغز.. لماذا استنسخ ملف بناء الهيكل اليهودي من بين الأعداد الأخرى الكثيرة من الملفات التي استعان بها في كتابة تقريره؟.. تجاذبت أندرو فكرتان في وقت واحد..

أن يكون ديفيد قد وجد نفسه أسير نوازع دينية صورت له أن امتلاكه لنسخة من هذه وثيقة ستقوي صلته بالإله الذي يعبد، ولهذا قام بإخفائها بتلك الكيفية حتى تظل قريبة منه طوال الوقت.. أو أنه كان يتحين فرصة وقوع مثل هذا الملف بين يديه ليحقق من وراء استنساخه هدفاً ما لم يكن وقت تنفيذه بعد، ولهذا يبقيه نُصَبَ عينيه حتى يكون جاهزاً للاستفادة من المعلومات التي به في التو واللحظة..

إذا كان الاحتمال الثاني هو الأقرب إلى الحقيقة، ما هو كنه هذا الهدف على وجه التحديد؟..

قلْب أندرو الأمر في رأسه عدة مرات، ووجد أن توسيع دائرة تبادل الرأي حول هذه القضية يحتاج منه أن يقدم ملخصاً بما تحت يده من حقائق واستنتاجات لمراقبة الأمن..

راجع كبير المراقبين الأمنيين في موسكو بدقة الخطوط العريضة التي وصلته من باريس، ووافق مرؤسه على رجاحة الفكرتين اللتين توصل لهما..

وقال لأندرو في اتصال مباشر بينهما: إن ديفيد مُدان بالدرجة الأولى بسبب قيامه بنسخ الملف، هذه تهمة لا خلاف عليها.. لكن الخشية تتمثل في أن يكون الهدف تخريبياً يخطط له ديفيد بمفرده أو مع آخرين!..

كانت خشية رجل موسكو تتمحور حول محاولة تخريبية تسعى
لإتلاف متعمد للملفات تحمل في طياتها تراث الإنسانية الذي لا
يُعوّض..

قال لأندرو: إن مخاوفه تأخذه ناحية الملفات التراثية التي تحمل
نفس مواصفات ملف بناء الهيكل اليهودي في عاصمة السلام وأهميته..
فلو أن ديفيد يخطط لتدمير جزء منها فسيكون من السهل عليه أن يقوم
بحقن النسخة التي في حوزته بفيروس قاتل من عينة Xanado 4000
ثم يخطط في الخفاء لإعادة تحميلها إلى الأرشيف الفضائي، وبذلك
يتمكن بمفرده أو بمساعدة آخرين من تدمير بعض أو جميع الملفات
الخاصة بالتراث الديني العالمي بضربة واحدة!..

أكّد أندرو لرئيسه الأعلى أنه سيعمل فوراً على منع مثل هذا
التهديد لكافة السبل..

مدينة موسكو..

أثناء المناقشة التي كانت دائرة بين موسكو وباريس، طلب مراقب
الهيئة العليا للأمن موافاته بملف المواطن العالمي ديفيد أوزويلد منذ
سنوات عمره المبكرة..

بعد قليل تتابع وصول أوراق الملف على شاشة كومبيوتر الأمن
الداخلي..

ولمَّا تصفَّحها مساعده الأول، لم يجد فيها ما يلوث تاريخ المشتبه بهم
الوظيفي ..

وكان ذلك أدعى - من وجهة نظره - لأن تفتح دائرة الحوار
الفضائية بين مراقب الهيئة العليا وبين عدد أكبر من معاونيه..

تخير مساعده الأول مجموعة منتقاة من الخبراء المشهود لهم بالكفاءة
وسرعة البت، أمْدَّوه بأهم المحطات في حياة المشتبه بهم واتفق معهم
على البدء في تبادل الرأي مع مراقب عام الهيئة بعد نصف ساعة..

فور اكتمال عددهم بدأت الجلسة التشاورية حول إطار الاشتباه
المبدئي حيال ديفيد أوزويلد..

طلب إليهم الرجل الكبير أن يتركوا جانباً المخالفة الوظيفة التي
من المؤكد أن المدان بها سيعاقب عليها، وأن يمعنوا النظر فيما وراء
ذلك..

ماذا يعني استنساخ الملف عند ديفيد؟..

وما هي فرص استخدامه؟..

وما هي احتمالات أن يكون له شركاء؟..

لم تستبعد النقاشات ترجيح كفة وجود نية فردية أو جماعية لتدمير
ملفات التراث الديني للبشرية، كما توصلت إلى إمكانية أن يكون هناك
ترتيب للقيام بعمل تخريبي ذي صلة بمحتويات الملف أو لإفساد
احتفالات ليلة ٣١ ديسمبر..

هذه الاحتمالات الثلاثة متساوية في إمكانية وقوعها، لا بد في هذه
الحالة من البحث عن سبيل عملي وفوري لفض ما بينها من اشتباك
لاستبيان الاحتمال الأقرب إلى الحقيقة..

الأثنى هي السبيل الأسرع والأفضل للاقتراب من حقيقة ما
يضمّره المشتبه به..

سوابق تعامل ديفيد مع صديقه روزالين لم تفض إلى معرفة ما
يضمّره في نفسه..

لكن لما وضعت العميلة مادلين في طريقه، تمكنت من فك عقدة لسانه وعرف سر القوقعة.. لا بد إذن من الترتيب للقاء ساخن بينهما يتيح للمختصين بضربة واحدة وضع يدهم على دوافعه التي زينت له استنساخ هذا الملف..

اتفق على استدراج ديفيد إلى استانبول، التي احتجزت فيها مادلين، بحجة المشاركة في وضع بعض البرامج الخاصة بتوقعات التغيرات المناخية شرقي البحر المتوسط..

بالتنسيق مع باريس، اتخذ أندرو قراراً فورياً بتوسيع قدرات غرفة مراقبة الطقس بمدينة استانبول لكي تساهم في متابعة الأحوال المناخية فوق إقليم الشام تحسباً للتغيرات التي قد تطرأ فوق مدينة القدس عاصمة السلام أو بالقرب منها حتى تنتهي الاحتفالات..

كانت كل من موسكو وباريس على ثقة أن إبلاغ ديفيد خلال ٢٤ ساعة باختياره للقيام بمهمة عاجلة في مكتب استانبول، سيعميه عن الكمين الذي يُنصب له لأنه سينظر للمسألة أولاً وأخيراً من زاوية الوقت الممتع الذي سيقضه بجوار مادلين، خاصة وأن لقاءه بها سيجيء بسرعة وبلا تخطيط منه..

اتفق مراقب الهيئة العليا للأمن في موسكو مع كبار معاونيه على مواصلة التشاور لحين الانتهاء من تحليل تقارير متابعة ديفيد مركزياً على أكثر من مستوى، وبعد تعرّف نتائج تعرضه لاختبارات الثقة بالنفس في استانبول..

اتصلت باريس بمادلين وطلب إليها أن تستعد لمُلاقة ديفيد الذي سيحضر لاستانبول خلال بضعة أيام، وأن تجهز له من الآن برنامج مسائي للترفيه عنه لليلة أو ليلتين..

نبّه عليها أندرو أن مهمتها محصورة - إن استطاعت - في كشف الأسباب التي دفعته لاستنساخ ملف له علاقة بالتراث الإنساني العالمي بأبسط الوسائل وأسهلها، دون أن تسمي الملف أو تأتي على ذكره.. وحذرها من اللجوء للضغط أو المحاصرة أو الإلحاح، وشدد عليها أن عدم التوفيق سيعدُّ مكسبًا بشكل أو بآخر..

كان أندرو يتوقع من ديفيد ألا يستجيب لمحاولة مادلين الناعمة بسبب حرصه الشديد، وبنى تحذيره لها من عدم الضغط حتى لا يستشعر الخطر فيلجأ إلى التخلص من الشريحة.. وبذلك يضيع عليهم معرفة حقيقة دوافعه..

كان الحل البديل الذي رتب له في حينه أن يدفعه للاعتراف بملكيته للشريحة، ثم استنطاقه لمعرفة أسباب مخالفته للوائح تعاقده الوظيفي بعد ذلك..

مدينة لاس فيجاس..

بعد الانتهاء من تراتيل صلاة حلول الظلام، تَحَيَّرَ مساعد الخاخام الأكبر مجموعة من طلاب العلم للمساعدة في عملٍ تطوعي..

ولمَّا عادت سيارة نقل اللحوم من رحلتها إلى وادي الموت بعد حلول الظلام بنحو ساعة وكان المهندس يهودا بن مائير على متنها.. قَسَمَ أفي متطوعيه إلى مجموعتين تحت إشراف أكبرهم سِنًا وأقدمهم انخراطًا في سُلَّم التَّرقِي للتخصُّص في الشريعة اليهودية.. مجموعة قامت تحت إشراف وتوجيهات المهندس بن مائير بنقل القطع المتميزة من لحم الخراف وأمعائها إلى الثلاجة الكبيرة في سرداب المعبد، لأنها ستُحمل كوجبات جاهزة مع المسافرين إلى مدينة أورشليم..

أما المجموعة الثانية التي تميزت بالقوة البدنية فكلفت بنقل كتل اللحم الأخرى إلى الناحية الشرقية من المبنى المطلة على الجزء الخلفي من الغابة حيث ثلاجات المطبخ بالغلة الكبير لكي يبدأ الطهارة في إعدادها

بعد تلاوة الصلوات الواجبة عليها لإعداد مأكولات عيد الأسابيع (شفوعوت) وعيد المظلة (سوكوت) على مستوى لاس فيجاس..

في السرداب شرح بن مائير لزارا وجوهان كيف يقومان برصّ قطع اللحم ولفائف الأمعاء بعناية بجوار بعضها البعض..

تابع ثلاثتهم من مكانهم في وسط القاعة قيام المتطوعين بعملهم، ولما اطمأنوا إلى خلو المكان إلا منهم بعد صعود آخر طلاب العلم إلى الدور الأرضي.. أغلق جوهان الباب عليهم وشرع هو وزوجته تحت إشراف بن مائير في استخراج أسطوانات المواد شديدة الانفجار، ثم بحذر شديد نزع ورق القصدير المُقَوَّى الذي كان يفصل بين كل منها وبين غشاء أمعاء الخراف الداخلي الذي كانت مُحَبَّاة داخله..

تعاون ثلاثتهم في إعادة تغليف العبوات العشر بأغلفة بلاستيكية ممتلئة بغاز من خواصّه أنه قابلٌ للتحوّل إلى مادة صلبة عازلة بمجرد تعرضها لمستوى حراري أقل من خمسين درجة تحت الصفر..

كلما انتهوا من واحدة وضعوها داخل ثلاجة صغيرة الحجم مصنوعة من مادتي القصدير والنحاس مخصصة لحفظ الأطعمة والمشروبات..

وفي النهاية رصوا الثلاجات العشر الصغيرة بعناية بالغة داخل ثلاجة كبيرة..

بعد الاطمئنان على كل صغيرة وكبيرة داخل صالة السرداب، أغلق جوهان باب الثلاجة الضخم الذي يحمل شارة مولد كهرباء ذي

ضغط عالٍ.. وأعاد تفعيل طاقة الأشعة التي تمنع الاقتراب منه إلا وفق شفرة محددة، وتهيؤوا جميعاً لمغادرة المكان..

غادر يهودا بن مائير وزارا القاعة أولاً، أغلق جوهان بإحكام الباب خلفه وهو يهيم باللحاق بهما..
ارتقوا جميعاً درجات السلم..

وعندما أطلوا على الطابق الأرضي من صرح المعبد الكبير سمعوا
أفي يُوزَّعُ مسؤوليات الأيام الباقية على موعد تحرك السفينة بين
مساعديه.. متابعة وصول القادمين من بقية أقاليم الولايات المتحدة
ومن أقاليم الجنوب اللاتيني.. إمدادات التموين طوال أيام الرحلة..
التراتيل الجماعية حتى موعد الوصول إلى ميناء عكا.. الفقرات الفنية
التي ستقدَّم طوال يوم ٣١ ديسمبر وحتى منتصف الليل، ولما سأله
أحدُهم عن برنامج السفينة عندما ترسو في ميناء سيراكوزاه، أبلغهم أنه
سيجري التنسيق بشأنه قبل الوصول إليها بيوم ونصف..

في اجتماع خاص جداً صباح اليوم التالي بعد صلاة النور، بارك
الحاخام الأكبر مجهودات مساعده الأول وطلاب العلم وكل الذين
شاركوا بجهد في تفريغ سيارة شحن اللحوم من حمولتها الثقيلة، وأمر
ببدء التلاوات الخاصة بإعداد الأطعمة التي ستقدَّم للمتدربين على مقر
الحاخامية للمشاركة في عيدي الأسابيع والمظلة..

أثنى الرجل بوجه خاص على المجهودات التي قادها المهندس
مائير..

وفي النهاية نصحبهم جميعاً بالهدوء والحرص على تجنب التوتر لأن
الاستعداد لزيارة أورشليم يُعدُّ «شرعا» ترتيباً لرحلة حج إلى المدينة
المقدسة، طلب إلى مائير أن يتفرغ تماماً من كل مسئولية ويضع نفسه في
خدمة المسافرين من الآن وحتى موعد تحرك السفينة..

وكرر علي جوهان وزوجته أن يبلغا تحياته لوالديهما بعد عودتهما إلى
دلاس..

ولما استأذن الزوجان في الانصراف باركهما الحاخام الأكبر..

أعاد تذكيرهما أنهما سيكونان مسئولين عن المسافرين كبار السن
فوق السفينة من قبل أن تتحرك وحتى وصولها إلى ميناء عكا ومنها إلى
أورشليم..

مدينة القدس عاصمة السلام..

فرضت رحلات شحن الأجهزة التقنية من نيودلهي إلى مطار جسر الملك حسين منذ نهاية شهر نوفمبر على مراقبة الأمن أن تبدأ بتأمين الطريق البري الذي يقود من داخله إلى مدينة القدس عاصمة السلام..

توالى وصول الأجهزة التقنية وفق الخطة المعدة سلفاً، وقام الفنيون بتركيبها في الأماكن التي حُدِّدت لها من قبل مع التركيز بصفة خاصة على قلب المدينة في ضوء ما استجد من تعليمات.. وفي هذا الخصوص قاموا باستبدال كاميرات المتابعة بكردون أشعة عالية الحساسية أحاط بإطار المدينة الخارجي يتميز بخاصية تسجيل الداخلين إليها والخارجين منها، ويعطي كل واحد منهم رقمًا كوديًا يمكن عن طريقه متابعة خطى تنقلاته من ناحية ويساعد في تحديد مكان وجوده في أي لحظة إذا اقتضت الحاجة..

عمل الخبراء على زيادة نسب ومقومات الإضاءة الليلية بما يوازي
مئة في المئة، خاصة حول مزارات المدينة وأماكن العبادة بأحيائها الأربعة
(الإسلامي والمسيحي واليهودي والأرمني) مما يتيح فرصة أكبر
لأجهزة المتابعة التقنية والبشرية كشف كل ما يجري في الزوايا
والمنحنيات بكل الدقة والتفاصيل اللازمين..

تم - على وجه الخصوص - تأمين مداخل المدينة البرية التي سيمر
منها القادمون جميعاً بعد أن تنتهي رحلاتهم الجوية بمطار مدينة دمشق،
والبحرية بميناء عكا..

أجرى المختصون تحت إشراف القيادات الأمنية تجارب عدة على
كل مرحلة يتم الانتهاء من تدشينها..

وبعد استكمال المراحل كافة نسقوا فيما بينهم لتنفيذ عدة اختبارات
على مستوى التعامل مع أعداد غفيرة من القادمين.. وعلى مستوى
التكُدُس في مكان واحد.. وعلى حالات المرضى أو انتشار الأوبئة، كما
كلفتهم موسكو بإجراء تجربة متابعة وهمية لقاتل مطلوب أمام المحكمة
العالمية الدولية..

على نفس المستوى من الاستعدادات، تسلم الأطباء مقار الكشف
والعلاج السريع، وجُهِّزت كل وحدة معداتها، وجُربت تشغيل أجهزة
الكمبيوتر الخاصة بها..

ولما وصلتهم شحنات الأدوية والمضادات الحيوية حفظوها لحين
الحاجة..

مدينة سيراكوزاه..

لم يكن جو الرحلات البحرية غريباً على ديفيد وروزالين، فكثيراً ما تمتعاً معاً بمثل هذه السفريات بمفردهما أو ضمن مجموعة من الأصدقاء.. لكنها المرة الأولى التي يبحران على ظهر يخت بهذه الفخامة والأبهة دون أن يتكلفا سوى شرف الحضور بشخصيهما..

هيأت الرحلة فرصة لكل منهما لاستعادة صخب تيار الحب الذي خَفَّتْ صَوْتُهُ بينهما..

رأت فيها روزالين مناسبة لاستعادة إحكام قبضتها على رجلها بعد أن كاد يفلت منها بسبب المرور العابر لزميلته مادلين، وقرر هو استثمارها لإقناعها بأن العلاقات العابرة في حياته لا تؤثر في درجة حبه لها ولا في شدة تمسكه بها..

تميّز طقس اليومين كما أكد ديفيد لمعشوقته بالصفاء والاعتدال، حتى الأمواج من حول اليخت هدأت وأشاعت في النفس حلاوة الاسترخاء..

لم يخب ظن ديفيد، فقد بدأت مظاهر البهجة على كل الموجودين
فوق سطح اليخت فور إبحاره إلى عرض البحر..

إلى جانب صالات الطعام المفتوحة والبارات التي لا تتوقف فيها
الخدمة، تضمن برنامج اليومين مشاركات جماعية في التسلية وقضاء
الوقت..

ولما توقف الركب البحري على مبعدة خمسين ميلاً من شاطئ
سيراكوزاه ألقى البعض بأجسادهم في عرض البحر استعداداً
للمشاركة في المسابقات المائية التي أُقيمت حول بركتي الماء القائمتين
على سطح اليخت الذي تحوّل إلى كتلة نشاط مُتلاحمة..

شارك الجميع في أجواء البهجة التي مدت أطرافها إلى كل ركن
وداخل كل قاعة..

كانت الغالبية تشارك في الرقص على أنغام موسيقية حاملة تعزفها
فرقة إيطالية على وقع نسمات الليل التي أنعشت القلوب، وزادت من
رومانسية المشهد كله، عندما رنّ هاتف ديفيد مُعلنًا عن وصول رسالة
ذات أهمية قصوى..

صَمَّ روزالين بيدٍ ومدَّ الأخرى إلى الهاتف..

مرت عيناه بالنصّ المختصر، حملق فيه عدة ثوانٍ..

كان رد فعله التلقائي أن حملها بين يديه ودار بها بين الراقصين في
حالة نشوة طارئة جعلتهم يصفقون لها دون أن يشغلوا أنفسهم بمعرفة
السبب..

أنزلها ثانية وجرى بها ناحية سور اليخت..

استسلمت له لما رأت البشر في ملامحه..

مدَّ يده بالهاتف ناحيتها، كانت الرسالة عاجلة جدًا تنبه عليه
بالاستعداد للسفر إلى غرفة مراقبة الطقس في استانبول خلال ٤٨ ساعة
من الآن في مهمة عاجلة وسريعة..

لم يلاحظ بسبب فرحته الطاغية الضيق الذي سيطر عليها..

اتسعت عيناها وهي تنظر إليه بشك وريبة واضحين، نحن ما يدور
في ذهنها..

سارع بنفي أي صلة له بالترتيب لهذه المهمة، ولما بدا عدم التصديق
في عينيها ذكرها بسفريتها المفاجأة إلى باريس!..

اضطرت للتسليم بحجته ولو مؤقتًا حتى تنجلي الحقيقة لأن ما
أشار إليه صحيح في الظاهر، عليها إذن أن تزعم لرأيه..

انفصل الحبيبان ذهنيًا رغم احتضان كل منهما للآخر..

كلاهما كان يرتب نفسه لما بعد هذه النزهة البحرية فائقة الروعة..

هو قفز به خياله إلى استانبول حيث مادلين بكل جمالها وحيويتها
وشبقها، أما هي فوجدت نفسها في خضم هادر من الغيرة يجذبها للربط
بين سفريته المرتقبة التي أفاضت عليه هذا الكم الهائل من السعادة
والحبور، وبين ما ينتظره من متع حسية بين أحضان زميلته..

وبينما كان هو يفكر في اعتصار رحيقها حتى يذيقها بين ذراعيه
لكي يهدئ من خواطرها التي يعي إلى أين أخذتها في هذه اللحظات،

كانت هي ترتب في ذهنها كيف يتسنى لها - فيما بقي من ساعات حتى عودتها إلى سيراكوزاه - أن تمتص عافيته قبل أن يسافر مُبتعداً عنها..
انتهت الرحلة وكل من صاحبيننا في وادٍ يفصله عن محبوبه أميال عديدة..

عندما أوصل ديفيد روزالين إلى البناية التي بها شقتها، لم يكن في استطاعة أيٍّ منهما مواصلة الغرام والعشق أو حتى تبادل الحديث بعد تلك الساعات الجميلة التي قضياها معاً في عرض البحر..

قبلته مُودعةً بلا حماسة بعد أن نزلت من السيارة في اتجاه المصعد..
لاحظ ديفيد وهو يتجه بسيارته ناحية الطريق الذي يقوده إلى شقته، أنه بمجرد انزواء صاحبتة داخل البناية، محاطة عن بؤرة تفكيره وأحل محلها زميلته مادلين..

تساءل بصدق: إلى هذا الحد هو خاضع للبعيدة أكثر مما هو مُتجاوبٌ مع القريبة التي كانت حتي قبل دقائق تملأ عليه شعوره ووجدانه؟..

مراقبة المناخ بمدينة استانبول ..

استانبول هي مدينة الميناء كما يعرفها العالم ..

بَنَتْ شُهرَتَها من ناحية على موقعها الذي يمتدُّ بين قارتين يفصل بينهما مضيق البسفور، أوروبا في الشمال وآسيا في الجنوب، وعلى إطلالتها شرقاً على البحر الأسود وغرباً على بحر مرمرة ..

كانت تُعرف بالميناء الذهبي في العصور بالغة القِدَم ..

ثم غدت محور حركة نصف العالم لما أصبحت حاضرة الدولة البيزنطية (٣٩٥ ميلادية) وفيما بعد إحتلت مكانة متميزة دولياً عندما أصبحت مصدر عظمة الإمبراطورية العثمانية (١٤٥٣ - ١٩٢٢) ..

يتعرض موقعها لهزات أرضية بالغة القسوة في الكثير من الأحيان، كما وقع لها عام ١٩٩٩ حين قضى الزلزال على حياة نحو ١٨ ألفاً من سكانها ..

طقسها يجمع بين ارتفاع الحرارة والرطوبة في فصل الصيف وانخفاضها مع سقوط الأمطار الكثيرة والثلوج في الشتاء..

هذه المميزات الطبيعية بالإضافة إلى الارتفاع عن مستوى البحر مهّدت لها الطريق لأن تكون واحدة من أهم مراكز مراقبة الطقس على مستوى إقليم الشام وجنوب شرق أوروبا..

عرف ديمتري سيرجي مراقب الأمن العام في مضيق البسفور بحالة المشتبه به ديفيد أوزويلد بعد أن كلفته باريس بمراقبته ومتابعته وحصاره، وإلقاء القبض عليه إذا لزم الأمر..

ولما أُخطِرَ أن باريس بعثت برسالة إلى ديفيد تُطالبه بالاستعداد الفوري للسفر إلى استانبول، حدّد لمادلين دورها وتقاسم مع مراقب غرفة المناخ باستانبول الأدوار من الناحيتين الأمنية والشكلية خاصة وأن المراقبة لم تكن في حقيقة الأمر في حاجة لقدوم ديفيد..

ولما أُبلغَ الرجالان بموعد وصوله، حجز له مراقب غرفة الطقس حجرة تطل على بحر مرمرة بنفس البناية التي بها مقر مراقبته..

مهنياً أعدّت على عجل الخرائط والبيانات والتقارير التي في ضوءها سيساهم - القادم - بشكل مصطنع مع ثلاثة آخرين من العاملين في تقوية إمكانات المراقبة لتغطية الرقعة الجغرافية الممتدة جنوباً حتى ميناء عكا، وشمالاً حتى مدينة بوخارست، وشرقاً حتى مدينة الموصل، وغرباً حتى جزيرة قبرص..

أمنياً نسّق سيرجي مع رئاسته في موسكو الخطة التي ستأخذ في اعتبارها الخطوط العريضة التي كلفته بها باريس..

لما عرف آغري باهشلي مراقب غرفة الطقس بالمدينة بموعد هبوط طائرة ديفيد الآتية من أثينا، أرسل إليه مَنْ استقبله وصحبه حتى مَقَرَّ المراقبة الجوية..

تبادل الرجلان التعارف فور وصول ديفيد إلى مكتبه، شرح له آغري أهمية توسيع قدرات الغرفة بحيث يصبح في مقدورها تعديل مستويات مناخ منطقة الشام إلى المستوي الملائم، كما اتفقت عليها الأطراف المعنية منذ تاريخ الخامس والعشرين من شهر ديسمبر وحتى صباح الأول من يناير..

حرصًا منه على تأكيد أهمية المهمة التي سيشارك فيها، أشار الرجل بالمؤشر الضوئي ناحية الشاشة الضخمة التي تحمل خرائط يعرفها ديفيد عن ظهر قلب.. ثم عرض له على شاشة الكومبيوتر المعدات الإضافية الجاري تركيبها وبيّن له سَعَة كُلِّ منها وقُدْرَتَها..

في نهاية اللقاء الذي برهن ديفيد من خلاله على قدراته الفنية والتقنية المتميزة، قدمه المسئول الكبير لزملائه الآخرين وعرفه أن أمامه ساعة راحة.. عليه بعدها أن يلحق بهم في أول جلسة عمل مشتركة برئاسته لكي يشاركوا معًا وضع خطة عمل الأيام الثلاثة التالية..

أعطاه باهشلي الكارت الممغنط الذي سيحتاج إليه لفتح حُجْرته التي قال له إنها بالدور العاشر، والذي سيسهل له استخدام المصعد والتردد على المطعم والبار الواقعين في الدور الأرضي للبنية..

وجد ديفيد الحجرة ساحرة..

أهم ما يميزها إطلالتها الخلابة على مضيق البسفور وبحر مرمرة
بزرقتهما الصافية.. استراحت عيناه للستائر التي يميل لونها إلى لون
الفسق الذي تشتهر به منطقة الأناضول الشمالية، لكن أكثر ما أعجبه
السرير الإمبراطوري الضخم ذو الأعمدة الخشبية والنموسية المسدلة
التي تغطي حوافه حتى الأرض..

هاتفته مادلين في حجرته، بان في صوته فرحة الشوق لسماع
صوتها..

أحس أنها ما زالت غير مصدقة أنه كان يُهاثفها منذ نحو ساعة بعد
هبوطه في مطار المدينة قبل أن يخرج لملاقاة الزميل الذي اصطحبه إلى
مقر غرفة الطقس..

قال لها: إنه يتوقع أن تنتهي جلسة العمل الأولى مع بقية أفراد
الفريق الذين سيتقابل معهم بعد حوالي ساعتين، أي مع نهاية الدوام
اليومي..

اتفقت معه على أن يترك لها ترتيب أين وكيف يُمضان السهرة
معاً..

أشرق وجهه وهو يبادلها حُباً بحبٍّ وعشقاً بعشقي..

كما فرضت مادلين نفسها على تفكيره منذ أيام بعد أن أوصل
حبيبته إلى شقتها فور إنهاء رحلتها البحرية، طافت روزالين بمخيلته
وهو يحلم بما ترتب له الأخرى.. لذلك سارع إلى محادثتها لكي يؤكد
لنفسه أن التنقل بينهما لا يحتاج إلى جهد كبير..

بذل قصارى جهده لكي يبدو طبيعياً في ملاطفته لها حتى لا تثير
حواله الشكوك مما يفسد عليه سهرته من الآن..

حدّثها عن الرحلة وعن استقبال زملائه له وعن طبيعة المهمة..
سألته عن مادلين..

كان مستعداً لهذا السؤال، نفى أنها اتصلت به..
ادّعى أنه ظلّ مشغولاً منذ قدومه إلى المدينة حتى اللحظة، ولكنه لم
ينكر احتمال أن يراها في المساء..

ردت عليه متهمكة: إن عاد إليها في سيراكوزا مسلوب العافية،
فستهجره إلى الأبد..

شارك ديفيد في المناقشات التي دارت في مكتب باهشلي وأبدى
اهتماماً كبيراً بتقوية آليات تبادل المعلومات بين الغرفة وبرجي الشرق
والشمال بحيث يرسلُ كُلُّ منهما تقاريره بعد تحليلها إليها مباشرة
للاستفادة منها في متابعاتها اليومية حتى صباح الأول من يناير..

ساهم الحاضرون جميعاً في تقييم كفاءة المعدات الحديثة، ونسقوا
فيما بينها لتحقيق أقصى استفادة منها..

تخيروا من برامج الكمبيوتر ما يربطهم مباشرة بالمراقبة العليا
للبيئة لتنفيذ خطة يتم على أساسها نقل فائض حرارة من منطقة إقليم
جنوب شرق آسيا إلى إقليم الشام لتلطيف درجة برودة الطقس قبل أن
تصل إلى درجة الصفر حتى لا تسقط الثلوج على مدينة القدس عاصمة

السلام وما حولها.. وضعوا جدولاً تقريبياً لتوقيتات فتح اتصال مرئي مسموع مع أكثر من جهة في الشرق والشمال لتحديد المسؤوليات والتعاون لإزالة أية عقبة بهدف تسهيل المهمة برمتها..

شكرهم باهشلي.. واتفقوا على اللقاء ثانية في وقت مبكر من صباح اليوم التالي لتجربة خطة العمل اليومية التي اتفقوا عليها وقياس مدى نجاحها وتتبع مواضع الخلل فيها لتجنبها فيما بعد، بحيث يتفرغ الفريق لتقييم التجربة بشكل متكامل في اليوم الثالث..

تابع سیرجي فوق شاشة كومبيوتر في مكتبه مقابلة ديفيد الأولى مع أغري باهشلي، واستمع إلى ردوده على مكالمات مادلين معه، وشاهد كيف عبّرت عيناه المتيتمتان عن عشقه لها ورأى كيف عكس صوته هيامه بها، كما لاحظ تغير مستويات كذبه على روزالين عندما سألتها عنها وحرصه على القول باحتمال رؤيته إياها في المساء..

ولما تتبعه وهو يتناقش مع الآخرين سبل العمل، تأكد لديه أن حماسه الشديدة للعمل لا ترجع إلى قناعته بجدواها وإنما إلى ما يتوقعه من فوز قريب بلقاءات صاخبة مع عشيقته..

لكنه اعترف بأنه مهني متمكن في مجال تخصصه وأنه يخلص لعلمه إلى أقصى درجة..

هذا الترتيب المُنقن بين سیرجي وياهشلي فوّت علي ديفيد بسبب شوقه الجارف إلى أحضان مادلين، فرصة أن يدرك من أول وهلة - وهو الخبير المتمرس - أن التوسعات التي يتحدثون عنها بالشكل الذي

عُرِضَتْ عَلَيْهِ لَا تَتَطَلَّبُ تَكْلِيفُهُ بِالسَّفَرِ لَكِي يَنْضَمَّ إِلَى فَرِيقٍ عَلَى دَرَجَةٍ
عَالِيَةٍ مِنَ الْحَرْفِيَّةِ، قَادِرٍ دُونَ مُعَاوَنَةٍ مِنْ أَحَدٍ عَلَى وَضْعٍ وَتَجْرِبٍ مَا
تَحْتَاجُهُ الْمُنَاطِقَةُ الْمَعْنِيَّةُ مِنْ بَرَامِجٍ لِتَلَطِيفِ مَسْتَوِيَّاتِ الطَّقْسِ بِهَا بِمُنَاسَبَةٍ
احْتِفَالَاتٍ نِهَآيَةِ الْعَامِ..

شَدَّدَ سِيرَ جِي عَلَى مَادَلِينَ وَهُوَ يَعِيدُ تَذْكَيرَهَا بِالْمَهْمَةِ الَّتِي أَوْكَلَتْ
إِلَيْهَا، أَنْ تُرْضِيَ دِيفِيدَ بِجَمِيعِ السَّبِيلِ، وَأَنْ تَحْرَصَ عَلَى التَّلْوِيحِ لَهُ بِالْمَزِيدِ
فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ، وَأَنْ تَجْعَلَهُ دَائِمًا فِي شَوْقٍ لِلْقَائَةِ التَّالِيَةِ مَعَهَا..

* * *

بَيْنَمَا كَانَ دِيفِيدُ يَعْبُرُ الْمَمَرِ الْعُشْبِيِّ الْعَرِيضَ الْفَاصِلَ بَيْنَ الْبَنَاءِ وَبَيْنَ
الشَّارِعِ، شَاهَدَ مَادَلِينَ تَلَوِّحَ لَهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ لِلْمَمْشَى الْمَطْلِ عَلَى
الْمَضِيقِ..

أَسْرَعَ الْخُطَى إِلَيْهَا..

اِحْتَوَتْهُ بَيْنَ أَحْضَانِهَا، ذَابَا فِي قَبْلَةٍ طَوِيلَةٍ..

وَاصِلَا السَّيْرِ وَهُوَ يؤكد أَنَّهُ كَانَ فِي شِدَّةِ الْاِشْتِيَاقِ إِلَيْهَا..

كَانَتْ قَدْ اخْتَارَتْ مَكَانًا سَاحِرًا لِتَتَنَاوَلَ الْعِشَاءَ تَنَاضَّرَتْ مُنَاضِدُهُ
شَدِيدَةُ الْقُرْبِ مِنَ الْمِيَاهِ تَحْتَ الْأَضْوَاءِ الْخَافِتَةِ وَالْمَوْسِيقَى الْحَامِلَةِ وَضِيَاءِ
الْبَدْرِ الَّذِي يَفْتَرِشُ الْمَكَانَ..

تَعَشَّيَا مَعًا، وَلَمْ تَتْرَكْ لَهُ صَاحِبَتَهُ فَرَصَةً لِيَعْبَ مِنْ مَشْرُوبِ
الْكُونِيَاكِ الْمَفْضَلِ عِنْدَهُ بِلَا حِسَابٍ.. وَعَدَتْهُ بِأَنْ تَتْرَكَ يَخْتَارُ مَا يَشْتَهِيهِ

من طعام وشراب عندما تُقابله غداً في منتصف النهار مرة وفي المساء
مرة أخرى، أما الليلة فهي تريده - كما همست له في أذنه وهي تلمحها -
على هواها هي وليس كما يقودُه رأسُه المخمور..

لم تخف ابتسامته المتحفزة نظرة عينيه المتوعدة..
سألته ما به؟ استنكر أنها لا تعرف ما يدور في ذهنه..

وجدت فرصتها وقررت أن تستغلها..
ردت أنها تعرف ما يفكر فيه، ولكنها تحدته إن كان يعرف ما يدور
في بالها!..

سبقتة قائلة: إنه يفكر في قدرة القوقعة على التقريب بينهما بهذه
السرعة..

فتح عينيه على اتساعهما بعد أن أسكته إجابتها، كان ذلك فعلاً ما
يفكر فيه وهو يجلس أمامها في انتظار أطباق العشاء الذي تفننت في
طلبها..

وضعت يدها تحت ذقنها وهي تحملق في عينيه تستحثه على قبول
رهانها..

أمعن الفكر للحظة..

قال: إنها تريد أن تعرف منه سرّ تعلقه بالقوقعة..

رسمت ابتسامة متذاكية على شفيتها وهزّت رأسها علامة
الرفض..

طلب إليها أن تُفَصِّحَ هي عما تفكر فيه..
انتهزت فرصة تقديم الجرسون للطعام، وقالت: إنه خسر الرهان..
طلب إليها أن تمنحه فرصة أخرى..
ردَّت وهي تتمنى أن ينال اختيارها لأصناف الطعام إعجابه: إنها
ستعرف إجابته بطريقتها الخاصة في الوقت المناسب..
لمعت عيناه وهو يقول لها: إنه موافق..
كان ديفيد من فرط سعادته يتغزل وهما في طريقيهما إلى البناية في
مادلين مرة وفي جمال حجرته وإطلالتها من علٍ على المضيق من ناحية
وبحر مرمرة من ناحية أخرى..
أما هي فعبرت بعناقها الحارَّ عن شوقها الجارِف له وهو يصف لها
السُرير الإمبراطوري الذي تتمدد نموسيته من أعلى السقف حتى
متسوى أرض الغرفة..
طارحته الغرام أكثر من مرة.. فور اجتيازهما باب حجرته بالفندق،
حتى أنها لم تمهله أن يخلع ملابسه..
ولما نزعَتْ عنها ملابسها واتجهت إلى الحَمَّام طَلَبًا للانعاش.. دخل
هو خلفها الحَمَّام، استدارت إليه قبل أن يضبط يديه على زوايا جسدها
المبتل وطوقت رقبتَه بذراعيها..
كان يتوقع أن تساومه لسداد قيمة الرهان قبل أن ينالها، ولكنها
بدت أكثر ليونة وانعطافاً..

همس في أذنها اليسرى بينما أصابعه الرشيقة تمُرُّ على منتصف
ظهرها: إنها لو استضافته هنا في استنابول بعد الأسبوع الأول من يناير
القادم سيكشف لها عن سرِّ ارتباطه بالقوقعة..

كانها لم تسمع منه وظلت ترتشفه حتى الثمالة..
وفي المرتين التاليتين أوقعهما عراكهما الجنسي الوحشي من فوق
السرير إلى الأرض..

بعد منتصف الليل بقليل، تركته لينام.. وخرجت هي إلى شقتها..
بمجرد دخولها إلى المصعد سمعت سير جي يشكرها ويقول لها: إن
دورها انتهى عند تلك المرحلة..

* * *

عندما فتح ديفيد عينيه في الصباح بدا مبتهجًا ومُقبلاً على الحياة..
انتهى من حمامه وهو يدندن بلحن نشوان كان يسمعه على العشاء
أمس.. التهم إفطاره الخفيف وقهوة الصباح وهو ينقل النظر بسعادة
بين مياه المضيق من ناحية ومياه البحر من الناحية الثانية..

لما شاهده سير جي على شاشة الكومبيوتر يحكي زملاءه وهو في غاية
من الحبور والإشراق، اطمأنَّ أن ترتيبات الاستيلاء على قوقعته تسير في
طريقها الذي رسمه لها قبل ساعات..

لم ينم الرجل بعد أن تابع بالصوت والصورة بقية النشاطات التي
قام بها ديفيد منذ خروجه لمُلاقاة صاحبتة وحتى ردت على محادثته
الهاتفية بعد أن أنهت مهمتها..

اتفق بعد مناقشات موسعة مع رئاسته في موسكو على خطة لإلقاء القبض على ديفيد بمعرفة الشرطة بعد ثبوت تعمدته إخفاء شريحة ملف يحمل كنوزًا من تراث الإنسانية داخل قوقعة بحرية خاصة بها، ومن ثم يتوافر دليل مادي لا استجوابه ومعرفة غرضه الحقيقي من وراء استنساخها بعد أن نجح في المراوغة أكثر من مرة..

خطط سيرجي للاستيلاء على القوقعة عن طريقين.. أحدهما كلف به واحدًا من فريق العمل الذي تقابل مع ديفيد، ويقوم على احتمال نسيانها لها بنسبة واحد في المئة، فتصبح في حوزة هذا الشخص في لمح البصر.. وإن لم يتحقق ذلك بسبب حرصه الشديد عليها، فالثاني يركز على سرقتها منه، بعد أن يضعه تحت ضغط الحرمان من مادلين..

التأم فريق العمل الذي يضم ديفيد..

بدؤوا فورًا في تجريب الأجهزة الجديدة عن طريق جمع التقارير وتلقي التحليلات الواردة من برجي الشرق والشمال..

لم يتعرضوا لمشكلة مستعصية على الحل، كل ما صادفهم تصرفوا حياله بحرفية عالية.. دون كل منهم مقترحاته حول تنظيم العمل على مستوى التوسّع المرتقب في شكل خطوات تؤدي كل منها إلى التي تليها بشكل تراثبي..

واتفقوا على وضع هذه الخطوات مكتوبة في شكلها النهائي لتكون دليلًا للمراقبين الذين سيتولون التنفيذ بعد فترة زمنية وجيزة..

لفت انتباه الزميل المكلف بقوقعة ديفيد، وكذا سيرجي عبر شاشات المتابعة أن فريستها لا يترك قوقعته بعيدًا عن جيبه أو عن يده!

كان حريصًا في كل مرة يخرجها لسبب من الأسباب ألا يتركها من يده حتى يعيدها في جيبه مرة ثانية..

بأن التوتُّر الخفيف على ملامح ديفيد مرتين أثناء النهار..

الأولى: عندما دعاه باهشلي هو وبقية الزملاء إلى غداء سريع في قاعةٍ مُلحقةٍ بمكتبه لمزيد من التعارف ولتوثيق الصلات، ممَّا حَرَمَهُ الالتقاء بما دِلين كما وعدته..

والثانية: عندما اقترب اليوم من نهايته ولم يحظَ بمكالمة واحدة منها وهي التي وعدته في الأمس بليلة تبَقَى في ذاكرته العُمر كُلَّهُ..

راجع نفسه وهو يتجه إلى حجرتَه طلبًا لبعض الراحة، بعد يوم عملٍ مُكثَّفٍ..

هل سخطت عليه ما دِلين لأنه لم يشاركها الغذاء؟ كان في مقدوره لو هاتفته أن يوضح الموقف الذي اضطر لقبوله رغماً عنه، ويشرح لها مدى انشغاله إلى درجة أن الفرصة لم تسنح له للاتصال بها..

تكدَّرت نفسه بعد عدة محاولات للتواصل معها، دون إستجابة من جانبها..

ماذا هو فاعل إن لم تظهر عند حلول موعد العشاء؟ إذا كان ذلك هو عقابها له، فهو عقاب أليم بكل المقاييس..

أدرك سخافة الوضع الذي هو فيه.. أنه لا يعرف من يسأله عنها؟..

لم يقطع الأمل، وقرَّر ألا يترك للملل سبيلاً لأن يتمكن منه..
حاول جلب السكينة إلى فكره المشوش موحياً لخواطره أنه لا بد
سيقابلها على مائدة العشاء في نفس المكان أو في مكان آخر قريب منه..
همس لنفسه وهو يلقي بجسده المنهك على السرير، لا بد أنها
ستعمل على الاتصال به..
لم يشعر برغبة في الاسترخاء.. قفز من فوق السرير واتخذ طريقه إلى
الخارج..
تلفَّت حوله وهو يعبر نفس الطريق الذي كانت تقف أمس على
الناحية الأخرى منه..
أسرع الخطى نحو المطعم الذي تعشيا فيه البارحة، نظري في كل
زاوية..
ترك الضفة التي كانت مرتعاً لحديثه الهامس معها قبل ساعات،
وأجال بصره في عدد من المطاعم القريبة..
كرر محاولات التواصل معها أكثر من مرة، دون جدوى..
أحسَّ بمزيد من التوتر، لم تعد لديه شهية للطعام، قادته قدماه إلى
بار..
جلس بلا متعة، تناول كأساً من النبيذ القبرصي لتهدئة أعصابه..
أمضى حوالي نصف الساعة يتلفت حوله ممنيًا نفسه بظهورها من
بين طيات الظلام..

حتى البدر اختفى وراء الشَّحْب، زاد قلقه وفاض به الكيل..
تمشَّى بتكاسُلٍ ومللٍ حول المطعم..
تصاعد توثُّره بمرور الوقت، فقد حماسه..
دخل محلاً ثالثاً، عمد إلى تناول كأس من الكونياك ليخفف من
أثقال المرارة التي تطبق على صدره ودماغه..
لم يعد حتى يرى طيفها في أي امرأة تمرُّ به، وهو يُوالي التواصُل
معه..

نَهَضَ واقفاً وعَزَمَ على الصُّعود من فوره إلى حُجرتِه..
في طريقه إلى البناية تحرَّش به رجل وامرأة، ولما لم يلتفت لهما بدا في
الزعيق والصراخ.. لم يكن في حالة تسمح له بمجاراتهما، أغمض عينيه
كأنه في حلم..
لم يكن قادراً على حسم أمره، أishtبك معها في عراكٍ ينفس به عن
مكنون الغيظ في داخله أم يتركهما وشأنهما؟..
قرَّر من فوره أن يبتعد عن طريقتهما..
واصل لسان الرجل إطلاق ما يبدو أنه شتائم.. بينما قذفته المرأة بما
بقيَ في كوبها الورقي من مشروب..
ولمَّا استدار مُشيحاً بيده في وجهيهما أخرج الرجل سلاحاً أبيض
من جيبه وشهره في وجهه..

تراجع ديفيد خطوات إلى الوراء، فكَّر إن هو بقي في مكانه ربما نالا
منه..

لم يسعفه باله المضطرب ورأسه الذي أثقله الشراب، سوى بأن
يُخْرِجَ القوقعة من جيبه مُبادلاً الرجل تهديداً بتهديد..
تقافز الرجل أمامه عدة مراتٍ مُلوِّحاً بما في يده وهو يصرخ، أيقن
ديفيد أنه هالكٌ لا محالة.. تشتت تفكيره.. أخذ يتلفت حوله، لم ينتبه إلا
والمرأة قد غافلته وخطفت منه ما كان بيده..
لم يدرك من فوره ما وقع له..

خطا خطوتين ليلحق بها لكنها كانت أسرع منه..
شاهدها بعينين غائمتين وهي تحتمي بظهر رجلها..
وقف بلا حول ولا قوة لا يعرف بمن يستغيث، زادت مخاوفه..
استغل المعتديان حالة الاضطراب التي لحقت بضحيتها، شرعا
يضحكان بهستيريا..

عمد ديفيد إلى استجدائهما دون بادرة أمل..
زاد ضعفه من استهزائهما به..
شرع لسانه يُكرِّرُ الاستعطاف، بينما يتراجع كلما قفز الرجل ناحيته
مُلوِّحاً بما في يده..
فجأة طوحت المرأة بعيداً ببعض الأشياء التي لمعت في ضوء
مصابيح الشارع.. ثم جرت مع رجلها ناحية دغل قريب..

ظن ديفيد أنها تخلصت مما خطفته منه قبل أن تلوذ بالفرار بعد أن
تأكد لها أنه لا يساوي شيئاً، فأسرع خطاه إلى حيث وقعت الأشياء على
مبعدة منه..

تعثر وانكفاً على وجهه وهو يبحث عن أشياءه الملقاة حوله..
التقط وهو يكاد يبكي مجموعة الكروت التي كانت مثبتة في
القوقعة ..

أين القوقعة؟ لا أثر لها.. استبدَّ به الحنق..

صرخ في الفضاء المحيط به بأعلى صوته..

انحنى يبحث عنها في كل مكان، ولم يعثر عليها..

وقف وحيداً يتلفت حوله..

جازف بالتوجُّه ناحية الشجيرات التي اختفى وراءها الرجل
والمرأة، ولكنه لم يجرؤ على المضي قُدماً..

جلس مكانه فاقد القدرة على استعياب ما تعرض له هذا المساء..

مادلين اختفت دون سابق إنذار..

وها هو يتعرض لإيذاءٍ في مدينة لم تطأها قدماه من قبل..

هكذا بسهولة يفقد القوقعة، ماذا سيفعل بها هذان المأفونان؟..

عاوده الأمل أن يعثر عليها فوق العُشب..

رجع ليفتش الممشى العشبي مرة أخرى..

شاهد سيارة شرطة تتحرك ببطءٍ إلى جانب الرصيف في اتجاه
البار.. لَوَّحَ لمن بداخلها، توقَّفت، نزل منها ضابط..

اندفع ديفيد ناحيته ليشرح له.. طلب منه الضابط أن يبقى مكانه
ويحكى ما عنده..

قال لهم في مركز الشرطة: إنه ليس من المقيمين في مدينة استانبول..
وأنه يقوم بمهمة لمدة ثلاثة أيام ضمن فريق عمل متخصص في دراسة
تحليل التقارير المناخية برئاسة آغري باهشلي كبير المراقبين بالمدينة..

شكا أن رجل وامرأة تحرَّشا به.. ورفع الرجل في وجهه سلاحًا
أبيض.. وخطفت منه المرأة القوقعة التي يتفائل بها..

حَضَرَ باهشلي فور استدعاء الشرطة له، أكَّد صحة المعلومات التي
أدلى بها ديفيد..

عرضوا على ديفيد في وجود زميله تسجيلًا مُصوَّرًا لحركة الحياة في
المنطقة التي كان يقف فيها.. تعرَّف بسرعة على المعتدين عليه، وقام
بانفعال ملحوظٍ ناحية شاشة الكومبيوتر ليؤكد لبهشلي وللضابط الذي
كان يسجل أقواله بالصوت والصورة أنه لم يتعرض لهما بأذى..

جلس وهو ينتحب..

عمل الجميع على تهدئة روعه، وقال له الضابط: إن كل الدلائل
تُشير إلى سلامة موقفه.. وسأله: هل لديه استعداد لإهمال شأن القوقعة
ما دام قد عثر على كل الكروت الإلكترونية التي تمثل أهمية لديه؟ قال:
إنه يعتزُّ لدرجة كبيرة جدًّا بها ويهمه كثيرًا أن يستعيدها من الخاطفين
قبل عودته إلى سيراكوزاه خاصة وأنه لم يتحرش بهما..

أَيْدَ باهشلي حَقَّ زميله في استرجاع قوقعته..

وعد الضابط ديفيد أن يعمل على إعادتها له قبل سفره، وأضاف وهو يبتسم: إنهم إن لم يوفقوا في الوفاء بهذا الوعد، فسيقدمونها إلى زميله الذي سيتولى توصيلها إليه..

لم يجد ديفيد ما يعلق به وهو يشكره إلا أن يبدي ثقته بقدرتهم على استرجاعها غداً..

حَبَسَ الدموع في عينيه وهو ينصرف حتى لا يزيد من حالة التوتر التي تعتمل داخله..

أوصله باهشلي إلى باب البناية، وأكد له أنه سيكون غداً في حالة أحسن..

دخل حجرته وهو ما زال مضطرب الأفكار..

لم يدرِ كيف خلع ملابسه..

بدأ يستعيد ما مرَّ به..

ماذا لو لم تعثر شرطة استنبول على الخاطفين، عليه أن يتَّصل فور عودته إلى سيراكوزاه بصاحبه في دلاس ليبلغه الواقعة..

ظل قلقاً فترةً طويلةً، تمشَّى داخل الحجرة ثم خرج إلى التراس..

زاده السكون، إلا من وشوشات الموج، توترًا..

اتجه ناحية السرير، ثم ابتعد عنه..

تمشَّى ثم جلس، خرج إلي التراس مرة أخرى..
عاد للحجرة.. استلقى على السرير دون نوم.. ثم غلبه النُّعاسُ..

* * *

استيقظ ديفيد في اليوم التالي على صوتٍ يطلب منه فتح باب
حجرتِه..

قدَّم له مندوب مركز الشرطة بطاقته، ثم مدَّ يده بقوقعته..
أمسك بها مُتلهِّفًا في أول الأمر، ثم ارتسم الاستياء على ملامح
وجهه لما لاحظ أنها فارغة..
بانت عليه الحيرة..

قال للرجل الماثل أمامه، إما أن هذه ليست قوقعته أو أن الخاطفين
سرقوا قلبها..

بدا على رجل الشرطة عدم الفهم..

كان ديفيد يفكر في الاتصال بـباهشلي، عندما رآه أمامه يحيه..
استبشر ديفيد خيرًا، ابتسم صديقه في وجهه لما رآه يمسك بالقوقعة
بين أصابعه.. أشار إليها، وقبل أن يُعبِّرَ عن امتنانه لضابط الشرطة
فوجئ بديفيد يُقرُّها منه وهو يؤكد أنها ناقصة..

بدت علامات عدم الفهم على وجه باهشلي..

احتار ديفيد ماذا يقول..

حاول أن يشرح مرة أخرى، فبانت على وجه رجل الشرطة ووجه
باهشلي صعوبة بالغة في استيعاب ما يودُّ إقناعهما به..

اقترح عليه باهشلي أن يستعين بصديقه سيرجي الذي له معرفة
عميقة بالحيوانات البحرية، لم يدرِ ديفيد ماذا يقول..

أما باهشلي فلم يكن ينتظر منه الموافقة، حالته تدلُّ على فقدان
القدرة على الإتيان بردِّ فعلٍ..

جاء سيرجي على عجل..

شرح له أغري باهشلي ما وقع لزميله ديفيد أمس، وقَدَّم له القوقعة
التي أحضرها رجل الشرطة معه..

تساءل سيرجي: لماذا طلبوا حضوره ما دامت المشكلة قد انتهت
على خير؟..

ردَّ ديفيد من فوره: المشكلة أن قلبها ضاع..

أكد سيرجي بهدوء وهو يقلب القوقعة بين أصابعه، أن القواقع
البحرية تفقد قلبها بعد عدة أيام من اصطادها..

تذكَّر ديفيد من فوره أسطورة عجينة الحظ التي كانت قد حكّت له
عنها روزالين..

قال للحاضرين وهو يبذل أقصى ما لديه لإكساب صوته مصداقية
موحية: إن قلبها كان محشوًّا بعجينة حظ كان يتفاعل بها منذ فترة
طويلة..

سمع أكثر من صوت يستفسر بشيء من الإنكار، عما يعنيه بعجينة
الحظ هذه؟..

قال بتأكيد الواثق من معلوماته: هي مزيج من طمي وماء نبع
عذب بالقرب من جزيرة كورفيو غربي الساحل اليوناني..

كان سيرجي أكثر الحاضرين التفاتاً لما يرويه ديفيد، استمع إليه
باهتمام ملحوظ وهو يُعيدُ النظر في القوقعة ويتشمَّم رائحتها..
مرت فترة صمت وجيزة..

طلب سيرجي إلى رجل الشرطة أن يوصله برئاسته، أسرع الرجل
في الاستجابة..

ظهرت صورة مدير مركز الشرطة على شاشة الكومبيوتر بحجرة
ديفيد..

شكره سيرجي على ما بذلوه من جهد لاستعادة القوقعة التي
ضاعت أمس مساءً من ضيف مراقبة المناخ باستانبول.. وأضاف أن
صاحبها مستاء لأن حشوة القوقعة التي يعتقد أنها تجلب له الحظ فُقدت
من داخلها..

أكد مدير الشرطة أن رجاله حملوا القوقعة كما عثروا عليها مع
الخاطفين إلى صاحبها..

نظر سيرجي ناحية ديفيد فوجده في غاية التوتر..

إشفاقاً منه على ديفيد أبلغ سيرجي المدير أن صاحب القوقعة غير
مُهيأ للحضور إليهم مرة أخرى بسبب ارتباطه بعمل لا يمكن تأجيله

مع مراقبة المناخ، واستأذنه أن يُرسلَ إلى مكتبه بالشريط الذي سجلوه لعملية ضبط المعتدين وتفتيشهما..

وافق الرجل وأبدى استعداداه للقيام بأي عمل يجلب الاطمئنان لصاحب القوقعة..

كان ديفيد في حالة بالغة من التوتر والضياع.. غير قادر على التفكير الصائب، وبالرغم من ذلك استراحت ملامحه لما سمعه بعض الشيء..

بعد انصراف رجل الشرطة..

اقترح باهشلي على ديفيد وهو يغادر الحجرة مع سيرجي، أن يستريح بعض الوقت لحين تلقي الشريط الذي وعد مدير مركز الشرطة بإرساله إليهم..

* * *

انتبه ديفيد على صوت يطلب منه أن يأتي معه لمكتب ديميتري سيرجي..

لم يدر كم مرَّ عليه من وقت منذ تركه الرجلان بمفرده في حجرته.. اكتشف أنه غرق في دوامة من الشكوك والريبة وعدم الاطمئنان.. تضاربت كل استنتاجاته لدرجة أنه لم يعد قادرًا على الفصل بينها لكي يتبين المسار الصحيح لخطوته التالية..

تُحدِّثه نفسه أنه يُقادُ إلى أرضٍ رخوة لا يعرف هل سيتمكن من اجتيازها أم أنها ستبتلعه!!..

* * *

لم يستشفَّ أي معنى من تعبيرات وجه سيرجي المحايدة وهو
يُرحَّب به في مكتبه..

لكنه أحس بتوجُّسٍ خفيٍّ عندما جلس بالقرب منه في مواجهة
شاشة كومبيوتر عملاقة..

عرض عليه أحد مساعدي سيرجي نسخةً من الشريط المصور
الذي شاهده بالأمس في مركز الشرطة، لم تخفَّف مظاهر التحرُّش به
التي بدت واضحة في كل المشاهد من توجسه..

التزم الصمت فليس فيما يشاهده الآن جديد..

ثم عرَّض عليه شريطٌ مُسجَّل لما أدلى به من أقوال في مركز الشرطة
في حضور آغري باهشلي..

حاول أن يبدي اعتذارًا عن مواقفه التي شابهها كثيرٌ من الانفعال
وهو يتعامل مع رجال الشرطة، إلا أن سيرجي طمأن باله قائلاً: إنه
يقدر دوافع انفعاله..

بعد لحظة بانت على الشاشة عملية التفتيش الدقيقة التي تعرَّض لها
الخاطفين بعد اصطحابهم إلى مركز الشرطة.. أوضحت المشاهد بما لا
يدع مجالاً للشك أن القوقعة عندما استخرجوها من جيب الجاكت
الذي كانت ترتديه المرأة، كانت فارغة من أي شيء..

ولما سأله سيرجي: هل يظنُّ أن حشوة الحظ التي سمعه يتمنى أن
يعود إلى سيركوزا وهي معه، قد وقعت بين شجيرات الدغل أثناء فرار
الخاطفين؟..

لم يسعفه تفكيره بإجابة محددة، فلزم الصمت..
طلب منه أن ينتبه وهو يُشاهدُ الشريط الأخير، فربما وجد فيه ما
يساعده على الرد..
أحسَّ ديفيد بأنفاسه تتزاحم داخل صدره..
فوجئ بصور مسجلة لحجرة الاستقبال في شقته بسيراكوزاه..
بهت وجحظت عيناه وهو يرى لقطات مصورة لقوقعته وهي
ملقاة على منضدة حجرة الاستقبال، كل الكروت الخاصة به واضحة
وضوح الشمس..
وجد صعوبة وهو يبلع ريقه بينما يشاهد يد خبيرة مدربة تستبدلها
بقوقعةٍ أخرى، ثم وهي تفرغ الحبيثة وتخرج الشريحة من داخلها..
اضطرب جهازه العصبي، نتيجة انخفاض ضغط الدم..
تصبَّب منه عرق غزير وزاد جحوظ عينيه بينما ضربات قلبه
تسارع..
أحسَّ ببرودة في أطرافه، امتدَّت إلى جسده كله بدرجة ملحوظة لا
تخطئها عين، أعقبها تشنجات عصبية تبيَّسَ على أثرها حلقه ولسانه بينما
هو يشاهد محتويات الملف تعرض بتفاصيلها على الشاشة..
أمر سيرجي بوقف شريط الصور عندما شاهد ذراعي ديفيد
تتدليان بل إرادة إلى جانبه ورأسه يسقط فوق صدره مُعلنًا دخوله في
غيوبة نتيجة اضطراب الدورة الدموية..

أسرع واحد من المساعدين إلى حيث يجلس ديفيد، جسّ نبضه، ثم سلّط ضوء بطاريتيه على عينيه الواحدة بعد الأخرى..

قال بشكل تقريرى: إنه تعرّض لصدمة عصبية أدت إلى اختلال في وظائف الجسم..

بان التوتّر على وجه سيرجي..

كان لا بد أن يطلع رئاسته في موسكو على ما وقع..

مدينة موسكو عاصمة الأمن..

مسؤوليات ديمتري سيرجي كانت قاصرة عن أن تُعطيه الحق في التصرف في شأن ديفيد بعد أن تعرّض للصدمة العصبية..

ناقش أمره مع مراقب الأمن العام في موسكو..

شرح خطته التي حاصر بها المشتبه به حتى حصل على أدلة دامغة – تتوافق مع لوائح محاكمة الموظفين المتعاقدين مع الهيئات العليا التابعة للحكومة العالمية – تبرهن على أنه استنسخ لنفسه عن طريق التحايل نسخة من ملف سمحت له رئاسته بالاطلاع عليه كودياً لتقديم تقرير إليها.. وقال: إنه أُصيب بصدمة عصبية قوية أثناء عرض وثائق إدانته عليه، أفقدته القدرة على النطق..

كلا الرجلين كان يودُّ أن يكون المتهم في كامل أهليته.. أولاً لكي يتعرفا منه إن كان له شركاء، حيث من المحتمل أن يكون قد قام بنسخ الملف بناء على تكليف أو بالتنسيق مع آخرين، وثانياً لكي ينال أشد العقاب..

طراً في ذهنيهما أن معالجة الصدمة بصدمة مماثلة قد تؤدي إلى الشفاء..

لذلك كلفت موسكو استنابول أن تستدعي طاقماً متخصصاً من الأطباء البشريين والآليين لإجراء الكشف الفوري الدقيق على ديفيد للتأكد من إمكانية عودته لحالته الطبيعية في أسرع وقت بتعريضه لشحنة إفاقة كهربائية.. وإن لم يكن ذلك ممكناً، يطلب من أفرادها تحديد المدة اللازمة لشفائه..

كان سيري جي يتوقع مثل هذا التكليف، لذلك قام بتنفيذه من فوره..

بعد ساعة واحدة كان ديفيد يتمدد على منضدة الكشف الذري في عيادة العلاج الكهربائي بوسط استنابول، محاطاً بخمسة أطباء متخصصون في علاج إصابات الدماغ..

في اليوم التالي تلقت موسكو تقريراً طبياً يقول بصعوبة شفاء المدعو ديفيد أوزوالد في فترة قريبة، طلب كبار مساعدي المراقب العام من سيري جي أن يُراجع الفريق الطبيّ حول إمكانية تغيير الجزء التالف من مراكز النطق عنده بخلايا جذعية..

شرح لهم سيري جي بعد نحو ساعة أن النتائج الفورية لمثل هذا الإجراء لا تبشر سوى بنسبة نجاح لا تزيد عن ١٠ بالمئة..

قال مراقب هيئة الأمن العليا العام: إن الحل الوحيد في هذه الحالة هو عرض حالة ديفيد على هيئة المحلفين العليا، لكي ترى فيه الرأي

القانوني المناسب لحالة التلبس التي أدين بها بعد وقوعه فريسة لغيوبة
قد يطول أمدها.. لذلك كلف سيرجي أن يتحفظ عليه في مكان آمن
لمدة أقصاها يومان..

تداول أعضاء هيئة المحلفين التابعة للمحكمة الدولية العليا
شرائط الاتهام التي تحمل دلائل خروج ديفيد عن حدود مقتضيات
منصبه الوظيفي ومخالفته نصوص التعاقد مع الحكومة العالمية، وقيامه
باستنساخ ملف وثائقي يشبهه في أن يكون الغرض من ورائه تدمير جزء
من التراث الثقافي البشري بشكل أو بآخر..

أجمع أعضاء هيئة المحلفين العليا بأن حالة ديفيد أوزولد الصحية
تعارض مع إمكانية محاكمته محاكمة عادلة.. لذلك يوصون بترحيله إلى
المعزل الطبي بأفريقيا ليقضي ما بقي له من عُمر هناك..

معزل أفريقيا الطبي..

لم تتخذ الحكومة العالمية الثالثة قرارًا بإنشاء المعازل الطبية عام ٢٠٦٠ من فراغ..

وجدت نفسها مضطرة للقيام بهذه الخطوة بعد فشل الحكومتين الأولى والثانية المتكرر في معالجة الميراث الذي آل إليهما من النظام الدولي السابق الذي بدأ ترنُّحه نحو الهاوية منذ عام ٢٠٣٥..

ميراث تمثِّل في ملايين البشر الذين لا يجدون رعاية صحية في أقاليمهم على أي مستوى من المستويات، وليس معروفًا تاريخهم المرضي إكلينيكيًا، خاصة أن غالبيتهم كانوا يعانون مجموعة متداخلة من أعراض ومُلابسات صحية ولم يكن في استطاعة أحدث الأجهزة ولا أعلى التقنيات الطبية التعرف على مسبباتها، ومن ثم وصف طرق الشفاء منها أو على الأقل التخفيف منها..

أدت الكوارث الاقتصادية والفشل السياسي التي لحقت بنظام القطبية الواحدة وما ترتَّب عليه من صراع حاد بين الولايات المتحدة

والصين وروسيا مع نهاية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين من ناحية وما تعرضت له واشنطن من هزات سياسية وخلافات عرقية وقصور اقتصادي ومالي طوال العقد الثالث من ناحية ثانية، إلى تواصل التراجع الغربي على مستوى التوازنات الدولية..

زاد من حجم التأثير السلبي المتعاضم لهذين العاملين في محيطهما الأمريكي والأوروبي، توالي الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها المجتمعات السكانية التي تعيش تحت نظم حكمهم..

هذا بينما الأقطاب الآسيوية النامية بلا مشقة وباضطراد تتقدم على المستويات كافة، وكأنها أرادت الطبيعة أن تعوّضها عما لقيته على يد القُطب الأمريكي من تعنت وازدراء لعقود طويلة، فأبعدت عنها لفترة ثلاثة عقود متتالية (٢٠٢٠ - ٢٠٥٠) الزلازل والبراكين والحرائق والأمطار الموسمية المدمرة التي ابتلي بها الغرب..

ورثت الحكومة العالمية عند بداية تشكيلها مجتمعات إنسانية ممزقة شراً ممزق بسبب نظم حكم نسيت مبادئها الأخلاقية ووصاياها الدينية، ومؤتمرات دولية لا تملك مقومات تنفيذ ما تتخذه من توصيات، حتى القمم الدولية التي كان يدعا إليها بشكل دوري للنظر في كيفية محاربة الجوع، فشلت في الحد من تنامي هذه الظاهرة التي فاق عدد المدرجين تحت عنوانها نحو ملياري جائع عام ٢٠٣٥، بعد أن كان يدور حول رقم المليار فقط عام ٢٠١٠..

أدى تنامي البطالة والتخلف التقني والمشاكل الطبيعية المستعصية ونضوب النفط وندرة المياه وتفشي ظاهرة التصحر بين أبناء مجتمعات ما

كان يُعرف بالعالم الثالث، إلى اتساع دائرة الأمية التعليمية والثقافية وتضاعف مؤثر الجهل الاجتماعي، ومعها تدهورت الرعاية الصحية..

هذه الأجواء غير الإنسانية المتردية، وفّرت العلاج على مستوى العالم لشريحتين بشريتين فقط.. القطاع الأكبر من أبناء الدول المتقدمة الذين كانت لهم بطاقات علاجية مسجلة بدوائر منظمة الصحة العالمية، وأثرياء وفطاحل الطبقات العليا من أبناء دول العالم الأخرى الذين تمكنوا من شراء هذه البطاقات بعد أن تركوا سفينة أوطانهم وهي على وشك الغرق..

قررت الحكومة العالمية الثالثة عزل الملايين من المرضى الميؤوس من شفائهم، لأسباب وراثية مزمنة، وكذا المتخلفين عقلياً بسبب المنشطات التي استعان بها آبائهم للتخلص من التوتر وضغوط الحياة أو لاستجلاب النشوة أو لتنشيط قدراتهم الذهنية والجنسية بالإضافة إلى ذوي العاهات، في أماكن بعيدة عن الأقاليم التي يعيش بها الأصحاء والأسوياء.. للحد من نشر عدواهم المرضية وللقضاء على عوامل تلويثهم للطبيعة بما يتكونه وراءهم من مخلفات ونفايات ..

لهذا السبب أقيمت معازل طبية ثلاثة .. واحد في جنوب قارة أمريكا اللاتينية والثاني في قلب القارة الأفريقية والثالث بوسط قارة آسيا..

اللافت للنظر أن هذه المعازل التي تأسست بهدف الحد من الآثار المتضاعفة لوجود مرضى لا أمل في تعافهم، فتحت أبوابها فيما بعد لمتهمين بالآلاف قدموا إليها من الولايات المتحدة وكندا والغرب

الأوربي، وأيضًا من دول التحالف الاقتصادي الأقوى الذي أصبح المؤثر الأساسي في مجمل قرارات الحكومة العالمية، تنفيذًا لأحكام بالسجن مدي الحياة اصدرتها في حقهم المحاكم الدولية بالسجن لأسباب متنوعة..

عانت هذه المعازل في أول أمرها أشد المعاناة من سلوكيات نزلائها الذين كان القوي فيهم يفرض سيطرته على الضعيف، مما عرّض من لا حول لهم ولا قوة لكل أشكال المهانة والإيذاء وحتى القتل..

باختصار ساد قانون الغاب في هذه المعازل بعدما طبّق الأقوياء المفهوم العملي للقبضة الحديدية.. ومارست الأغلبية بالمفهوم العددي للقوة، مظاهر الهيمنة والسيطرة..

وإذا أضفنا إلى ذلك الحيوانات المفترسة والسامة، أصحاب تلك الأراضي الأصليين والذين اضطرت دورتهم الحياتية بسبب قدوم هذه الأعداد الهائلة من البشر مما جعلهم أشد عدوانية وأفتك تعاملًا، لعرفنا مدى القسوة التي فُرضت على هؤلاء المرضى الذين وقعوا بين أمراض لا رعاية لها وقانون غاب يفرضه عليهم الإنسان والحيوان معًا..

في بداية الأمر لم يكن هناك اهتمام كافٍ من جانب الحكومة العالمية بتوفير عناية ورعاية لهؤلاء المحتجزين داخل هذه المعازل سواء كانوا مرضى أو مساجين، ولا كان هناك اهتمام بتوفير أي نوع من الخدمات لهم..

تُرك لكل واحد من قادته مقاديره إلى واحد منها أن يتكيف وفق قدراته ومهاراته مع مظاهر الطبيعة والحياة الحيوانية والعداء الذي يضمّره له بنو البشر، إن تمسك لسبب أو لآخر أن يبقى على قيد الحياة..

أما حاجاتهم من الطعام والشراب والكساء فكانت تصلهم دورياً عن طريق الطرود التي تهبط عليهم من السماء، وعلى كل منهم أن يحصل بالقوة على ما يحتاج إليه! ومن لا يستطع منهم فهذا حظه ونصيبه وعليه أن يواجهه وحده..

أحيطت هذه الأمكنة الموبوءة بأسوارٍ عالية وأبراج مراقبة آلية تعمل ببرمجيات فائقة التقنية ليل نهار، تحميها من الداخل الأشعة فوق الحمراء التي تصيب من يقترب منها بإغماء مؤقتة تجعله لا يفكر في تكرار التجربة..

بعد عقدين لقيت هذه المعازل بالتدريج اهتماماً تقنياً وطبياً بعد سلسلة من المراقبات العلمية التي تابعت المحشورين فيها وحللت تصرفاتهم وتمكنت من وضع تصنيفٍ مبدئيٍّ لهم..

قلة قليلة ممن بقي على قيد الحياة ممن سيقوا إليها لسببٍ أو لآخر، استفادت من هذا الاهتمام بعد مراحل طويلة من المعاناة والتجريب.. أما الغالبية فتركت لمصيرها الذي كان دائماً ما ينتهي بالموت الطبيعي أو عن طريق الانتحار أو القتل..

وعلى سبيل التطوير والتحديث وافقت الحكومة العالمية الخامسة ٢٠٧٠ على اقتراح للهيئة العليا للأمن يقضي بترحيل الصادر ضدهم أقسى العقوبات على مستوى العالم - وهي السجن مدى الحياة - بعد إلغاء عقوبة الإعدام شتقاً أو بالكُرسي الكهربائي - إلى واحد من هذه المعازل بدلاً من التحفظ عليه وراء قضبان السجن المكلفة مالياً..

بقي ديفيد في محبسه الإجباري في استانبول ثلاثة أيام، لا يدرك ما يدور حوله..

لم يشعر بالكشف الطبي المكثف الذي أُجري عليه أكثر من مرة، لم يكن يتحرك من مكانه لكن عينيه كانتا تدوران في مقلتيهما ما دامتا مفتوحتين.. وضحت على محياه معالم الانكسار وبيان عليه الهُزال لأن نفسه عافت الطعام والشراب..

بعد أن أصدرت هيئة المحلفين حكمها عليه، كلف سيرجي طاقم الحرس الأمني التابع له بترتيبات نقله بالطائرة إلى المعزل الطبي الأفريقي..

حملته طائرة عسكرية خلال ساعات معدودة من مطار استانبول إلى مطار ياوندي في غرب أفريقيا، ومن هناك نقلته سيارة مصفحة تُستخدم في مطاردة الحيوانات المتوحشة إلى داخل المعزل الطبي..

مدينة سيركوزاه

انقضت الأيام الثلاثة التي قال ديفيد إنه سيمضيها في استانبول ولم يعد..

بدأت الهواجس تُطارِدُ روزالين ولكنها عملت على طمأنة حالها أن مهمته ربما امتدت بضعة أيام أخرى..

ولما انقضى أسبوع كامل انتابها المخاوف، فكرت في الاتصال به، ولكنها أجّلت الخطوة بعض الوقت ثم جازفت في اليوم الثامن، ولكنه لم يرد لا على التليفون ولا فتح القناة السمعية البصرية الملحقة بالكومبيوتر..

شغل غيابه تفكيرها ساعاتٍ طويلة..

تذكرت أحواله معها، رغم غضبها عليه كانت تتمنى عودته لتنعّم بقربه..

فكرت مرة أو مرتين في سؤال أندرو عنه، لكنها أحجمت حتى لا
تُدخل نفسها في متاهات قد تجرُّ عليها مشكلاتٍ هي في غنى عنها، فهي
على الأقل تعرف أن ساحتها لم تكن بريئة..

ولما مرَّ نحو شهر على سفره، وقَرَّ عندها أن صاحبها لا بدُّ أدين
بسبب صديقتيه اللتين التحقتا بسلاح الحدود، أو بسبب آخر..

أفنت نفسها في نهاية الأمر أنه يستحق الجزاء الذي وقع عليه أيًّا
كان حجمه، وبرغم ذلك بقيت فترةً طويلةً تشتاق إليه وتتمنَّى عودتها
إلى أحضانه..

ولما طال بها الانتظار نسيته، وسرعان ما انشغلت بحبيب آخر..

ميناء سان دياجو..

لم تكن مدينة سان دياجو الساحلية المطلّة على شاطئ المحيط الباسفيكي ميناءً من موانئ غرب الولايات المتحدة الشهيرة، حتى بدأت تتعرض البلاد للانهباء الاقتصادي.. كانت تتمتع فقط بسمعة عالمية في ميدان إنتاج بعض الصناعات الحربية إلى جانب الأدوات الكهربائية والأجهزة الإلكترونية ذات الحساسية العالية..

كانت تُعدُّ حتى نهاية العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين المدينة الثانية بين أكبر مدن ولاية كاليفورنيا، والخامسة على مستوى الولايات كلها من حيث الثروة..

هذه المكانة جعلتها - أي الولاية - تتمتع بشبه استقلال ذاتي من الناحية الاقتصادية منذ عام ٢٠٣٥ مما مكَّنها أن تقلل إلى حدٍّ ما من حجم الأضرار والانهباءات الاقتصادية والاستثمارية التي عانتها بقية الولايات..

ولما تقطعت معظم وشائج التواصل والاتصال بينها وبين حتى
أقرب الولايات إليها: أوريجون في الشمال وأريزونا في الجنوب ونيفادا
في الشرق، وسعت من قدرات ميناءها التي كانت قاصرة على إصلاح
وبناء السفن وجعلت منه همزة الوصل بينها وبين الآخرين..

كان الوقت مبكرًا صباح يوم ١٥ ديسمبر ٢٠٩٩ عندما بدأت
مظاهر الحياة الرئيسية في الميناء تنشط وتتدفق بالقرب من رصيفها
الرئيسي وفوق ظهر الباخرة العملاقة زودياك استعدادًا لصعود
المسافرون اليهود إلى سطحها..

الجو حول الميناء والمدينة كان صحوًا برغم درجة الحرارة
المنخفضة في مثل هذا الوقت من العام، وإن كانت بعض الغيوم البعيدة
تحجب الأفق الغربي..

السعادة تنشر أجواءها فوق رؤوس المئات من الركاب الذين
جاؤوا من كاليفورنيا وتكساس ودلاس، وبالطبع من لاس فيجاس
بالإضافة إلى العشرات الذين قدّموا من كندا ومن الجنوب اللاتيني
متطلعين لزيارة مدينة أورشليم، التي لا تزال عظات الحاخامات تصفها
بأنها العاصمة التي اغتصبت من شعب الله المختار، ترنُّ في آذانهم كلما
شاركوا في صلوات الراحة التوراتية المقدسة أيام السبت..

زُرقة مياه المحيط الهادئ الذي تضرب أمواجه الناعمة جوانب
السفينة ورصيف الميناء تبعث على الراحة، ولكنها لا تخفف من حدة
التوتر الذي يتتاب المسافرين في رحلات طويلة مثل تلك التي يستعدُّ
الجميع لخوض غمارها..

كانت السفينة زودياك عملاقة ذات طراز قديم، لذلك نبّه المشرفون على الرحلة المسافرين أنها ستقضي أيامًا أطول لقطع المسافة بين مينائي سان دياجو وعكا لأن سرعتها متوسطة، ولما تساءل البعض منهم: لماذا لم يتعاقدا مع سفينة أحدث وأسرع؟ قالوا لهم: إن اختيار الحاخامية لتسفيرهم على ظهر هذه الباخرة خفف عنهم سداد تكاليف أضخم للرحلة، إلى جانب أن ملاكها من اليهود وافقوا على التبرّع بمبلغ أكبر من غيرهم للمعبد الكبير..

عند سلّم السفينة وقف الحرس العالمي بزيه الرسمي المائل إلى اللون الأخضر يدقق في بطاقات الهوية الإلكترونية، للتأكد من مطابقة مواصفات المسافر المائل أمامهم لما تحتفظ به أجهزة الكمبيوترات في ملفه الشخصي من صور وبصمة عين وصوت..

كان من المقرر أن يكون أول الصاعدين الحاخام الأكبر يوئيل عاموس، لكنه عندما رأى مجموعة من المسافرين كبار السن تستند بوهن على أكتاف بعض شباب اليهود المتطوعين، اقترب من كبير الحرس واستأذنه في أن يؤخّر صعوده حتى يطمئنّ على ركوبهم قبله..

وافق الرجل وأمر مجموعة من مساعديه بحمل أمتعة كهول الرحلة إلى سطح السفينة، بينما راح آخرون يطابقون بصماتهم عبر الأجهزة..

تم فحص جميع الركاب وأمتعتهم، وكان آخر من صعد سلم السفينة في أعقاب الحاخام الأكبر مساعده الأول أفي سيفر الذي لم ينسَ أن يشكر الحرس وقائدهم جزيل الشكر على عظيم مساعدتهم..

عندما اجتاز آفي آخر درجات السلم في طريقه إلى سطح الباخرة تلقاه جوهان بالترحاب، كان يعرف أنه سيبادر بسؤاله: هل انتهى من إسكان كبار السن؟ فأسرع بطمأنته مؤكِّدًا أنهم في حالة ابتهاج لا تُوصَف بعد أن أحسُّوا باقترابهم من الأرض التي ستمدهم بزاد يُقوِّيهم ضد قوى الشر التي تتربص بهم..

على مبعدة منهما كان يؤيل يتبادل أطراف الحديث مع واحد من مستشاريه عندما لمح جوهان، فأشار إليه أن يأتي.. ولما حازه طلب إليه أن يخطر مجموعة المسافرين الذين سينضمون إلى ركاب السفينة من سيراكوزاه بتوقيت وصولها وأنها ستبقى بالميناء من مساء الجمعة إلى صباح الأحد، وشدَّد عليه أن يؤكِّد عليهم ضرورة أن يصطحبوا معهم احتياجاتهم الأساسية كونهم يهود مُخلصين..

فهم جوهان المراد منه، وعد بالتفنيذ فورًا وهو ينحني ليقبل يده..

ميناء مومباي..

اختفت كل مظاهر تقلُّب الطقس في غربي شبه الجزيرة الهندية تمامًا
من حول ميناء مومباي في صباح يوم ٢٠ ديسمبر ٢٠٩٩..

بدلاً من الزوابع والأعاصير، نشرت السماء صفوها على المكان
وساهمت درجة الحرارة المعتدلة في إشعال الحماس الذي يمدُّ بهاءه في
كل ركن من أركان الميناء..

ميناء مومباي الذي كان يطلق عليه حتى عام ١٩٩٦ بومباي يعد
من أشهر وأقدم الموانئ الطبيعية في العالم بسبب عمقه وتركيبته
الساحلية.. أقامه أباطرة الهند بعد توحيدهم لسبع جزر كانت مراكز
كبرى لصيد الأسماك والاتجار بها عبر بحر العرب.. ولما وقع الميناء في
يد البرتغاليين ومن بعدهم الإنجليز عملوا على تطوير قدراته وأصبح
بمرور الزمن مركزاً تجارياً مرموقاً، وبعد استقلال الهند عام ١٩٤٧
أصبح منارة للتعليم والصناعة والتجارة والإنتاج السينمائي
والتلفزيوني..

تطورت أهمية وقدرات الميناء لدرجة أنه صار في بداية القرن الحادي والعشرين يتحكم في نحو ٦٠٪ من حركة التجارة الهندية الداخلية والخارجية، وأصبح بعد إعلان قيام الحكومة العالمية عام ٢٠٥٠ الميناء الثاني بين أكبر الموانئ الآسيوية..

كان المسافرون إلى مدينة القدس عاصمة السلام من اليابان والصين والهند وجنوب شرق آسيا في غاية من الحبور والسعادة، فهذه هي المرة الأولى التي يحتفلون فيها مع جماعات دينية أخرى ببداية سنوات التقويم الخاصة بكل منهم..

شهرة بدايات سنوات تقويم أيام ومناسبات أصحاب الديانات الأرضية القومية والدينية عرفت وانتشرت على مستوى العالم خاصة مع نهاية القرن العشرين، حين اكتشف البعض ممن يعشقون قراءة الطالع في العالم الغربي وفي الشرق الأوسط أن ما تنبأت به لهم أبراج السنوات الصينية واليابانية والهندية تحقّق بشكلٍ أو بآخر..

وعندما نقلت وسائل الإعلام والفضائيات عن الكثير من مشاهير السياسة والفن والرياضة خاصة في الغرب وأمريكا، أنهم أضحوا يربطون جانباً من تفاؤلهم وتشاؤمهم في الكثير من الحالات المزاجية التي يمرون بها بتوقعات تلك الأبراج! زادت شهرتها بل فاقت غيرها من الأبراج التي كانت تحتلُّ قمم تنبؤات المستقبل على مستوى العالم، لدرجة أن مقابلة أي من مشاهير العالم لواحد من هؤلاء المنجمين في عمق القرية الآسيوية النائية التي يعيش فيها، كانت تتطلب ترتيبات وكلفة مالية لا يقدر عليها سوى المليونيرات منهم!..

وبالرغم من انفصام عُرى التواصل حول الأبراج وقراءة الطالع
بين الشرق والغرب بسبب أزمات المجتمعين الأوروبي والأمريكي المالية
والاستثمارية المتتالية، فإن سمعة منجمي جنوب آسيا بقيت رنانة عبر
الفضاء الكوني الواسع.. وها هو عدد منهم يستعد مع الآلاف من
مواطنيهم للمشاركة لأول مرة مع أصحاب الديانات السماوية في
الاحتفال الذي سيقام بمدينة القدس تعبيراً عن وحدة البشر..

تميزت تجمعات المسافرين الآسيويين التي خيم عليها الهدوء
والوداعة باللونين الأبيض والبرتقالي..

كان حديثهم هامساً في أغلب الأحيان..

لما انتشر ضوء النهار.. بدؤوا في تلاوة صلاة خاصة بالسفر عن
طريق البحر، صلاة يؤمنون أنها تحميهم من كل سوء وخطر..

الناظر إليهم سيلاحظ - بلا عناء - أنهم يؤدون صلاتهم بخشوع
ملحوظ وثقة مفرطة، وفي يقينهم أنها ستبعد عنهم احوال الطبيعة
وتحميهم من الشرور الجاثمة في أعماق المياه..

بعد تمام لحظات التعب اصطفوا في نظام بديع للفحص
الإلكتروني، وصعدوا خفافاً على سلم السفينة فلم يكن معهم أمتعة!
سوى ما يرتدونه من أثواب ملفوفة حول أجسامهم وصنادل في
أقدامهم.. حتى آلاتهم الموسيقية البدائية لم تكن تمثل أحمالاً ثقيلة..

ولما امتلأ بهم السطح توزعوا بين طوابق السفينة بنظام..

في مقدمة السفينة جلس زعيمهم على كرسيه الخشبي الأبونسي..
وعندما أطلقت السفينة صغير إعلان مغادرتها لرصيف الميناء، أشار
إليهم فلزموا الهدوء التام جالسين القرفصاء.. كل منهم يضمُّ كفيه
إحداهما إلى الأخرى تشملهم سكونة لا ريب فيها..

الحدود الشمالية لمدينة روما..

استعدت سيارات فريقى السباق قبل يومين كاملين بكل ما تحتاجه للمشاركة في سباق البحر الأبيض المتوسط.. الخرائط، مصدات الحماية من حوادث الانقلاب، شبكات تغطية الإطارات المعدنية التي تساعد على عدم الانزلاق فوق الطرق المغطاة بالثلج في هذا الوقت من العام، طفايات الحريق.. إلخ..

قضى الجميع الليلة السابقة على بداية السباق معًا، نجحوا في التخفيف من حدة التوتر التي كانت تلف كلاً منهم على حدة.. ساعدهم إيمانويل على التواصل، بينما كان هو في حاجة ماسة لمن يخفف عنه قلقه على شقيقه التوأم..

كان يتوقع أن يكون ديفيد أكثر من يعمل على الاطمئنان عليه وتشجيعه، ولكنه لم يتصل به منذ أسبوعين، ولم يرد على محادثات الاتصال به المتعددة!..

ولمّا أحسَّ أن قلقه على شقيقه سيؤثر فيه معنوياً حرص على أن يشغل نفسه بمتابعة التقدُّم شبه اليومي الذي تشهده التجهيزات اللازمة لكل فريق..

أنسته الترتيبات النهائية المتلاحقة وما ينجم عنها من مشكلات هامشية، تقصير توأمه في السؤال عنه.. لكن صورته كانت تطفو على سطح مخيلته كلما هدأت الأحوال من حوله فيجد نفسه دون إرادة منه يفكر فيه..

باشر فريق المتطوعين منذ الساعات الأولى لصباح يوم ٢٠ ديسمبر ٢٠٩٩ إخلاء الطريق السريع الذي يربط بين مدينة روما وإقليم فلورنسا تماماً في كلا الاتجاهين..

كان سكان المدن الصغيرة والقرى على امتداد المسافة الفاصلة بين الطرفين يعرفون منذ فترة بهذه الخطوة فساعدوا بنصيب وافر من جهدهم في تحقيقها في وقت قياسي، فكل واحد منهم كان يعتبر نفسه مسؤولاً عن إزالة أية عقبات قد تؤخر ترتيبات بدء السباق..

لمّا تأكد للمشرّفين على السباق، عن طريق أجهزة الاتصال ونقاط التمرّكز المنتشرة على مسافات محسوبة وطائري الهيلوكوبتر التي تقوم بمسح المنطقة على مدار الساعة، أن المئتي كيلومتر أصبحت خالية تماماً وجاهزة لانطلاق سيارات المتسابقين بسرعتها العالية، رتبوا لانطلاقاتها المتتابعة تحت إشراف إيمانويل أزويلد الذي كان لا يزال يعاني حالة القلق التي برّرها البعض بمناسبة الحدث الذي يتحقق على يده لأول مرة..

لا يدري أسباب توقف الاتصالات بينه وبين شقيقه! ليس من عادة ديفيد أن يتأخر في السؤال عنه فترة طويلة.. لا يردُّ على الهاتف، ولا يفتح قناة التواصل السمعية والبصرية..

إيمانويل يعرف أن شقيقه كثير الأسفار، لكنه يعرف أيضًا أنه لم يهمل في السؤال عنه من قبل كما فعل هذه المرة، ما يشغل إيمانويل أنه لا يعرف وسيلة أخرى للتواصل معه.. حتى عندما كان ينشغل بعلاقة نسائية جديدة كان يداوم السؤال عنه والاستفسار عن أحواله الصحية بلا كلل، لا يدري لو لم يكن مشغولاً كل هذا الانشغال بترتيبات السباق، ماذا كان سيكون حاله وهو لا يملك طريقة محددة لمعرفة أخباره..

في الموعد المحدد أعطى إيمانويل إشارة الانطلاق للفريق الأول المتجه غرباً، وبعد فترة منحها للفريق الثاني المتجه شرقاً.. وبقي قريباً من منصة المراقبة يتلقّى تباعاً أخبار مرور قائدي السيارات بنقاط المتابعة حتى بلغوا مدينة فلورانس ومن عندها اتجه كل فريق إلى وجهته..

الغربي اتجه إلى مدينة نابولي ومنها إلى البروفانس متتبّعاً سواحل حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبية الغربية، أما الفريق الشرقي فاتجه إلى مدينة البندقية ومنها يميناً إلى مدينة بلجراد بحذاء الطرق التي تمر عبر جبال وسط أوروبا حتى مدينة بوخارست..

أقام إيمانويل وبعض أعضاء مجلس إدارة مدينة شتوتجارت يومين في مدينة روما يتابعون عن كثب أخبار تقدّم فريقَي السباق في مضمارهما

الطبيين.. بعدها كان عليه أن يُسافرَ إلى عاصمة السلام لكي يكون قريباً من مرحلة سباق الفريق الأول الأخيرة..

رغم هذا الانشغال بان عليه التوتر، وكلما استفسر منه أحد عن السبب علَّل ذلك بخشيته من أي طارئ سلبي يؤثر في بهجة الحديث والمناسبة..

كان إيمانويل يتوقع من شقيقه ديفيد أن يتصل به مُهنئاً بانطلاق السباق بعد أن غطت الفضائيات انطلاقته إلى أركان الدنيا الأربعة..
آله كثيرًا أن يتلقَّى رسائل تحمل أمنيات طيبة له من أناس لم يتواصل معهم منذ فقد ابنه..

أما ديفيد الذي يعرف مدى ارتباطه بفكرة السباق، وما زال يحسُّ بطعم السعادة التي لَوَّنت صوته لما أبلغه بموافقة الحكومة العالمية على أن يقوم بتنفيذها والإشراف عليها، فلم يهاتفه حتى اللحظة..

يتذكَّر الآن أنه أشفقَ عليه من مساحة البهجة التي اجتاحتها وهو يحكي أنه سيشارك في تقديم الجوائز للفريق الفائز، وأنه رجاه أكثر من مرة أن يخفف من شدة انفعاله!..

حط الاكتئاب على إيمانويل وهو يجلس في مقعده بالطائرة المتجهة إلى مطار دمشق الجوي، فبرغم كل شيء كان يُمنِّي نفسه بمكالمة من ديفيد قبل أن يغادر روما..

خشي في قرارة نفسه أن يكون وراء اختفائه سبب ما..

مطار مدينة روما ..

شهدت مدينة روما رواجاً سياحياً لم تشهده منذ سنوات بسبب
آلاف القادمين إليها من أنحاء متفرقة استعداداً للسفر جواً إلى مدينة
القدس ..

ساعد الطقس معتدل البرودة الذي حلَّ بالمدينة مع شروق شمس
يوم ٢٩ ديسمبر ٢٠٩٩ حاملاً معه رذاذاً خفيفاً أشاع الانتعاش، على
انسيابية الازدحام خاصة بين العجائز الذين كانت حمرة ملامح
وجوههم تعكس بشراً واضحاً للعيون ..

أتى هؤلاء الزوار كما رتب المكتب الاستشاري للبابا من جميع
أنحاء الأقاليم الأوروبية ومن الولايات المتحدة وكندا وأمريكا اللاتينية
إلى مدينة روما في أفواج ..

بعضهم بلغها قبل الموعد المحدد للوجود داخل الصالة الكبرى
للمطار ببضع ساعات، فقصده من فوره لزيارة المقر البابوي والتبرك به،

والبعض الآخر انتهاز الفرصة لزيارة الأماكن السياحية التي كان يسمع عنها..

حرص غالبيتهم على التوجُّه مباشرة إلى مكان التجمع خشية أن يتسبب ظرف طارئ في حرمانهم من الرحلة التي ظلوا يحلمون بها عدة أشهر..

عندما بدأت الإجراءات كانوا جميعاً منتظمين في مسارات متناسقة ومنتظمة وقوفاً أو فوق المقاعد التي صفت لهم خارج المطار وداخله استعداداً للحظة صعودهم إلى الطائرات المتجهة إلى ميناء دمشق الجوي..

أقيمت بالقرب من مجموعة الطائرات التي اصطفت في انتظار الإقلاع تباعاً، منصة عالية جلس داخلها البابا يتلو صلواته ويمنح بركاته للصاعدين إلى داخل كُلِّ منها..

وُزِعَ العمل بين أفراد الشرطة العالمية بزيهم الأخضر المميز داخل صالة المطار الواسعة إلى فريقين أحدهما يقوم بفحص الأمتعة بشكل جماعي، والثاني يجري عملية التثبت من هوية المسافرين إلكترونياً..

عمّت الفرحة جميع من كانوا داخل الصالة وخارجها عندما شاهدوا أول طائرة تنطلق في السماء، بعضهم عبر عن شعوره بالتصفيق والبعض الآخر سالت دموعه بلا إرادة منه..

كان البابا وهيئة مستشاريه آخر الصاعدين إلى الطائرة الوحيدة الباقية التي كانت في انتظار نيافته بعد أن بارك كل المسافرين، لاحظ الجميع ملامح البُسْر والسُرور التي حملتها ملامح وجهه وهو يشير تحيياً وشاكراً أفراد الشرطة العالمية وغيرهم من العاملين في المطار..

خارج مدينة مكة عاصمة المسلمين..

حرص غالبية المسافرين من مكة والمناطق المحيطة بها على قضاء الليلة السابقة على صباح يوم ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٩ بالقرب من الحرم المكي.. معظمهم أقبل على الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، وعلى التعب شوقاً ومحبةً وتقرباً إلى الله.. وقلة منهم جمعوا بين زيارة الأقارب والمعارف الذين لم يروهم منذ فترة طويلة وبين أداء الشعائر..

هلت على الجميع ملامح الفجر رطبة تبشر بيوم حارٍّ بعض الشيء..

ولما بزغت الشمس من الأفق مصحوبة ببعض السحب الرمادية استبشر المشرفون على المسيرة المتجهة إلى مدينة القدس خيراً، لأن ذلك ينبئ بنزول بعض المطر الخفيف الذي دائماً ما يلطف من حرّ النهار على المسافرين ولو بشكل نسبي..

سمع أهل مكة وضيوفها عبر مُكَبَّرات الصوت من يُعيدُ عليهم التأكيد بضرورة الوجود بعد الانتهاء من أداء صلاة الفجر مباشرة عند نقطة تجمُّع سيارات النقل الجماعي، والتي سيقودهم إليها مجموعة من المتطوعين الذين يرتدون سُتراتٍ عليها صورة مسجد قبة الصخرة..

كان مجلس إدارة المدينة قد اتفق في آخر اجتماع تنظيمي على تحديد مكان واحد للانطلاق حتى لا تحدث تضاربات لا مبرر لها قد ينجم عنها تأخير في توقيتات بداية التحرك، لذلك اختاروا أن تصطف السيارات الحديثة المكيفة عند نقطة تلاقي الطريق الدائري الأول مع شارع إبراهيم الخليل، ومن هناك تبدأ رحلتها في اتجاه شارع أم القرى الذي يقود إلى بداية الطريق الذي يربط مدينة مكة بطريق الشام الشمالي..

كانت ترتيبات السفر كما وضعوها تقضي بتحريك القافلة مع بداية شروق الشمس في اتجاه المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها ينطلقون في اتجاه تيماء للمبيت في الخيام المجهزة التي أُقيمت منذ أسبوعين استعدادًا لهذه المناسبة الفريدة، ثم التحرك منها مع شروق شمس اليوم الثاني إلى مدينة العقبة للحصول على بعض الراحة ثم التوجه إلى المدخل الجنوبي لمدينة القدس عبر الطريق المحاذي لوادي الأردن..

تحركت القافلة في موعدها وقطعت المسافة إلى المدينة المنورة في الوقت المحدد بلا عقبات، لكن عندما انتهوا من زيارة مسجد الرسول وصلوا صلاة الظهر.. اقترح البعض قضاء بقية النهار والليل في رحاب

الروضة النبوية لأنه لا يكفي أن يصلوا صلاة واحدة بالمسجد النبوي الشريف، بل إن مجموعة منهم اقترحوا التغاضي عن استكمال السفر إلى القدس والاكتفاء بتمضية أيام الرحلة في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم..

كادت تحدث مشادة لولا تدخل الحكماء من كبار السن لتهدئة الموقف..

لم يتنازل الراغبون في قضاء وقت أكبر في رحاب قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجده وكذا الراغبون في إلغاء بقية الرحلة، عن رأيهم إلا بعد أن وعدهم الشيخ عبد الرزاق بن أبي السعود بتحقيق رغبتهم عندما تتوقف السيارات في نفس المكان وهم في طريق العودة بعد انتهاء زيارتهم لمدينة القدس التي هي السبب المباشر لرحلتهم هذه..

استكملت القافلة مسيرتها إلى تيماء، وقضى المسافرون ليلتهم في خيام صحراوية أعادت إلى الشيوخ منهم ذكريات رحلات البر التي كانوا يسافرون فيها مع الآباء والأجداد..

بعد أداء صلاة الفجر، استكمل المسافرون طريقهم إلى مدينة العقبة، حيث استراحوا مدة ساعتين، ثم سار بهم الركب بمحاذاة وادي الأردن حتى بلغوا محلة بئر سبع..

معزل أفريقيا الطبي..

يتراءى لمن ينظر إلى ديفيد أوزوالد وهو يعيش تعاقب أيامه ولياليه في المعزل الطبي على مسافة من برج المراقبة المحصن، أنه أقلم حياته هناك.. وهذا غير صحيح، فالصدمة العصبية لم تغادره بعد، بل يمكن القول إنها تفاقمت من ناحية لأنه لا يعرف لماذا جاؤوا به إلى هذا المكان الذي لا يعرفه، ومن ناحية ثانية لأن المكان نفسه يمكن أن يصيب صحيح البنية سويَّ العقل بلوثة وانهيار.. فما بالناس وهو قد أتى إلى هنا وهو يعاني صدمة عصبية!..

فوق ذلك كله ساهم فقدانه للنطق من سوء حالته!..

في البداية كان يلزم مكانه طوال الوقت بعد أن قُوبِلَ بازدراء لا يعرف له سبباً وتحرش به الكثيرون دون داعٍ..

ولما حاول البعض بعد فترة أن يتواصل معه، ابتعد مُشيرًا إلى فمه أنه فاقدٌ للنطق..

اضطرت الظروف البيئية المحيطة به إلى التجول كثيرًا في أنحاء
المعزل..

اصطدم أثناء تنقلاته العشوائية دون قصد بنزلاء آخرين، ابتعد عنه
بعضهم ولكمه بعضهم في وجهه، وطرحه أشدُّهم عنفًا أرضًا بقسوة..
رغم تعاقب الليل والنهار لم تقم بينه وبين أي واحدٍ ممن حوله
معرفة، فالغالبية ضعفاء البنية منطوون على أنفسهم يتجنبون الجميع..
أما الأشداء فلهم سطوة تخيف الآخرين فينسحبون إلى أطراف المكان
البعيدة..

كل مكان ظن أنه يمكن أن يُخصَّصه لنفسه، اكتشف بعد فترة
طالت أم قصُرت أنه لشخص آخر أو أن أحدهم قرر فجأة بدون سبب
أن ينتزعه منه..

تعوّد ألا يقيم في مكان واحد مدة طويلة..

نَبِيّ تحديد الأيام وعاش تعاقب شروق الشمس وغروبها كما وجد
الآخرين يعيشونه..

في أيامه الأولى لم يعرف ماذا يُسمّي المكان الذي وجد نفسه فجأة
فيه..

لاحظ أنه محاطٌ بمجموعة من الأبراج شديدة التحصين، تُحذر
مجموعة من اللافئات إلى خطورة الاقتراب منها..

شاهد بعد بضعة أيام من وصوله شجارًا وحشيًا بين عملاقين،
دفع أحدهما الآخر بقوة هائلة ناحية واحد من الأبراج، فأصيب بإغماءة

فورية، سُمع على أثرها إطلاق وابل من الرصاص تفرق على أثره كل من كان بالمكان.. ثم قامت رافعة عملاقة بدفع المغمى عليه عدة أمتار بعيداً عن الحصن..

لاحظ أن حرس الأبراج يراقبون كل صغيرة وكبيرة تقع بالقرب منهم عن طريق معدات تقوم بمسح المكان ليل نهار..

لفت نظره أنهم يتدخلون لفض الاشتباكات التي تجري على مبعدة مرئية منهم وفق طبيعتها وما يمكن أن تتمخض عنه.. في معظم الأحيان يتركون المعارك حتى ينهيها المشاركون فيها بطريقتهم الخاصة ما داموا لم يجتازوا المنطقة القريبة من الأبراج، بينما يسارعون إلى إطلاق القنابل المخدرة إذا كشف الاحتكاك الدموي عن تطوُّر يهدد باقتحام إحداها أو بالانتشار في مساحة أوسع مما هو مرئي..

تأكد له بعد مرور وقت لا يعرف كم هو، أن معظم البشر من حوله مرضى..

عرف بالتجربة والملاحظة أنه لا توجد خصوصية لأحد.. من أراد أن يمشي عارياً يفعل.. من أرادت أن تُطارح رجلها أو أي رجل الغرام فلا حرج.. من رغب في ممارسة الشذوذ لا يعوقه مانع..

عرف بمرور الأيام مواعيد تخليق الطائرات المروحية التي تُلقى عليهم في أماكن متفرقة من المكان كل أسبوع بطرود الأطعمة والمشروبات، وشاهدتهم مرة وهم يفتحون طروداً كانت بها ملابس..

سمع مرة أحد الأبراج يكرر عبر مكبر الصوت النداء على اسم
بعينه، ولما اقترب صاحبه لمسافة معينة قذف له بعبوة كرتونية، عرف فيها
بعد أن بها كمية من الأدوية الخاصة به..

بمرور بعض الوقت بدأ ديفيد يستعيد جزءاً من ذاكرته، لكن
حاسة النطق بقيت على حالها عاطلة تماماً عن العمل..

أدرك أن شمساً كثيرة أشرقت وغربت عليه مثلها، لكنه لم يعرف
في أول الأمر كم مرَّ عليه من أيام..

عانى بعض الوقت الرطوبة العالية، وكاد أن يَلْقَى حتفه عندما
تعرَّض لأول مرة لموجات موسم المطر الطويل الذي هطل عليه وهو في
العراء، لولا تلك المرأة العملاقة التي حملته على كتفها إلى حيث آوته ثم
استخدمته لإطفاء شهوتها..

بَقِيَ عدة أيام ينام في كوخها ويصحو على صوت تساقط الأمطار،
انتبه مرة أثناء الليل على صوت برق متعاقب تلاه سيل هائل من
المطر..

فجأة ازدحم دماغه بمشاهد مضاجعته لروزالين ومادلين..

سرح لبعض الوقت..

تتباعث على رأسه مشاهد مرتبطة إلى حد كبير بهاتين المرأتين..

طاف بمخيلته من بعيد ضياع القوقعة والعمور عليها..

استرجع مشاهد عبث خاطفيها بمحتوياتها..

تذكر بقوة مواجهته بالخطأ الذي ارتكبه..

تجسدت في مخيلته بعنف بشاعة منظر المدعو سيرجي وهو ينظر إليه
بينما رأسه يهوي بكل ثقلها فوق صدره..

بعد فترة من الزمن لا يعرف طولها، نجح ديفيد في خلق وسيلة
تفاهم فطرية مع رجل كهل بادلته الابتسام مُشفقاً عليه مرة، ثم أبدى
تعاطفاً معه عندما رآه يبكي بعد أن خطف منه أحدهم ما كان بيده من
طعام وأوقعه أرضاً ثم بال عليه..

بعد أن اختفى الخاطف، ساعد الكهل صاحبنا علي النهوض
وتقاسم معه طعامه، ولما خاطبه فهم من إشارة يده أنه فاقدٌ للنطق،
بدأت بينهما صداقة..

عرف ديفيد من صاحبه الوحيد عن طريق الكتابة على تراب
الأرض، أن المكان الذي يعيشان فيه مع عدد لا يُحصى من البشر يطلق
عليه المعزل الطبي! وذلك عندما استفسر منه الرجل عن نوعية المرض
الذي أتى بسببه إلى هذا المكان، لأنه يبدو في نظره معافئ..

بان الحزن في عيني ديفيد وهو يهز كتفيه بتلقائية ويقلب كفيه.. أنه
لا يعرف..

دُهِش في قرارة نفسه.. لماذا نقلوه إلى هذا المنفى الطبي؟! وتساءل:
ما الذي منعهم من أن يزجوا به في السجن؟! أو يتخلصوا منه بإلقاءه
في المحيط؟!..

هل حاولوا علاجه من فقدان القدرة على النطق؟ هل أدلى بمعلومات تدين صاحبه جوهان؟ وهل هو معه في هذا المكان؟ أم فرقوا بينهما؟..

طيف جوهان دفعه لمعرفة كم مضى عليه في هذا المكان بالتقريب؟..

ليس من سبيل لمعرفة ذلك إلا بالبحث عن غلاف أحد الطرود الأسبوعية التي تُلقي فوق رؤوسهم، فربما يكون عليه تاريخ!..
تسلل صباح يوم مبكر إلي ناحية الأماكن التي تتكوّم فيها المخلفات..

كان يُمنّي نفسه بالعثور على غلاف يرُدُّ على سؤاله، كم مضى عليه منذ أن حضر إلى هنا؟.. ولكنه لم يعثر على ما كان يبحث عنه، لأن الأمطار أذابت كل معالم يمكن أن يهتدي بها..

حاول أن يُلفتَ بإشارات من يديه نظر القابعين داخل الأبراج لعلهم يفيدونه بشيء، ولكنه لم يفلح.. لأن إشارته لم تكن ذات معنى بالنسبة لهم..

قرر أن يتحين توقيت وصول طرود الأسبوع التالي..

ولما أمسك بإحداها بين يديه وجد الخاتم المسجل عليه يحمل تاريخ العشرين من ديسمبر ٢٠٩٩.. رجع بذاكرته إلى يوم سفره إلى استانبول.. استنتج أنه قد مضى عليه في هذا المكان الكئيب حوالي شهرين كاملين! أحسَّ بكَرّه شديد لأيامه ولنفسه ولمن حوله..

ميناء مدينة سيراكوزاه..

تعرضت السفينة زودياك لأجواء متقلبة بعد مغادرتها ميناء سان دياجو ومرورها من قناة بنما في اتجاه جزر الهند الغربية والمحيط الأطلسي، وعانت أكثر من تأثير الرياح والأمواج العالية والأمطار الرعدية طوال إبحارها شرقاً ناحية مضيق جبل طارق، ولما اجتازته صادفها طقس بارد ورياح خفيفة وساء ظلت صافية حتى لاح ميناء سيراكوزاه في الأفق..

رست على رصيف الميناء قبل غروب شمس يوم ٢٤ ديسمبر بعد أن قضت نحو تسعة أيام لقطع المسافة من الساحل الغربي لإقليم أمريكا الشمالية إلى جزيرة صقلية في قلب البحر المتوسط.. اصطفت بعض الركاب عند سور السطح وحوافه لمشاهدة منصات المزارع الخضراء التي تتميز بها المدينة، بينما اجتمع الحاخام الأكبر في حجرته بمساعده الأول لترتيب كل ما يتعلق ببرنامج الصلوات التي ستقام في اليوم التالي السبت..

أما جوهان، فكان مشغولاً بطيف ديفيد الذي فرض نفسه عليه..

بدأ يستعيد على مهل تفاصيل الدور الذي سيقومان به معاً، لذلك ما إن رست السفينة بالميناء حتى تخير لنفسه مكاناً بالقرب من السلم الصاعد من رصيف الميناء إلى السطح، حتى يكون أول المستقبلين والمرحّبين بصاحبه العزيز..

ارتكز جوهان بمرفقيه على السور يدقق في وجوه المسافرين الذين ينتظرون الانتهاء من إجراءات التحقق من هوياتهم والكشف على أمتعتهم قبل السماح لهم بالانضمام إلى ركاب السفينة التي يقف في أعلاها..

كانوا نحو ثلاثين مسافراً تجمعوا من أنحاء الأقاليم الوسطى لأوربا، لفت نظر جوهان أن تصرفاتهم تدل على أنهم أقل تشدداً فيما يتعلق بأصول الديانة اليهودية من الجماعة التي ينتمي إليها، فهم أميل إلى المرح لا يستقرون في مكان يتمايلون على أنغام التسجيلات الموسيقية التي يستمعون إليها عبر الأجهزة المثبتة على آذانهم، ليس بينهم من يتلو في الكتاب المقدس جلباً للبركة قبل الصعود إلى سطح السفينة كما لو كانت رحلتهم إلى أورشليم التي سيبدؤون أولى خطواتها بعد لحظات سياحية ترفيهية وليست صورة من صور الحج المقدس..

دقّ النظر أكثر من مرة، لم ير صاحبه..

تجوّل بعينه في محيط الدائرة التي يتحرك فيها المسافرون بالقرب من أمتعتهم، لم يجده..

مدَّ بصره إلى أبعد من مساحة الرصيف التي يقفون فوقها، لم يعثر عليه..

صمَّم على ألا يساوره الشكُّ، فما زال الوقت مبكرًا..

قال لنفسه: إنه لا بد سيلحق بهم حتمًا في أي لحظة قادمة، خاصة وأن السفينة لن تتحرك من مريضها هذا إلا صباح الأحد..
فكر في مهاتفته لحته على سرعة القدوم، لكنه أحجم في اللحظة الأخيرة..

كان جوهان يتوقع أن يرى صاحبه بمجرد أن ترسو السفينة، هو لا يريد منه أن ينضم لصلوات السبت.. ولكنه يودُّ التأكد من أنه أحضر معه شريحة ملف المعبد التي في حوزته، لأن الأمر كله أصبح يعتمد عليها!..

طاف بخياله للحظة، إمكانية أن يكتشف ديفيد أنه نسَّى الملف بعد أن يصعد إلى سطح السفينة.. تساءل بينه وبين نفسه: هل أخطأ عندما نفذ أمر الحاخام الأكبر ألا يتصل بديفيد بعد أن أكد عليه بشكل لا لبس فيه أنه مكلف بحمل نسخة الملف التي في حوزته معه إلى أورشليم؟..

كان ذلك من باب الحرص والسلامة الضروريين، والدليل على ذلك أن ديفيد أيضًا نأى بنفسه عن الاتصال به من نفس المنطلق!..

انتبه جوهان من أفكاره على جلبة صاحبت صعود بعض المسؤولين لتفقد أحوال السفينة وركابها.. ولتوفير أي خدمات ممكنة يكونوا في حاجة إليها.. تمشوا قليلًا فوق سطح السفينة.. نزل بعضهم إلى عنابر السفينة.. لم يلاحظوا شيئًا مريبًا..

أعطوا الإذن بصعود المشروبات والأطعمة التي يحتاج إليها ركاب السفينة يوم السبت وللأيام الباقية حتى يصلوا إلى ميناء عكا..

على أثر انتهاء عملية التدقيق والتفتيش انضمَّ المسافرون الجدد إلى ركاب السفينة..

اقرب الليل من الانتصاف، ولم يأتِ مسافرٌ آخر إلى الرصيف الذي هدأت الحركة فوقه كما هدأت في جنبات السفينة..

هاجم السكون جوهان وسلط عليه جنود القلق..

ماذا لو أن ديفيد كان مُكلِّفًا مهمة خارج المدينة، ولن يتسع له الوقت للحاق بالسفينة والسفر معه؟..

يجب أن يعرف خطوته التالية قبل أن يسأله أحدهم: أين صديقه الحامل لنسخة الملف الذي عليه ستقوم المهمة؟..

اتصل بديفيد من فوره..

تليفونه لا يردُّ.. طلبه عن طريق الميكرو i Pad الشخصي.. لا يرد..

كرَّر الاتصال.. لا جواب..

أُسْقِطَ في يده، ظلَّ يتجول فوق سطح السفينة بعيدًا عن حجرتي الحاخام ومساعدته..

تحوَّل توتره وقلقه إلى رعب..

ماذا لو لم يظهر ديفيد حتى صباح الأحد؟..

بماذا سيبرر عدم انضمامه إلى المجموعة المسافرة من سيراكوزاه إلى
أورشليم؟..

أحسَّ بالحرارة تزحف إلى ثنايا دماغه رغم برودة الجو التي ألجأت
كل مسافر إلى البحث عن مكان يستدفئ به!..

ثقتَه بصاحبه عمياء منذ كانا زميلين في الدراسات الجامعية..
وليس أدل على ذلك من أنه لما أشار إليه بنسخ الملف، نَسَخَهُ بلا
مُعارضة.. ولما طلبَ إليه أن يرسل نسختين منه، فهم مقصده بلا
مشكلاتٍ.. ولما تعمَّد عدم الاتصال به، لم يزعجه!..

خطر على باله عِشْقُ صاحبه الجنوني للجنس..
هل يمكن أن يكون غارقًا في ملذاته إلى أذنيه بحيث لم يتبهِ إلى
وصول السفينة؟..

ألم يستعد كونه يهوديًا مُخلِّصًا في عقيدته، للسفر بعد أن وصلته
الرسالة التي تفيد بتوقيات إبحار السفينة من سان دياجو إلى
سيراكوزه، ومنها إلى عكا؟..

كل ذلك لا يهم الآن، ما يشغل بال جوهان كيف السبيل إلى
صديقه سواء كان غارقًا في بحور النشوة أو ناسيًا؟..

أيسأل واحدًا من الذين صعدوا إلى السفينة منذ قليل إن كان يعرفه
أم لا؟.. رفض الفكرة حتى لا يثير حوله وحول صاحبه شُبُهاتٍ هما في
غنى عنها..

عليه أن يكرر الاتصال به، وأن يكون جاهزًا في نفس الوقت
لتفسير عدم انضمامه إليهم، عندما يستفسر منه أحدهم..

لم يشعر وهو مستغرقٌ في أفكاره المقلقة بوالد زوجته وهو يقترب منه إلا بعد أن أصبح في مواجهته..

سأله بلوتسكر هامساً: أين ديفيد؟..

تراكمت في ذهن جوهان كل الأفكار، وجد نفسه يقول بثقةٍ لا يعرف كيف واته: إن صاحبه اتصل به منذ دقائق وأبلغه أنه في مهمةٍ، وأنه سيلحق بهم في مدينة أورشليم يوم ٢٩ أو ٣٠ من الشهر..

فكَّر بعد أن نطق بهذه الأكذوبة، ماذا لو ظهر ديفيد قبل أن تغادر السفينة في الطريق إلى ميناء عكا؟.. ساعتها سيجد حتماً في آية من آيات أسفار الكتاب المقدس ما يُخَفِّفُ عن كاهله سوءة نطقه المدلس الذي لم يقصد به إيذاء أحد! المهم أن يظهر صاحبنا هذا..

لم يعلق العجوز بشيءٍ خشية أن يستمع غيرهما إلى ما يجري بينهما من حديث وتكون العاقبة غير طيبة، استراح لما سمعه واقترح على زوج ابنته أن يذهب إلى الحاخام الأكبر لطمأنته على أخبار ديفيد لأنه سأل عنه أكثر من مرة..

ترك جوهان العجوز، وانصرف إلى حيث حجرة يوثيل عاموس..

* * *

أمضى ركاب السفينة زودياك يوم سَبْتِهِمْ، كما خَطَّطَ له الحاخام الأكبر ومساعداه الأول.. أُقيمت الصلوات، وتُليت العِظَات التي شارك فيها الغالبية، وسادت السكينة الجميع حتى أولئك الذين لم يُقْبِلُوا على الطقوس بقلوب مُفْعَمَةٍ بالإيمان..

أما جوهان فكان قلقه يزداد مع مرور الوقت، رغم حرصه الشديد على الانغماس في كل ما شهدته السفينة من مظاهر تعبدية وإيمانية بما في ذلك التلاوة التي اختارها الحاخام الأكبر من التوراة وسفر الأنبياء..

هاجمته الهواجس بعنف وبدأت تُصدعُ رأسه في أعقاب انتهاء الصلاة الأخيرة بسؤال مُلح، كيف سيتصرف لو لم يظهر صاحبه في أورشليم أيضًا؟..

حمل صباح الأحد لسكان جزيرة سيراكوزاه وما حولها مطرًا خفيفًا أشاع البشر والتفاؤل بين ركاب السفينة القادمة من أقصى الغرب التي كانت تستعدُّ لمغادرة الميناء..

بوغت جوهان بمساعد الحاخام الأكبر وهو يسأله هامسًا أثناء متابعتها للسفينة وهي تتحرك خارج رصيف الميناء.. كيف سيكون التصرف لو منعت الظروف ديفيد من الوجود بمدينة أورشليم في الوقت المناسب؟..

للمرة الثانية وجد نفسه يقول متسرعًا: إنه يثق بصاحبه، وأنه متأكد أن ظروف العمل الطارئ التي حكى له عنها عندما هاتفه، هي التي منعت من أن يركب السفينة معهم، لكنه حتمًا سينضمُّ إليهم..

لمح في عيني أفي توجُّسًا وخشية.. كاد على أثرهما أن يعترف بما يخفيه في صدره ويضيق عليه خناقه.. لكنه بدلًا من ذلك عمِد إلى طمأنة الرجل، وأشار إلى احتمال أن يسبقهم ديفيد إلى أورشليم، ولمَّا سَمِعَهُ يدعو السماء أَلَّا تُحَيِّب رجاءهم، شاركه سرًّا الأمنية..

مدينة القدس عاصمة السلام..

عدلت هيئة الأمن العليا في موسكو من مجموعة الخطط التي وضعتها لتوفير الأمن والسلامة لضيوف عاصمة السلام فور إبلاغها بقضية استنساخ ملف التراث الإنساني التي أُدين بسببها ديفيد أوزولد...

وبرغم أن الوقت كان مبكرًا على بدء الاستعدادات المصاحبة لاحتفالات، فقد قررت زيادة عدد الأتقار الصناعية المارة في سماء المدينة والتي تبث تقاريرها مباشرة إلى هيئة مستشاريها الأمنيين، بعد أن حملتها ببرامج تحليلية تهتمُّ فقط بالتركيز على دائرة مركزها قلب المدينة ونصف قطرها مئة كيلومتر..

اختارت الهيئة من بين الاثنى عشر ألف قمر صناعي، ١٥٠ منها ذات مواصفات خاصة، وأعادت برمجة مهامها بحيث تتولَّى من منتصف ليلة ٢٢ ديسمبر ٢٠٩٩ موافاتها على مدار الساعة بكل ماله صلة بالحياة البشرية والطبيعية في المساحة التي تحددت لها من قبل..

قبل هذا التوقيت قام الفنيون بإجراء مجموعة من التعديلات على مواقع تركيب أجهزة الرصد والمتابعة التي سبق أن قاموا باختيارها داخل المدينة بحيث تتلاءم مع حركة الأفقار الصناعية العابرة في سماء المدينة من ناحية، ومع زيادة عددها من ناحية أخرى..

منذ شروق شمس اليوم الأول من شهر ديسمبر، وفي أعقاب تنفيذ هذه المهام الفنية، توالى وصول المعدات والأجهزة التي اتفقت موسكو على إمداد خبراءها الأمنيين في القدس بها..

قامت الفرق المتخصصة بتركيب الدفعتين الأولى والثانية منها فوق تلال المدينة لكي تكون جاهزة لتتبع المضمار الذي سيستخدمه فريق سباق السيارات الشرقي عند قدومه من شمال إقليم الشام ماراً بمحيط عاصمة السلام في منتصف نهار نفس اليوم، بعدها قاموا بتركيب مجموعة الأجهزة على مستوى الدائرة القريبة من حدود المدينة وعلى منافذ الطرق..

زادت ثقة الخبراء الأمنيين بقدرات أجهزتهم فائقة التقنية، بعد أن نقلت لهم أدق تفاصيل توالي مرور أفراد فريق السباق القادمون من الشمال..

وفّر حرص غالبية سكان عاصمة السلام التلقائي على متابعة فريق السباق الشرقي الذي مرّ على مبعدة عدة كيلومترات من قلب المدينة العتيق، الفرصة والوقت الكافيين لكي يقوم الخبراء والفنيون الأمنيون بتركيب الدفعتين الثالثة والرابعة من الأجهزة الأكثر تقنية بالقرب من تقاطعات الطرق التي تقود إلى قلب مدينة القدس من كافة الجهات وفوق أسطح المباني التي تشرف مباشرة على أماكن العبادة بها..

الأمر الذي سَهَّلَ لهم بعد ساعات قليلة أن يتحققوا عملياً من قدراتها، حيث نقلت لهم صور مئات المواطنين والزائرين العائدين إلى دورهم ومقار إقاماتهم.. نقاشاتهم وتعليقاتهم.. بعد انتهائهم من مشاهدة آخر سيارة من سيارات السباق، وعكست على شاشاتها انفعالاتهم الفطرية الفرحة بالحدث وبما يجري حولهم بصفة عامة.. حتى تقليد بعض الصغار لأصوات السيارات الزاحفة فوق الطرق وما أثارته من ضجيج، أتى اليهم واضحاً بكل المستويات..

على الجانب الآخر اطمأنت موسكو إلى براعة تنفيذ مطالبها التي سبق أن حددتها بدقة..

كان مطلبها الأساسي الذي ركزت عليه هو توفير أكبر قدر من التأمين والحماية لسكان المدينة وضيوفها، التي نسيت العنف والدمار والخوف من الإرهاب الذي وصم تاريخها طوال ما يقرب من تسعون عاماً عاشها مجتمعها مخنوقاً بسياسات الاستعمار الصهيوني..

لم يكن مقبولاً لدى الحكومة العالمية أن تتعرض عاصمة السلام للقلق والهزات بعد أن جرَّب سكانها من المسلمين والمسيحيين واليهود حياة الأمن والسلامة في أعقاب اندحار سلطة دولة إسرائيل، خاصة وأنه لم يصدر منهم على امتداد الثلاثين عاماً الأخيرة ما يعكر صفو أجواء المدينة الآمنة..

اعتمد مخطط المراقبة اللصيقة الذي صمَّمه خبراء موسكو الأمنيون، على تتبُّع الوافدين إلى المدينة كافة بلا إستثناء عن طريق الأرقام الكودية التي مُنِحوا إياها بمعرفة شبكة معلومات متصلة مباشرة بقاعدة البيانات المركزية في موسكو..

يسرت هذه الخطة للقائمين على أمر المنافذ البرية والبحرية أن يحصلوا على نسخة معدلة من ملفات العابرين عبر بواباتهم، بمجرد التأكد من بصمة العين وأصابع الكفين..

عن طريق الرقم الكودي لكل شخص أصبح في إمكان المتخصصين - على حدود مدينة القدس وفي داخلها - متابعته بعد ثوانٍ معدودة من انتهاء إجراءات الفحص وتدقيق الهوية..

استكمالا لهذا المخطط أسست موسكو دائرة تواصل مفتوحة بينها وبين عاصمة السلام على مدار الساعة، ومنحت مستويات الرقابة البشرية داخلها وخارجها سلطات واسعة، فأصبح من سلطاتهم المباشرة الملاحقة والقاء القبض والتحقيق والترحيل، دون العودة لرؤسائهم..

بالرغم من النتائج القياسية التي وفّرها الأداء المتميز للأجهزة والمعدات فيما يتعلق بتحديد شخصية قائدي كل سيارة شاركت في سباق السيارات وملاحمهم، ومتابعتها اللصيقة لمئات المقدسيين الذين بهرهم الحدث.. تعتمد الخبراء أن يقوموا بإجراء تجارب واقعية ووهمية يومي ٢٦ و ٢٧ ديسمبر بإشراف مباشر من قياداتهم في موسكو..

استغلوا تنفيذ خطة التغيرات المناخية في محيط المدينة وما حولها، وقاموا بمراقبة انعكاساتها على وجوه سكان المدينة وسلوكيات الآلاف من ضيوفها الذين أنعشهم سقوط الأمطار الخفيفة، وساعدهم ارتفاع مؤشر درجات الحرارة عن معدلها الطبيعي - في ذاك الوقت من العام - على القيام بعدد من الأنشطة التي تحتاج لبعض الدفع..

وتابعوا بدقة سياحتهم الفردية والجماعية عبر شوارع عاصمة السلام الضيقة وبنائاتها العتيقة، ولا حظوا حرص البعض منهم على تحية أفراد الشرطة العالمية الذين كانوا ينتشرون في كل مكان ويتجولون بينهم وضمن مسيرتهم بهدوء وثقة..

ساعدت القاعدة المعلوماتية مسئولى الرعاية الطبية أن يخططوا البدء تحمل المسؤولية قبل اجتياز العدد الأكبر من المسافرين لحدود المدينة الخارجية..

أنشؤوا ثلاثين مركزاً للتطعيم.. وزعوها بين مطار دمشق وميناء عكا من ناحية ومداخل المدينة البرية الجنوبية من ناحية أخرى، تولت حقن كل الزائرين بالأمصال الواقية بمجرد التثبت من هوياتهم..

أما المراكز العلاجية المتنقلة التي أُقيمت على حدود المدينة وفي داخلها، فقامت بتصنيفهم وفق احتياجاتهم العلاجية في ضوء ما بيته ملفات تاريخهم الطبي التي حصلوا عليها فور التعرف إلى بصمة عين كل منهم عند نقطة الوصول..

برهن مجلس إدارة مجلس عاصمة السلام أنه قادر على تحمل ما هو أكثر من المسؤولية التي كلفه بها ممثل الحكومة العالمية في إقليم الشام..

فلم يكتفِ أعضاؤه بتوفير العدد المطلوب من المتطوعين الشباب، بل قدموا ثلاثة أضعافه وقاموا بتدريبهم على جميع الخدمات التي يمكن أن يتصدوا لها أو يُفاجئوا بها، وعمل على تعريضهم عملياً للبعض منها قبل بداية وصول القادمين بوقت كافٍ..

من ناحية أخرى استثمروا حماسة الكبار والصغار وشجعوهم على تقديم أفكار جديدة لتطوير العمل الخيري.. فجاءت اللافات الإرشادية مبتكرة وجذابة.. وامتدت عنايتهم بنظافة المدينة إلى حدودها الخارجية بدلاً من الاكتفاء بقلبها فقط.. وزادت أعداد مجموعاتهم المتجولة في أنحاء المدينة بهدف تقديم المساعدة لمن يطلبها..

ظلّ طيف ديفيد مسيطراً على مشاعر أخيه إيمانويل طوال الرحلة من روما إلى دمشق، ثم حاصرته صور الذكريات علي طول الطريق الذي يربطها مع أورشليم.. كانت صورته تتباعد وتتقارب وفق المشاغل التي يتعرض لها.. ينساه ويتذكره.. افقته بشدة صبيحة أول ليلة قضاها في المدينة المقدسة.. ثم نسية تماماً في زحمة انغماسه بمتابعة مراحل السباق..

أحسّ بالشوق إليه عندما صبغت شمس يوم ٢٧ ديسمبر بلونها الأحمر القاني أطراف أشجار الكروم والسنت التي تتوج قمم تلال القدس مُسجلةً مرور آخر سيارات السباق المتجهة شمالاً..

استعاد - ربما للمرة المئة - أحاديثهما معاً حول الاستعداد للسفر إلى أورشليم.. وأحسّ بفرحته الغامرة عندما أكد له.. إن حالته الصحية لن تعوقه عن إتمام الزيارة.. واسترجع حماسه عندما أطلعه على فكرة مشروع سباق السيارات..

وهو الآن يتمثله في آخر حديث بينهما يكاد أن يطير من السعادة لما أخبره بموافقة الحكومة العالمية وتوفيرها كل المساعدات التي طلبها..

راح يُطمئنُ نفسه بتلقائية تعوّدها كلما تأزّمت الأمور من حوله، أن
الدعاء ضمن صلاة الغروب يُضفي على القلب راحة.. ومن ثم راح
يدعو بقلب صافٍ أن يجمع الربُّ بينه وبين أخيه.. غمره بعد الصلاة
صفاء جعله يتوقع وصول الزائرين اليهود من أوروبا وأمريكا صباح
اليوم التالي أو الذي يليه على أقصى تقدير..

انقضى زمن الانتظار الطويل والتوتر، بعد فترة وجيزة سيلتقي
بتوأمه، وسيجد عنده ردًّا على كل ما سببه له من قلق..

أحسَّ براحة نفسية افتقدتها عدة أيام جعلته يُفضِّل التجوّل في
أنحاء أورشليم على أن يبقى في حجرته بهدف الاسترخاء والراحة..

ساحة ميناء عكا..

لم تشهد المدينة الهادئة المحيطة بالميناء مثل هذا الصخب منذ بضعة عقود في أعقاب طغيان مياه البحر على منطقة الساحل التي تقع إلى الجنوب منها، مما أدَّى إلى إغراقها، وتشريد من بَقِيَ من ساكنيها على قيد الحياة..

في تلك الأيام، هوجمت منطقة الشاطئ الذي كان يشكل جزءاً من دولة إسرائيل بمجموعة من الظواهر الطبيعية المتتالية على امتداد عدة أيام انتهت باختفاء جزء هائل من اليابسة المطلّة على مياه البحر المتوسط..

ظواهر كثيرًا ما تعرضت لها منطقة شرقي البحر المتوسط من قبل، لكنها في تلك المرة لم تكن اعتيادية ولا مسبوقه.. وبرغم التحذيرات التي جاءت ضمن الكثير من تقارير المنظمات المحلية والدولية، فإن حالة التفسخ الداخلي التي كانت دولة إسرائيل تعاني منها بسبب تنامي

النزاعات السياسية والدينية بين شرائح مجتمعتها، لم تمكنها من التصدي لما تعرضت له من أهوال متتابة..

قليل في وقتها إن أجهزتها المختصة لم تلتفت في الوقت المناسب للنحر الذي تعرضت له مئات الأميال من الشاطئ الرملي.. ولم تنبّه إلى مجمل النتائج التي أكدت المراسد العالمية أنها ستترتب على الظروف المناخية شديدة القلب التي كانت تمرُّ بها المنطقة..

الأهم من ذلك أنها لم تدرك فداحة الكارثة إلا بعد أن ألغى قادة الأسطول الأمريكي مشاركتهم عام ٢٠٢٨ في المناورات السنوية البرية والبحرية التي تُجريها بعض قطعهم الحربية مع نظيرتها الإسرائيلية بالقرب من هذه المنطقة على وجه التحديد..

عزت اللجان الإسرائيلية والأممية التي تشكلت لتقصي الحقائق إلى العواصف الرعدية التي بلغت سرعتها أكثر من مئة كيلومتر في الساعة، وثورة الأمواج العاتية التي بلغ ارتفاعها في أغلب الأحيان أكثر من إثني عشر متر، فقدان دولتهم لثلثي أراضيها بما عليها ومن عليها! بينما اتهمت العديد من الحكومات والمنظمات الدولية الغربية حكومات إسرائيل المتعاقبة بسوء الإدارة والفساد..

بل تجرأ بعض قادتها الإصلاحيون على القول، إن رفض سياسيوها والمتشددون من زعاماتها الدينية المتواصل لدعوى السلام وإهدارهم المتعمد لحقوق الإنسان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، جلب على شعبها لعنة الربّ التي حذرتهم منها آيات التلمود وأسفار الأنبياء..

بعد اندحار دولة إسرائيل على أثر تنامي عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية فتحت لها هذه التغيرات البيئية الباب على مصراعيه، تمتعت منطقة إقليم الشام بالتدريج بالسكينة والاستقرار وعادت إليها - مع مرور السنين - مظاهر الألفة والمحبة والتسامح التي حُرمتها منذ ثلاثينيات القرن العشرين..

استعادت المدن والقرى الفلسطينية بعد عام ٢٠٣٥ بالتدريج نمط التآخي وحُسن الجوار الذي كان عنواناً لها فترات ممتدة عبر عصور التاريخ..

الحياة الهادئة الوادعة التي أرخت ظلالها على عكا والقرى المحيطة بها منذ تلك السنة، تغيرت بشكل مفاجئ عندما اجتمع مجلس إدارة عاصمة السلام بممثليهم لكي يناقشوا معهم مقومات العمل التطوعي الذي ستحتاج إليه مدينتهم ومينائها بالإضافة إلى مشاركتهم في النشاط المكثف الذي ستشهده القدس على وجه الخصوص..

تبدلت أيامهم..

فبعد رتابة الحياة التي تُميّزُ مُجمَع الزراعة في القرى المحيطة بعكا والصيادين وعمال الميناء ومصانع منتجات الأسماك والأحياء المائية، توزعت الأنشطة وتتابعَت الاجتماعات..

أبدى سكان عكا ترحيباً كبيراً بالمساهمة في كل ما طُلبَ إليهم وانضم الكثير منهم فوراً بلا تمييز ولا إقصاء إلى برامج التدريب التي أُعدت للمتطوعين، فلم يعد يعينهم ديانة الجار أو زميل العمل، بل انحصر جهدهم في توفير الأمن والسلامة للجميع..

كانوا قد تخلصوا نهائياً مما كان يُنغص عليهم حياتهم ويُطفئ شمعته
الأمل داخلهم.. بعد أن أدرك الجميع في أعقاب الكارثة الطبيعية التي
تعرضت لها دولة الاحتلال والعنصرية، حتمية أن يرتبوا حياتهم تحت
شعار الأخوة والمحبة..

لذلك لما وفد إليهم متطوعون من مدن وقرى مجاورة للمساعدة في
استقبال الزائرين القادمين بالسفن وتسهيل مهمتهم.. افسحوا لهم
مكانا في قلوبهم.. فالخير كثير، والفرحة غامرة، والحدث يخصهم
جميعاً..

كانوا جميعاً يعملون بروح نابعة من مفهوم عاصمة السلام.. اليوم
من داخل ميناء عكا وغداً من قلب القدس العتيقة..

استعدّ كل من في الميناء لاستقبال سفينتين قادمتين في توقيت
متقارب عكسه احمرار الشفق.. سفينة آتية من جنوب شرق آسيا،
وأخرى قادمة من سواحل الولايات المتحدة.. جمع سحر المكان
وغموضه بينهما حيث رست كل منهما في مواجهة الأخرى على طرف
من رصيف الميناء بعد أن أفسحت لهما الزوارق البحرية مكاناً مناسباً
على مبعده من موقعها المطل على الميناء..

بانَ الانبهارُ والبشرُّ على وجوه الركاب من معتنقي الديانات
الأرضية وبدؤوا في تسجيل لحظة الوصول على تليفوناتهم وأجهزة
الكمبيوتر الشخصية وعلى الأشرطة المجسمة..

سجلوا رنين أجراس الكنائس وتكبيرات المساجد وتسابقوا على
تحية الصبايا والشباب الذين راحوا يلوحون لهم من فوق التلال القريبة
التي تكسوها أشجار الصنوبر وكروم الزيتون..

كبار السن والعجائز من ركاب السفينة الثانية بان عليهم الشرود والتفكير العميق وعكف بعضهم على تلاوات مسائية تناسب غبطة تخيل تلال أورشليم التي تكسوها أشجار السرو.. أما الباكون فقد عبروا عن سعادتهم بقرب اجتياز الخطوة الأخيرة إلى قلب المدينة المقدسة، شملتهم موجة حماسة وهم يرتبون امتعتهم استعدادًا للنزول إلى رصيف الميناء..

في مقدمة السفينة وقف الحاخام الأكبر ومساعدوه ومعهم بلوتسكر وجوهان يتطلعون بتوقير شديد إلى ما تصفه قلوبهم قبل شفاههم بالأرض التوراتية المقدسة..

اتجهوا جميعًا بقلوب تفيض بالإيمان مقلدين يوثيل عاموس ناحية الشرق حيث تقبع مدينة أورشليم حلمهم القديم المتجدد..

الكهول من ركاب السفينة كانوا يتلون بعض الصلوات الخاصة وهم يسترجعون صورًا باهتة مما في مخيلتهم من بقايا أحاديث الآباء ومن قراءاتهم ومن عظات السبت والأعياد التي دأبوا على الاستماع إليها في المعبد.. أما الشباب فكانوا في حالة من البهجة المتأنية بعد أن استوعبوا إلى حدٍّ كبير الجوانب الدينية والأخلاقية للزيارة كما أفاض في شرحها لهم مساعدو الحاخام طوال أيام الرحلة من سان دياجو إلى عكا..

قرر المشرفون على هبوط ركاب السفينة زودياك، تأجيل النزول إلى رصيف الميناء حتى لا يتوافق مع توقيت نزول ركاب السفينة الأخرى.. ليس تشاؤمًا ولكن باعتبار أنهم أصحاب أرض.. حاول أفي وجوهان

أثناء مناقشتها مع مسئول الأمن الذي صعد إلى سطح السفينة لبدء الإجراءات أن يغلفا المقترح بحاجة الركاب إلى وقت أطول لأداء الصلاة الأخيرة.. إلا أن الرجل رفض بحزم مُتمسكًا بتطبيق النظام الذي حدّدت قواعده الأجهزةُ المسؤولة، خاصّة وأن لكل سفينة منافذ الخروج الخاصة بركابها..

طبّق المسؤولون في الميناء نظام إنزال كبار السن أولاً على ركاب كلتا السفينتين..

تناسّى الحاخام الأكبر ومساعداه الأول وكذا جوهان بلوتسسكر مغارم اختلاط اليهود بأصحاب الديانات الأرضية فوق الرصيف، لما شاهدوا رجال المراقبة الأمنية وهم يساعدون بهمةٍ ونشاط في إنزال الحقائق المصاحبة لكهولهم..

بعدها بدأت إجراءات هبوط بقية الركاب..

وقف الجميع بنظام أمام الأجهزة لأخذ بصمات أعينهم وأصابع أكفهم..

وبدلاً من أن ينطلق كل من أنهى إجراءاته إلى السيارات التي ستقلّه إلى عاصمة السلام فوق الطريق الواصل بين عكا وجنين، تمسك الزائرون من اليهود بحقهم في انتظار حاخامهم الأكبر لكي يبارك وصولهم إلى الأرض أولاً قبل الصعود إلى السيارات..

نجحت خططهم واقتنع مراقبو الأمن بوجهة نظرهم..

وعلى قدر ما كان القادمون من جنوب شرق آسيا نشطين ومستعدين للانطلاق فوراً إلى مدينة السلام، كان اليهود متمسكين

بطقوسهم الدينية في السفر والوصول وفي ركوب البحر والنزول منه إلى البر..

انطلقت سيارات النقل تباعاً وهي تحمل أفواج أصحاب الديانات الأرضية الفرحين المستبشرين الذين كانت أنظارهم تنجذب لكل ما يحيط بهم من طبيعةٍ ومن طقس جميلٍ، ومن أناسٍ تشرق وجوههم بالترحيب..

انتظم اليهود في صفوف متتالية.. بعضهم يشبع النظر من البيئة المحيطة به.. وبعضهم يستعجل التوجُّه فوراً إلى مدينة أورشليم.. بقي الجميع لفترة حتى هبط الحاخام الأكبر ومساعدته في أعقاب آخر مسافر، بارك يوثيل أحبائه وهنأهم بسلامة الوصول، ودعا لهم الرب أن يحفظهم ويقبل منهم تعبُّدَهم..

صعد الرجل مُحاطاً بالإجلال والتقدير إلى أول سيارة ليكون في استقبال الزائرين عندما يهبطون في قلب أورشليم، هكذا قال لهم..

فور انطلاق السيارة بدأ يوثيل عاموس تلاواته التعبدية المختارة من المزامير وأسفار الأنبياء التي يرجون فيها الرب أن يُسهِّلَ له ولرفاقه مهمتهم، ويفتح عليهم أبواب الخير ويصدِّ عنهم ريح الشر وروح الشيطان، ولم يتوقف لسانه عن السؤال والتمني طلباً لبركة السماء حتى توقَّفَ طابور السيارات التي تقله هو ورفاقه أمام المكان الذي خُصَّصَ لهم في قلب عاصمة السلام..

ساحة مطار مدينة دمشق..

بحلول الأول من شهر ديسمبر، استكمل مطار دمشق الدولي استعداداته لاستقبال ركاب الطائرات القادمة إليه من أطراف العالم لأول مرة منذ عدة عقود.. نشرت الحكومة العالمية عددًا من طائراتها الصاروخية المقاتلة في أطراف المطار.. وتولت الهيئة العليا للنقل بنيويورك ترتيب أزمّة الوصول في ضوء ما اتفقت عليه مع هيئة الأمن العليا بموسكو بحيث يتم إخلاء قاعات الوصول بمطار دمشق الدولي أولاً بأول لاستقبال الوفود التالية..

كانت أشعة شمس صباح يوم ٢٩ ديسمبر الضعيفة تُداعِبُ برفق كتل السُحب الباقية في سماء دمشق منذ ليلة الأمس منذرة بموجة خفيفة من الأمطار المنعشة، عندما هبطت آخر ثلاث طائرات تحمل الركاب القادمين من الفاتيكان.. وبعدهم بقليل طائرتا مسلمي المهجر اللتان جلبتا على متنها القادمين من أوروبا وأمريكا وكندا وفي أعقابهما ثلاث طائرات كانت تحمل مسلمي جنوب شرق آسيا..

بان التفاهُْمُ والتقارُبُ بين المجموعتين، فقد تناسوا منذ فترة طويلة أسباب التنافر التي كانت قائمة بين مجتمعاتهم، وتخلّوْا تمامًا عن دعاوى التعالي الكاذبة التي كانت تقف عائقًا بين توسيع وتعميق فرص التواصل فيما بينهم..

لم يكن لأيٍّ من المجموعتين مطالب تمييزية..

اصطفوا جميعًا في طوابير مختلطة يتبادلون التعارف فيما بينهم، بينما كانت المختصون وأجهزتهم تطبع بصمات عيونهم وأصابع كفوفهم بسهولة ويسرٍ..

حرص كل واحد منهم على التوجُّه فور انتهاء الإجراءات الأمنية إلى سيارات النقل التي كانت تقف بالقرب من بوابات الخروج، دون معاونة من أحد.. وضعت الحقائق في مكانها.. وبدأت علي الفور في داخل المركبات مقدمات التعارف التي جرت فيما بينها..

انطلقت القافلة الأولى من السيارات بعد استكمال صعود العدد المحدد لكل منها دون تفرقة بين مسلم ومسيحي، عند محطة بنياس توقفوا فترة قصيرة جلبًا للراحة.. نزل الركاب لتفقد ما حولهم، أحسَّ الجميع بدفء المكان بعد أن انزاحت السُّحب وفرشت الشمس أشعتها على الهضاب والطُّرق الجبلية الملتوية التي حفت بها أشجار التين واللوز..

عاودت السيارات مسيرتها إلى الناصرة حيث كانت الاستراحة أطول قليلًا..

بالقرب من جلستهم المطلة على مساحة شاسعة من الأرض التي
تحمل لون الحناء الحمراء، شاهدوا أسراباً من البيوت القروية التي تزين
شبابيكها زهور الشتاء الصغيرة ذات الألوان الداكنة، وتحيط بواباتها
العرايش ذات الخضرة المتعددة الألوان..

انطلقوا قبل غروب الشمس في اتجاه الطريق المؤدي إلى القدس عبر
جبال نابلس حتى رام الله.. أحاط بهم من الجانبين شذا أزهار الليل
وزقزقات أفواج الطيور العائدة إلى أعشاشها.. برغم تعب الرحلة بانث
على وجوههم راحة لا تتوافر إلا في مثل هذه الأماكن التي لم تعد
تشوها مظاهر المدنية الزائفة ولا حضارة التقليد الصماء..

بوابة محلة بئر السبع الجنوبية ..

لما عرف زعماء القبائل العربية ذات الاتصال المباشر بأصولها التي تعيش شمال الجزيرة العربية، بخبر مرور سيارات النقل القادمة من مكة بناحية محلة بئر السبع قبل أن تتوجّه إلى القدس، من بعض شبابهم الذين التحقوا ببرامج تدريب المتطوعين لخدمة زوار عاصمة السلام.. اتفقوا فيما بينهم على ملاقاتهم عند مدخل المدينة والاحتفاء بهم ما داموا سيمكثون بينهم لبعض الوقت قبل مواصلتهم السفر..

بعد أن انتشر الدفء وذهبت عن هذا المكان الصحراوي لسعة البرد التي يشتهر بها، خرج الرجال والنساء قبل منتصف يوم ٢٩ ديسمبر لابسين زيهم القبلي التقليدي ليكونوا في استقبال ذوي عصبيتهم وتحيتهم، تجمّعوا في شكل مجموعات على مبعدة من البوابة في انتظار وصول السيارات التي تقلهم..

استعدّ مدققوا الهويات لإنجاز مهمتهم عندما اقتربت القافلة من المكان..

رحبوا بهم وساعدوهم في إنزال أمتعتهم، أوقفوهم تحت المظلات
اتقاءً لحرارة الشمس.. لَوَّحَ بعض المستقبلين للزوّار مرحبين من الناحية
المُقابلة..

انتشر المتطوعون بالقرب من أجهزة كشف الهوية، وقَدَّموا
مساعدهم لمن يحتاج لها من المسافرين، حملوا عنهم أمتعتهم شرحوا لهم
كيفية التعامل مع أجهزة أخذ بصمة أعينهم وبصمات أصابع أكفهم..

تَلَقَّى كل من أنهى إجراءاته جرعة من الكرم العربي كانت في
انتظاره على الناحية الأخرى من البوابة، فإلى جانب التحيات العربية
الحميمة الأصيلة وجدوا في انتظارهم المشروبات المحلية والأطعمة
الخفيفة..

انداحت الأخبار بين الطرفين حول أمور الدنيا والأحياء
والأموات من ذوي القربى فترةً من الوقت، ولَمَّا أُرِفَ موعد الرحيل
زَوَّدَ عرب بئر السبع أبناء عموماتهم ببعض المرطبات حتى يبلغوا محلة
بيت جالا، وتمنَّوا أن يروهم ثانية عند عودتهم بعد انتهاء مشاركتهم في
احتفالات مدينة القدس..

برغم الكرم وحُسْنِ الاستقبال، أحسَّ القادمون من مكة بالتعب
فور صعودهم إلى السيارات، وتساءل بعضهم عن الحكمة من وراء
إصرار منظمي الرحلة على سفرهم بالسيارات.. هم لا ينكرون أن
السرعات كانت فائقة والطريق في معظمه كان ممهدًا، لكن التعب كان
سيكون أقل بكثير لو استخدموا الطائرة في سفرهم هذا..

الإرهاق لا يعطيهم فرصة تأمل ما حولهم.. هناك تشابهُ بين بيئتهم
في مكة والمدينة وبين القرى والمحلات التي صادفتهم طوال طريقهم
الطويل من مكة إلى بئر السبع..

انتبه غالبية الركاب الذين غلبهم النوم طوال الطريق حتى بيت
جلا، على صوت واحد من الشباب الذين صحبوهم من بئر السبع وهو
يعلن بلوغهم المحطة الأخيرة قبل الوصول إلى القدس.. عرفوا أنهم
سيرتاحون مدة ساعة..

كان الليل قد هبط عليهم وهم في الطريق..

لفت نظرهم لما نزلوا من السيارات تباعاً مساحة الاخضرار التي
تجذب نظرهم على امتداد البصر، كان الميدان الذي صُفّت فيه السيارات
مُزداناً بالرايات والتعاليق الملونة التي انعكست عليها أضواء الكنائس
والمساجد..

شدّتهم حفاوة الأهالي الذين جلسوا معهم على المقاهي التي تزيّنت
خِصيصاً لاستقبالهم.. أنعشتهم نساءم الليل ورائحة مشروب القهوة
العربية التي اشتهر به أهالي بيت جلا التي أصبحت مع الأيام امتداداً
لبيت لحم مهد السيد المسيح..

نسيّ القادمون لأول مرة منذ غادروا مكة تعبهم بسبب نفحات
الود التي شملهم بها الأهالي وشرحت صدورهم الابتسامات الودود
التي كان يُقابِلون بها أينما تلفتوا، استبشر معظمهم خيراً واطمأنت
أفئدتهم.. فإذا كانت الحفاوة التي قوبلوا في بها بئر السبع قد اتسعت إلى
المدى الذي طربت له أرواحهم في بيت جلا! فكيف ستستقبلهم مدينة
القدس؟..

الحي اليهودي بعاصمة السلام..

اهتزت قلوب اليهود فرحاً وهم يرون معالم أورشليم من خلال نوافذ السيارات التي تقلهم وهي تقترب من أماكن إقامتهم، وكأنها شعلة متصل ضياؤها بالسواء، شملتهم جميعاً السكينة وتدفقت الدموع من أعين عجائزهم ورجال الدين منهم..

عندما تلفتوا حولهم بحثاً عن مواقع معابدهم التي حفظوا طابعها البنائي من كثرة ما وصفها لهم مساعدوا الحاخام الأكبر، شاهدوا أعداداً كبيرة من الزوار الذين سبقوهم إليها يتجولون بسلام وأمان في بعض أنحائها..

كانوا يمنون النفس أن يكونوا أول القادمين إلى مدينتهم!! لكن ما العمل والقواعد التي وضعتها المراقبة العليا للأمن ساوت بينهم وبين معتنقي الديانات الأرضية!!..

كانت المدينة في كامل استعدادها لاستقبال هذا المساء والأمسيات التالية له.. لكن بهاءها تجلّى لما تشاطر زوارها تراثها الإنساني دون تفرقة أو بُغْضٍ..

خليط معتنقي الديانات السماوية مع إخوانهم من المؤمنين بالديانات الأرضية أشاع في أرجاء القدس العتيقة البهجة التي امتزجت بأريج أوراق شجر المشمش والتوت والسفرجل، فسمعت آذانُ محبيها وشوشاتِ كروم الزيتون..

عندما توقفت السيارات عند بنايات أمناء جبل الهيكل التي خصصت لإقامة اليهود من زوار عاصمة السلام.. استفسر أفي عمان لديه الاستعداد للقيام بزيارة سريعة للحي اليهودي، آثرت الأغلبية الحصول على قسط من الراحة بعدما لاقوه من تعب وإرهاق طوال الرحلة، أعداد قليلة تحمسوا للتجوال برفقة الحاخام الأكبر ومساعدوه بعد فترة راحة محدودة..

جلس الحاخام طلباً للراحة في البهو الفسيح الذي يقع في منتصف مجموعة البنايات في انتظار من سينضمون إليه في جولته إلى حائط المبكى بعد اطمئنانهم أن أمتعتهم الشخصية قد استقرت في الحجرات التي سيقضون بها أيامهم التالية..

نجح جوهان في أن يخفي عوامل المعاناة والتوتر التي ألمّت به منذ أبحرت السفينة زودياك في اتجاه عكا.. أما الآن وقد استقرّ بهم المقام في قلب أورشليم فكان عليه أن يفكّر في وسيلة تخفيه عن الأنظار لبعض الوقت لكي يجهد نفسه في العثور على صاحبه الذي تخلّى عنه وتسبب له في مأزق لا يعرف كيف الخلاص منه..

كان مستغرقاً تماماً، عندما كلفه أفي مساعد الحاخام أن يُشرفَ على إنزال الأمتعة، وأن يبدأ في تجهيز أول وجبة عشاء في أورشليم، أثلج صدره النجدة التي جاءت من السماء.. استأذن في أن يبقى معه بلوتسكرب بعض الوقت ثم يلحقاً بالمصلين عند حائط المبكى..

أشار مساعد الحاخام الأكبر لوالد زوجة جوهان أن يكون إلى جانبه لمساعدته في إنجاز المهمة التي كلف بها..

تعاون متطوعو عاصمة السلام مع شباب اليهود في إنزال أمتعتهم، وقالوا لهم: إنهم سيجدون في كل غرفة مجموعة كبيرة من الكُتيبات التي توضّح لهم كل ما يحتاجونه من معلومات حول برنامج احتفالات المدينة ببدايات السنوات وتوقيتاتها..

وقبل أن يغادروهم أكدوا لهم أنهم سيكونون قريبين منهم طوال ساعات الليل والنهار..

أسرع واحد من شباب اليهود إلى حيث يجلس أفي في البهو الفسيح الذي تطل عليه مجموعات البنايات التي خصصت لهم، وهمس في أذنه أنه لاحظ أن متطوعي أورشليم ليسوا جميعاً من اليهود! ولما استفسر منه قال له إن غالبيتهم من المسلمين والمسيحيين..

لم يعلق مساعد الحاخام الأكبر من فوره على هذه المعلومة، وطلب إلى محدّثه أن يصمت ويترك الأمر له لكي يرى فيه الرأي الصواب..

رغم التعب البادي على تحيّاً الحاخام الأكبر ومساعديه، فقد وجد في نفسه العزيمة التي جعلته يبدأ مسيرة الزيارة الأولى لمعابد أورشليم

قبل انتهاء فترة الراحة المتفق عليها، ساعده على ذلك أن العدد الذي اختار مصاحبته محدود ..

ساروا وهو في مقدمتهم في الطرقات المؤدية إلى بوابة أورشليم الجنوبية القريبة مما كان يعرف بحائط المبكى الذي اقطعتة الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٦٧ عنوة من حائط السور الغربي للحرم المقدسي الذي تعرفه الوثائق وكتب التراث باسم حائط البراق ..

عندما بلغوا الموقع، ساد الصمت بينهم إلا من همهمات التلاوة التي كان يُردِّدها يوثيل نيابة عنهم بقلب خاشع عكسه لمعان عينيه اللتين كانت الدموع تنساب منهما ..

كان الحاخام يؤمن في قرارة نفسه أن اختفاء دولة إسرائيل لم يحرم أي يهودي الوقوف أمام هذا الجزء من السور الذي يعتقد أنه يُمثِّل ركنًا من أركان تعبدته العقائدي، بالرغم من عودة البناء إلى الحالة التي كان عليها من قبل مئات السنين ..

قامت مجموعة من متطوعي خدمة زوار المدينة بتهيئة المكان للقادمين، بعضهم رَتَّب لهم المقاعد وبعضهم عرض عليهم مشروبات منعشة ..

اصطفَّ العُبادُ اليهود حول حَبْرهم الأعظم عند النقطة التي اختارها لبدء طقوسه التوراتية .. أخرج البعض منقولات مخصصة من التوراة لمثل هذه المواقف وبدأ تلاوته الخافتة، والبعض الآخر اكتفى بترديد ما يحفظ من آياته عن ظَهْرِ قلب ..

اللافتُ للنظر أنهم جميعًا كانوا يقفون فوق أرض حي المغاربة الذي سوته حكومة إسرائيل بالأرض بعد احتلالها للقدس الشرقية لتوسيع المكان أمام ما أطلقوا عليه مسمي «حائط المبكى» لكي يستوعب عددًا أكبر من اليهود فقط!..

بعد يونية عام ١٩٦٧ قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بطرد العائلات الفلسطينية التي كانت تقيم منذ عشرات السنين بحي المغاربة تحت تهديد السلاح! ثم عمدت إلى هدم المباني التي كانوا يشغلونها حتى تكون إطلالة الحي اليهودي مباشرة على الحائط، ولكي يوسعوا الساحة أمام العبّاد من اليهود لأداء طُقوسهم..

بعد اندحار دولة إسرائيل أبقى المسلمون والمسيحيون الحال كما هو، ورفضوا معًا فكرة إعادة البنايات التي هدمتها إسرائيل إلى ما كانت عليه..

لكن بدلًا من أن يقتصر حائط البراق على العباد اليهود فقط، جعلوه قاسمًا مُشترَكًا بين المسلمين واليهود دون سخط أو قلق أو محاولات اعتداء..

وفيما بعد وافق اليهود من سكان القدس على قبول مساعدات مادية ومعنوية من الآخرين لصيانة معابدهم، مقابل فتوى حاخامية منعت المتعبدين من وضع رسائل للرَّبِّ بين سُقوق الحجارة التي يتشكل منها الحائط..

لفت نظر كبير الحاخامات أن صخرة عين سلوان التي جلبها أمناء جبل الهيكل من الضفة الغربية عام ١٩٩٧ لتكون حجر الأساس الذي

سيقام عليه الهيكل الثالث، ما زالت في مكانها.. برغم أن المسلمين والمسيحيين كانوا قادرين على نقلها أو حتى نُسفها كأثر بغِيضٍ تركه الاستعمارُ الإسرائيلي لمدينة القدس وراءه..

بدأت التراتيل والقراءات دون تدخُّل من المتعبدين الآخرين المنتشرين في المكان.. المسلمون داخل وخارج المسجد الأقصى والأرمن في الجزء الغربي الملاصق للحي اليهودي.. والمسيحيون في حيِّهم الذي يقع إلى الشمال من الحيّين..

حرص الحاخام الأكبر بعد الانتهاء من صلاته التعبُدية عند حائط البراق على زيارة معبد بيت يعقوب بالحي اليهودي..

وانتهز الفرصة وأشار لمن يقفون بخشوع حوله إلى أن الصرح القائم أمامهم يُعد من أهم معالم الحي، ثم همس لمُساعدته أفي من بين دموعه أنه شَرَّف في مقتبل حياته بتلقي أول علومه الدينية في مدرسته التي كانت تعدُّ من أقدم المدارس الدينية في إسرائيل، ثم انتقل بعدها إلى معهد قدس الأقداس لدراسة مناهج الأيديولوجية الصهيونية الدينية..

* * *

خفف جوهان على المتطوعين وشباب اليهود مجهود نقل كل الأمتعة إلى حجرات أصحابها، وتخير مجموعة منها وطلب تشوينها في حجرة حميه لما بها من طُرز دينية وأطعمة حلال ولفائف تورانية..

بقيَ جوهان في بهو البنايات حتى انصرف آخر متطوع مقدسي، وخرج موكب زيارة حائط المبكى خلف الحاخام الأكبر، وصعد كل من بقيَ بالموقع إلى حُجرته..

ولما اطمأن قلبه إلى أن انشغاله على انفراد بضع دقائق مع والد زوجته لن يكون لافتاً للأنظار، سارع بالانضمام إليه حيث تعاونوا في فتح الحقائق التي تحتوي على لفائف أمعاء الخراف المجمدة، وقاما بحرصٍ شديد بنزعها عن أنابيب المتفجرات..

هنا في هذا المكان التوراتي الذي اختصّه الربُّ برعايته وحمايته، يستطيع مع حمّيه أن يخرج الخبيثة التي سافروا بها من سان دياجو إلى قلب أورشليم دون خوفٍ أو وجلٍّ من أي شرٍّ.. وأن يُعيدا حفظها بلا خوفٍ ولا وجلٍّ من أن يكشف سرّها أحدٌ حتى لو حاول..

تجمّع لدى الرجلين كومتان من المستخرجات.. مكونات الأطعمة الحلال التي وضعها في عبوات جديدة قاما بحفظها فيما بعد في ثلاثيات البناءات الملحقة بالمطبخ.. أما الأنابيب العشرة فحملها جوهان بعناية بالغة ولفّها بحرصٍ شديدٍ في مجموعة من الأقمشة المموهة ثم دسّها في قاع حقيبة جلدية وضع فوقها كمية كبيرة من المطبوعات، ثم أعادها إلى داخل حقيبة أخرى من الحقائق الخاصة بوالد زوجته..

نفّض كل منهما يدهُ من المهمة الصعبة التي كُلّفا بها..

لم يُبدِ جوهان حماسةً في اللحاق بالمتجولين عند حائط المبكي، ولما استفسر بلوتسكر عن السبب ادعى أنه يريد أن يطمئن بنفسه على راحة باقي نزلاء البناءات.. ووعد إن لم يتمكن من اللحاق بهم، أن يؤدي الصلاة بمفرده في وقت متأخر من الليل..

لم يعارضه حموه، خاصة بعد أن لاحظ دأبه طوال الطريق من مطار دمشق إلى قلب أورشليم على تلبية حاجات كل من كانوا معهم في السيارة..

بعد انصراف بلوتسكو خرج جوهان بهدوء إلى الشارع..
اتصل بصديقه ديفيد أوزوالد مرة عن طريق الهاتف ومرة أخرى عن طريق الكمبيوتر الشخصي، ولكنه لم يحصل على إجابة لا عن ذاك الطريق أو تلك الوسيلة..

حرص قدر استطاعته ألا يبدو عليه التوتر حتى يستطيع التفكير بشكل جيد..

واصل سيره المتئد، وتخيّر مقهى غير مُزدحم، وجلس في طرفٍ منه..

كرّر المحاولة مرة أخرى وحصل على نفس النتيجة، كاد صوته يعلو وهو يصبُّ فوق رأس صاحبه اللعنات لولا أنه كتم غيظه..
ماذا هو فاعل الآن بعد أن أُسْقِطَ في يده؟..

حالته النفسية التي تقترب من الحضيض، تحاصره بالسؤال.. أين هذا الديفيد الفلتان؟ ولماذا لم يظهر بوجهه الكالح في أورشليم؟..

وجد جوهان نفسه يحصر السبب في الجنس، وشبق ديفيد المتواصل إليه! تذكر له الكثير من المواقف الجادة التي أهملها وأسقطها من حسابه بسبب اشتهاؤه الشديد للجنس..

سخطه البالغ جعله لا يفكر في سبب آخر، تلفَّت حوله بحذر بعد أن سمع نفسه يقول: فليذهب ديفيد إلى الجحيم غير مأسوفٍ عليه!.. بسبب حالة الهلع المكتوم التي ألَّت به، أحسَّ أنه يكاد يفقد صوابه..

لا يعقل أن يعطل عدم حضوره تحقيق الهدف الذي نسقوا له ساعات طوال.. لكن كيف يتسنى لهم تنفيذه بدون وجود نسخة الملف التي في حوزة ديفيد معهم؟..

كانت خطتهم تعتمد كلياً على استخدامها!.. لم يضع أحد في اعتباره احتمال عدم انضمامه إليهم! كان الترتيب كلها تؤكد أنه سيصعد إلى سطح سفينتهم وهي في طريقها من سيراكوزاه إلى ميناء عكا.. عليه أن ينسى صديقه الذي غدر به في لحظة من أخطر لحظات حياته وأهمها قاطبة..

ليس أمامه وقت للتفكير فيه أو في مستقبل علاقتهما معاً.. عليه أن يستعدَّ بإجابة مُقنعة على السؤال الذي لا بد سي طرح عليه فور عودة الحاخام الأكبر من زيارته الأولى لحائط المبكى..

أين صاحبك ديفيد؟ ولماذا لم يظهر حتى الآن كما وعد؟.. زينت له نفسه أن يُواصلَ مسيرة التسويف حتى صباح الغد، ولكنه رفض الفكرة..

قرَّر أن تكون الإجابة المباشرة أقصر الطرق إلى الخلاص! سيرد عليهم: لا أدري عنه شيئاً منذ هاتفني والسفينة راسية في سيراكوزاه..

الحي المسيحي بالقدس ..

توزعت السيارات الآتية من طريق رام الله بين مدخل الحين
المسيحي والإسلامي ..

اصطفت المجموعة الأولى على مبعدة من الباب الجديد شمالي الحين
المسيحي .. أفسح الركاب من المسلمين الطريق لنزول المسيحيين
المتشوقين للقاء نظرة مستفيضة على بنيان كنيسة القيامة الشامخ التي
تقع في منتصف المسافة بين الحين ..

بعد أن انضمَّ الركب معاً، تواعد المتجهون إلى الحين الإسلامي مع
إخوانهم المسيحيين على اللقاء صباح اليوم التالي بالقرب من نفس
المكان، أشار لهم متطوعو عاصمة السلام إلى طريق مختصر يقودهم إلى
الحين الإسلامي ..

حيّاً شباب المقدسين قداسة البابا التحية اللائقة، وحصل
المسيحيون منهم على بركة تقبيل يده وسلّم هو بعطف شديد على
إخوانهم المسلمين ..

جرت على السنة مستشاري البابا عباراتُ الشكر للرَّبِّ، لما عرفوا
أن مقارَّ استضافتهم لا تبعد كثيرًا عن كنيسة القيامة إلا بمسافة مئتي
متر..

أشكل على بعضهم كيف يقومون بزيارة الكنيسة وهم في طريقهم
إليها ومعهم أمتعتهم؟ أدرك المقدسيون من لمعة أعينهم مدى شوقهم
للتبرُّك بها.. اقترحوا أن يبقى معهم أحد المشرفين على الرحلة لكي
يحملوا تحت إشرافه الأمتعة إلى داخل مقار الإقامة وأن يبدأ القادمون
من فورهم زيارتهم الروحية..

سارت مجموعة مختلطة من الشباب في مقدمة الركب لإفساح
الطريق أمام الحبر الأعظم عبر الطرقات الضيقة والدرج المنحوت في
الصخر نحو بنيان الكنيسة الشهيرة، شملتهم السكينة، وانسالت دموع
غالبيتهم وهم يرهفون السمع للدعوات النابعة من القلب التي يتلوها
عظيمهم..

لَمَّا أدرك البعض مشقة مواصلة المسير بسبب الازدحام وضيق
المكان، أَجَلُّوا صلاتهم لليوم التالي، وأتَّخذوا طريقهم إلى البطريركية
القبطية لمشاهدة معالمها والتبرُّك بمكانتها المقدسة حتى لا يتسببوا في
وقوع مضايقات للبعض منهم..

الحي الإسلامي بالقدس ..

لما بلغت المجموعة الثانية من السيارات الآتية من رام الله مشارف
باب دمشق المُفضي إلى داخل الحي الإسلامي هبط منها ركابها المسلمون
برفقة إخوانهم المسيحيين ..

استقبلهم المتطوعون بالترحاب، عاون شباب المقدسيين مجموعة
المسيحيين في حمل أمتعتهم وساروا بهم نحو الحي المسيحي ..
سار مسلمو المهجر سعداء برفقة مجموعة أخرى من المتطوعين
ناحية الحي الذي سينزلون بالقرب منه ..

علت وجوههم البهجة والفرحة عندما أحسُّوا أن عَبَقَ التاريخ
يُلامِسُ شَغاف قُلُوبِهِمْ، لاحظوا أن عددًا من المسيحيين الشرقيين
يشاركونهم نفس الشعور؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم جزءًا من التاريخ
الإنساني العقائدي الذي يحيط بالجموع الحاشدة المسالمة بلا تفرقةٍ أو
تمييز ..

أسعدهم غاية السعادة أن يشاهدوا في وسط الحي الإسلامي
الكنيسة الأرثوذكسية بكامل هيئتها يحيط بها الجلال من كل جانب،
وتتصاعد من داخلها الصلوات الخاشعة التي تشفي القلوب
والأرواح..

تبادل المسيحيون المارون التحية مع عشرات المسيحيين الذين كانوا
يقفون خارج الكنيسة حيث لم تتسع لهم جميعاً قاعة المذبح، لدرجة أن
اصطفاهم امتدَّ إلى سُور الزاوية البخارية التي تضمُّ مسجدًا صغيرًا
للمسلمين..

عندما اتجه فوج مسلمي المهجر إلى الناحية الأخرى، لمعت أمام
أعينهم قبة مسجد الصخرة الذهبية التي كانت تتألق تحت دفقات نجوم
السماء الساطعة..

قادهم شباب المتطوعين لزيارة المسجد الأقصى في ثلاث مجموعات
توجَّهت أولاً إلى باب الغوانمة والثانية إلى باب حطة والثالثة إلى باب
فيصل..

في جميع هذه المواقع وما حولها، ساد الصمت إلا من أصوات
الدعاء الصاعد من القلوب الواجفة.. اتجهت الجماعات إلى ساحات
المسجد.. واصطف غالبيتهم للصلاة بعد أن توضعوا.. وتجوَّل بعضهم
يقلب النظر في الأثر المعماري الفريد..

بنايات أمناء جبل الهيكل ..

تقع هذه البنايات على مسافة غير بعيدة من قلب مدينة أورشليم..
شيّدتها جماعةُ أمناء جبل الهيكل ونشطاء محبي الهيكل، لكي يستقبلوا
فيها مؤيديهم والمتفانين في خدمة العقيدة اليهودية، وعلى رأسهم من
يملك القدرة على تامين مادياً ما يبذلونه من جهدٍ وطاقة في سبيل إعادة
بناء هيكل سليمان..

مداخل البنايات ونوافذها وباحاتها تطلُّ من علٍ على قبة المسجد
الأقصى والحرم المقدسي من ناحية وعلى جبل الزيتون من ناحية ثانية..

كل من قدّم إلى هذه البيانات، وأقام فيها على امتداد فترة ازدهارها
حتى أواخر العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، تشبّع عن يقينٍ
راسخ بفكرة حقّ اليهود في إعادة بناء هيكلهم الأعظم حتى لو كان على
أنقاض المساجد الإسلامية..

نزل الزوّار اليهود القادمون من الولايات المتحدة وكندا وإقليم
اللاتين الجنوبي بها بناء على طلب الحاخام الأكبر يوشيل عاموس ..

بدا هذا المطلب من جانب معتنقي الديانة اليهودية طبيعياً في ظاهره، فهم الأحق من غيرهم في الإقامة فيها.. أما في باطنه فكان ينطوي على عملية شحن معنوية على مستويين.. الأول جماعي يهدف إلى تطهير النفس وإعادة تقويمها بمناسبة وجودها في قلب الأراضي التوراتية.. والثاني شديد الخصوصية يهدف إلى تعميق البعد الديني لخطة الخلاص من دور العبادة الإسلامية وربما المسيحية المقامة على نفس الرقعة من الأرض المقدسة..

البعد الديني ربطه يوثيل عاموس بالآيات التوراتية التي تؤكد أن رَبَّ إسرائيل مَنَحَ هذه الأرض خالصةً فقط لِعِبَادِهِ اليهود الصالحين، وتنفي أيَّ حَقٍّ للأغيار من غير المؤمنين به للإقامة فيها! وبذلك رَسَخَ فتاوى من سبقوه من الحاخامات العظام ومعهم أمناء جبل الهيكل، بعدم أحقية المسلمين والمسيحيين في تأسيس دور عبادة لهم فوق هذه الأرض التي طَهَّرَهَا رَبُّ إسرائيل خَاصِصاً لليهود..

غدير الماء خارج بنايات أمناء جبل الهيكل ..

قبل أن يذهب إلى حُجْرته بعد جولة حائط المبكى، عثر مساعد
الخابام الأكبر على جوهان جالسًا يتبادل أطراف الحديث مع عدد من
الأصحاب حول الفسقية التي يتوسَّط موقعها مقار الضيافة، اقترب
منهم وحيَّاهم ونَبَّه عليهم وهو ينظر بتركيزٍ ناحية جوهان بضرورة
المشاركة في الصلاة الأولى..

لم يكن الوقت ولا الجهد يسمحان له بجلسة مع جوهان لمعرفة
آخر تطورات تَوَاصُلِهِ مع صاحبه ديفيد، لذلك قرر الخابام الأكبر
تأجيل المسألة كلها إلى صباح الغد..

هكذا فهم جوهان الرسالة واستعدَّ لها..

اتفق الرباعي يوئيل عاموس ومساعداه الأول وبلوتسكر
وجوهان، بعد الانتهاء من الصلاة على التلاقي بالقرب من غدير الماء
الذي ينساب من تلة أوفل القريبة من بناية أمناء جبل الهيكل ..

بدأت جلستهم هادئة ثم شابها الانفعال، ثم انقلبت رأساً على عقب..

سألوا جوهان: هل عثر على صديقة؟ أجب: لا..

شددوا في استنفهامهم: ألم ينجح في التواصل معه بأي وسيلة؟
أجب: لا..

طافت من حولهم مظاهر القلق، علام يدلُّ عدم صعوده إلى ظهر السفينة لما رست في سيراكوزاه؟ وعدم قدومه إلى أورشليم كما وعد جوهان؟..

ديفيد كشخص، ليس بهذه الأهمية حتى ينشغلوا عليه، الشريحة الإلكترونية التي في حوزته هي التي تحظى بأقصى درجات اهتمامهم..

هل فقدوها فقرر أن يتوارى عن الأنظار؟ ممكن..

أم أن أمره قد كُشف؟ محتمل.. وهل هم الآن مراقبون؟ تخوُّف مُستبعد، وإلا ما كانوا الآن يناقشون الأمر في هذا المكان..

زاد التوتر وشمل الصمت الجميع..

راح كل واحد من الأربعة يفكر في أمر مختلف عما يفكر فيه الآخرون..

وضح من التعليقات المختصرة التي جرت على لسان أفي سيفر أنه يدين نفسه، لأنه اقترح على الخبر الأعظم حفظ نسختي ملف الهيكل اللتين كانتا في حوزة جوهان وزوجته، واحدة في مكان آمن بمعبد

لاس فيجاس والأخري بمكتبة دلاس، ولم يضع في اعتباره احتمال أن
يختفى ديفيد ومعه النسخة الوحيدة التي بدونها لن يتحقق لهم الهدف
السامي الذي ربما لا تُتاح فرصة أخرى لتنفيذه!..

شارك جوهان في ملحمة تأنيب الضمير..

كان عليه ألا يثق ثقة كاملة بديفيد، الذي يعرف أنه وإن كان يهودياً
صالحاً فإن جريه الذي لا ينقطع وراء الجنس يُنسيه دائماً العقاب الذي
ينتظر ناكصاً وعده يوم البعث والنشور عقب الموت..

رأى بلوتسسكر، أنهم إن لم يستغلوا الفرصة والظروف الحالية
المحيطة بهم للخلاص من كل العقبات التي تقف في طريق الترتيب
لبناء الهيكل، فلن يكون في مقدور من يأتي بعدهم استكمال هذه المهمة
المقدسة.. لذلك طالبهم بالبعد عن القلق حتى لا يُشوّشوا على أنفسهم
في وقت هم في أشد الحاجة إلى التركيز..

هوّن يوثيل الأمر على مساعده أفي وعلى جوهان، وقال بحسم:
لنعتبر أن ديفيد لن ينضم إلينا.. ولن يكون في حوزتنا الشريحة التي كنا
نعتمد عليها..

وأضاف: إن النقطة الجوهرية التي تحتاج إلى مناقشة موضوعية
هي: هل نُسقِطُ من تفكيرنا ما كنا ننوي الإقدام عليه؟ أم نسير في
الطريق إلى نهايته؟..

أجمع ثلاثتهم على حتمية تنفيذ ما اتفقَ عليه..

قال لهم الحاخام الأكبر بوضوح: كيف لنا أن نعوض فقدان
الشريحة التي تبخرت في مكان ما بين سيراكوزاه وأورشليم؟..

اطمأنت نفس أفي بعض الشيء، لمعت في ذهنه بارقة أمل ..

سأل جوهان: هل فتحَ الملف وتعرَّف إلى محتوياته؟ ..

سارع الرجل بتأكيد تلك الحقيقة ..

سأله بلوتسكر من فوره: ماذا يتذكر من محتوياته؟ ..

أكد لهم إنه يتذكر من محتوياته الكثير ..

زال عنهم التوتر وتنفسوا الصعداء ولو إلى حين، إذن فهناك حلٌّ ..

طالبهم يوئيل بتوخي أقصى درجات الحذر .. فالأمر أصبح محصوراً في حجم ما سيتذكره جوهان وكفايته ومدى كفاءته لتنفيذ الأمر! فليس هناك أي جدوى من المجازفة لأنها ستكون في غير محلها ..

أحسَّ جوهان مرة ثانية أنه يحمل فوق كتفيه ذنب التقصير، وحزَّ في نفسه أن المهمة كلها أضحت مرتبطة بما سيتذكره أو لا يتذكره من الملف الشؤم ..

عَذَّبَه عدم الثقة الذي لم يعد يتمتع به بينهم ..

قال بحدة لم يعهد لها فيه الآخرون: إنه قادر على تذكر كل حرف وكل رسم وكل صورة .. وطلب إليهم أن يمنحوه بعض الوقت ليثبت لهم ذلك ..

ربت بلوتسكر على كتفه وهو يهوّن عليه الأمر، نصيحة بالاسترخاء والتنزه في الهواء الطلق تنشيطاً لذاكرته، بعدها عليه أن يرتب أفكاره لمناقشته فيها بروية لتحديد خطواتهم التالية ..

تركهم جوهان مُتجهًا بخطواته الثابتة ناحية الحيّ اليهودي..

بقي الثلاثة الآخرون بعض الوقت في مكانهم..

ليسوا على قلب رجل واحد لأول مرة منذ عرض بلوتسكر على أفي سيفر ومن بعده الحاخام الأكبر فكرة هدم المسجد الأقصى وتمهيد الأرض لبناء الهيكل الثالث..

كانوا يمتنون أنفسهم بتنفيذ العملية، يوئيل عاموس وحده كان يتخوّف من الإقدام على خطوات غير محسوبة بدقة قد تقضي على الحلم إلى الأبد هذه المرة..

أما بلوتسكر وأفي فكانا يدعوان الربّ أن يُساعد عبده المُخلص جوهان على التذكّر، وأن يستجيب لدعوات فتح الطريق أمام إعلاء كلمته فوق أرضه المقدسة..

ساحة الحي اليهودي بالقدس..

سار جوهان عشرات الأمتار داخل الحي اليهودي..
استراحت نفسه بعض الشيء وهو يتابع التعرف إلى الآثار التي قرأ
عنها..

تعمّد أن يمعن النظر فيها على أمل أن توحى إليه هندستها المعمارية
ببعض الصفحات والرسومات التي يحتوي عليها ملف الهيكل
الثالث..

قصد أن يسير الهوينى وأن يتوقّف كلما وجد ما يجذب نظره ويفجر
طاقة التذكر داخله..

حصل على شحنة لا بأس بها لكنها غير كافية..
انجّه إلى معبد بيت يعقوب، دَخَلَهُ في خُشُوعٍ وأدى صلاة الليل..
بعد أن انتهى من ابتهالاته، زاد يقينه أنه قادر على استلهام الكثير
من الصفحات التي تعيها ذاكرته بكثير من الوضوح..

لا إرادياً وجد قدماه بعد خروجه من المعبد، تقودانه إلى حائط
المبكى..

شاهد بعض الزوار يواصلون قراءة صلواتهم..
تقدّم بضع خطوات حتى صار محاذياً لهم، ودعا الله أن يُفكَّ كربه
ويهديه إلى الخير ويصرف عنه ضباية الشيطان كما تقول دعوات
المخلصين..

هُيَّئْ إليه أثناء تلفته حوله أنه يرى طيف ديفيد، دَقَّ النظر، إنه
هو..

رأه رأي العين يجلس على كرسي مستغرقاً في النظر ناحية الحائط..
من المحتمل أن يكون قد دخل أورشليم منذ وقت قصير، وأثر أن
يحضر إلى هنا للتعبّد قبل أن يُقدّم على أيِّ فعلٍ دنيويٍّ آخر..
انتبه جوهان قبل أن يصل إلى حيث يجلس من ظن أنه صاحبه
المفتقد..

وقف متمهلاً، ألا يمكن أن يكون الأمر قد اختلط عليه؟ وأن ذهنه
المشوش يعكس له صوراً ليست حقيقية.. تريث في مشيته الحثيثة..

لو كان هذا الذي يقترب منه هو ديفيد.. لكان قد اتصل به حتى
وهو يرتب نفسه لزيارة الحائط، فهو يعرف مدى احتياجهم إليه خاصة
بعد أن تخلّف عن الانضمام إلى ركاب السفينة زودياك قبل إبحارها من
سيراكوزاه!..

تشكَّك في الشخص الذي يراه جالسًا على بُعد خطوات منه، ربما يكون قد شُبِّهَ إليه.. إنه قريبُ الشَّبهِ به، ولكنه ليس هو..

قد يكون توأمه الذي طالما سَمِعَهُ يحكي عنه وهما يدرسان بمدينة بريمن بشمال ألمانيا..

أمعن النظر فيه، إنه يحمل ملامحه..

قال لنفسه: إن كان هو، فمن المؤكد أنه سيعرف منه آخر أخبار ديفيد، وساعتها سيتأكد له أن صلواته ودعواته استجيبت، وأن تنشيط الذاكرة لم يذهب هباءً..

وإن لم يكن هو فلن يخسر شيئًا، بعد أن يبدي كلمة اعتذار وأسفٍ مناسبتين..

اسمح لي بسؤال، هكذا انتبه إيمانويل من حالة الاستغراق التي كان عليها..

سأله جوهان وهو يتفرس في ملامحه: هل يعرف شخصًا اسمه ديفيد أوزويلد؟..

نطقت أسارير إيمانويل بالفرح..

وَقَفَ وهو يُمَدُّ يده بالتحية لجوهان، إنه شقيقي التوأم..

وقبل أن يعلق الآخر، تغيرت ملامح إيمانويل وهو يسأله: هل تعرف أين هو؟ هل وقع له مكروه؟.. جلس جوهان إلى جوار الشقيق الملتاع.. فكر بسرعة..

تبدو الطيبة على وجه توأم صاحبه اللعين.. هو نسخة منه في الشكل، وربما في الصوت، لكن من الواضح أنه أكثر تديناً وصلاًحاً منه..

أفاض جوهان في وصف مدى الصداقة التي جمعت به بشقيقه منذ سنوات دراستهما الجامعية وبعد أن فصلت بينهما المسافات وظروف العمل..

فعل الودُّ المُصطنع فعله في إيمانويل، وفهم جوهان منه أنه تواعدَ مع ديفيد منذ شهور على القدوم إلى أورشليم.. لكنه قدَّ أثره منذ فترة، وكان يُمنِّي نفسه بأن يجده فيها! لكنه لم يعثر عليه..

هدأ جوهان من روع إيمانويل وطيب خاطره..

أفهمه بكلمات صادقة أنه وشقيقه اتفقا على زيارة المدينة المقدسة..

حكى له أنه رتَّب مع ديفيد الانضمام إلى السفينة التي رست بهم في ميناء سيراكوزاه، وأنه فشل في الاتصال به لما لم يصعد إلى سطحها.. ولم يرد على أي محاولة تواصل معه منذ ذلك الحين..

حكى إيمانويل لجوهان بألم حقيقي أنه كان يودُّ أن يشاركه أخوه سعادته بعد ما نجح في الترتيب لأول سباق سيارات مزدوج يدور حول حوض البحر المتوسط من الجهتين، وأن يكون الأقرب إليه عندما يشارك من فوق منصة أورشليم في تقديم الجائزة للفريق الفائز..

أدرك جوهان أن إيمانويل، ليس ذا فائدة تُرجى فيما يتعلق بالملف المفقود..

واستنتج أن أثر ديفيد ضاع حتى لأقرب الناس إليه من قبل أن
ترسو سفينتهم على رصيف ميناء سيراكوزاه..

زادته هذه النتيجة إصرارًا على القيام بالمهمة المقدسة بمفرده!..

قرر ألا يخرج من جلسته تلك خاوي الوفاض..

عليه أن يفكر في كيفية استغلال جزء من زمن الاحتفال بتقديم
الجائزة التي أُلحَّ إليها إيمانويل، لتنفيذ خطة التفجيرات..

فكَّر جوهان سريعًا في الكنز الثمين الذي هبط عليه من سماء
أورشليم الصافية، ماذا لو اصطحب إيمانويل معه إلى حيث يقيم
الآخرون ليسمعوا منه؟..

نهض جوهان واقفًا، ولما همَّ إيمانويل بتحيتته، طلب إليه أن يأتي
معه لكي يقدمه لعدد من أصدقاء توأمه وأحبائه، فهم - كما قال له -
سيفرحون بالتعرف إليه، وسيخففون عنه بعض همومه..

ساحة العروض بالقرب من فندق الملك داود..

جمهرة كبيرة من المتفرجين لم تعهدها مدينة القدس عاصمة السلام منذ سنوات بعيدة، تتابع ما يجري فوق المسرح الضخم الذي أقيم في الساحة المقابلة لفندق الملك داود..

الفرق التي ستقدم فنون معتنقي الديانات الأرضية موجودة بشكل مستمر لضبط إيقاعاتها وترتيب الفقرات التي ستقدمها، كذلك الحال بالنسبة لمجموعة المسلمين المهاجرين التي يتمرن منتسبو فرقها الصوفية بإتقانٍ على مشاهدتهم التمثيلية..

على امتداد ساعات اليوم، تتبادل المجموعتان الود والتفاهم حول من يشغل المسرح..

المجموعة التي ستحكي التراث المتعلق بميلاد السيد المسيح، اتخذت لها ركنًا بالقرب من المكان يتناسب مع رؤيتهم للخلفية الطبيعية التي قرروا أن يستخدموها للتعبير عن الحدث بدلاً عن الديكور التخيلي المصطنع ليوم ميلاده عليه السلام..

حول المكان انتشرت الأجهزة والمعدات التي تتابع ما يجري بلا تدخل، لكنها تُراقب وتُحلَّل وتتبادل المعلومات مركزياً مع الهيئة العليا للأمن بموسكو..

رجال الحرس الكوني ينتشرون هنا وهناك كأن الأمر لا يعنهم بينما الكاميرات التي يحملونها تبعث للمكاتب الرئاسية التي يتبعونها بتقارير دورية مصورة ومسجلة لكل ما يمرون به بشكل تلقائي، أو يركزون عليه بتعمُّد مهني.. ويتلقون منهم على أجهزة التواصل المفتوحة معهم على مدار الساعة الأوامر والتحذيرات، ويبلغون هم بدورهم من خلالها عن كل ما يتشككون فيه ويتحوطون له..

اليوم الثاني على التوالي.. ليس هناك ما يُثير الشكوك في هذا المكان الذي وقع عليه اختيار مستشارو هيئة الأمن بموسكو إبان زيارتهم الأخيرة لعاصمة السلام، لكونه مفتوحاً من أكثر من جهة، ويمكن إحاطته بسياج كامل من رجال الحرس الكوني في أقل من دقيقة.. يتبقى يومان: ٣٠ و ٣١ ديسمبر ويذهب كلٌّ إلى حال سبيله..

حدَّر كبير المستشارين الأمنيين بموسكو رجاله بعاصمة السلام في منتصف نهار يوم ٢٩ من أن ينصرف تركيزهم على قطاعٍ من قطاعات المدينة على حساب قطاعات أخرى..

لذلك لما اجتمع مراقب أمن المدينة بمستشاريه بعد تلقي هذا التحذير، حرص على أن يُوزَّع القيادات العاملة تحت إمرته حول الساحة التي ستشهد تقديم العروض وتسليم جائزة سباق سيارات

حوض البحر المتوسط، وعلى أطراف المدينة وأحيائها الدينية بنفس
الاهتمام.. من الآن فصاعداً، لن يتدنى الاهتمام بأنحاء المدينة المتفرقة
مهما تكن درجة تخلخل العنصر البشري عند الهوامش وكثافته في
الساحة القريبة من فندق الملك داود..

بنايات أمناء جبل الهيكل ..

بدا على الحاخام الأكبر التأثير لحالة إيمانويل الذي وجد نفسه يحكي للمرة الثانية، كيف أفقده غياب شقيقه السكينة وجعله مشغول البال ..
بانت عليه دلائل المعاناة الشديدة وهو يصف عدم إحساسه الكامل
ببهجة النجاح الذي حققه سباق السيارات العالمي ..
طيب الحاخام الأكبر خاطره ..

زاد يوثيل أن التعارف الذي جرى بينه وبين جوهان عند حائط
المبكى له دلالة إيمانية خاصة سيلمس أثرها في وقت لاحق، وأوصاه أن
يتخذ أخاً مخلصاً له، وأن يضعه في منزلة شقيقه الغائب حتى يعثرا عليه
معاً ..

أمن إيمانويل على كلام يوثيل عاموس، وقال والدمع يترقرق في
عينيه: إنه يصدق الآن أن السماء استجابت له مرتين على أثر زيارته لمعبد
بيت يعقوب ودعائه بقلب محزون عند حائط المبكى .. الأول عندما
بعث له بجوهان والثانية عندما أجلسته بين يدي الحاخام الأكبر ..

جَفَّفَ إيمانويل دموعه وقال: إنه مضطر للاستئذان لكي يطالع
التقارير التي جاءتة خلال الساعتين الأخيرتين..
ترك الحاخام الأكبر يده للضيف لكي يُقبَّلها من أجل التبرُّك..
وأوصاه وهو يمسح على رأسه أن يتبادل مع جوهان ما قد يعرفه
عن الابن الصالح ديفيد..
قبل أن يرحا المكان شَدَّ يوثيل على جوهان أن يُسرِّي عن
صاحبه وأن يطمئنه على حالته بعد أن يوصله إلى مكان إقامته..
قبل أن يختفيا نادى الحاخام الأكبر على جوهان ورجاه ألا ينسى في
طريق عودته أن يمرَّ بغدير الماء ليأتي لهم بشربة منه..
فَهِمَ جوهان المطلوب منه.. ووعدته خيرًا..

مَقَرُّ المراقب العام للأمن في القدس ..

وَدَّعَ جوهان أخاه الجديد إيمانويل عند مبنى المراقب الأمن العام
المواجه لكنيسة نوتردام عند الحافة الشمالية الغربية للحي المسيحي،
واستدار عائداً من حيث أتى ..

اجتاز إيمانويل الرُّدهة بعد أن مرَّ بطاقته الأمنية وطبع بصمة كفه
اليسرى على جهاز التفتيش القائم في مدخلها ..

أَحَسَّ وهو يرتقي درجات السلم أن نسبة كبيرة من الاضطراب
الذي أَلَمَّ به أياماً طويلة ذهب عنه، أَرْجَعَ ذلك لزيارته للمعبد ولحائط
المبكى من ناحية، ولقائه الغريب بصديق شقيقه ثم مباركة الحاخام
الأكبر له من ناحية ثانية ..

ضغط فور دخوله إلى حجراته على جميع أجهزة التواصل بين
الكومبيوتر الشخصي ونقاط المراقبة شمال حوض البحر المتوسط
وجنوبه ..

سرعان ما توالى تقارير أخبار فريقى السباق الشرقى والغربى اللذين تبادلوا مضماريهما بعد أن مرّا في توقيتات متوالية بعاصمة السلام، واخترقا شارع الملك جورج الخامس الذى يربط شمال القدس بجنوبها..

الفريقان في هذا التوقيت يتجهان إلى نقطة النهاية التى سبق أن انطلقا منها منذ عشرة أيام.. ترتيبات بلوغ الهدف يقوم بها متخصصون يتابعهم إيمانويل، وها هي المرحلة الأخيرة لكليهما على وشك أن تبدأ بعد فترة الراحة..

جهّز إيمانويل نفسه لقضاء الشطر الأخير من الليل حتى صباح يوم ٣٠ ديسمبر متفرغاً تماماً لمسئولية مراقبة المواقع الأخيرة التى يربط فيها أفراد الفريقين..

الغربي، الذى عبر منذ بضعة أيام مضيق جبل طارق وشواطئ الشمال الأفريقى ومنها إلى مزارع الزيتون في سيناء، ثم اتّجه شمالاً عبر ضواحي القدس إلى طريق الشام الشمالى، ثم يساراً إلى شرق أوروبا، حيث يعسكر في هذه اللحظة بالقرب من مدينة بلجراد في انتظار بدء المرحلة الأخيرة إلى فلورانس..

والشرقى، الذى هبط من سهول الأناضول إلى طريق الشام الشمالى، ثم عبر ضواحي القدس إلى سيناء، ومنها إلى سواحل البحر المتوسط حتى عبر مضيق جبل طارق إلى سهول إسبانيا ثم فرنسا، وها هم أفرادهم يقضون ما بقي من وقت الراحة عند مشارف مدينة مرسيليا في انتظار مرحلة مشاركتهم الأخيرة في السباق..

غدير الماء خارج بنايات أمناء جبل الهيكل ..

وجد جوهان نفسه يسير جذلاً بعد أن ودّع إيمانويل، أحسّ أن ذهنه صافٍ ومُرتَّبٌ ..

قرّر أن يستغل ظهوره داخل إطار الصورة ويتمسك بكذبتة القديمة التي ادّعى فيها أنه تلقّى مكالمة هاتفية من ديفيد بينما السفينة زودياك راسية في سيراكوزاه .. وإذا لاحظ أحدهم تضاداً بين روايته وحكاية الشقيق، فسيرجع ذلك إلى التشوش الذي لا بُدَّ أصاب رأس إيمانويل بسبب عدم تواصل أخيه معه ومشاركته سعادته الطاغية، ويستشهد على قوله بما أفصح عنه من افتقاده في هذه الساعات التي يحسُّ فيها بسعادةٍ لا متناهية ..

اتجه جوهان إلى مكان الغدير، انضمَّ إلى الثلاثة الآخرين الذين سبقوه إلى هناك ..

وجدهم يتداولون ما يمكن أن يكون قد وقع لديفيد ..

زادت فيما بينهم احتمالات أن يكون قد أُلقي القبض عليه..
ولمّا حاولوا التدقيق في أسباب مثل هذه الخطوة، لم يصلوا إلى قناعة
محددة..

لكن تبادلَ الرأي قادهم مرة أخرى إلى التوجُّس من أن يكونوا
الآن مراقبين..

حلّ عليهم الوجوم، كيف يتعرضون للمراقبة وهم في أرض
الأمان التي يرعاها الربُّ..

أسرع بلوتسكر إلى نفي توجُّسهم من أساسه.. قال لهم بثقة: إنه إذا
كان قد أُلقي القبض علي ديفيد، فسيكون لذلك صلة وثيقة بعمله، أما
بسبب الإهمال أو إفشاء أسرار..

وافق أفي مساعد الخاخام صديقة بلوتسكر أن سبب اختفائه، لا
علاقة لهم بهم.. وأكد أن البركة التي تتمتع بها أرض أورشليم
التوراتية، طمست عيون الأغيار عن كل ما له صلة بما يفكرون فيه
كونهم يهودًا اصطفاهم الربُّ..

رجاهم جوهان بصوتٍ حمل الكثير من الثقة أن يتركوا مسألة
غياب ديفيد أو تغيبه جانبًا لأنهم لن يصلوا فيها إلى رأي مؤكد.. وأن
يشاركوه في رؤية الحقائق كما يفهمها..

اقتربت الرؤوس..

قال جوهان أن عدم امتلاكهم لملف الهيكل، لا يتعارض مع
سعيهم لتحقيق هدفهم المنشود!..

قبل أن يستفسروا منه كيف؟..

أجاب بثقة، ما دامت الشريحة كانت ستضع يدهم على أماكن الضعف في أماكن العبادة الإسلامية والمسيحية مفتقدة، فما عليهم إلا أن يُحدثوا أكبر قدر من الخسارة هنا وهناك باستخدام كمية المواد الناسفة التي في حوزتهم..

قال له أفي: معنى ذلك أن ذاكرته لم تسعفه بتذكر تلك الأماكن..
تعمّد جوهان ألا يرد..

إحجامه عن الرد، لم ينبع من رفضه للمقولة، ولكن لأنه أحس أنه سيد الموقف مما جعله ينوي بينه وبين نفسه إعلان التمرد على إلغاء خطوة تدمير مقار العبادة المتفق عليها..

الترم أفي وبلوتسكر الصمت المتشكك..

أما الحاخام فعلق بثلاث كلمات.. هل هذا ممكن؟..

أكد جوهان وهو يضم قبضتي يديه معاً أن الإمكانية متوافرة بنسبة عالية جداً..

سأل يوئيل صاحبيه الآخرين عن رأيها..

رفض كل منهما التعليق..

لم يكن أمام يوئيل إلا أن يقول إنه يفضل التريث قبل اتخاذ القرار النهائي..

حَزَّ في نفس جوهان أن يتراجع التأييد الذي كان يخطط لتكثيفه في اتجاه القيام بالمهمة، فعمد إلى تحفيز الهمم قائلاً: إن التريث لا يتناسب مع المدة الباقية لهم في أورشليم..

ردَّ عليه الحاخام: إن التنفيذ وفق شروحات الملف لم يكن ليلفت الأنظار؛ لأن الرسومات كانت ستقوده مباشرة إلى المواقع المختارة للهدم دون عشوائية، أما الخطة البديلة التي يقترحها عليهم الآن فالاحتمالات كلها تشير إلى أنها ستلفت إليه أنظار الزوّار الذين أصبحوا موجودين على مدار الساعة داخل أماكن عبادة المسيحيين والمسلمين.. مما سيعرضه بنسبة عالية لخطر ربما قبل أن يبدأ في القيام بمهمته..

إذا كانت هذه هي فكرتهم، فليلقِ إليهم بالمفاجأة التي كان يدّخرها إلى نهاية النقاش..

أعاد عليهم ما سمعوه من شقيق ديفيد، واقترح عليهم أن يتم التنفيذ يوم ٣١ ديسمبر بينما الغالبية العظمى من زوار أورشليم وسكانها بلا استثناء، مشغولون قبل غروب الشمس بقليل بتسليم الكأس للفريق الفائز بسباق سيارات حوض البحر المتوسط.. التزموا الصمت..

شجعه سكوتهم على تذكيرهم أن الضوء السابق لغروب الشمس سيوفر له حركة أسرع وسائرًا مناسبًا إلى حدٍّ كبير..

انتبه بلوتسكر إلى نفسه وهو يسأل زوج ابنته: هل ينوي أن يقوم بالمهمة بمفرده؟..

أدرك جوهان مخاوف حميه، وربت على كتفه وهو يقول: إنها أهون
مما يتخيل..

ثم أضاف بخبث: إنه حتى في حضور ديفيد لم يكن ليثق بإسناد أي
دور إليه..

أقرّ المستمعون الثلاثة بعبقريّة الفكرة، ولم ينكروا على جوهان
قدرته الجهنمية على الإقناع خاصة وأنه عرض بلا تردّد أن يتولى القيام
بها بمفرده..

بالرغم من ذلك طلب الحاخام الأكبر تأجيل الاتفاق بشكل نهائيّ
إلى ما قبل منتصف يوم غدٍ..

معزل أفريقيا الطبي..

بدا الصباحُ كثيبًا في عيني ديفيد عندما استيقظ من نومه..

إنه على يقين أن اليوم هو ٣١ ديسمبر..

بقيَ في مكانه مُستلقيًا على ظهره ناظرًا للشيء.. ليس من دافع
يُحرِّضُه على القيام من مكانه..

وجد أفكاره تتوزع رغماً عنه بين ذكرياتٍ حبيبةٍ إلى نفسه كانت
دائمًا تجمعُه سنواتٍ طويلةٍ مع صديقاته عندما يُقبل ليل مثل هذا اليوم،
كانوا يُحطِّطون لهذه الليلة قبل حلولها بأسبوعين على الأقل.. يعدون
الأطعمة والأشربة.. ورغم البرودة الشديدة كانوا قادرين دائمًا على
توزيع ساعات المساء حتى صباح اليوم التالي بين ارتياد الحانات
والملاهي، وبين البيت الذي سيمضون به بقية السهرة، وكيف
سيقضونها..

لما طاف بخاطره السهرات الشبابية العديدة التي جمعتها منذ سنوات بعيدة مع صديقه جوهان أيام دراستهما الجامعية.. أحسَّ بالدموع تملأ عينيه، مكانه ليس هنا منفيًا مع المعتوهين والمرضى.. استرجع خياله صورة أورشليم التي لا يعرف كم تبعُد عنه في هذه اللحظة..

كان من المفترض أن يكون هناك..
تقلبت المرأة التي تحتكره لنفسها وحاولت أن تحتضنه وهي نائمة..
لم يُبدِ استجابة ولا مقاومة، تركها كما تعود منذ زمن بعيد، تفعل به ما تشاء..

طفت على مُخيلته صور حفل ليلة نهاية العام الماضي..
كانت روزالين رفيقته فيها لأول مرة..
تجمعوا في نادي اليخت، وقضوا سهرة ممتعة بين الرقص وتبادل الأنخاب.. لما أُطْفِئَت الأضواء إيدانًا بانتصاف الليل وميلاد الدقيقة الأولى من العام الجديد، رجته وهو يُقبِّلُها متمنيًا لها عامًا سعيدًا أن ينصرفا فهي في أشدِّ حالات الشوق إليه..

أمهلها حتى يتبادل آخر نخبين مع الصُّحبة..
هبطًا معًا سلَّم القارب العملاق وهي معلقة في رقبته، عندما ابتعدا عن المكان في طريقهما إلى موقف السيارات.. جذبته ناحية رمال الشاطئ، لاحظ أنها في قمة تهيجه.. حاولت أن تقنعه بشتى الحيل أن يمارس الجنس معها في هذا المكان بأي شكل..

في حينه دُهِشَ لهذا المطلب وقاومها بشدة، وأمهلهما حتى يصلا إلى شقته..

فيما بعد اكتشف مدى غرامها العام بصوت الأمواج الهائجة، وعرف مدى عطائها العاطفي المتأجج وهي تُبادلُ أمواج البحر الصراخ طلبًا للمزيد من النشوة..

بصعوبة شديدة نحًا صورة روزالين قبل أن تزداد معاناته..
قفزت صورة جوهان إلى مخيلته..

أين صاحبه في هذه اللحظة؟ وماذا يفعل الآن؟ وكيف فسّر اختفائه الذي لا يعرف أحد عنه أي شيء؟ وأين شقيقه التوأم الذي رحّب بالسفر إلى أورشليم لأنهما سيكونان معًا تكرارًا لزيارة قاما بها إليها مع والديهما من حوالي ثلاثين عامًا؟..

أمسكت شخصية الرجلين الحميمين إلى نفسه، بتلايب تفكيره بلا إرادة منه..

لماذا طلب إليه جوهان أن يصطحب معه نسخة الملف وهو مُتوجّه إلى أورشليم؟..

وإلى أي مدى بلغت ترتيبات شقيقه لإطلاق سباق للسيارات حول حوض البحر المتوسط؟..

تبلّد ذهنه من كثرة ما ازدحمت فيه الأفكار وتداخلت الصور..

ندم أشد الندم بسبب حالة التخيل الذهني التي وضع نفسه فيها
على أثر إلحاحه في تذكر جوهان وإيمانويل، أليست ذكرياته مع روزالين
أخف وطأة..

وجد نفسه بتصميم جنوني يغرس نفسه في أحضان تلك المتوحشة
التي ما إن أحست باندفاعه إليها حتى بدأت تعتصره حتى من قبل أن
تفتح عينيها..

الأحياء الدينية في قلب مدينة القدس..

هَلَّ صباحٌ مُشرقٌ على مدينة القدس عاصمة السلام..
أنت موجات المطر التي وُجّهت إلى إقليم الشام على امتداد اليومين
السابقين بمفعولها، بقيت درجات الحرارة معتدلة وشاع الدفء..
دَبَّ الانتعاش في أنحاء المدينة، أما في محيط القلب منها فكان
للنشاط البشري الذي استثمر التغير الملحوظ في الطقس لرسم صورة
بالغة السمو للتآلف الإنساني والتعاطف التلقائي، تداعياته التي
إستجاب لها الكثيرون بـلتقائية..

الجو مُفعّمٌ بالمحبة التي تشعها الجماعات الزائرة..
المؤمنون من كل جماعة كانوا يتعبدون وفق شريعتهم، وبعد أن
تشربت روحهم بإمدادات السماء انضموا للجموع الغفيرة التي
انطلقت بعد الشروق مباشرة للتمتع بـلوحات الطبيعة الساحرة..
اختلط فوق ساحات الأحياء الدينية العبّاد من كل دين، حتى

أصحاب الديانات الأرضية انضموا إلى الجماعات الدينية الأخرى التي كانت تتبادل الحديث على امتداد الرقعة التي تتعاقب فوقها صروح دور العبادة بلا تفرقة..

تبادلوا التحيات والصور التذكارية التي سجلتها مئات التلفونات والكمبيوترات..

الصورة على امتدادها توحى بالثقة بأن اليوم سيمرُّ بلا مشكلاتٍ مُستعصيةٍ على الحل..

لكن المراقبين من خلف أجهزتهم، لم يغتروا بالظاهر..

كان عليهم أن يركزوا جُلَّ انتباههم - كما علمتهم التجارب وشدت عليهم التعليمات - لتعرُّف البُعد الخفي لهذه الصورة - إن وجد - لكي يتمكنوا من الكشف عنه إن كان شرًّا قبل وقوعه..

تعلموا ألاَّ يخدعهم السطح المتآلف..

هناك دائماً درجة توجُّسٍ يجب أن تؤخذ في الحسبان.. خاصة عندما يصرُّ البعض، برغم فرص الترويح المواتية عن النفس التي يشجع عليها الطقس الجميل، على البقاء خلف جدران مقار إقامتهم بعيداً عن دور العبادة وعن التجمُّعات الجماهيرية..

هؤلاء لا بد من الاهتمام بهم أكثر من غيرهم..

وضحت في هذه الساعة أهمية الأجهزة التي أُقيمت فوق أسطح العديد من بنايات الأحياء الدينية.. لأنها نقلت إلى شاشات المراقبين العديد من المشاهد التي كانت تجري بعيداً عن ساحة الأحياء الدينية في

قلب عاصمة السلام وعن ساحة العرض المُواجهة لفندق الملك داود..
بعض هذه المشاهد كان يعبر عن سلوكيات ذات طابع ديني، وبعضها
كان يعكس علاقات إنسانية غاية في السُّمو والرُّقي، وبعضها الثالث
كان بين بين..

مدافن بركة السلطان..

بصعوبة شديدة صدق الحاخام الأكبر نفسه، عندما استيقظ ذاك الصباح أنه لم يَبْرَحْ حجرة نومه بينايات أمناء جبل الهيكل ..
عندما فتح عينيه هُييء له أنه قضى ساعات الليل قائماً بالقرب من جبل الزيتون..

البعد شاسع بين نومته هنا وعبق الجبل المقدس الذي كان يملأ صدره هناك..

أبقى نفسه مُمدّاً في فراشه وسرعان ما استعاد أحداث الساعتين الأخيرتين اللتين أعقبتا أدائه للصلاة الأولى ثم استلقائه مفكراً في القرار الذي عليه أن يتخذه..

هل يوافق على الفكرة التي عرضها جوهان! أم يرفضها؟..

استعاد الحلم الذي رأى نفسه فيه يدور لفترة طويلة حول سفح جبل الزيتون دون أن يتمكن من الصعود إليه رغم الصوت العلوي

الذي يُحذِّره من عواقب أن تفلت منه الفرصة الأخيرة للتبرُّك، هو لا يرى صاحب النداء، ولكنه يشعرُ بنبرة تحذيرٍ في صوته..

اعتدل في سريره وهو يتساءل مستفسراً.. هل هي رؤية أم إلهام سماوي؟.. وما المقصود باغتنام الفرصة الأخيرة؟..

أخذته أفكاره إلى مناحٍ شتَّى، قَبَعَ يُفَنِّدُها الواحدة بعد الأخرى بعض الوقت..

وأخيراً اقتنع، أن الرؤية قصد بها تحذيره من أن تعطيل العملية التي اقترح جوهان أن يقوم بها، ستحول بينه وبين نيل بركة الجبل المقدس..

أطمأن قلبه، وقرر ألا يجعل من اختفاء ديفيد مسوغاً لتعطيل مشروعه الكبير، ويكفي أن مداومة التفكير في بناء هيكل سليمان للمرة الثالثة والأخيرة بسط له جناح الرؤية التي حملته إلى الجبل المقدس..

يقع جبل الزيتون شرقي عاصمة السلام..

وبينما يحظى المكان بقدسية لدى أصحاب الديانات السماوية الثلاث، يُصر معتنقو الديانة اليهودية على أنه يخصهم وحدهم! وحُجَّتْهم في ذلك أن الله تجلَّى لنبيه داود فوق واحدة من قمم الثلاث، مما دفعه إلى تسلقه من ناحية قرية سلوان ليحارب أعداءه ويتنصر عليهم..

بالإضافة إلى أن الملك سليمان - فيما بعد - بنى مجموعة من المعابد لزوجاته عند قمته الجنوبية..

كانت زيارة الجبل مدرجة ضمن ترتيبات سياحة يوثيل عاموس
التعبدية صباح اليوم التالي لوصوله إلى أورشليم، لكن اليوم انصرف في
أمور أقل أهمية وأدنى قدسية شغلت باله وبال الآخرين.. وها هو يُجرّم
الصعود إليه حتى في المنام..

طافت في رأسه برهةً فكرة أن يقوم بالطواف حول سفح الجبل
المقدس - كما رأي في منامه - عوضاً عن عدم الصعود إلى قمته، لكنه
سرعان ما صرفها واستعاض عنها بزيارة أرض بركة مدافن السلطان
التي قرأ أن حكومة إسرائيل استردتها من المسلمين بعد قرون طويلة من
سيطرتهم عليها دون وجه حق، وفق خطة التوسّعات التي شهدتها
مدينة أورشليم في ثمانينيات القرن العشرين..

كان يوثيل يعرف عن يقين أن المقارنة بين قدسية المكانين فيه ظلم
بين لأرض البركة، لأن مكانتيهما في سُلّم الترقّي بعيدة بُعد المشرق
والمغرب، كما أن وجوده متعبداً بمفرده فوق الجبل لا يساويه من أي
زاوية اضطارره لمصاحبة ثلاثة آخرين إلى بركة مدافن السلطان..

قال لنفسه وهو يتأهّب لتلاوة الفقرات التوراتية الصباحية: إن
للضرورة أحكامها، فعليه أن يفي بوعدته وينتهي من مبادلتهم الرأي
قبل منتصف النهار..

وجدهم في انتظاره عند فسقية المياه التي تتوسّط القاعة الداخلية
لمقر ضيافتهم..

بدت مجموعتهم لمن يراها أو يتابعهم أنهم عباد مخلصون لديانتهم
اليهودية، وها هو حاخامهم الأكبر يتقدمهم بخطوة وهم يسرون حوله
خاشعين مطأطيءي الرؤوس..

قبل أن يصلوا إلى منطقة المدافن التي تقع في منتصف المسافة بين
بنايات أمناء جبل الهيكل والطرف الجنوبي الشرقي للحي الأرمني
الملاصق للحي اليهودي.. سأل يوثيل الشاب المخلص جوهان: متى
بالتقريب سيعرف موعد تقديم جائزة السباق هنا في القدس؟..

رَدَّ من فوره: إن المدينة كلها ستعرف عندما يعلن من فوق منصة
الاحتفال بالقرب من فندق الملك داود عن موعد وصول طائرة الفريق
الفائز إلى مطار جسر الملك حسين قادمًا من روما، بعدها بفترة وجيزة
يصبحون في قلب أورشليم محاطين بالآلاف من البشر..

جلس الحاخام فوق مقعد حجري على مبعدة من مدخل المدافن
التي تحيط بها الأشجار، بينما وقف حوله الرجال الثلاثة في خشوع..
ينتظرون منه إيضاحًا لما وراء مقصده من سؤاله عن موعد تقديم جائزة
سباق السيارات..

بادر بالقول: إنه رأى رؤية تحضُّه على إتمام العملية..

تهلَّل وجه جوهان بالبشر أكثر من الآخرين..

لاحظ يوثيل التشوق في أعينهم خاصة مساعده أيفي سيفر، قال
لهم: إنه يعتقد عن ثقة أن تقصيره في الاستجابة للفكرة بسبب اختفاء
ديفيد سيحرمه هو شخصيًا بركة جبل الزيتون المقدس التي يتمناها كل
يهودي..

سمع الحاخام الأكبر همهمات الاستحسان..

أشار إليهم فعادوا إلى هدوئهم، قال لهم: إنه أطلق على العملية اسم العنزة الشاردة، لكي تحظى بمباركة الله خاصة وأن التسمية لها علاقة مباشرة ببناء الهيكل الثالث..

استقبل كل واحد من الثلاثة موافقة حاخامهم بفرحة تختلف عن الآخرين..

قاسها أفي بالمؤشرات الإيمانية خاصة بعدما سمع رائده الروحي يربطها بمصطلحات بناء الهيكل الشرعية، أما بلوتسكر فرأى فيها تنويهاً لمحاولات استعادة أورشليم لتكون مدينة مقدسة لليهود وحدهم.. فيما نظر إليها جوهان كمقدمة منطقية لا بُدَّ منها للبدء في إقامة دولة اليهود على أُسُسٍ دينية من أول يوم!..

أوضح لهم يوئيل أن المهمة الأولى العاجلة الآن هي تأمين خروج أمعاء الخراف من ثلاجاتها لكي تُتلى عليها الصلوات، ثم نظر ناحية جوهان وابتدعه مستفسراً: هل ما زال مُصرّاً على القيام بالعملية بمفرده؟..

هَزَّ جوهان رأسه عدة مرات بلا تردُّدٍ ودون أن يهتز له جفن، بينما لزم بلوتسكر ومساعد الحاخام الأكبر الصمت..

تمنَّى جوهان في قرارة نفسه أن يقوم بهذا الدور بمفرده، ودعا السماء كثيراً أن تساعده.. أصبح يعاني منذ أضحى اختفاء ديفيد مؤكِّداً، من تَضَخُّمِ عُقْدَةِ البطل الأسطوري الذي لجأ مضطراً إلى الكذب لكي ترضى عنه السماء وتطهره..

حاسب نفسه بقسوة لأنها لم تحضه على قول الحقيقة حين رست بهم
السفينة في سيراكوزاه!.. ولو فعل فلربما توصلوا لبديل يساعدهم على
تحديد الأماكن الأكثر ضعفاً في دور العبادة الإسلامية والمسيحية التي
قرروا أن يتخلصوا منها..

ليست اللحظة مناسبة لترديد ما كان يجب أن يتحقق، عليه
الاستعداد للقيام بالدور الذي اختارته السماء لتحمل مسؤوليات تنفيذه
حتى لو كان بنسبة نجاح أقل..

ستكون ضرباته عشوائية، لكنها برعاية الرب ستكون مؤثرة..

باركه الحاخام وطلب إليه وإلى بلوتسكر أن ينصرفا عائدين إلى
البنية بعد أن يتسكعا قليلاً بالقرب من المسرح المقام في ساحة فندق
الملك داود..

المدخل الشمالي لمدينة روما..

منذ الساعات الأولى لصباح الحادي والثلاثين من ديسمبر ٢٠٩٩ أُخْلِجَ الطريق الذي يربط مدينة فلورنسا بمدينة روما إلا من حشود الجماهير التي جاءت من القرى والمدن القريبة والبعيدة لمشاهدة توالي مروق سيارات السباق الخاطف أمام أعينهم..

تابع المتطوعون عملهم استعدادًا لتسجيل وصول أولى سيارات السباق بعد أن أُبلغوا باجتياز الفريق الآتي من الشرق لحدود مدينة بولونيا.. واجتياز منافسه الآتي من الغرب لنطاق مدينة جنوة في طريقهما إلى ملتقى فلورنسا..

واصلت أجهزة ومعدات القمر الصناعي الذي خصصته الحكومة العالمية لتغطية مراحل السباق ونقل وقائعه وأحداث ساعاته الأخيرة على شاشات المتابعة في روما وأيضًا في عاصمة السلام، عملها بكفاءة عالية.. كلا المكانين تم ربطه بشبكة اتصالات سمعية وبصرية أتاحت

لإيمانويل أن يتابع لحظة بلحظة مراحل تقدم المتسابقين، ووفرت له إمكانات التواصل مع المراقبين بهدف تلافي أي خطأ في احتساب توقيت الوصول لخط النهاية بالنونو ثانية..

في آخر تواصلٍ معهم نصحهم إيمانويل أن ينقلوا إلى الجمهور في كلتا المدينتين عبر الشاشات العملاقة، تعليقات المعلق الذي سيتابع من داخل طائرة مروحية الشوط الأخير من السباق على خلفية الصور التي ينقلها القمر الصناعي..

مقر المراقب العام للأمن بمدينة القدس ..

وافق المراقب العام للأمن في عاصمة السلام على الاقتراح الذي تقدّم به إيمانويل أوزولد، أن تُنقَل أحداث الساعة الأخيرة من عُمرِ سباق السيارات لزوار المدينة عبر الشاشات الكبيرة المقامة بالقرب من ساحة فندق الملك داود لجلب البهجة إليهم، والتمهيد في الوقت نفسه لإعلان توقيت وصول الفريق الفائز إلى مطار جسر الملك حسين، ومن ثم تحديد موعد تقديم الكأس له من فوق منصة العرض ..

اتخذ الفنيون الخطوات اللازمة لبثّ الحدث ..

كانت مفاجأة مفرحة خاصة للشباب من زوار مدينة القدس أن وجدوا الشاشات العملاقة تنقل لهم تعليقات المراحل الأخيرة من سباق سيارات البحر المتوسط وصوره الحية ..

نقلت الأجهزة والمعدات الأمنية من داخل المدينة التفاف المئات من الزوار حول شاشات العرض، كما عكست انفعالاتهم التلقائية ..

فوجئ جوهان وبلوتسكر وهما يجتازان الميدان الذي يطل على بناية
فندق الملك داود عائدين إلى مقر إقامتهما بالمئات من ضيوف أورشليم
يتابعون بنشوة وقائع سباق السيارات المرتقب..

ابتسم كل منهما للآخر..

قال جوهان بثقةٍ وهو يُومئ برأسه ناحية المنصة.. فما بالك عندما
يرى هؤلاء الفرحين وغيرهم ممن سينضمون إليهم- المتسابقين على
مبعدة عدة أمتار منهم؟..

بنائة أمناء جبل الهىكل ..

اطمأنَّ جوهان وبلوتسكر عندما فتحا بحذر الحقيبة التى تحتوى على أنابب أمعاء الخراف كما يسميها الحاخام الأكبر، وجداء الأنابب العشرة فى مكانها لم يقترب منها أحد..

كان الرجلان قد تشاركا فى عزلها بعيداً عن حافظاء الأظمة الحلال بوضعها فى حقيبة جلدية، وأخرى تحتوى على منسوجات ولفافات ورقية ..

قال بلوتسكر لزوج ابنته: إنه غير مُرتاح لنتائج ضرباته العشوائية غير المؤسسة على خطة عملية، فقد لا تؤتي ثمارها المرجوة، والأهم من ذلك قد تلفت إليه الأنظار قبل أن يصل إلى آخر أهدافه ..

ابتسم جوهان بثقة وهو ينظر بفخر إلى واحدة من الأنابب ..

وأكد أنه وإن كان غير قادر على تحديد الأماكن الأكثر ضعفاً فى البنايات التى سيقوم بتدميرها، إلا أنه يحفظ تسلسلها الجغرافى كما يحفظ ترتيب النجوم فى القبة السماوية ..

وجد نفسه يكرر بتلقائية من لا يخشى شيئاً.. سابدأ من باب الخليل الذي سيقودني إلى داخل الحي المسيحي حيث هدفي الأول، بعدها ستكون تنقلاتي محسوبة ومتتابة.. ولما رأى نظرة الإشفاق في عيني حميه، رجاه ألا يفكر في أي شيء يضعف من همته محذراً إياه من مغبة إضاعة الوقت..

انتهيا من استخراج الأنابيب العشرة..

سارع بلوتسكر بمراجعة الوقت الذي قطعاه فيه معاً المسافة من بنايات أمنا جبل الهيكل وباب الخليل أمس واليوم والذي سجله كل منهما علي ساعته الإلكترونية، لكي يعرف جوهان بالتحديد كم دقيقة يحتاجها لتنفيذ خطته مُستغلاً آخر ضوء قبل هبوط الظلام..

تعمد جوهان إبان سيره المتكرر هو وحموه بين مقر إقامتهما وباب الخليل أن يسلكا أكثر من طريق بخطوات هادئة وطبيعية، والآن عليهما أن يضععا في حسابهما الزحام المتوقع..

بعد مراجعة ما سجلته الساعتين، اتفقا على أن الطريق الذي يدور من ناحية الشمال حول ساحة فندق الملك داود سيكون الأنسب؛ لأنه يبعد عن ساحة العرض بنحو ٣٠٠ متر..

فرض قياس التوقيتات على جوهان، الذي كان في تلك اللحظة يحلم بأن يرى بعد عودته إلى لاس فيجاس اسمه مكتوباً بين أبطال اليهود، أن يكون في قلب الحي المسيحي عندما ينطلق الأذان من المساجد الإسلامية مُعلنًا صلاة آخر النهار..

كان المسجد العمري الذي يقع في قلب الحي المسيحي هدفه الأول، وفي داخله سيلقي عبوتين ناسفتين.. ثم يتوجّه ليقذف بعبوتين إلى داخل كنيسة القيامة، ومنها ستقوده قدماه إلى الدير الإثيوبي ليلقي بداخله عبوة واحدة، وما إن ينتهي من إلقائها حتى يُجَدَّ السَيْرُ عابراً ناحية الحي الإسلامي ليضع أنبوبتين في ساحة الكنيسة الأرثوذكسية هدفاً رابعاً.. بعدها يعبر باب الغوانمة إلى الساحة الخلفية لمسجد القبة ليخصه كهدف خامس وأخير بالعبوات الثلاث المتبقية..

توقع الرجلان أن يُثير دوي أول انفجار صخباً وهرجاً كبيرين، يترتب عليه أن يعمل رجال الأمن فوراً على إبعاد الزوّار عن المكان وتفتيشه وإحاطته بسياج قوي من البَسَرِ.. وفي لحظة، ربما تُشير أصابع الاتهام إلى الزوار المسيحيين.. ثم يأتي الانفجار الثاني من داخل كنيسة القيامة والثالث من داخل الدير، ويتكرر نفس التصرف من جانب المسؤولين الأمنيين لكن بعصبية أكبر، وربما يتعاملون بشكلٍ أشد قسوة مع الناس، وساعتها ستشير أصابع الاتهام إلى المسلمين..

هذه الظنون المنطقية جعلتها يتوقعان خلو ساحة مسجد القبة من الزوار عندما يصلها جوهان في نهاية المطاف، إما لأن من كانوا فيها تركوا طقوس تعبدهم وسارعوا بالانطلاق لمعرفة ما وقع على بُعد عشرات الأمتار من المكان، وإما خوفاً مما قد يتعرضون له من أذى بطريق الخطأ..

قال بلوتسكر لزوج ابنته: إن انصراف الناس عن الساحة الخلفية لمسجد القبة سيمنحه فرصة أكبر لكي يلقي ببقية الأنابيب في داخل قاعته الكبرى، ثم يلحق به عند باب السلسلة.. وإن لم يجده هناك فسيكون ذلك بسبب اضطراره للانصراف بعيداً عن حائط المبكى..

مَقَرُّ المراقب العام للأمن في مدينة القدس ..

قسم المراقب العام للأمن خطة تعامل فرقته المتخصصة مع زوار مدينة القدس عاصمة السلام إلى مستويين .. نوعي تتولاه مجموعة منهم عن طريق متابعة أحوال الزائرين داخل مقار إقامتهم ودور تعبدهم، ومجتمعي تقوم به مجموعة دائمة التجوال بين إطار المدينة الخارجي وأحيائها السكنية وفي القلب منها المدينة العتيقة ..

منذ منتصف نهار يوم ٢٥ ديسمبر، بدأت التحليلات والتقارير تتوسّع بالتنسيق مع الهيئة العامة للأمن في موسكو عبر الأقمار الصناعية .. سجلت الأجهزة عددًا من السلوكيات التي لفتت الأنظار في أول الأمر، ثم لما حُللت لم تؤدِّ إلى توجُّسٍ أو ريبة ..

ثارت شكوك حول عدد من معتنقي الديانات الأرضية عندما شوهوا أكثر من مرة وهم يقومون بزيارة كنيسة القيامة، ثم اتضح أنهم كانوا مبهورين بمعمارها وتحفها الفنية .. وأيضًا عندما وقع فريق آخر

منهم في غرام مدخل باحة المسجد الأقصى وفكروا في قضاء جزءٍ من الليل هناك، وفسروا ذلك لفرق المتطوعين بأن درجات سلمه تشبه إلى حد كبير درجات سلم المعبد الكبير في نيودلهي..

وعرف المراقبون بسؤال بعض أفراد الزوار اليهود أن تردّد بعضهم أكثر من مرة على مدافن أبناء طائفتهم القديمة المحيطة بمدينة أورشليم، كان بغرض تعرّف المشوى الأخير لأجدادهم الذين ماتوا في هذه الأماكن منذ أكثر من ثمانين عامًا..

من داخل مقار الإقامة نقلت الأجهزة عن المسلمين القادمين من الشرق الأوسط، أنهم غير مرتاحين لاختلاطهم مع آخرين بسبب ما يعكسه ذلك من إحساس بأنهم أقلية.. على العكس من ذلك عبرت تصرفات مسلمي أقاليم المهجر عن شعور بالسعادة بسبب وجودهم ضمن مجموعة متنوعة من معتنقي الديانات الأخرى..

أما تصرفات المسيحيين داخل مقار إقامتهم أو في دور العبادة وحتى في الطرقات، فالتّسمت بالسعادة والرضا.. وأرجعت التحليلات ذلك إلى إيمانهم العميق أن استقباهم للعام الميلادي الجديد وهم في صلاة من داخل كنائس مدينة القدس، وكذا مشيتهم فوق طريق الآلام الذي سار فيه السيد المسيح، سيعود كل ذلك عليهم بالخير الكثير.. التقديرات كافة كانت تشير إلى أنهم فرحون إلى حدّ كبير، لأنهم تقابلوا مع مجموعات من البشر المحيين للخير ما كان لهم أن يتعرفوا إليهم في مكانٍ آخر غير عاصمة السلام..

لم يتوقف خبراء تحليل السلوكيات كثيرًا أمام بعض المشاحنات التي جرت بين قلة من الزائرين بسبب سوء تصرفٍ أو بغير قصدٍ، لأن

وسائل المتابعة سرعان ما أبانت عن تبادلٍ للاعتذار أو كشفت عن تراجع سلمي بلا مزایدات من أي طرف..

لفت نظر كبير خبراء تحليل السلوكيات تجنُّب بعض الزعامات الدينية لبعضهم الآخر، فيما عدا بابا المسيحيين ومساعديه الذين كانوا حريصين على التعرف بغيرهم من القيادات ومن العامة علي حد سواء..

لذا أوصى مُشدِّدًا بتكثيف حملات تتبعهم جميعًا بلا استثناء خاصة الحاخام الأكبر لليهود الذي شوهد والامتعاظ يطبع ملامح وجهه كلما شاهد عن قُربٍ واحدًا من القيادات الدينية للمسلمين أو المسيحيين..

في اجتماع مُدقَّقٍ تقارير المتابعة الثاني الذي عُقدَ ذلك اليوم بالمقر، قال خبير التحاليل السلوكية: إنه عندما ربط بين الحديث التي دار بين المجموعة الرباعية التي زارت مدافن بركة السلطان أكثر من مرة وبين الخلوة التي عقدها كل من جوهان وبلوتسکر في حجرة الأول ببنایة أمناء جبل الهيكل، كان تقديره الأكثر احتمالاً أن الحاخام الأكبر أصدر لهما وكذا لمساعدته.. تعليمات مُحدَّدة فيما يتعلق بترتيبات آخر صلاة لليهود قبل مغادرتهم إلى ميناء عكا بعد ظهر اليوم الأول من العام الجديد، لكنه لم يجد صلة مباشرة بين هذه التعليمات والأنايب التي كان كل منهما يخرجها بعناية بالغة من الحقائب المخبأة بها..

وقال واحدٌ من الحاضرين: إن الربط بين هذه النتائج وبين تكرار اجتماع الحاخام الأكبر مع هذين الشخصين ومعهم مساعدته أفى، يوجه

التحليلات ناحية أخرى ليست ذات صلة بنشاطات المؤمنين بالديانة اليهودية كما يمارسها الآخرون..

اتفق الحاضرون على ضرورة تكثيف مستويات الرقابة دون استثناء لأي مجموعة دينية سماوية أو أرضية، مع إضافة عدد من معدات التواصل السمعي والبصري المحمولة خاصة داخل أحياء مدينة القدس الدينية الأربعة وعلى حدودها.. كما اتفقوا على تحليل التقارير على مدار الساعة من الآن وحتى شروق شمس اليوم التالي..

اختار المراقب العام للأمن أربعة من كبار مساعديه لكي يختص كل واحد منهم بتلقي تقارير منفصلة حول تحركات القيادات الدينية لطوائف الديانات السماوية والأرضية، وأوكل إبلاغه بنتائج تحليلاتها على مدار الأربع والعشرين ساعة التالية إلى مُساعد خامس، وشدد عليه أن يتشاوراً معاً حيال كل ما يثير شكوكه لتدأُس رد الفعل الذي يجب أن يُتخذَ على الفور..

ساحة فندق الملك داود..

بمرور الوقت انجذبت مئات أخرى من الزوار ناحية الشاشات المقامة حول ساحة فندق الملك داود التي تعرض الشوط الأخير من سباق السيارات.. بدأ بعضهم يشجع بروح حضارية الفريق الذي في المقدمة، أما غالبية الحضور فكانوا يتابعون مُشاهدةَ الحَدَثِ ببشاشةٍ وفرح وصياحٍ في بعض الأحيان..

أعلن المعلق الطائر أن المتبقي على نهاية السباق هو خمسة كيلومترات فقط.. وقال: إن التنافس على أشدّه بين سيارات الفريقين.. وحرص على أن يُنهي تعليقه قبل أن تَبَثَّ الصور المنقولة هوية الفائز، مؤكداً أن خبرة الفريقين شبه متعادلةٍ، وقدرات سياراتهم تقريباً مُتساويةً.. وقرر أن فوز أحدهما لا يعني تخلف الآخر أو تواضع قُدراتِهِ.. صَفَّقَ المتابعون للشاشات.. وسرعان ما نقلت الصور اجتياز السيارتين الأوليين للفريق الشرقي الآتي من الناحية الغربية لخط النهاية..

بين تصفيق المشاهدين.. أعلن إيمانويل على الملأ أنه في تمام السابعة
بتوقيت مدينة القدس عاصمة السلام سيُسَلَّمُ مسئول العلاقات العامة
بالحكومة العالمية الكأس للفريق الفائز من فوق منصة ساحة الملك
داود..

وأضاف بعد أن هدأت الجلبة التي أعقبت الخبر الذي جاء على
لسانه، أن الفريق سيصل خلال ثلاث ساعات بطائرة مروحية إلى مطار
جسر الملك حسين..

أُسْقِطَ في يد جوهان فور الإعلان عن موعد تسليم الكأس؛ لأن
هذا التوقيت الذي يخيم فيه الليل.. يتعارض مع تخطيطه القائم على
استغلال بقايا ضوء الغروب للقيام بعمله البطولي، قبل حلول الظلام
كُلِّيةً!..

كان يحسب مقدار المجازفة التي ستضطره للتخلي عن الغطاء الذي
ستوفره له لحظات العتمة.. عندما أبلغه أحد مساعدي يوثيل عاموس
أن يُسارع هو وحموه بالتوجُّه للقاء الحَبْرِ الأعظم عند معبد يعقوب..

الحي اليهودي..

أذعن بلوتسكر وزوج ابنته جوهان للتكليف، فلم يكن لأحدهما
أن يصمّ أذنيه عنه..

كان الحبر الأعظم يجلس داخل معبد يعقوب يُقدّم النُصح لبعض
مريديه من اليهود كبار السن ويجواره مساعده..

انتظر الرجال على مبعدة من التجمُّع حتى انصرف آخر ضيف
كان في معية يوثيل..

أشار إليهما أن يتقدما ناحيته..

سألها عن آخر الترتيبات..

قال جوهان: إن أمعاء الخراف جاهزة للطبخ..

ولما ناقش معها تأثير تأخير توقيت تسليم الكأس إلى السابعة كما
سمع من مبكرات الصوت، على تجهيز الطعام الحلال..

بادر جوهان بالقول: إن لحظات العتمة لم تعد مواتية لأن حركة المتوجهين للصلاة خاصة في مساجد المسلمين ستعوق حركته كلية.. وأكَّد أن لحظة تسليم الكأس وما يسبقها من تراحمٍ بالقرب من المنصة ستكون الأنسب من جميع الأوجه..

سأل يوثيل صديقه بلوتسكر ومساعدته أفي عن رأيهما، فقالا: إنهما يفضلان التريُّث لما بعد هبوط الظلام..
أيدهما الرجل..

فهم يوثيل أن جوهان سينطلق وعلى كتفه الأمعاء المطبوخة مع الخارجين لملاقاة فريق السيارات وأفراده القادمين من ناحية مطار جسر الملك حسين إلى أورشليم، ليضيع في زحامهم.. وأنه سيتوجَّه إلى باب الخليل من ناحيته الشمالية القريبة من موقع مدافن بركة السلطان..

وانفجرت أساريه عندما استوعب ضمن سياق الشرح المختصر، أن أول تذوُّقٍ للأطعمة الحلال سيكون في ساحة المسجد العمري تليه كنيسة القيامة ثم الدير الإثيوبي.. قبل أن يصل الطبقة الشهير إلى الكنيسة الأرثوذكسية، وأخيرًا إلى مسجد الصخرة..

تتم الخبر الأعظم ببعض الدعوات والصلوات.. ثم أشار لهما بالانصراف..

المدخل الشمالي لمدينة روما..

تبادلَ فريقا سباق السيارات التهاني والقبُّلات، وطلب رئيس مجلس مدينة روما إلى المسافرين إلى مطار جسر الملك حسين التوجُّهَ بسرعة إلى الحافلة التي ستقلُّهم أولاً لتحية الجماهير المحتشدة، ثم إلى مطار روما لتحملهم طائرة مروحية إلى هناك لاستلام الكأس، ولحضور احتفالات مدينة القدس عاصمة السلام ببداية التقويمات السنوية المختلفة لطوائف العالم التي تدين بديانات أرضية وسماوية..

في الطريق تلقت القافلة التحيات والورود من الجماهير التي تراجعت لتقديم التهاني لهم..

مقر المراقب العام للأمن بمدينة القدس ..

استيقظ إيمانويل بعد فترة راحة قصيرة نشطاً وأكثر هدوءاً وأقل انفعالاً، فور إبلاغه بهبوط الطائرة المروحية القادمة من روما.. صوب عينيه إلى الشاشة العملاقة التي كانت منذ بضع ساعات تنقل نهايات السباق الذي حمل مسؤوليته بنجاح لعدة أشهر..

بلغ تأثره بالصور المنقولة مداه عندما شاهدَ على الشاشة صعود أفراد الفريق إلى سيارة النقل الجماعي التي ستقلهم إلى أورشليم، وتابع بفرح صبياني سعادة المسؤولين في المطار باستقبالهم وتقديم التهاني القلبية لهم..

لما نقلت شاشات ساحة فندق الملك داود الخبر، فضَّ العديد من الواقفين في الساحة تجمُّعهم واتجهوا ناحية الطريق الذي يربط بين جسر الملك حسين ورام الله بمدينة القدس عاصمة السلام من الناحية الشرقية..

وكذلك فعل غالبية من كانوا يطوفون بدور العبادة وفي أحياء
القدس العتيقة..

سُمعت جلبة عالية في الشوارع المحيطة بمقر مراقب أمن المدينة
عندما بدأ العدد الأكبر من الزوار في احتلال الشوارع التي تصل بين
شرقي القدس وساحة فندق الملك داود..

لما نقلت المعدات والأجهزة صور التكسُّس البشري الذي
يتضاعف بمرور الوقت، استعدَّ خبراء الأمن لما قد ينتج عنها من
احتكاكات أو مصادمات خاصة بعد أن ضاقت عليهم فُرص التقدُّم أو
الاقتراب لأن حركتهم أصبحت شَبَهَ معدومةٍ تقريباً..

كان جوهان وبلوتسكر ضمن الآلاف من الزوار الذين خرجوا في
اتجاه الطريق الواصل بين رام الله وأورشليم..

الحي اليهودي..

كان الحبر الأعظم لا يزال يجلس على كرسيه داخل بناية معبد يعقوب يُردّد بعض الصلوات بصوت خافت، عندما أحسّ بألم مفاجئ في منتصف صدره.. نادى بصوتٍ واهنٍ على مساعده الذي يقف على مبعدة منه..

اقترب أفي بسرعة من يوئيل الذي همس إليه أنه يحسُّ بضيق شديد في التنفُّس، وطلب إليه أن يساعده على الوقوف لكي يخرج إلى الهواء الطلق بعد أن قضى أكثر من أربع ساعات جالسًا في مكانه داخل المعبد..

اعتمد الكهل على ذراع مساعده ليقف، ولكنه سرعان ما تهاوى جسده الواهن على كرسيه بلا حول ولا قوة..

أخرج أفي من جيب سترته الكُتيب الذي وجدته في حجرته، واتصل بالمركز الطبي المتنقل القريب من مدخل الحي الجنوبي..

أتى طبيبان على وجه السرعة إلي مدخل المعبد.. قادهما أفي إلى
حيث يجلس يوئيل على كرسيه.. كَشَفَ أحدهما عليه إلكترونيًا بينما مرَّ
الآخر شريحة الكمبيوتر الشخصي ليوئيل التي قدمها له مستعده أفي في
الماكينة الطبية التي برفتها..

ظهرت على الشاشة جميع البيانات الخاصة بالخابام الأكبر..

تعاون الطبيبان في إنامة يوئيل عاموس على الأرض..

رَكَّبَا له جهاز تنفُّسٍ ومُنظَّم دقيق لضربات القلب..

بعد دقيقتين فتحا فمه وصبا فيه بضع نقاط من سائل معين..

بعد عشر ثوانٍ وجَّها الإضاءة الصادرة من جهاز كشف حركة
القلب إلى منطقة الصدر.. بان على الشاشة مدى ضعف نبضه..

اتصلا بالمركز الطبي الأساسي وشرحا الحالة، وطلبا سيارة إسعاف
لنقله فورًا إلى مستشفى مدينة عمان لجراحات القلب..

سمع أفي سيفر النقاش، اغرورقت عيناه بالدموع، وبدأ يتلو بعض
الصلوات طالبًا إلى الرَّبِّ أن يكتب له الشفاء..

أفسح الواقفون عند مداخل الحي اليهودي الطريق للسيارة التي
كانت تُضيء وتُطفئ أنوارها طلبًا للمرور حتى بلغت مدخل معبد
يعقوب..

تعاون العاملون فيها مع الطبيبين على نقل الخابام الأكبر بحرص
فائقٍ إلى داخلها..

أبلغ مسئول المركز الطبي الرئيسي مراقب الأمن بحالة يوثيل
عاموس المرضية وحاجته الماسة للنقل إلى مستشفى عمان لإجراء
فحوصات عاجلة على قلبه..

تولَّى المراقب العام بنفسه التنسيق، فقام بإخطار المستشفى بعمان
بشخصية المريض الذي تستعدُّ سيارة النقل الطائر لنقله إليها، وكلَّف
واحدًا من مساعديه باختيار أفضل الطرق لتوجيه السيارة التي تحمل
يوثيل عاموس بعيدًا عن الازدحام حرصًا على حياة الرجل الذي سَقَطَ
ربما بسبب الإرهاق..

بعد دقيقتين طلب إلى قائد السيارة أن يتَّجه ناحية حي الأرمن،
ومن هناك ينحرف جنوبًا حتى يبلغ نقطة التلاقي مع شارع الملك
جورج الخامس الخالي تمامًا من الناس والمركبات..

بسرعة غير متوقعة بلغ قائد سيارة الإسعاف الطائر نقطة الانطلاق
فوق الطريق السريع الذي أُرْشِدَ إليه، وعندما بدأ يجهز السيارة للطيران
تلقَّى التعليمات بقيادتها على ارتفاع ٦٠٠ متر في اتجاه مستشفى القلب
التخصصي في عمان..

مقر المراقب العام للأمن بمدينة القدس ..

اجتمع المساعدون الخمسة مع المراقب العام لمناقشة التقرير الذي كان كبير خبراء تحليل السلوكيات يعرضه عليهم ..

الصور على الشاشة تبين حروفاً لاتينية وأرقاماً مُحَرَّرة على أنبوب من بين نحو ثمانية أو عشرة أنابيب يُخْرِجُهَا أَحَدُهُمْ بعناية فائقة من داخل لفات القماش التي كانت مخفية داخل حقيقة جلدية، ثم يضعها بنفس العناية في حقيبة عادية مما يُحْمَلُ على الظهر ..

تحليل الصور يشير إلى أنها أُلْقِطت من داخل مقر إقامة الزوار اليهود، ويؤكد أن الشخص الذي أخرجها هو واحد من المجموعة شديدة القرب من الحاخام الأكبر ..

لَمَّا كَشَفَ عن الرقم الكودي لهذا الشخص، بينت اللقطات التالية أنه يسيرُ برفقة فردٍ ثانٍ من نفس المجموعة ضمن سيل زوار مدينة القدس عاصمة السلام المتوجهين لاستقبال فريق سباق السيارات

الذي تتجه الحافلة التي تقله إلى الطريق الواصل بين رام الله وقلب
المدينة..

تعرف المراقبون إلى الشخصين.. إنها جوهان وبلوتسكو..
أُرسلت الصور والبيانات إلى الهيئة العليا للأمن في موسكو..
أتى الردُّ بعد ثوانٍ..

الأنابيب تحتوي على مادة غازية تنبعث على أثر إلقائها داخل
الأماكن المغلقة، وعندما تنتشر ويمتلئ بها المكان تؤدي إلى انهياره في
بضع دقائق..

جاءت التعليمات بإلقاء القبض على حاملها في التوّ واللحظة، أو
قتله إن لم تتمكن عناصر الأمن من وضع يدها حول رقبتة قبل إلقاء ما
معه من حمولة ناسفة..

أمرُ مراقب عام الأمن بإطلاق فريقين من فرق مكافحة الإرهاب
في أعقاب المشتبه بهما، بعد توصيل أجهزة الكمبيوتر الخاصة بكل فرد
منهم بثلاثة أقمار اصطناعية تمرّ متتابعة عبر أجواء المدينة..

في نفس الوقت بثت الأرقام الكودية لبلوتسكو وجوهان إلى
أجهزة ومعدات المتابعة المنتشرة على اتساع المنطقة التي تمتدُّ من شارع
فندق الملك داود في الشرق إلى رام الله في الغرب، وكلّفت بضرورة
اقتفاء أثرهما معاً أو منفردين..

في نفس الدقيقة التي انطلق فيها أفراد الفريقين لبدء مهمتهما قام
أكثر من جهاز بالتقاط صور واضحةٍ للرجلين وهما يسيران جنباً إلى
جنبٍ..

تم تحديد مكانها ضمن مجموعة كبيرة من البشر، كانت تقطع التلة الصاعدة إلى البطيرية القبطية التي تطلُّ على الطريق القادم من القدس إلى رام الله..

السؤال الذي طرأ على ذهن المراقب العام للأمن في مدينة القدس عاصمة السلام.. ما الهدف الذي ستستخدم من أجله هذه الأنابيب التي لا يحتاج تفجيرها لمفجر خارجي أو لمنظم ميقاتي؟.. قفز إلى ذهنه ثلاثة احتمالات.. تفجير الحافلة التي تحمل فريق السيارات الفائز! إحداث حجم هائل من الفوضى بين المحتفلين بهذا الحدث الفريد! هدم وتدمير أماكن بعينها.. عندما تشاور مع كبار مساعديه توافقوا على ترجيح الاحتمال الأخير..

ومن ثم أصبح سؤاله.. أيُّ من مباني المدينة هو المستهدف؟..

الشوارع المحيطة بأحياء مدينة القدس العتيقة..

انطلق أفراد فرقتي مكافحة الإرهاب لمطاردة بلوتسكر وجوهان في الاتجاه الذي أوضحته وحددته كاميرات المراقبة..

شدّت تعليمات المراقب العام لقائدي الفريقين على ضرورة البقاء بالقرب منهما طوال الوقت، وعلى اغتنام جميع الفرص لمنعهما من تحقيق أي هدف من وراء حمل أحدهما لأنابيب المتفجرات..

لاحظ المراقبون خلف أجهزة المتابعة بالمقر أن الهدفين ابتعدا عن الحشد البشري الذي كان يضمُّهما وأنها انفصلا أحدهما عن الآخر، وبأن ذلك على شاشة جهاز الكمبيوتر لدى قائدي الفريقين..

اتجه أحدهما إلى أقصى جنوب الحي الأرميني وسار بمحاذاة جداره الخارجي في الاتجاه المُفضي إلى الحي اليهودي، أما الآخر فحثَّ الخطى إلى ناحية باب الخليل..

نَفَذَ القَائِدَانِ أَمْرًا صَدَرَ لهما بِأَنْ يَسْتَقِلَّ كُلُّ منهما بِتَبَتُّعٍ وَاحِدٍ مِنَ
الهِدْفَيْنِ، وَأَنْ يُنَسَّقَا مَعًا، فِي ضَوْءٍ مَا سَيَصْدُرُ لهما لَاحِقًا مِنْ تَعْلِيَمَاتٍ..

خَفَّتْ حِدَّةُ الازْدِحَامِ بَعْضَ الشَّيْءِ فِي الْمُنْطَقَةِ الَّتِي كَانَ يَتَابَعُ
الرَّجُلَيْنِ السَّيْرَ فِيهَا حَثِيثًا، وَأَصْبَحَتْ مُتَابِعَةٌ كُلِّ مَنْ جَوْهَانِ وَبَلُوتَسْكَرَ
عَلَى مَسْتَوَى الْأَقْفَارِ الصَّنَاعِيَةِ وَشَاشَاتِ المِرَاقِبَةِ وَكَذَا فَرِيقَيِ المِكَافَحَةِ،
أَسْهَلَ وَأَدْقَ..

تَابَعَ فَرِيقَ المِكَافَحَةِ بَلُوتَسْكَرَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ فِي مَوَاجِهَةِ
الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ لِحَائِطِ الْمَبْكَى، كَانَ ظَهْرُهُ نَاحِيَتِهِمْ.. اقْتَرَبَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُ عَلَى
حَذَرٍ..

طَلَبَ قَائِدُهُمْ إِلَى المِرَاقِبِ الْعَامِ لِلْأَمْنِ أَنْ يُوَافِيَهُ بِصُورَةٍ لِلرَّجُلِ مِنَ
الْأَمَامِ..

لَمَّا جَاءَتْهُ الصُّورَةُ عَلَى شَاشَةِ الْجِهَازِ لَاحَظَ أَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا مَا بَيْنَ
يَدَيْهِ.. وَعِنْدَمَا زَادَ حَجْمُ الصُّورَةِ تَبَيَّنَ أَنَّهُ جِهَازُ اتِّصَالٍ.. شَكَّ الرَّجُلُ
فِي أَنَّهُمْ يَتَابِعُونَ الشَّخْصَ الْمُسْتَهْدَفَ.. لَكِنِ المِرَاقِبِ الْعَامِ أَكْدَ لَهُ أَنَّهُ
هُوَ..

اقْتَرَحَ قَائِدُ الْفَرِيقِ أَنْ يَضَعُوا يَدَهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَفَرَّغُوا لِلْمُعَاوَنَةِ أَفْرَادَ
الْفَرِيقِ الْآخَرَ إِذَا احتَاجُوا لِلْمُسَاعَدَةِ، خَاصَّةً وَأَنْ الْآخَرُ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ
حَقِيقَةَ الْمُتَفَجَّرَاتِ..

أَصْدَرَ المِرَاقِبِ الْعَامِ مُوَافَقَتَهُ، مُحَذِّرًا مَنْ أَيَّ خَطَأٍ حَتَّى وَلَوْ غَيْرِ
مَقْصُودٍ..

مقر المراقب العام للأمن بمدينة القدس ..

في خضم متابعة بلوتسكر وجوهان، اتصلت سيارة الإسعاف الطائر بالمراقب العام في عاصمة السلام.. أطلعته الطبيب المصاحب للحبر الأعظم على صور ومَشَاهِد للرجل وهو يُصارعُ الموت من داخل الحجرة التي يرقد فيها بمستشفى عمان لجراحة القلب.. ونقل إليه ما سمعه منه قبل أن يغيب عن الوعي منذ اقل من دقيقة “أن يبذلوا جهدهم لتوقيف واحدٍ من رعاياه اسمه جوهان ينوي تدمير بعض أماكن العبادة في الحيين الإسلامي والمسيحي، وأنه سيبدأ بالحلي المسيحي من عند المسجد العمري“.. وأضاف الطبيب أنه شدد على ضرورة إبلاغه بصفة فورية أن الحبر الأعظم يوئيل عاموس ييري أصدر فتوى بوقف المهمة التي كان مكلفاً بها هذا اليهودي المخلص..

سأل المراقب العام عن إمكانات العلاج التي قد تتوافر للكهل الراقد بين أيديهم، قيل له: إن دخوله في الغيبوبة يشل يدهم عن أن يحاولوا تدعيم عضلة قلبه بخلايا جذعية..

أوصاهم أن يعملوا أقصى ما في طاقتهم لإبعاد شبح الموت عنه..
استمع قائدا فريقي المطاردة إلى تعليمات مراقب عام الأمن..
بعد إلقاء القبض على الشخص الجالس أمام حائط المسجد
الأقصى، أُقْتِيدَ مُكَبَّلًا إلى ناحية الحي المسيحي..
استسلم لهم بلا مقاومة وهم يُقَيِّدُون يديه إلى رقبته..
ولمّا اتجهوا به مخترقين الطرف الجنوبي للحي المسيحي..
سمع من ينادي علي زوج ابنته ويقول له: إن الحاخام الأكبر يرقد
الآن في المستشفى، وأنه يطلب إليه أن يتوقف..
كان بلوتسكريظن حتى هذه اللحظة أنه هو وحده الذي قُبِضَ
عليه..
لم يحزنه ذلك اعتقادًا منه أن جوهان نجح في التخفي، وأنه سيسمع
بعد بُرْهة صوت الانفجار الأول..
الآن فقط أدرك أن خطته فشلت.. ولكنه لم يستوعب لماذا يرقد
الحبر الأعظم في المستشفى؟
لماذا طالبهم بوقف العملية؟..
أما جوهان فصعقت المفاجأة كيانه كله..
تجمّد في مكانه، مَنْ هؤلاء الذين ينادونه؟ وكيف عرفوا
بالعملية؟..

توقَّفت يده اليمنى وهي في طريقها إلى فتح الحقيبة المعلقة على
ظهره، وهو يسمع أن حاخامه الأكبر يوئيل عاموس الذي يعي اسمه
جيداً يطلب منه وقف ما هو مقدم عليه..
قبل أن يفكر في مدى صحة ما سمع وجد نفسه يشمُّ رائحة مُحدِّرٍ لم
يمهله حتى لكي ينظر حواليه..

ساحة فندق الملك داود..

أصوات الموسيقى من كل لون يختلطُ بعضُها ببعضٍ، تملأ فراغ المكان ويمتدُّ صداها إلى بقية أنحاء مدينة القدس عاصمة السلام..

فرقُ الفُنون الشعبية المصاحبة للجماعات الدينية تعزف على التوالي جُملاً متنوعة من الألحان التي تعبر عن فرحتها بالمشاركة في الاحتفاء بأبطال فريق سباق السيارات الفائزين..

الساحة أمام المنصة مكتظة بعدة آلاف من الزائرين الذين قصدوا المدينة، وجدوا أنفسهم في حالة من الشوة وهم يشاركون بلا ترتيبٍ مُسبقٍ في الترحيب بأناسٍ قاموا بإنجاز لم يخطط له القائمون على أمر عاصمة السلام، ولا كان ضمن برنامجها منذ البداية..

لكنها طبيعة المدينة التاريخية التي تتفاعل مع كل ما يجمع البشر على الخير وتنمي المحبة والسماحة بينهم..

علا الصخب من ناحية الطرف الشمالي للحي المسيحي المُطل على الساحة..

ظهرت سيارة النقل الجماعي التي تُقَلُّ فريق سباق السيارات
يتوسَّطهم إيمانويل ..

حيَّاهم الزوار بحرارة وبادلهم أعضاء الفريق ودًّا بودًّا ..
التقطت لهم الصور والأفلام المسجلة القصيرة ..

كان أفراد الفريق متعبين عندما هبطوا من الطائرة المروحية، لكنهم
سرعان ما استفاقوا بعد أن شملهم كل من قابلهم من البشر بالمحبة غير
المصطنعة .. منذ أن وطئت أقدامهم هذه الأرض الطيبة وهم في سعادة،
لم يكن أيُّ منهم يُصدِّق أنه سيُدعى إلى مثل هذا الحفل، ولا أن يُستقبل
بهذه الحفاوة ..

صعد أفراد الفريق إلى المنصة بصحبة إيمانويل ..

حيَّاهم رئيس مجلس إدارة المدينة وعبرَ عن سعادة جارفة شَمِلَتْ
أبناء مدينة القدس وضيوفها لوجودهم بينهم في هذه المناسبة، وتمنَّى لهم
أن يقضوا وقتًا طيبًا بين هذا الجمهور المُرحِّب بهم .. وأن يستمتعوا
بالفقرات الفنية التي ستعرض عليهم ..

تعاون إيمانويل وممثل الحكومة العالمية في تقديم الكأس لهم ..

حيَّوا إيمانويل التحية التي تليق به ..

ثم حملوه فوق أعناقهم ونزلوا به وسط الجمهور ..

مكتب مراقب الأمن العام بمدينة القدس..

لم يصدق جوهان ولا بلوتسكر المشاهد المصورة التي تعرض أمام أعينهم على شاشة الاتصال بمكتب مراقب الأمن العام في المدينة.. اكتشفوا أن الكاميرات التي كانت تتعقبها خطوة بخطوة رغم الزحام الكبير.. اتضح لهما أنها كانا مرصودين طوال الطريق الذي سلكاه من ناحية ساحة فندق الملك داود حتى انفصالهما بالقرب من باب الخليل..

أُسْقِطَ في أيديهما لدى مشاهدتهما للصور التي نقلها طبيب الإسعاف الطائر للحاخام الأكبر وهو يرقد في سريره بمستشفى القلب التخصصي بمدينة عمان قبل أن يدخل في غيبوبة عميقة بسبب صدمة دماغية أثرت في القلب..

بدأ المراقب العام يتشاور وعددًا من مساعديه مع كبار الخبراء في موسكو، بينما بقي بلوتسكر وجوهان في مكانهما مكبلين..

كان كل منهما يفكر بمفرده في نوع الجزاء الذي سيحكم به عليه، لا
مفر من تصديق ما وقع لهما.. لكن ما شكل العقوبة؟..

قطع السكون الذي خَيَّم على المكان رسالة عاجلة آتية من عمان
تفيد بوفاة يوثيل عاموس بعد فشل جميع المحاولات التي بُذِلَتْ لإفاقته
من الغيبوبة التي سقط فيها منذ أربع ساعات..

بان الأسى على ملامح وجهي بلوتسكر وجوهان، لكن الدموع
تججرت وأبت أن تتساقط من عيونهما؛ لأن تفكيرهما فيما سيؤول إليه
أمرهما أزاح من ذهنهما بوادر حزن كادت أن تطفو على السطح بغدما
سمعا بوفاة حبرهما الأعظم..

توقف الحديث المتبادل عبر الدائرة الفضائية المفتوحة، أدرك
الرجلان المكبلان أن قرارًا ما اتُّخذ بشأنهما.. أبلغت موسكو المراقب
العام أنه تقرّر نَفْيُ الرجلين مدى الحياة إلى معزلين طبيين مختلفين في
ضوء ما ثبت من حيازة أحدهما لمواد شديدة التفجير، وتخطيطه
بمساعدة زميله الآخر لاستخدامها في أعمال إرهابية.. وتطلب إليه
استدعاء مساعد الحاخام أفي سيفر لسؤاله عن معلوماته فيما يتعلق
بالتهمة التي أُدين بسببها، ثم لإبلاغه بوفاة الحاخام الأكبر..

ساحة فندق الملك داود..

توالت الفقرات الفنية التي تُقدِّمها الفرقُ الشعبية..

تجاوب الحاضرون معها..

كانت الموسيقى والألحان تُردِّد معاني المحبة والتعاطف بين الشعوب..

شارك الكثيرون في التعبير عن مشاعرهم الفياضة تجاه بعضهم البعض..

كلما تقدَّم الليل من منتصفه زاد إقبال المتفرجين وتضاعفَ عددهم واتسعت مؤشرات الانسجام البشري وتواصلت دوائر الاحتفال بين الواقفين على المنصة والمحيطين بها..

الخشية والتوجُّس والاحتياط، دفعوا مُراقِب الأمن العام إلى تكثيف عناصر المراقبة الأمنية المندسة بين الناس خصوصًا بالقرب من ساحة فندق الملك داود وفي محيطها..

لم تنقل الأجهزة والمعدات أيّ احتكاكٍ أو عنف..
وكانما محاولة التفجير التي كان سيقوم بها جوهان هي الوحيدة
التي كان بعض الأشرار يخططون للقيام بها..
وبالرغم من ذلك شدّد الرجل على حتمية تواصل المهام الأمنية
حتى تبدأ وفود الزائرين في الانصراف في طريق العودة..

معزل أفريقيا الطبي..

برغم محاولاته المستميتة لم يجد ديفيد فيما حوله ما يخلصه من حالة الاكتئاب التي لازمته منذ الصباح، حتى مطارحات الغرام التي أغدقتها عليه مالكته لم تفلح في إسعاده.. إنه لا يكاد يخرج من قاع البئر إلا ليسقط فيه ثانية..

كشفت له ومضة نجمة الشمال وهو راقد على ظهره، أوعية التذكر..

إنها ليلة الحادي والثلاثين من ديسمبر التي تعقبها إشراقة أول أيام العام الجديد..

كل ملايسات وإحباطات الشهور الماضية تدفعه دفعًا لأن يرى نفسه في سيراكوزاه وسط مشاهد احتفال صاخب بانتصاف الليل، تدمع عيناه عندما يحس بخشونة واقعه الأليم الذي يعيشه.. يزداد شجنه.. لم يعد هو ديفيد الذي يعرفه..

أين هو في هذه اللحظة على وجه التحديد من مُحطَّط الاحتفال
ببداية السنوات التقويمية الجديدة لأصحاب الديانات السماوية
والأرضية؟.. التي شارك في تحرير عدة تقارير حول توقُّعات الطقس
التي ستمر بها في النصف الثاني من شهر ديسمبر.. أوشك على النحيب
عندما رأى نفسه بعين الخيال هناك في أورشليم، يمضي الوقت في مرح
وصخب بصحبة أخيه إيمانويل وصاحبه جوهان..

لا بد أن توأمه وصديقه الآن في حالة نشوة جارفة..

اعتدل جالساً.. ذكَّرتَه خيالات صاحبه وهو يشارك في
الاحتفالات بشريحة ملف الهيكل التي كانت سبب احتجاجه في هذا
المكان، وجد نفسه مرة أخرى يُقَارَنُ بين ما هو فيه منذ بضعة أشهر وبين
ما ينعم به صاحبه الآن من متعة احتفالات أورشليم..

هُيَّئَ له أنه يشمُّ رائحة حالة البؤس التي أضحى عليها..

أين ديفيد الذي يعرفه مُتَأَنِّقاً مُقْبِلاً على الحياة من الحالة المزرية التي
هو عليها الآن؟..

حَلَّ به حُزنٌ عميقٌ..

تذكَّرَ صورة ديفيد الآخر في أورشليم مع توأمه ووالديه منذ
..سنوات..

ورآه وهو يشارك مع شقيقه وصاحبه وآخرين في احتفالات المدينة
المقدسة، ورأى ثلاثتهم وهم ينظرون ناحية الشمس وهي تعلو في
الأفق تنشر أشعتها مُعلنةً صبحية يوم الأول من يناير عام ٢١٠٠..

يبدو أنه غفا من إجهاد التفكير ومن تعب التنقل بين الرفض
النفسي لما هو فيه واللجوء القسري لذكريات الماضي بحثًا عن طاقة
أمل..

عندما فتح عينيه وجد نفسه مُمدَّدًا بالقرب من شجيرات متعانقة،
كانت شمس اليوم الجديد تفرش أشعتها على المكان..
اعتدل جالسًا وهو ينظر ناحية الأفق، كان على ثقة أنه ربما يكون
الوحيد في هذا المكان الذي يعرف أن اليوم هو الأول من العام الميلادي
الجديد..

نفض عن رأسه طوفان ذكريات التي سبق أن أثقلت عليه كاهله
مراتٍ كثيرة، وقام من مكانه بتكاسل..
ولكنه عاد للجلوس مرةً ثانية وهو لا يكادُ يصدق نفسه..
أليس هذا الملقى أمامه بلا حراكٍ هو صاحبه جوهان..
هل هو يحلم؟ تلفَّت حوله..
ظَلَّ فترةً من الوقت غير متأكّدٍ من حقيقة نفسه أو حقيقة ما يراه
أمامه..

فجأة تساءل: ما الذي أتى به؟..
لا بُدَّ أنها لعنة شريحة ملف الهيكل التي أتت بصاحبه إلى نفس
المكان الذي أتت به إليه منذ بضعة أشهر؟..

النهاية..